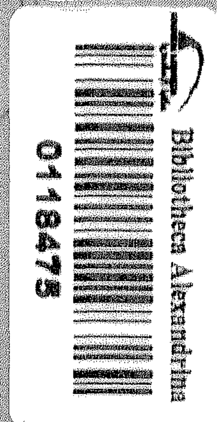
مسرحيات

ايسخولوس

ترجمة

أمين سلامة

ماجستير في الآداب اليونانية واللاتينية



مكتبة مدبولي

القاهرة

مسرحيات

ايسخولوس

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الناشر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٧٥٦٤٢١

مسرحيات

اسخيلوس

ترجمة

أمين سلامة

ماجستير في الآداب اليونانية واللاتينية

مكتبة مدبولي

القاهرة

أيسخولوس

حياته ومسرحياته

بقلم
أمين سلامة

أيسخولوس

(١) شخصية أيسخولوس وعبقريته:

اعتبرت التراجيديا كلون أدبي مستقل في أواخر القرن السادس ق. م. بعد ثيسبيس[1] Thespis وفي عصر من خلفوه مباشرة: لقد صارت جزءاً من الأدب، ولكنها ما زالت نوعاً متواضعاً منه، تحتاج قواها الكامنة إلى تنمية. كانت بحاجة إلى جمال المناظر وعظمة الحركة والأداء المسرحي لتمدها بالعظمة التي تفتقر إليها، كما كانت بحاجة إلى فلسفة لتزودها بمادة للتأمل. كانت هذه مهمة أيسخولوس، وكانت عظيمة الأهمية لدرجة أنه اعتُبر أباً لهذا اللون من الأدب.

ولم يكتب لأيسخولوس أن يكون واحداً من عباقرة العالم كله في كتابة المآسي فقط ، ولكن قسم له أن يخلد في أذهان الناس بوصفه مبتكراً لا يقل في ابتكاره عن سلفه ثيسبيس .

ولقد استطاع أيسخولوس أن يحافظ في مسرحياته على قسط عظيم من بساطة الأغاني البكخوسية والديثورامبوس[2] Dithyrambus بصفة خاصة مما دفع أريستوفانيس Aristophanes إلى تسمية أيسخولوس «بالأمير الباكخي» ولقد اتسمت مسرحياته بروح الملاحم بصورة بارزة وكانت له في سردها طريقته

---

(١) ازدهر في حوالي ٥٣٤ ق. م. يقال إنه أضاف الممثل إلى الكورس. . .

(٢) أغنية كورالية إغريقية ترتبط بعبادة ديونيسوس ينشدها كوروس مستدير من خمسين مغنية. .

الخاصة بحيث جعلنا لا نشعر بأنه قد بذل مجهوداً كبيراً في معالجة ما يقدمه لنا من سياق حوادثه في ذلك القالب المصقول المفصل الزاخر بالمادة الأسطورية والقصص التاريخية الخرافية بكل ما تشتمل عليه من تعقيدات دينية شاسعة.

كان أيسخولوس جليل النظرة فمسرحياته تحلق في السماء ولكم خلق خياله من صور رائعة وكم اتصف أسلوبه بالفخامة التي تبلغ أحياناً حد المبالغة وتشير على الدوام إلى المقدرة الواضحة على التفكير التي كانت تتمتع بها شخصيته.

ويرجع إلى أيسخولوس إرساء الأسس الثابتة للمأساة الإغريقية قبل أرسطو بحوالي قرن ونصف قرن من الزمان بعد أن تشبع بالمبادىء الأولية التي وضعها فرونيخوس[1] Phrynichus (٥١٢ - ٤٧٦ ق. م.) وما أضفاه عليها أيسخولوس من قوته الجبارة ومقدرته الفائقة العجيبة في رسم الشخصيات التي كان عَرْضها يبدو شاحباً من قبل.

* * *

كان أيسخولوس ينحدر من أسرة أرستقراطية كريمة المحتد تعتبر من أشهر الأسر الأتيكية العريقة النبيلة.

هو ابن يوفوريون Euphorion، ولد في إليوسيس Eleusis بقرب أثينا سنة ٥٢٥ أو ٥٢٤ ق. م. من أسرة قديمة تسمى اليوباتريد Eupatrid وهم سلالة قبائل أيولية Eolians كانوا قد نزحوا تحت ضغط غارات الأمم المجاورة إلى أتيكا Attica حيث أسسوا مملكة قوية. . .

ونكاد لا نعلم شيئاً كثيراً عن حياة أيسخولوس ولقد أجمع المؤرخون على أنهم لا يعرفون عن طفولته أو شبابه شيئاً يستحق الذكر أو يمكن الاعتماد عليه. هذا وإن كانت هناك أسطورة تروي قصةً خرافية عن أيسخولوس وهو في طليعة شبابه فتقول إنه بينما كان نائماً يوماً تحت كرمة في بساتين أبيه حلم أنه رأى

(١) من أثينا. من أوائل التراجيديين الذين لم تبق من كتاباته إلاّ شذرات لا يعتد بها. ازدهر اسمه في الفترة من ٥١٢ إلى ٤٧٦ ق. م. تقريباً.

ديونيسوس إله الخمر، مقبلاً عليه محدثاً إياه متنبئاً له بأنه سيصبح شاعراً فحلاً من أعظم شعراء عصره.

ومع ذلك كان لأيسخولوس هذا شقيقتان هما كونا يجيروس Cynaegirus وأمينياس Aminias حارب أولهما مع الشاعر في معركة ماراثون Marathon سنة ٤٩٠ ق. م. وأظهر بسالةً لا مثيل لها بينما حارب الثاني في موقعة سالاميس Salamis. أما أخته فقد أنجبت سلسلةً من شعراء التراجيديا وعلى رأسهم الشاعر المسرحي فيلوكليس Philocles الذي فاز على سوفوكليس الشاعر الألمعي عندما تقدم الأخير بعرض أروع مسرحياته طراً ألا وهي مسرحية «أوديبوس ملكاً».

اتصف أيسخولوس بالأنفة والكبرياء والإباء في مراحل حياته الخاصة والعامة فنجده قد عزف عن المناصب الحكومية وجميع وظائف الدولة واكتفى بأن يكون شاعراً واجداً في ذلك شرفاً لا يجاريه شرف. ولعله قد ورث هذا الشمم وهذا الإباء من أسرته العريقة الأرستقراطية كما سلف ذكره.

ومن العجيب أننا لسنا على إلمام كافٍ بأحداث حياة أيسخولوس. يقول سويداس Suidas إن أيسخولوس اشترك في مباراة تراجيدية في الأوليمبياد السبعين (٥٠٠ ـ ٤٩٧ ق. م.) وكان إذ ذاك بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمره. . . وكان أيسخولوس وهو لا يزال في هذه السن الصغيرة يخاصم كبار الشعراء أمثال «خايريلوس Chaerilus وبراتيناس Pratinas وفرونيكوس Phronicos وظل على مساجلتهم طوال عشرة أعوام كاملة. هذا وإن كان لم يحظ بانتصاره الأول إلا في سنة ٤٨٨ ق. م.

ثم جاءت الأزمة الكبرى للحروب الفارسية والتي تسمى أيضاً الحروب الميدية وهي الحروب التي اشتعلت نيرانها بين الفرس واليونان فحارب فيها أيسخولوس كجندي من المشاة الثقيلي التسليح، في ماراثون Marathon سنة ٤٩٠ ق. م. مع رجال قبيلته فإذا به يظهر من الوطنية الصادقة والحماسة البالغة

والشجاعة الفائقة النادرة كما يدل على ذلك ما أمر بكتابته على قبره: «هذا القبر يُغطي رفات أيسخولوس، بن يوفوريون الذي ولد أثينياً ومات في سهول جيلا Gela الخصبة، وإنه لفي استطاعة غابات ماراثون الشهيرة المقدسة وفي مقدور الميديين ذوي الشعور المرسلة أن يتحدثا عن علم مكين بجرأته وشجاعته وإقدامه في ساحة الوغى». وهكذا سجلت أعماله المجيدة على نصب ضريحه.

ومن المحتمل أن يكون قد قام أيسخولوس بدور فعال في الحرب الفارسية الثانية التي كانت بقيادة إكسركسيس Xerxes، بن دارا Darius كسرى فارس وقتئذٍ، في سالاميس Salamis سنة ٤٨٠ ـ ٤٧٩ ق. م. وبلاتيا Plataea وأرتيميسيوم Artemisium . هذا وإن كان ليس لدينا عن هذا الأمر إلا قليل من الأدلة غير الموثوق بها .

ومع ذلك فمما لا شك فيه أن الحروب الميدية التي اشترك فيها أيسخولوس قد لعبت دورها في صقل فنه وتجويده وتهذيبه كما أن هذه الحروب قد أفادته إفادة كبيرة إذ اقتبس منها بعض تراجيدياته التمثيلية كتراجييدية « الفرس » مثلاً .

أما عن أعمال البطولة المنسوبة إلى أخويه كونايجيروس وأمينياس، فمن المعتذر اليوم التفرقة بين الأسطورة والتاريخ . ويبدو أن أيسخولوس كان يقسم وقته بعد الحروب الفارسية بين أثينا وصقلية حيث أطلق عليه «ملك سوراكوزة Syracuse» بفضل هيرو Hiero الطاغية الذي دأب على أن يدعو إلى قصره نوابغ الأغارقة في كل فن ويغدق عليهم المال الوفير. وكان أيسخولوس قد سافر إلى صقلية وأقام في بلاط هيرو السوراكوزي في عام ٤٧٦ ق. م. وهناك أخرج عدداً من مسرحياته. وإذ فاز لأول مرة في مباراة سنة ٤٨٤، أصدر مسرحية

«سيدات إتنا» Aetnaeans في صقلية بعد سنة ٤٧٦ مباشرة احتفالاً بتدشين مدينة إتنا Aetna التي بناها ذلك الملك في مكان المدينة القديمة كاتانا Catana. وألف «الفرس» في أثينا سنة ٤٧٢، وفي سوراكوزة بعدها بقليل. وهكذا أصبحت صقلية وطناً ثانياً له إذ عرض في سوراكوزة سنة ٤٧٢ ق. م. تمثيلياته التي نال بها جوائزه في مباريات المأساة في أثينا في العام السابق على التاريخ المذكور.

ولقد تبارى أيسخولوس عند عودته إلى أثينا مع سوفوكليس Sophocles الشاب في سنة ٤٦٨ بأول تمثيلية له، بيد أن هذا الأخير فاز بالجائزة لأنه يمثل الروح اليوناني الخالص خيراً مما كان يمثله أيسخولوس، والذي كان أكثر منه نضجاً وتجانساً فنياً. وهذا وإن كان أيسخولوس يفوق سوفوكليس من حيث السؤدد الأخاذ الذي هو أحد خصائص مسرحياته.

بيد أن أيسخولوس عاد فدحر سوفوكليس في السنة التالية بمجموعة التمثيليات الأربع التي كان منها «السبعة ضد طيبة» والتي أصدرها في أثينا سنة ٤٦٧، وبعد عرض ثلاثية «أوريستيا» التراجيدية Oresteia (أجاممنون وخويفوروي Ghoëphoroe ويومينيديس) في نفس المدينة سنة ٤٥٨. وهناك من يقول في سنة ٤٥٩ ق. م.

أما تواريخ مسرحياته الأخرى فلا يمكن معرفتها إلا بالتخمين وبالتقريب. وعلى العموم يبدو أنه كرّس حياته كلها لفنه. فقضى الجزء الأكبر من حياته، كممثل وكشاعر، في تأليف المسرحيات التي مثلها هو بنفسه في المباريات الدرامية أو مثلها غيره نيابةً عنه.

هناك روايات كثيرة في العصور القديمة قلما يمكن تصديقها، تعزو رحلته إلى صقلية إما إلى حكم صدر عليه بالنفي، وإما إلى حزنه لتفضيل منافسيه عليه. على أية حال فهذه الروايات، مبنية على أدلة غير كافية، وقلما

تسمح لنا الحقائق المعروفة بتصديقها. فإذا كانت هناك حقاً مشاكل بين أيسخولوس وبين غيره من المواطنين، فإنه لم يكفّ إطلاقاً عن الإشتراك في المباريات التراجيدية بأثينا، وظلت سلسلة انتصاراته إلى آخر حياته. فينسب إليه مؤرخ لم يذكر اسمه ثلاثة عشر فوزاً تمثل اثنتين وخمسين مسرحية للمباريات وحدها. ولما كان أرستوقراطياً بمولده وعاطفته، فلا بد أنه كان يمقت قيام الديموقراطية غير أن الأساليب البيانية التي استعملها في «الأوريستيا»، والنجاح الذي أحرزته تدل على أنه لم يتنازع قط مع غالبية المواطنين. وبناء على هذا يكون قد عاد إلى صقلية بمحض إرادته بعد فوزه في مباراة سنة ٤٥٨، وليس حزناً على انتصار غيره عليه. ولقد أكدّ سويداس Suidas أنه بينما كانت إحدى مآسيه تمثل، إنهارت مدرجات دار التمثيل فاعتبرت هذه الحادثة إنذاراً من الآلهة، أو أمراً بالانسحاب من عالم المسرح، فانسحب. على أية حال فقد مكث أيسخولوس في صقلية حتى مات بها بالقرب من بلدة جيلا سنة ٤٥٧ أو ٤٥٦ ق. م. بالغاً من العمر تسعاً وستين سنة تاركاً ولديه يوفوريون وبيون Bion وقد شبّا شاعرين تراجيديين مبرّزين مثل أبيهما، وكذلك كان ابن أخته فيلوكليس Philocles خلفه لعدة أجيال.. راحت مسرحياته المأسوية تغذي المسرح الأثيني مدةً طويلة لا بأس بها.

وهناك رواية تقول إن أيسخولوس قتل بعد أن أقام ثلاث سنوات في جيلا وأن الذي قتله نسرٌ أسقط سلحفاةً فوق جمجمته العارية. فدفن أهل جيلا رفاته وكرّموها بتمثال فاخر. وفي زمن لاحق، وضع الأثينيون، بإيعاز من الخطيب لوكورجوس Lucurgus، تمثالاً برنزياً له، وكذلك تمثالاً لكل من سوفوكليس ويوريبيديس Euripides، في المسرح العام. وبقرارٍ من الشعب مُنح «كوروساً» عند كل عرض لتمثيلياته، ومنحوه إكليل النصر كما لو كان لا يزال حياً بينهم. وحفظت مسرحياته ومسرحيات الشاعرين الآخرين في نسخة خاصة أصلية لصيانتها من التغييرات العرفية.

وإذا حكمنا عليه من واقع مؤلفاته والمذكرات القليلة المبعثرة هنا وهناك،

نقول أنه كان عزيز النفس، سامي الروح، ذا عقيدة دينية عميقة. والدراما كما تصورها أيسخولوس مليئة بالميول الدينية. وأهم مواهب خياله الخصب أنه ابتكر كثيراً من الصور البيانية والتعبيرات الجديدة التي لا يباريه فيها إلا القليل من الشعراء. وكان خياله يتجه دائماً إلى العظمة والأبهة وإظهار قوته في عنف، ولا يتأثر بالرشاقة والحلاوة والرقة إلى درجة عالية. أما قوة تفكيره فكانت عنيفة، ومقدرته على إبداء الأسباب فائقة. كان يجمع العلاقات التي بين الأفكار ثم يرى أوجه الإنسجام أو التناقض بينها. كما كان ذا عبقرية حقيقية للتنظيم، قادراً على الإلمام بالكليات العظمى دون أن يفقد النظر في جميع التفاصيل. إذن فمثل هذا الرجل الذي يهب كل تفكيره واهتمامه لنوع من التأليف الأدبي كان لا يزال في مهده، لن يعجز قط عن النهوض بهذا النوع أو تحويله. وكان ذا مقدرة على الصور الجريئة ولم يفتقر إلى أية صفة أساسية تلزم لتصورها.

(٢) علاقات أيسخولوس بشعر الأبطال:

لو قارنا بين الأدلة، متغاضين عن الاختلافات التي تعزى إلى حسن النية، لقادتنا إلى الاعتقاد بأنه ألَّفَ سبعين تراجيدية وعشرين دراما ساتورية. ولكن لم يصلنا من هذا العدد الضخم سوى سبع تراجيديات مع قائمة بالعناوين وعدد كبير من الشذرات. كذلك نسبت إليه بعض الإليجيات والأناشيد.

يبدو أنه اتخذ موضوعات جميع مؤلفاته الدرامية، ما عدا «الفرس» من شعر البطولة. وإذا حاولنا إعادة تكوين المسرحيات المفقودة، من العناوين والشذرات والمذكرات الباقية، تكونت لدينا سلسلة طيبة من مناظر الأبطال التي سبق أن تناولها هوميروس Homerus والشعراء الدوريون. لقد جمع هذا الشاعر التراجيدي العظيم على حدّ قوله في أثينايوس Athenaeus، «الفتات التي سقطت من مائدة هوميروس». ولكنه نهج وهو يجمعها نهج أسلافه منذ عصور أنشودة ديونيسوس Dionysus. ورغم هذا، فإن عظمة مؤلفاته وكميتها، جعلته في مصاف شعراء البطولة. والأساطير التي اقتبس منها معظم موضوعاته هي أساطير الحرب الطروادية وأساطير طيبة Thebcs وأرجوس Argos، التي تتجلى تماماً

في معظم أناشيد البطولة الشهيرة. ويجب ألا ننسى أن تراث البطولة هذا، قد وصل إليه بعد أن صبغها الشعر الغنائي، وأضفى عليها الكثير من خصائصه. حقيقةً، يمكننا أن نبصر نفوذ هذا الشعر الأخير في أفكاره، كما يتضح هذا النفوذ أكثر إذا درست مؤلفات الشعراء الغنائيين العظام للقرنين السابع والسادس، دراسة أوفى.

جُمع عددٌ معين من مسرحيات أيسخولوس في مجموعات رباعية، أي في سلاسل تتألف كل سلسلة منها من ثلاث تراجيديات ودراما ساتورية واحدة. هذه حقيقة ممتعة ينشأ عنها عدد من القضايا التي تكاد تتحدى الحل.

رأينا أن القاعدة منذ عهد أيسخولوس، في المباريات الدرامية، أن يعد كل شاعر من المتبارين في الديونيسيا[1] Dionesia العظمى مجموعةً رباعية كهذه. وظلت هذه القاعدة سارية طوال القرن الخامس. غير أننا لا نستطيع الجزم بأنها كانت سارية خارج أثينا. وعلاوة على هذا، فإن بعض المجموعات كان مكوناً من مسرحيات ذات صلة، بعضها مع بعض، إذ بنيت على نفس الفكرة العامة التي جمعت منها كما يحدث في الفصول المتعاقبة للمسرحية. وتسمى هذه المجموعة «مجموعة رباعية ذات موضوع واحد (متصل الحلقات) «organic tetralogy» (أي مكوّنة من حلقات)، تمييزاً لها عن المجموعة الرباعية المفككة التي تتألف من مسرحيات مستقلة، وقضيتنا هنا هي معرفة ما إذا كانت جميع مسرحيات أيسخولوس خاضعة لنفس طريقة الجمع الشاقة هذه كما ظن البعض وتأكد من أنه كان يُلزم نفسه هذا الالتزام الصعب.

إذا كانت الأرقام التي ذكرناها صحيحة فإنها دليل قاطع على عدم وجود عدد صحيح من المجموعات الرباعية، وتدل على أن أيسخولوس ربما يكون ألّف عشرين تراجيدية مستقلة على الأقل لتمثّل خارج أثينا أو يكون وضعها في فترة من حياته لم تسر فيها هذه القاعدة التي نحن بصددها. ومن جهة أخرى،

---

(١) عيد يحتفل به في شهر مارس تقريباً.

فإن عدداً كبيراً من هذه المسرحيات قد وضع في مجموعات ثلاثية. ولكن، هل كانت هذه المجموعات ذات موضوع واحد؟ يبدو من المؤكد أنها لم تكن كذلك لأننا نعرف مجموعة واحدة على الأقل لا تتناول موضوعاً واحداً ـ وهذه هي المجموعة التي تضم مسرحية «الفرس». ومع هذا، فقد تكون هذه حالة شاذة. ومعظم المسرحيات في مجموعات مشابهة لمجموعة «الأوريستيا». وقد تأكد لنا هذا في عدد معين من المسرحيات، ويحق لنا أن نعتبره منطبقاً على كثير من المسرحيات الأخرى، لأن المسرحيات نفسها تدعو إلى مثل هذا الجمع. وسواء أكانت هذه القاعدة من عصر سابق لعصر أيسخولوس أو غير هذا، وسواء أكان هو الذي ابتكرها بنفسه أو ابتكرها غيره وتناولها هو بالتحسين وجعلها قاعدة عامة، فإن بوسعنا بناء على مدى استخدامه لها أن نعتبرها من بنات أفكاره. وتنطبق ضخامة المجموعات الثلاثية على طبيعة عظمة أفكاره وميْل خياله إلى تكوين أفكار منتظمة مرتبة تمام الترتيب، وعلى فلسفته عن البشر وعن الآلهة، كما سنرى فيما بعد. وفضلاً عن هذا، فقد أضفت على التراجيديا شيئاً من عظمة شعر البطولة، ولذا ناسبت طموحه السامي مناسبة تدعو إلى الإعجاب.

(٣) عدد مسرحيات أيسخولوس:

ذكرنا أن عدد تمثيليات أيسخولوس بلغ ٩٠ تمثيلية منها ٨٢ لا تزال معروفة بعناوينها، غير أنه لم يبق محفوظاً منها سوى سبع تراجيديات. ومع ذلك فقد اختلف الكتاب القدماء في عدد تراجيديات أيسخولوس فمنهم من جعل عددها سبعين مأساة وخمس ساتوريات بينما صرح سويداس بأنها تسعون مأساة غير أن القائمة الملحقة بتاريخ حياته لا تذكر إلا ٧٢ مسرحية. أما النقاد فلم يعتبروا من هذا العدد إلا عناوين ثمانية بين مأساة وساتورية والذين ينسبون إليه تسعين تمثيلية يجعلون منها سبعين تراجيدية وعشرين ساتورية وليس في هذا العدد أدنى مبالغة ما دام قد ثبت أنه انتصر في المسابقة التمثيلية ثلاث عشرة مرة... ولما كان معروفاً أن الشاعر الممثل يجب عليه أن يقدّم للمسابقة ثلاث قصص تراجيدية وقصة ساتورية. وكانت هذه القصص الأربع تسمى رباعية

tetralogy كما كانت القصص التراجيدية الثلاث قبل أن تضاف إليها الدراما الساتورية تسمى ثلاثية trilogy عرفنا أن جمهور مسرح أيسخولوس قد أعجب بما لا يقل عن اثنتين وخمسين مسرحية وليس بين هذا العدد وبين الثمانين مسرحية المنسوبة إليه إلا عدد قليل يتألف من تلك المسرحية التي أخفق فيها والأخرى التي لم تمثل على المسرح الأثيني .

قلنا إنه لم يبق من مسرحيات أيسخولوس إلا سبع مسرحيات كاملة أصاب نصوصها شيء طفيف من التحريف. ولقد تأكد لنا تواريخ خمس منها أما الاثنتان الأخريان فتاريخهما بالتقريب، وهذه هي :

(١) المتضرعات The Suppliants ، وتاريخها غير مؤكد وإن كانت تعتبر مثالاً صارخاً لأقدم مسرحية وصلت إلينا .

(٢) الفرس The Persians مثِّلت عام ٤٧٢ ق. م. وقد وُضعت للكوروس وكان موضوعها هو نفس موضوع تمثيلية فرونيخوس التي عنوانها « الفينيقيات Phoenissae »، هزيمة إكسركسيس في سلاميس ، ولكنها عولجت بطريقة مخالفة لتلك . وهي مثل صارخ لمسرحة كُتبت لتعالج موقعة لم يمضِ على وقوعها زمان طويل .

(٣) السبعة ضد طيبة The Seven against Thebes مثّلت سنة ٤٦٧ كقصة مملوءة بروح آريس Ares، إله الحرب، وكجزء من مجموعة تمثيليات أربع تتضمن دائرة أسطورة طيبة، فتكوِّن لايوس Laius و أوديبوس الجزءين الأولين منها، والتمثيلية الساتورية «سفنكس Sphinx» الخاتمة.

(٤) «بروميثيوس المقيد» أو «مغلولاً» Prometheus Bound. وهي مسرحية لا شك في أنها وضعت بعد السابقتين كجزء من المجموعة الثلاثية المسماة « البروميثايا Prometheia »، التي ربما كان أول أجزائها وآخرها هما

«بروميثيوس حامل النار» و «فك قيود بروميثيوس». وتعتبر قصة بروميثيوس هذه من أروع الأمثلة للثورة على ظلم زوس، رب الأرباب والبشر.

وأخيراً :

مجموعة الأوريستيا في سنة ٤٥٨ وهي الثلاثية الوحيدة الباقية التي وصلت إلينا من العالم القديم كله وتتكون من ثلاث تراجيديات هي :

(٥) «أجاممنون» وتعالج مقتل ذلك البطل وهو عائد إلى وطنه.

(٦) « حاملات القرابين » أو « الخويفوراي Choephorac » المسماة باسم « كوروس النساء » الطرواديات الأسيرات وهن يقدِّمن القرابين على قبر أجاممنون ، الذي يثأر من أوريستيس Orestes من أيجيسثوس Aegisthus وكلوتايمنسترا Clytaemncstra .

(٧) « اليومينيديس Eumenidcs » التي يطارد فيها أوريستيس بواسطة الفوريات Furics ثم يطلق الأريوباجوس Areopagus سراحه في أثينا .

وربما كانت هذه الثلاثية آخر ما عرضه أيسخولوس في أثينا، وتعطينا فكرة عن النظرة الفنية إلى ذلك الشاعر. ويجب أن ينظر إليها كإحدى عُظميَات القطع الفنية التي أُلِّفت. ويتميز أسلوبها بالسمو والعظمة، وهما صفتان تنسبان إلى الطابع الجريء الجدِّي لذلك العصر، ولا سيما بنات أفكار فردية ذلك الشاعر الذي كان يميل إلى كل ما هو عظيم وكبير، ويجب أن يعبِّر عن أفكاره بألفاظ قوية طنّانة وبتراكم الكنايات والمجازات الجريئة والتشبيهات. وتُبدي نظرته إلى العالم عقلية فلسفية متعمقة حتى أطلق عليه الأقدمون اسم «تلميذ فيثاغورث» وفي نفس الوقت يتخلق بالتقوى المتغلغلة في القلب، التي تنظر إلى الآلهة كقُوًى تعمل لصالح الأخلاق. ومهما كانت خطة تمثيلياته بسيطة فإنها تدل على فن أكمل بأدق التفاصيل. ومجموعاته الثلاثية إما أن تتضمن دائرة كاملة من الأساطير، أو تُوحِّد بين أساطير متفرقة تبعاً لقرابتها الخلقية أو الأسطورية، وحتى الدراميات الإنتقادية المتصلة بالتراجيديات، تتصل بها اتصالاً وثيقاً. إن أيسخولوس هو مُبدع التراجيديات الحقيقي، في كونه أضاف ممثلاً ثانياً إلى

الممثل الأول، فخلق بهذا، الحوار الدرامي الأصلي، الـذي جعله أهم عنصر فني في التمثيليـة، وذلـك بـأن يخفض تـدريجياً الأجـزاء الغنـائيـة أو أجـزاء الكوروس. وقد ابتكر بعض أجهزة المنـاظر. وأتم بعضهـا الآخر. وهـو الذي ابتكر الأقنعة للممثلين، ومنحهم منظراً فخماً مبجلاً، بواسطة الأثواب المـوشاة بالخيوط الثمينة، وذوات الأذيال الطويلة، وقبعات عالية من الفراء، وغير ذلك من الوسائل التي أمدتهم بمظهر رهيب يفـوق مظاهـر الرجـال العاديين، وجهّـز المسرح بالطلاءات الزخرفية والآلات. وتبعاً لعادات ذلك العصر، كان يمثل في مسرحياته، ويدرب الكوروس على أغانيه ورقصاته، وابتكر هو نفسه شخصيات رقص جديدة.

أما الآن فسوف نتناول في شيء من الإيجاز بعض مسرحيات أيسخولوس مستعرضين فكرتها العامة وشيئاً عن فحواها ومضمونها بقدر ما نستطيع إلى ذلك سبيلاً...

(٤) مسرحية المتضرعات:

إن المتضرعات تراجيدية بسيطة بداثية التـركيب تمامـاً من أدران التعقيد وتكثر فيها الفقرات الغنائية ومعظمهـا في التوسـل والاستعطاف والمـديح على الجود والشهامة وعيبها أنها تفتقر إلى الفعل المسرحي وأكثر من نصفها مخصص للكوروس وشخصياتها بصفة عامة تقوم بسرد الأحداث دون القيام بأي فعل أو تمثيل. هذا فضلاً عن أن المسرحية لا تعالـج غير حادثة واحـدة لا سلسلة من الحوادث لها أسبابها ونتائجها. وتعتبر هذه الـدراما الجـزء الأول من مجموعـة ثلاثية مفقودة تتعلق بتاريخ أرجوس الأسطوري.

ولقـد سميت هذه المسـرحية بـالمتضـرعـات أو الضـارعـات نسبـة إلى «الضراعة» وهي الدور الرئيسي الذي تلعبه الجوقة المكونة من خمسين شقيقة، هن بنات «داناوس Danaus» ملك مصر والشقيق التوأم لأيجويتوس Aegyptus.

فالمسرحية إذن تتناول العـلاقة بين أسـرتي داناوس وشقيقـه أيجويتـوس

ومحورها قائم على أسطورة قديمة لا ضير من الإلمام بها.

كانت «إيو Io» ابنة «إناخوس Inachos» تعمل كاهنة للربـة «هيرا Hera» زوج زوس، أبي الآلهة والبشر، فأحبها الأخير حباً جماً جعله يتردد عليهـا سراً في صورة سحابة خشية أن تكتشف هيرا يوماً هذه العلاقة المحرمة. ولكن هيرا وقفت على جلية الأمر فصبت جام غضبها على «إيو» المسكينة ومسختها عجلة لتحول بين زوس وبين ملاحقتها. فما كان من زوس إلا أن مسخ نفسه ثوراً كي يتصل بمعشوقته. وللمرة الثانية علمت هيرا بالأمر وفي الحال كلفت «أرجوس Argos» ذا المائة عين التي لا تنام كلها في آن واحد بل يبقى نصفها على الأقل دائم اليقظة بحراسة المسكينة «إيو» فأثار هذا التصرف أشجان زوس واشتد عطفه من فـرط ما تعـانيه إيـو، ومن ثم أرسل من فـوره «هيرميس Hermes» رسـوله المحبوب ورسول جميع الآلهة وهو يحمل عصـاه السحريـة التي تجلب النوم، كي يحرر إيو. فلعب هيـرميس على القيثارة وأخـذ يقص بعض القصص حتى نامت جميع عيون أرجوس فقتله وخلّص إيو. فحزنت هيرا على مقتل أرجـوس وأمرت بتثبيت عيونه المائة في ذيل الـطاووس لتبقى مظهـراً من مظاهـر جمالـه وتطاوسه أبد الدهر.

ولكن هيرا تمادت في غيها وحقدها وفكرت في الانتقـام من إيو بـطريقة أخرى فسلطت ذبابة من ذباب المواشي الأليمة الوخز بلدغ إيو لدغات لا رحمة فيها وبذا تجبـرها على أن تهيم على وجههـا خلال بـلاد أوروبا وآسيـا إلى أن وجدت في آخر الأمر مكاناً مريحاً بجوار نهر النيل وهناك تحوّلت إلى صـورتها الأولى وأنجبت من زوس ولـداً يسمى إيبافـوس Ipaphus الذي كـان من نسله أيجويتوس أبي المصريين وأول ملوكهم في اعتقاد الأغـارقة كمـا أنجبت أخاه داناوس الذي تولى مُلك مصر قبل أخيه أيجويتوس ثم أصبح ملك أرجوس بعد أن طرده أخوه من مصر.

أما داناوس هـذا فقد أنجب خمسين ابنـة من عدة زوجـات أطلق عليهن

اسم «الدانايديس Danaides» بينما أنجب أخوه أيجويتوس خمسين ابناً. . . ووعد داناوس بأن يزف بناته إلى أبناء شقيقه الخمسين. . ولكن حدث أن مات أبوه وكان من نصيبه أن يرث عرش ليبيا. بيد أنه اضطر إلى الهرب من ليبيا إلى أرجوس واحتمت بناته بمذبح زوس كلاجئات في كنف الدولة وذلك فراراً من قسوة أبناء شقيقه أيجويتوس الخمسين الذين ادعوا حق ملكية البلد التي كان يحكمها داناوس وخوفاً من نبوءة جاءته تقول إنه سيقتل بيد حفيد من حفدته. . . وفي أرجوس كانت الدانايديس وافرات النشاط يكشفن عن منابع المياه النقية، وأصبحن فيما بعد عرائس ماء.

ولقد اقتفى أبناء أيجويتوس أثرهن حتى أرجوس وعرضوا عليهن الزواج، فوافق داناوس بعد أن أخذ من بناته وعداً قاطعاً بأن كلا منهن ستقتل زوجها في ليلة العرس. فبرّ الجميع بوعدهن ما عدا هوبيرمنيسترا Hypermnestra التي امتلأ قلبها بحب بعلها لونكيوس Lyncius فأبقت عليه وفرا معاً هاربين. . . ولما كان داناوس يرغب في أزواج آخرين لبناته، فقد كان يقيم مباريات في العَدْو ويقدّم بناته جوائز للفائزين الذين لهم أن يختاروا زوجاتهم من بين الفتيات، كل حسب ترتيبه في الفوز. ولقد كان نصيب الدانايديس الموت وكذا الأمر مع أبيهن، إذ قتله لونكيوس، زوج هوبيرمنيسترا، انتقاماً لمقتل إخوته كما عاقبتهن الآلهة بعد مماتهن بأن جعلت مقرهن «الجحيم» ويسمى «هاديس»، حيث اضطررن على صب الماء في وعاء بغية ملئه إلا أن الوعاء كان دائماً بلا قاع وهكذا حكم عليهن بأن ينفقن حياتهن الخالدة في غَرْف الدلاء وسكبها لملء وعاء لا يمتلىء أبداً. .

هذا هو مجمل الأسطورة الذي استمد منه أيسخولوس المادة اللازمة لكتابة قصة «الضارعات» التي يعتقد بعض النقاد أنها كانت أولى ثلاثية من ثلاثياته أولاها «المصريون» تبدأ بخطبة أبناء أيجويتوس لبنات داناوس وتنتهي بوصول داناوس وبناته أرض أرجوس هاربين من مصر. ويظهر أنه لم يصلنا من هذه الثلاثية غير اسمها. وثانيتها «المتضرعات» التي نعالجها الآن وتبدأ من حيث

انتهت القصة الأولى وتنتهي بوصول رسول مصري إلى بلاد أرجوس في محاولة منه لإعادة الدانايديس إلى مصر. وثالثها «الدانايديس» التي لا نعرف منها إلا عنوانها. ومفروض أن موضوعها كان يتناول البقية الباقية من الأسطورة.

غير أن هناك من يعتقد أن الضارعات كانت أول تراجيدية في الثلاثية أعقبتها القصتان المفقودتان المكملتان لها.. ومع ذلك فليس عندنا من شذرات القصتين المفقودتين ما يسمح لنا بالحكم القاطع في هذا الصدد.

يبدأ أيسخولوس قصة «المتضرعات» بمنظر بنات داناوس وهن يبتهلن أمام الهياكل الدينية بمدينة أرجوس إلى الآلهة بدفع كيد أعدائهن لهن... ثم يقبل عليهن الملك بيلاسجوس Pelasgus للنظر في أمر هؤلاء المتضرعات وهل في الإمكان إبقائهن بأرجوس. وبعد سماعه قصتهن يشفق عليهن ويسمح لهن بالإقامة في مملكته وتحت حمايته.

ولكنه قبل أن يجاهر بموافقته لبقائهن خاف أن تسفر حمايته لهن عن قيام الحرب بينه وبين شعب مصر ولذا رأى من الأفضل ألا يجيبهن إلى دعائهن إلا بعد أخذ رأي ممثلي شعبه في هذا الأمر الجلل فيتركهن ويصطحب معه والدهن. فانتهزت البنات وحدتهن وانخرطن في الدعاء والتضرع إلى زوس، رب الأرباب وحامي حمى البشر والضعفاء، وفي هذه الأثناء تصلهن موافقة مجلس الشورى على إقامتهن في بطاحهم مع التكفل بحمايتهن ولكن فرحتهن لم تكن لتتم إذ سمعن صوت أبيهن قادماً من فوق هضبة عالية يخبرهن بأنه يرى سفينة مصرية ترسو على الميناء القريبة منهن تحمل جنوداً مدججين بالسلاح ثم اتجه من فوره إلى المدينة يستنجد بأهلها كما قطعوا على أنفسهم بحماية بناته متى تعرضن لأي خطر من قريب أو من بعيد.

وفي هذه الأثناء يقدم رسول مصري على عمل محرّم إذ ينتهك حرمة المكان المقدس النازلات فيه بنات داناوس ويحاول سحبهن من شعورهن إلى حيث ترسو سفينته بغية إعادتهن إلى مصر.. وفي هذه اللحظة يُقبِل الملك

بيلاسجوس وينشب جدال عنيف بينه وبين الرسول المصري يهدد فيه الرسول الملك بالويلات وعظائم الأمور إن لم يسلم البنات إليه. ولكن الملك يسخر من تهديدات الرسول ويرد التهديد بمثله مما يدفع الرسول بالعودة إلى ملك مصر يجر أذيال الخيبة والفشل.

ويُنهي أيسخولوس المأساة بدعاء حار تنادي به الفتيات المتضرعات الآلهة وخصوصاً زوس كي تحافظ عليهن وتكتب لجيوش بيلاسجوس بالظفر إذا ما التحمت جيوشه بجيوش مصر.

* * *

إن كل ما في مأساة الضارعات من محاسن وجمال ينحصر إلى حد كبير في أجزائها العديدة من الشعر الغنائي الذي تترنم به الجوقة والذي بدونه لما صح لنا أن نقول أن بالأمر مسرحية بالمرة. هذا عدا ما اشتملت عليه القصة من شعر بليغ رصين. أما الذي جعل للضارعات مكانة خاصة في عصرها أن أيسخولوس ألف هذه المأساة عقب حادث تاريخي يتفق مع حوادثها وذلك أن أثينا كانت فعلاً تناصب أرجوس العداء ، وإذ ظهر للدولتين عدوةٌ مشتركةٌ هي مصر، تحالفت أثينا مع أرجوس ودفنتا أحقادهما. وهذا هو الهدف الذي كان يرمي إليه أيسخولوس من تأليف هذه المسرحية بالذات. ولهذا السبب سحرت القصة لب الأثينيين وقت تمثيلها وحازت إعجابهم الشديد ولاقت رواجاً هائلاً فانتشرت في شتى أنحاء بلاد الإغريق كما نال مؤلفها صيتاً عريضاً يحسد عليه.

أما متى تم تمثيل مأساة الضارعات فهذا التاريخ غير معروف على وجه الدقة. هذا وإن كان البعض يرى أنها أقدم تراجيدية لأيسخولوس بل وأقدم مسرحية وصلت إلينا من الأدب اليوناني القديم. إلا أن بردية عثر عليها حديثاً بمحافظة المنيا قتلت الرأي الأول الذي ظل قائماً مدة طويلة إذ ثبت من هذه البردية أن أيسخولوس لم يكتب قصة الضارعات إلا قبل موته بخمس عشرة سنة فقط .

والضارعات كقصة يمكننا أن نقول بلا تردد أنها عديمة الأشخاص عديمة

الموضوع التراجيدي بالمعنى الذي نفهمه في عصرنا الحديث. إذ لا يتجاوز موضوعها فكرة قبول بيلاسجوس إقامة الدانايديس في بلاده وتعهده بحمايتهن. أما أبطال القصة فشخصان لا أكثر ولا أقل: أحدهما هو الممثل الأصلي وقام بأداء دور الملك داناوس ودور الرسول المصري والثاني هو الممثل الإضافي الذي لعب دور الملك بيلاسجوس.

وبالإضافة إلى هذين البطلين كانت هناك جوقة مؤلفة من عذارى خمسين وقعن في مأزق خطير وكان عليهن القيام بأدوار غنائية بحتة ذات قيمة عظيمة وعناصر مكينة تلعب دوراً رئيسياً في إقامة بنيان المأساة كما أنها تبرز تارةً ما غمض من أقوال تفوه بها الممثلان وقد تلقي تارةً أخرى الضوء على فكرة أو مغزىً معين قصد بهما المؤلف إثارة ألباب النظارة وعواطف المشاهدين.

(٥) مسرحية «الفرس»

ربما كانت قصة «الفرس Persoi» التراجيدية التاريخية الوحيدة في المجموعة التي ألفها كاتبنا المسرحي فوضعت مع مسرحيتين أخريين مستقلتين على أفكار أسطورية. ومن ثم فهذه الدراما كاملة في حدّ ذاتها، وتعالج أحداثاً تاريخية عاصرها الشاعر نفسه ولعب فيها دوره المرموق وموضوعها يدور حول هزيمة إكسركسيس وتخليد نصر أثينا في موقعة سلاميس في سنة ٤٨٠ ق. م.

ولا تدور حوادث هذه التراجيدية في أحضان أثينا أو بلاد الإغريق نفسها بل كانت فارس هي ميدانها وبالأدق في سوسا عاصمة البلاد.

كان الفرس قد أغاروا على الأغارقة في عهد دارا Darius وانتصروا في موقعة ماراثون Marathon ثم أعادوا الكرة في عهد إكسركسيس بن دارا ولكن النصر في هذه المرة كان من نصيب الإغريق في موقعه سالاميس Salamis البحرية. وهرب إكسركسيس إلى بلاده تاركاً قيادة جيوش الفرس البرية لأحد قادته. بيد أن هذا الأخير قد منيَ بهزيمة نكراء في موقعة بلاتيا Plataea البرية.

استغل أيسخولوس هذا الحدث التاريخي وكتب قصة الفرس التي مثلت في عـام ٤٧٢ ق. م. بعد ثمـان سنوات من حـدوثه في عهـد الأرخون مينـون Menon لكي يشيد بانتصار الأغارقة على الفرس في موقعة سـلاميس البحريـة فكان بذلك قد عاش هذا الحدث التاريخي بسيفه الباتـر أولاً ثم سجله بيراعـه الحاسم.

ويستهل أيسخولـوس قصة الفـرس بمشهد يمثـل جوقـة من نبلاء شيـوخ الفرس وعظمائهم ممن كانـوا يسمونهم «بـالأمناء» وهم ينتـظرون على أحر من الجمر وصول أنباء عن الجيش الفارسي بعـد أن انقطعت أخبـاره مدة طـويلة. وبينما هم مستغرقين في هذا القلق إذا بأتوسا Atossa زوجـة دارا ملك الفرس السابق ووالده إكسركسيس ملكها الحالي تظهر راكبة في مـركبة فـاخرة وتفضي إلى الجـوقة بمـا يعتورهـا من مخاوف على مصيـر ولدهـا أضعاف أضعـاف ما يساورهـم هم. وتحكي للجوقة حلماً مزعجاً أضج مضجعها ويسـردها تفـاصيل الحلم يستولي الهلع على الجميع ويتوقعون حدوث كارثة وتنقطع حبـال أملهم في أن تنتهي حربهم مع الأغارقة في صالحهم أو صالح إكسركسيس.

وهكـذا حرص أيسخـولوس على أن يعـد أذهان الفـرس للهـزيمـة التي ستلحق بهم وبجيوشهم حتى لا تنزل عليهم أنباؤها نـزول الكارثـة المفاجئـة. وبينما تتبادل أتـوسا الحـوار مع الجوقـة إذا برسـول من لدن إكسـركسيس يقبل ويبلغهم تفاصيل أسوأ هزيمة حربية منيت بها فارس منذ أن اشتبكت مع الأغارقة في كل من سلاميس وبلاتايا. فتحزن الملكـة حزنـاً بالغـاً وتنخرط في البكـاء والعويل والولولة. وقبل أن تعود مكسورة الجنـاح سيراً على قـدميها بـلا موكب وبلا عربة ملكية إذا بشبح دارا يظهر ويوضح لها وللجوقة أسبـاب نكبة الفـرس وهزيمتهم وينصح بعـدم سن الحرب مستقبـلاً على بلاد الإغـريق مهما قـويت شكيمـة بـلاد فـارس. ومـا أن تصـل الملكـة إلى أبـواب قصـرهـا حتى يعـود إكسركسيس في حالة يرثى لها من ملابس رثة ممزقة وحيداً فتسوقه الجـوقة إلى قصر أمه.

ثم تنتهي القصة بفجيعة الملك وعويل الجوقة.

استعان أيسخولوس في كتابته لهذه القصة أشخاصاً أربعة: أتوسّا والرسول الفارسي وشبح دارا وإكسركسيس. وقام بأداء أدوار هؤلاء الأشخاص الأربعة إثنان فقط الممثل الأصلي الذي قام بدوري أتوسا وإكسركسيس ولذا توخى أيسخولوس إخفاء أتوسا من المسرح بمجرد ظهور ابنها. وثانيهما الممثل الإضافي الذي قام بدوري الرسول الفارسي ودارا..

وعلى غرار الضارعات اهتم أيسخولوس بجوقة الغناء المؤلفة من الأمناء الذين وكل إليهن أكسركسيس إدارة ملكه إبان غيبته في الحروب.

تشبعت روح هذه المسرحية بالطابع الديني المختلط بالنزعة الوطنية والأولى هي التي أوحت إلى الشاعر بموضوع القصة وحددت له مغزاها أما الروح الوطنية فقد أبرزها الكاتب لما تعرض لتفاصيل موقعة سلاميس وخبر هزيمة الفرس.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المسرحية قد لاقت نجاحاً خارقاً في عصرها وساعد على نجاحها ما يزخر به حوارها من عبارات بليغة ومفاجآت أظهرت ما تتسم به بلاد الإغريق من عظمة وما جبلت عليه من بسالة خارقة في ميادين الوغى وساحات القتال.

ومما يستوجب ملاحظته على هذه المسرحية خلوها من اسم أي قائد أغريقي وازدحامها بأسماء فارسية عديدة كما أن مؤلفها راح يشيد بالمحاربين الفرس ويصفهم بالأبطال الصناديد في الوقت الذي يتمرغون هم فيه من أدران الهزيمة النكراء... ولعل هذا الأسلوب الذي اتبعه أيسخولوس في معالجة هذه المسرحية أثار إعجاب المشاهدين في عصره. لما في هذا من خروج على الأوضاع الطبيعية التقليدية... ويفسر النقاد هذا التقليد الشاذ الذي اتخذه أيسخولوس في كتابة هذه المسرحية أنه أراد أن يسجل عن طريقه مبدأ عاماً ألا وهو أن الهزيمة نتيجة حتمية للطغيان والتهور بينما النصر حليف التواضع والرزانة.

(٦) مسرحية «السبعة ضد طيبة»:

مثلت هذه المأساة في سنة ٤٦٧ ق. م. وتروي قصة الصراع الهائل الذي دب بين وَلَدي «أوديبوس» بعد أن فقأ الأخير عينيه بيديه وخرج منفياً من البلاد بلا رجعة...

ومما لا شك فيه أن هذه المأساة لا تتعرض بحال من الأحوال لغير موضوع النزاع الذي نشب بين الشقيقين إتيوكليس Eteocles وبولينيكيس Polynices على عرش طيبة بعد أن تخلى أبوهم أوديبوس عنه وتركه شاغراً.. ولقد أدى هذا الصراع إلى مقتل الشقيقين كل بيد الآخر ورغم أن «الفعل» يتألف أصلاً من سرد ووصف فإن به حركة تقدمية حقيقية. ويظهر الشخص الرئيسي إتيوكليس ظهوراً قوياً.

ولا تختلف روح هذه المأساة عنها في قصة الفرس إذ تسودها روح دينية بحتة. وتعتبر هذه المأساة ضمن رباعية مكونة من «لايوس» ثم «أوديبوس» ثم «السبعة ضد طيبة» وأخيراً «أبو الهول الهليني».

وهناك من يقول إن أيسخولوس قد فاز بالجائزة الأولى على هذه المأساة ومفهوم أنها مستمدة من أساطير طيبة كما سردتها أسطورة أوديبوس الطيبي.

ويقصد بالسبعة حلفاء بولينيكيس الذي يهاجم طيبة. ولكن يبرز لهم سبعة أبطال آخرون من طيبة من أنصار إيتوكليس.. أما الجوقة التي تضمنها أيسخولوس في هذه المسرحية فمؤلفة من نساء طيبة.

ويلعب الممثل الأول دور إتيوكليس وأنتيجوني بينما الممثل الثاني فيقوم بدور الرسول والمنادي العام. أما إسميني فيلعب دورها أحد أفراد الجوقة.

وهناك من النقاد من يعتقد بأن هذه المأساة بسيطة كسالفاتها.. ومع كلٍ فلا ضير من أن أمضي الآن في سرد التفاصيل الرئيسية لمأساة «السبعة ضد طيبة» وبهذا أرسم صورة واضحة المعالم لهؤلاء الأبطال الذين لم ينس أيسخولوس في مأساته أن يسجّل أعمالهم البطولية..

الأبطال السبعة ضد طيبة

(١) پولونيكيس وتوديوس كضيفي أدراستوس:

كـان لأدراستوس Adrastus بن تـالاوس Talaus ملك أرجوس، خمسـة أطفال، ثلاثة ذكور، وبنتان هما أرجيا Argia، ودايبولى Deipyle، وكان الملك يحب ابنتيه حباً جمـاً، وكانتـا بارعتى الجمـال حتى صـارت فتنتهمـا حـديث المجامع وسمر الفتيان، غير أن أباهما ساورته الهموم وانتابه القلق الجارف على مستقبلهمـا. فقد جـاءت نبوءة تقـول أن والد هـاتين الحسناوين، سـوف يزوج إحداهما من أسد، والأخرى من خنزير بري. ظل الملك يفكـر في تلك النبوءة الغريبة، أو يجد لها تأويلاً، ولكن دون جدوى. فلما كبرت الفتاتان وترعرعتا، وكعب ثدياهما وامتلأتا بالشباب والحيوية، وأصبحتا ناضجتي الأنوثـة، صارتـا شرك القلوب ومحط أنظار الأبطال والفرسان، فعزم والدهما على أن يـزوجهما بأقصى سرعة ممكنة، قبل أن تتحقق النبوءة العجيبـة، فيكون العـار كل العـار للعائلة المالكة، وتكون الطامة الكبـرى للفتاتين. بيـد أن الآلهة الخـالدين قـد حققت كل ما جاء في نبوءتها رغم حذر الملك أدراستوس، ورغم كل التحوطات التي اتخذها، ومن مأمنه يؤتى الحذر.

قدمت وفود اللاجئين إلى أبواب مـدينة أرجـوس من اتجاهين مختلفين، أحدهما من طيبة والآخر من كالودون Calydon، وكان يمثل الأول پـولونيكيس الذي طرده أخوه إتيوكليس من مدينة طيبة، ويمثل الثاني توديـوس Tydeus بن أوينيوس Oeneus، هارباً من كالودون، بعد أن قتل أحد أقـاربه من غيـر قصد أثناء الصيد والقنص. فالتقى الطرفان في أرجوس أمام قصر ملكها. وكان الوقت ليلاً وقد نشر زنجي الظلام أجنحته على الكون فأحاطه بعباءة سوداء، فلما لم يتبين الفريقان شيئاً وسط مداد الظلام، اعتبر كل منهما الآخر عدواً له، وأخذا يتعاركان. فأزعج صوت شجارهمـا أدراستوس، فتـرك مخدعـه وحمل مشعـلاً وتوجه نحو مصدر الصوت ليرى ما الخبر.

استطاع الملك أن يفض النزاع بين المتعـاركين، ويوقف القتـال. وبينما

كانا واقفين عن يمينه ويساره، بطلين مغوارين بكامل عدتهما، أبصر الملك ما أذهله وأطار لبه كما لو كان قد رأى شبحاً من الأشباح فقد كانت درع بولونيكيس تحمل صورة رأس أسد هصور، تتجلى فيها كل دقائق الحيوان فيحسبها الرائي ليثاً حقيقياً، وكان پولونيكس قد اختار الأسد شعاراً له تخليداً لذكرى هرقل، بينما كانت درع توديوس تحمل صورة رأس خنزير بري، عيونه جاحظة، ونيوبه بارزة كما لو كان خنزيراً حياً قد تحفز للهجوم على فريسته. وكان توديوس قد اتخذ الخنزير البري شعاره تخليداً لذكرى ميلياجر Meleager ورحلته التي قام بها لصيد الخنزير الكالودوني. عندئذ استعاد أدراستوس قول الوحي، وأدرك مغزى النبوءة. فقد أرسلت الآلهة هذين اللاجئين ليتزوجا ابنتيه، وساقتهما ليحققا معنى النبوءة التي شغلت بال الملك زمناً طويلاً، فدعاهما إلى قصره وبالغ في إكرامهما والترحيب بمقدمهما. ولما أصبح الصباح وتنفس الكون ودبت الحياة في أوصاله، عمت المدينة كلها موجة من البهجة والفرح، فأقيمت الزينات في كل مكان، وأولمت الولائم ومدت الموائد، وتزوج پولونيكيس الإبنة الكبرى أرجيا، بينما تزوج توديوس الصغيرة دايبولي، فزال الكابوس الذي كان جاثماً على صدر أدراستوس منذ تنبأ الوحي بذلك الزواج، وأحس بالطمأنينة تعود إلى نفسه فتبهجها، والغبطة تجلو روحه فتفرحها، وأصبح يرى الزهر يانعاً، والنبات ناضراً، ويشم العطر فياحاً، ويسمع أغاريد الطيور طروباً. حتى ظن أنه ملك الخافقين، وسما فوق مناط الفرقدين.

أقسم أدراستوس للأميرين أن يعيد كلا منهما إلى عرشه، ويتوجه ملكاً على القطر الذي نفي منه. فأعد العدة للبر بقسمه، فجند جيشاً لجبا لكل بطل من أبطال المدينة السبعة، وكان هو أحدهم، فتحركت الجيوش بعدتها ومئونتها يقودها أدراستوس، وپولونيكيس، وتوديوس، وأمفياراوس Amphiaraus زوج شقيقة أدراستوس، وكابانيوس Capaneus ابن شقيقته، ثم هيبوميدون Hippomedon، وبارثينوبيوس Parthenopaeus، شقيقا ملك أرجوس. وقد وقع الاختيار على أن تكون طيبة هي الهدف الأول للحملة.

سارت الحملة صوب طيبة فظن الناس أن الجبال تسير فيها، وعلا الغبار ومثار النقع إلى عنان السماء، فحجب ضوء الشمس. بيد أن أمفياراوس صهر الملك كان عرافاً، وكانت بينه وبين الملك عداوة قديمة، تنبأ للحملة بخاتمة مشئومة. فحاول باديء ذي بدء أن يثني أدراستوس وبقية الأبطال عن عزمهم، ولكنه رأى عدم جدوى النصح، فقد ظن الملك أنه يغشه ويحقد عليه، لما كان بينهما من عداء مستحكم قديم. فلما علم أمفياراوس بتصميم الملك على شن الحرب رغم نبوءته، هرب واختبأ في مكان لا يعلمه غير اريفيلي زوجته وشقيقه أدراستوس. فظلوا يبحثون عنه مدة طويلة، وتوقفت الحملة عن السير لأن الملك كان لا يستطيع التقدم بدون الشخص الذي كان يسميه عين جيوشه.

عندما اضطر بولونيكيس إلى ترك طيبة، كان قد أخذ معه قلادة وقناعاً، أعطتهما أفروديتي ذات مرة لهارمونيا Harmonia وقت أن تزوجت كادموس مؤسس مدينة طيبة. ولكن القلادة والقناع كانا يحملان الموت لكل من يلبسهما، وقد تسببا فعلاً في موت هارمونيا، وسيميلي والدة ديونيسيوس، وجوكاستا. وكانت أرجيا زوجة بولونيكيس، آخر من اقتنى القلادة والقناع، وكان عليها أن تتجرع كأس الحزن كذلك. وقد صمم بولونيكيس على أن يرشي أريفيلي بالقلادة كي تدلي إليه بمكان زوجها، وكانت تحسد ابنة أخيها على الجواهر الجميلة التي جاء بها اللاجيء الغريب. فلما أعطاها القلادة ورأتها مصنوعة من الذهب الخالص ومرصعة بالجواهر النفيسة، لم تستطع مقاومة إغرائها، وقادت بولونيكيس إلى حيث يوجد زوجها أمفياراوس.

هكذا لم يجد العراف مفراً من الانضمام إلى زملائه، ولا سيما أنه عندما اصطلح مع الملك وزوجه هذا الأخير شقيقته، أقسم العراف أن يجعل اريفيلي الحكم في أي شقاق قد يحدث بينهما في المستقبل، فارتدى أمفياراوس حلته الحربية وجمع جنوده، وأخذ عليه أوثق العهود وجعله يقسم بأغلظ الإيمان، أنه إذا سمع بموت أبيه، لينتقمن من الزوجة التي خانت الأمانة وأفشت السر الذي استودعته.

(٢) بدء حملة الأبطال:

أعد الأبطال الآخرون عدتهم وزودوا جيوشهم بكل ما يحتاجون إليه من طعام وملبس وسلاح، وسرعان ما كان أدراستوس محاطاً بجيش هام بدأ يسير في سبعة أقسام تحت قيادة سبعة من خيرة الأبطال الشجعان، تركوا مدينة أرجوس وقلوبهم مفعمة بالآمال الواسعة والثقة البالغة، ولكنهم رزئوا في منتصف الطريق بحادث أحزنهم وجعل أغلبهم يتطير ويدب الخوف والهلع في نفسه... فإنهم لما وصلوا إلى غابة نيميا Nemea، وجدوا كل نبع وكل نهر وكل بحيرة في جفاف، ولم يجدوا ماء يطفئون به ظمأ الحملة الشديد، وقد بدءوا يشعرون بأن عدتهم الحربية قد ثقلت على أبدانهم، والدروع أصبحت ثقيلة على أذرعهم، والغبار الذي كانت تثيره أقدامهم فوق رؤوسهم قد نفذ إلى أنوفهم وأفواههم، وتحجر في حلوقهم وعلى شفاههم التي يبست من قلة الماء، وبدأت أسنانهم تطحن ذلك الغبار لكثرته. كذلك الخيول قد عانت أكثر مما عاناه الرجال، فقد جف الزبد على أفواهها، وتورمت ألسنتها من شدة الأوار والظمأ، وأخذت تعض على اللجم بأسنانها، وتتنفس بقوة لتطرد الغبار من أنوفها التي سدت.

صحب أدراستوس بعض رجاله، وذهبوا يجوسون في الغابة وحدهم بحثاً عن الماء حتى لا يفتك الظمأ بالجيش.... وبينما هم يتطلعون ذات اليمين وذات الشمال، إذ عثروا على امرأة بارعة الجمال، خارقة الفتنة تبدو على محياها سيماء الحزن والأسى. كانت تجلس في ظل شجرة ظليلة، وتحمل على صدرها طفلاً تدل ملامحه على النبل وشرف المحتد، وبالرغم من رثاثة ثوبها، فإن جدائل شعرها المتماوجة، وطلعتها الأبية، أكسباها هيئة الملكات وهيبتهن... ارتجف الملك من تلك المفاجأة وظل مدة مذهولاً قد انعقد لسانه، إذ اعتقد أن هذه المرأة حورية من حوريات الغابة، وأخيراً تمالك نفسه، وجثا أمامها على ركبتيه متوسلاً أن تتفضل بمساعدته هو ورجاله الذين كادوا يموتون من شدة العطش، ولكن هذه السيدة أرخت جفونها وطأطأت رأسها خجلاً واحتشاماً ثم قالت: «إنني لست بربة، أيها السيد الغريب، وإذا كنت ترى

في ملامحي شيئا يزيد على محيا البشر، فإنما مرده إلى الآلام القاسية، والنوائب المفجعة، التي تحملتها أكثر من أي شخص من البشر. . . إنني ادعى هوبسيبولي Hypsipyle، ابنة ثواس Thoas. وقد كنت فيما مضى ملكة بين نساء لمنوس Lemnos، أعيش في بحبوحة من العز وبسطة من العيش، حتى قلب الدهر لي ظهر المجن، فأتى بعض القراصنة إلى مدينتنا، وخطفوني عنوة، وأذاقوني من ألوان العذاب والشقاء ما يقصر عنه الوصف، وما لا يستطيع بشر أن يصمد أمامه ويتحمله، ثم باعوني كعبدة في سوق الرقيق، وكنت على قسط وافر من الجمال، فاشتراني لوكورجوس Lycurgus ملك نيميا. . وأن الصبي الذي أحمله ليس ابني. أنه أوفيلتيس Opheltes، ابن سيدي. عهد إلي بتربيته وتنشئته، والقيام بكل ما يلزمه. . . وأنه ليسرني أيها السيد أن أساعدك في الحصول على ما تحتاج إليه. ففي هذه الفيافي الواسعة، والقفار المهجورة، ما زال يوجد عين ماء قراح تحيط بها الأعشاب فتحجبها عن العيون، ولا يعرف مكانها السري غيري. وأن فيها من الماء ما يكفي حاجتك وينعش جميع جيشك بخيله وركبه، فهيا اتبعني أنت ومن معك في الطريق إليها». ثم وضعت الطفل على الحشيش الطري، وأنشدت له أنشودة حتى غلب النوم جفونه، فتركته ونهضت تسير بخفة في طريق ضيق بين الحشائش والأدغال.

انتصب أدراستوس واقفاً، وصرخ منادياً رجاله وأتباعه، وسرعان ما سار الجيش كله في الممر الضيق وسط الغابة وراء هوبسيبولي، مخترقاً أجمات كثيفة، وشجيرات متشابكة، حتى وصلوا إلى مضيق لا يكاد يتسع لقدم، يؤدي إلى نبع منحوت في الصخر، يتدفق منه الماء رذاذاً فيسيل على جوانبه. . فتسارع الرجال يستقبلون الرذاذ البارد في وجوههم الساخنة فتطفيء رطوبته لهيب جلودهم، وكانوا قد سبقوا قائدهم وهو يسير مع السيدة التي قادتهم إلى ذلك المكان، ولما سمع بقية الجيش صوت المياه وهي تتدفق بين الصخور، ويرتفع خريرها شيئاً فشيئاً، طاروا فرحاً وصرخوا قائلين، «الماء! الماء!» ثم قفزوا نحو المضيق يزاحم بعضهم بعضاً، ووقفوا على الصخور التي يجري من

تحتها الماء في قنوات ضيقة. يملئون خوذاتهم ويعبـون منه عبـاً. ويقذفـون به على من وراءهم، فيصرخ أولئك «الماء! الماء!». وكـانت أصواتهم تعلو على صخب الميـاه المتدفقـة، فتردد الصخـور صداهـا في كل مكـان. . لقد ألقـوا بأنفسهم على طول الحافة الخضـراء لجدول المـاء القراح، وأخـذوا يجرعـون المياه العذبة الباردة في جرعات طويلة مروية. ووجدوا ممراً أفسح للعـربات، فلم يقف السائقون لفك السروج عن الجياد التي كان العطش يستعر في جوفها والتي كانت تصهل صهيلاً عالياً وتهم بالاندفاع نحو الماء. بل دخلوا بعربـاتهم في وسط مجرى الماء الذي اتسع حتى أصبح نهراً، وتركوا خيـولهم تنزل إلى الماء لتلطف من لظى جسومها المبتلة بالعرق، وتطفيء نار الظمأ الـذي ألهب أحشاءها، وتغمس رؤوسها في المياه فرحة مبتهجة، فيزول عنهـا غبار الـطريق وعناء السفر.

شرب كل إنسان وكل حيوان حتى ارتوى واستعاد نشاطه، وبعد أن أخذوا كفايتهم من الماء للطريق، قادت هوبسيبولي أدراستوس ورجاله إلى الطريق من جديد، وهي تقص على مسامعهم ما تعمله نساء لمنوس ومـا يقاسينـه من عناء ومتاعب، بينما الجيش يتبعها على مسافة معقولة، وقبل أن يصلوا إلى المكـان الذي رأوا فيه هوبسيبولي باديء ذي بدء تحت أغصان الأشجار، أرهفت السيدة سمعها وأخذت تعدو على حين فجأة، فقد طرق سمعها عويل الطفل وهو يصرخ صراخاً يدل على الخوف والفزع، بينما كان الآخرون لا يسمعونه إلا بصعوبة. لقد كانت هوبسيبولي نفسها أم أطفال وتعرف كيف تتسمع أصوات الأطفال عن بعد، وكيف تميز بين الأصوات المختلفة، وتعرف سبب كل نوع من الصراخ، فقد تركت أطفالها في لمنوس عندما خطفها القراصنة وفرقـوا بينها وبين فلذات أكبادها، والآن أصبح كل حبها منصباً على أوفيلتيس الصغير.

توجست هوبسيبولي شراً عظيماً عنـدما سمعت صـراخ الطفـل، وازدادت ضربات قلبها، فأخذت تعدو كالمجنونة نحو المكان الذي تـركت فيه الصبي، فلما وصلت إليه وهي تلهث كان الصوت قد اختفى، كما قد اختفى الطفل ولم

يبق له أثر، فجن جنونها وأخذت تبحث عنه ذات اليمين وذات الشمال، عسى أن يكون قد تدحرج إلى مسافة قصيرة، وصارت تتطلع حول الشجرة ببصر زائغ، وأخيراً تسمرت في مكانها وصرخت صرخة مدوية جعلت الرجال يسرعون إلى نجدتها، فقد أدركت على الفور المصير المؤلم الذي لحق بالطفل وهي تقوم بخدمة إلى الجيش الأرجيفي... لقد قبع بعيداً عن جذع الشجرة ثعبان ضخم مخيف، وقد التف حول نفسه في كسل وتراخ، متخماً بالطعام الذي تناوله من فوره.

أقشعر بدن هوبسيبولي فزعاً، وارتجف جسمها هلعاً، كما أن الصيحات التي خرجت من حلقها كانت تدوي في الفضاء فتحملها الرياح إلى الأبطال الذين خفوا لمساعدتها. كان هيبوميدون Hippomedon هو أول من أبصر الثعبان، فانبرى دون أدنى تفكير إلى الصخور المجاورة وقطع منها قطعة كبيرة وألقاها على الأفعوان، ولكن الصخرة أرتدت عن جسد الأفعوان الحرشفي، وتفتتت كما لو كانت حفنة من التراب... عندئذ تناول هيبوميدون رمحه وطعن به الثعبان، فغيبه بين فكيه، قاذفاً مخه على الحشائش المجاورة فصبغها باللون الأحمر القاني، وقد نفذت سن الرمح من الجانب الآخر، فتلوى الثعبان من شدة الألم، وانقلب جسده فوق الرمح، وظل الصوت المنبعث من حنجرته يخبو ويخفت حتى صار حشرجة ضئيلة، ثم انقطع فجأة عندما لفظ الثعبان المروع آخر أنفاسه.

تجاسرت المرأة الآن فقط على أن تقتفي أثر الصبي، إذ كانت الأرض مضرجة بالدماء، فوجدت كومة من العظام بعيداً عن جذع الشجرة، وقد نزع اللحم عن العظام بمهارة فائقة، كما لو كانت يد جزار بارع قد أزالته، فجثت عن ركبتيها وجمعت العظام في حجرها وأعطتها لأدراستوس. فدفنوا الصبي الذي فقد حياته بسببهم، وأعدوا عدتهم ليحتفلوا به احتفالاً جنائزياً عظيماً، وتخليداً لذكراه، أقاموا المباريات النمية، وعبدوه كنصف إله باسم أرخيموروس Archemorus، أي «الكمال المبكر».

بيد أن هوسيبولي لم تنج من غضب يوروديكي Eurydice زوجة لوكورجوس، إذ أنها عندما سمعت بموت طفلها، استشاطت غضباً، فأمرت بأن تسجن عبدتها وتترك لتموت في السجن أشنع ميتة. ولكن الصدف ساقت إليها أبناءها الكبار الذين كانوا يبحثون عنها، وقد وصلوا في الوقت المناسب بعد هذه الأحداث، وخلصوا أمهم من الأسر.

(٣) وصول الأبطال إلى طيبة:

عندما اكتشفت عظام أوفيلتيس، صاح أمفياراوس العراف في غضب: «هذه نبوءة عن خاتمة هذه الحملة». ولكن أحداً لم يعره بالاً، إذ كان كل اهتمامهم موجهاً إلى قتل الثعبان والخلاص منه، فعدوه علامة الحظ السعيد، لا سيما وقد نجا الجيش كله من الموت عطشاً، وأصبحت روحهم المعنوية قوية، فلم يهتموا بنبوءة العراف، ثم ساروا في طريقهم إلى طيبة فوصلوها بعد أيام قلائل، وعسكروا خارج أسوارها.

أعد أتيوكليس وخاله كريون، عدتهم للدفاع عن المدينة مدة طويلة.. فقام ابن أوديبوس في شعبه خطيباً وقال لهم: «أيها المواطنون، يذكر كل منكم ما هو مدين به للمدينة التي كانت لكم أما رؤوماً، فتحت سمائها تعيشون، ومن هوائها تستنشقون، ومن خيراتها تأكلون، وبمائها ترتوون، وترعرعتم في كنفها، واتخذتم أبناءها أصدقاء لكم، وساحاتها ميداناً تتدربون فيه على الفروسية والقتال، حتى صرتم محاربين أشداء.... إنني أطلب إليكم جميعاً، صغاراً وكباراً، شباناً وشيوخاً، أن تدافعوا عن مذابح آلهتكم، وعن آبائكم وزوجاتكم وأطفالكم، والأرض الحرة التي تؤويكم، وتقفون عليها الآن، فقد تنبأ لي رجل يعرف لغة الطير، بأنه في الليلة المقبلة، سيحشد أهل أرجوس جيوشهم، ويهجمون على طيبة بلدكم... فهيا إلى الأسوار، إلى الأبواب، إلى السلاح، أقيموا المتاريس والحواجز، دعموا القلاع! احرسوا كل مدخل من مداخل المدينة، ولا يدخلن الرعب إلى نفوسكم، ولا تخشوا عدد عدوكم.. لقد بثثت

عيوني في كل مكان لاكتشاف خطط العدو وحركاته . . . حتى ارسم خططي تبعاً لما يأتونني به من الأنباء».

بعد أن مات أوديبوس، تركت ابنتـاه أنتيجوني واسميني قصـر ثيسيوس، ورحلتا إلى طيبة تلهفاً إلى موطنهما العزيز، يحدوهما الأمل في مساعدة شقيقهما بولونيكيس، وإن كانتا لم توافقاه على فكـرة الحصار الـذي أزمع ضـربه حـول المدينة، وعقدتا النية على المساهمة في الدفاع عن مسقط رأسهما. فلما أقبلتا إلى طيبة، استقبل كريون وإتيوكليس أنتيجوني بالبشر والترحاب لأنهما اعتبراها كأسيرة متطوعة.

بينما كان إتيـوكليس يحفز رجـاله على الاستعـداد للدفاع عن المـدينة. تسلقت أنتيجوني درجات سلم القصر القديم، المصنوعة من خشب الأرز الذكي الـرائحة، ووقفت على منصـة تصغي إلى كريـون وهـو يشـرح مكـان الأعـداء وموقفهـم . . . كان الجيش كله معسكراً في سائـر الحقول المحيـطة بالمـدينة، على طول سواحل إسمينوس Ismenus وحول ينبوع دركي الذي طالت شهـرته من قديم الأزمنة. كان الجيش دائب الحركة، فقد أخذ الرجال بمجرد وصولهم، يقسمون أنفسهم إلى جماعات منظمة، وكانت المنطقة كلها تغص بالمحاربين الذين تتلألأ أسلحتهم في أشعة الشمس تلألؤ صفحة الماء في خضم واسـع. وكـانت جماعـات كبيرة من المشـاة والخيـالـة تحتشـد حـول أبـواب المـدينـة المحاصرة، فانخلع قلب الفتاة هلعاً، وراعها المنظر الذي تراه، واقشعر بدنها عندما تصورت الخطر المحدق بالمدينة والعدو يحاصرها ويخنقها. ولكن الرجل العجوز هدأ من روعها قائلاً: «إن حوائطنا عالية ومتينـة، تقف سداً منيعـاً أمام أعظم هجوم، وتصد أروع الإغارات . . . كمـا أن أبوابنـا ضخمة مصنـوعة من خشب البلوط الصلب، تحكـم أقفالها مزاليج ثقيلة من الحديد. إن المدينة في أمان من الداخـل، ويتولى حمـايتها محـاربون أشـداء، لا يهابـون الردى، ولا يخافون المعـارك». فأخـذت توجـه إليه الأسئلة تلو الأسئلة، وهـو يجيب على أسئلتها ويخبرها عن مختلف القواد المهـاجمين: «إن ذلك القـائد الـذي يقف

هناك، ذلك الذي تلمع خوذته، ويهز درعه الكبيـرة المصقولـة، كما لـو كانت ريشة خفيفة، ويسير في مقدمة رجاله، هو الأمير هيبوميدون الوافـد من موكيني Mycene ويعيش بالقرب من مياه لرنا. إنه فارغ الطول كما لو كان أحد العمالقة الذين خرجوا من الأرض في قديم الـزمان! أمـا ذلك القـائد الـذي ترينـه على اليمين، والذي يستعد للقفز في مياه دركي ممتطياً صهوة جواده الأصيل، والذي يلبس حلة حربية تشبه ما يلبسه البرابرة! فهو توديوس، بن أوينيوس شقيق زوجة أخيك. إنه أحد الأيتوليين Aetolians الذين من عادتهم حمل الدروع الثقيلة، ويشتهرون بمهارتهم الفائقة في استخدام المزاريق... إنني أستطيع أن أميـزه بشـارتـه. فقـد زرت معسكـر الأعـداء كـرسـول، ووقفت على شيء كثيـر من الأسرار».

فسألته الفتاة: «ومن يكون ذلك البطل الصغير، الذي يبدو حديث السن رغم أن له لحية رجل، والذي يتطلع فيما حوله بنظرات صارمـة؟ إنه يمـر الآن بالقرب من أكمة استحكامية، ورجاله يتبعونه على مهل».

فأجاب العجوز: «ذلك هـو بارثينـوبايـوس Parthenopaeus بن أتالانتـا صديقة أرتيميس. ولكن ألا ترين القائدين الواقفين هناك بالقرب من قبر بنـات نيوبي؟ إن أكبرهما هو أدراستوس، القائد الأعلى للحملة كلها، والأصغـر... ألا تعرفينه؟»

فقالت أنتيجوني في عصبية: «إنني لا أستطيع أن أرى غير كتفيه وهيكل جسمه، ومع ذلك فإنني أرى فيه شقيقي بولونيكيس. آه، لو كان في مقدوري أن أطير كالسحاب، وأسبح هابطة إليه، وأطوق عنقه بذراعي! انظر كيف أنه يتألق في عدته الحربية الذهبية، كشمس الصباح! ولكن من ذا الذي يسوق العربـة، الذي يمسك اللجام بيد قوية، ويقود عربة بيضاء، مستعملاً منخسه بكـل روية وتؤدة، وهو ساكن النفس هادىء الأعصاب؟».

«ومن يكون ذلك الرجل الذي يسير بـطول الحوائط ، يفحصهـا ويبحث عن أضعف الأماكن ليبدأ الهجوم منه؟»

«إنـه كابـانيوس Capaneus المتعجـرف، الذي سخـر من مدينتنـا وهدد بخطفك أنت وشقيقتك، والرحيل بكما إلى موكيني عبر مياه لرنا، كعبدتين».

فشحب وجه أنتيجوني، وطلبت أن تبرح ذلك المكان، فمد لهـا العجوز يده، وساعدها على هبوط درج السلم، وظل معها حتى أوصلها إلى حجرتها.

(٤) مينويكيوس:

كان كريون وأتيوكليس يعقدان مجلس الحرب، وقررا إرسال قائد واحـد إلى كل من أبواب طيبة السبعة، وهكذا كانت المقـاومة ستصبـح بين سبعة من أمراء طيبة، وبين بولونيكيس وحلفائه الستة. ولكن قبل أن تستعر نار الحـرب، يجب أن يعرف كريون ما ستؤول إليه الحرب وماذا ستكون نتيجتها، وما الذي يمكن استنتاجه من طيران الطيور كي يدلي إليهم بفكرة عن عاقبة القتال.

كان يعيش في طيبة في تلك الأثناء عراف يـدعى تايريسياس، وكان ابن يويريس Euercs والحورية خاريكلو Chariclo . . . وذات مرة في أيام صباه كان مع أمه في زيارة للربة أثينا، ففاجأها ورأى ما لا يصح لـه أن يراه. . . فعـاقبته الربة بفقد بصره. . . فتوسلت إليها صديقتها خاريكلو أن تعيد البصر إلى ابنها، بيد أن هذا كان فوق مقدورها. فإكراماً لخاطر والدتـه، وشفقة بـه، وهبت إلى أذنيه رقياً، فأصبح يستطيع أن يفهم لغـة الطيـر. . . . ومنذ ذلـك الحين أصبح عراف المدينة. يستمع إلى الطيور ويعلم منهـا التنبؤ بالمستقبـل فيخبر بـه أهل المدينة الذين وضعوا ثقتهم فيه، وصاروا يستشيرونه في كل شيء قبل أن يقدموا عليه.

أرسل كريون ابنه الصغير مينويكيوس Menoeceus، ليأتي بالعراف العجوز. فلما مثل تايريسياس أمام الملك، وقف وركبتاه ترتعدان، بين أبنته مانتو Manto والصبي. فلما طلب إليه الملك أن يدلي بما يكنه الطير من التنبؤ للمدينة، لزم الصمت مدة طويلة، ثم تكلم أخيراً بهذه الألفاظ المحزنة: «قد عظم أثم ولدي أوديبوس، بما اقترفاه ضـد أبيهما. إن جـريمتهما جـريمة شنعـاء، ومن أجلها

سيجران الشقاء والأحزان على أرض طيبة. سيتقاتل أهل أرجوس وأهل كادموس، ويفتك بعضهم ببعض، وسيلقي الأخ الموت على يد أخيه. وليس هناك سوى سبيل واحد لإنقاذ المدينة من ذلك البلاء. ولكن من المروع العمل به في سبيل النجاة. . . . إن شفتي ترفضان التفوه به. . والآن وداعاً أيها الملك!» ثم استدار على عقبيه ليرحل، ولكن كريون توسل إليه وألح في التوسل حتى قبل تايريسياس أخيراً أن يفضي إليه بما يخفي، ثم سأل في نبرة صارمة: «هل تصر على سماعه، فإذا كان لا بد من ذلك، فسأضطر إلى الكلام. ولكن خبرني قبل كل شيء، أين ابنك مينويكيوس الذي جاء بي إلى هنا؟».

فأجاب كريون: «ها هو واقف إلى جوارك».

«إذن، دعه يهرب إلى أبعد ما تستطيع أن تذهب به قدماه، قبل أن أدلي إليك بمشيئة الآلهة!».

فسأل كريون: «ولكن لماذا؟ . . . . إن مينويكيوس هو ابن أبيه الحقيقي! إنه يستطيع أن يلزم الصمت إذا لزم الأمر، أو إذا كان الخير في صمته، إنه لما يفرحه ويسره أن يعرف سبيل نجاتنا كلنا».

فقال تايريسياس: « إذن فلتسمعن ما علمته من الطير أن ربة الحظ ستزورك مرة أخرى، ولكن العتبة التي ستجتازها، ستكون عتبة أحزان وحداد. إن أصغر النسل المولود من حبة الأفعوان سيموت، وبموته فقط يمكنك أن تخرج من هذه الحرب ظافراً منتصراً ».

فصاح كريون: «ما هذا؟ ماذا تعني بقولك هذا أيها العجوز؟ أتعني أنه يجب أن يموت أصغر نسل كادموس، لو أردنا إنقاذ المدينة؟ أتطلب موت أعز أولادي، أتريد أن يموت ابني مينويكيوس كفارة عن المدينة؟». ثم نهض كريون وانتصب في كبرياء وأنفة وصاح في العراف قائلاً: «كلا، لن يكون ذلك أبداً! إليك عني أيها العجوز! أخرج من مدينتي، فليست بي حاجة إليك، إنني في غنى عن نبوءتك هذه المملوءة بالشؤم». فأجابه تايريسياس، بلهجة حاسمة:

«هل الحقيقة عقيمة في نظرك لأنها تحزن قلبك؟». عندئذ ألقى كريون بنفسه عند قدميه، وتعلق بركبتيه، وتوسل إلى العراف أن ينقض أقواله، ولكن العراف كان صارماً فقال: «لا مناص من التقدمة، لا بد من أن يراق دم الصبي عند ينبوع دركي حيث كان يرقد الأفعوان فيما مضى، لن تصبح التربة صديقة لك إلا إذا ارتوت من دم أحد أقرباء كادموس، في مقابل الدم الذي سكبته منذ القدم بواسطة أسنان الأفعوان. . . فإذا رضي مينويكيوس أن يضحي بنفسه من أجل مدينته، كان في ذلك خلاص الجميع وإنقاذ طيبة من الدمار، وعودة أدراستوس إلى وطنه مع جيشه مخذولاً يجر أذيال الهزيمة . . . لا تسألني شيئاً بعد الآن، أمامك سبيلان، فاسألك أيهما شئت، فهكذا تقول الطير، إما التضحية بالمدينة، وإما التضحية بمينويكيوس» .

قال تايريسياس تلك العبارات، ثم أشار إلى ابنته، فصحبته خارج الردهة، بينما استغرق كريون في صمت مطبق، والحزن يملأ نفسه ويحز في قلبه حتى ليكاد يقطع نياطه، وأخيراً صاح وهو يرتعد من الجزع: «ما أقسى ذلك الحكم، وما أشد تلك التضحية على نفسي، كم يسرني أن أموت فداء للوطن! واحر قلباه، كيف أستطيع أن أضحي بك يا فلذة كبدي ومنتهى آمالي! . . . أسرع يا ولدي إلى أبعد ما تستطيع أن تذهب بك قدماك، فإن براءتك لا يجب أن تتحمل التضحية الفادحة، اذهب عن طريق دلفي وايتوليا Aetolia وثسبروتيا Thesprotia إلى وحي دودونا Dodona، حيث يمكنك أن تحتمي هناك في المعبد».

فأجاب مينويكيوس وعيناه تشعان بريقاً خاطفاً: «سمعاً وطاعة يا أبتاه، اعطني كل ما أحتاج إليه في رحلتي، وثق بأنني سأعرف الطريق». فلما رأى كريون ثبات ابنه هدأ روعه، عندئذ ألقى الصبي نفسه على الأرض وأخذ يتضرع إلى الآلهة في حرارة قائلاً: «أيها الخالدون، اغفروا لي لو كنت قد كذبت. . . اغفروا لي لو كنت قد خلصت أبي المسكين من مخاوف لا يتحملها. . . فلن يحط من كرامته أن يخاف لأنه رجل قد تقدمت به السن. . . ليس كذبي على والدي خيانة. فهي إشفاق على شيخوخته، إنما الخيانة كل الخيانة أن أخون

وطني الذي أدين إليه بحياتي . . . فلتتقبلوا وعدي بحنان ورأفة، فإن في موتي إنقاذاً لبلدي، وفي هروبي عاراً ما بعده عار! سأصعد إلى الأكمة العالية وأقذف بنفسي إلى مضيق الأفعوان السحيق المظلم، فقد تنبأ العراف أنه بذلك فقط يمكن إنقاذ البلاد، بذلك فقط يهزم الأعداد وتنجو أرض طيبة!»

بعدئذ نهض مينويكيوس وأسرع إلى أعلى نقطة في الأسوار، وتطلع إلى جيوش الأعداء، وصب عليهم لعنة صامتة، ثم استل خنجراً كان يخفيه في ثنايا عباءته وغيبه في حلقه، فسقط من على الأسوار العالية يتردى في الهوة السحيقة على حافة ينبوع دركي.

هكذا تحققت النبوءة، فكظم كريون حزنه العميق، وكبح عاطفته الثائرة، وأبعد عن نفسه اليأس والقنوط ، وتذرع بالصبر ريثما ينتهي القتال. وفي الوقت نفسه وزّع أتيوكليس جيشه، فعين سبع فرق لحراسة الأبواب، كما عين فرقاً احتياطية تحل مكان هؤلاء إذا قتلهم الأعداء، ثم وضع كتائب من المشاة خلف حملة الدروع، وبذا حصن كل موقع يحتمل أن يقوم العدو بالهجوم عليه.

أخذ جيش أرجوس يتحرك عبر السهل، ثم بدأ الهجوم عنيفاً على الأسوار، وتعالت صيحات الجنود بالأناشيد الحماسية، كما أخذت الأبواق تدوي في الفضاء حول استحكامات طيبة، فكثر اللغط واللجب، وارتفع الصهيل والصليل، حتى خيل أن الجحيم قد انطلقت من عقالها، فبدأ بارثينوبيوس بن أتالانتا المولعة بالصيد والقنص، وقاد جيوشه نحو أحد الأبواب، فكانت دروع رجاله يصطك بعضها ببعض محدثاً قرقعة يردد الفضاء صداها. وكان قد نقش على درعه صورة أمه تقتل الخنزير الايتولي بسهمها النافذ. ثم تقدم أمفياراوس العراف بعربته إلى باب آخر، وقد حمل عربته ذبائح من الحيوانات ليقدمها إلى الآلهة. ولم تكن أسلحته مزخرفة ولا تحمل أي نقش، بل راعى فيها البساطة والمتانة وكان درعه يتلألأ من غير برقشة . . . وهجم هيبوميدون على باب ثالث وكان شعاره «أرجوس» ذا المائة عين، وهو يراقب أيو التي مسختها هيرا إلى عجلة. بينما قاد توديوس فرقته صوب باب رابع، وقد

رسم على درعه رأس أسد غضنفر بلبدته المشعة، فاغراً فاه فظهرت نيوبه بارزة، وكان يحمل في يده اليمنى مشعلاً يلوح به من جانب إلى آخر في حنق وغضب.

أما بولـونيكيس، ملك طيبة المنفي من بـلاده، فقد انـدفع بهجـوم على الباب الذي يلي توديوس، وقد اتخذ لنفسه شعاراً، سرباً من الجياد يدبر في ثورة وغيظ. وكان الباب الذي بعده هدف كيبانيوس الذي كان يفخر بأنه نـد لأريس Ares إله الحرب، وقد نحت على سطح درعـه المعدني عمـلاقاً رافعـاً مدينـة بأسرها، من أساسها، وحاملاً إياها فوق كتفيه. . . وكان يشير بذلك الرسم إلى المصير الذي ينتظر طيبة على يديه. .

أما أدراستوس ملك أرجوس، فقد توجه بجيشه إلى الباب الأخير، يحمل درعاً جعل شعاره مائة أفعوان تخطف في أفواهها أطفال طيبة.

عنـدما اقتـرب القواد السبعـة من الأبواب، بـدأ القتـال بـالنبـال والقسي والرماح، وكان الهجوم على أشـده والقتال عنيفـاً، حتى ظن القوم أن الأسـوار تقوضت والأبواب انفتحت على مصاريعها، ولكن أهـل طيبة الأقـوياء، قـابلوا الهجـوم بمثله، واستماتـوا في الـدفـاع عن مـدينتهم، فصـدوا الهجـوم الأول واضطـروا أهل أرجوس إلى التقهقر والانسحاب. بيد أن توديوس وبولونيكيس لم يستصوبا هذا التراجع، فصرخـا في الرجـال بحماسـة فائقـة: «أيها الـرفاق الأبطال والفرسان المغاوير، لماذا تنتظرون حتى نخر صرعى تحت سيل قذائفهم الحادة ومزاريقهم المتتابعة؟ هيا بنا الآن، وفي هذه اللحظة بالذات، نكر عليهم برجلنا وخيلنا وعرباتنا، فنقتحم الأبواب جميعها دفعـة واحدة في هجـوم واحد متكتل! هيا نحمل على الطيبيـين فنفرقهم شماطيط!»

سرت هذه الكلمات في الجيش كله كما تسري النار في الهشيم يوم ريح صرصر عاتية، فاسترد أهل أرجوس شجاعتهم، واندفعوا إلى الأمام بقوة هائلة، ولكن النتيجة لم تكن أفضل من سابقتها، إذ انقض عليهم أهـل طيبة البـواسل وأعملوا فيهم التقتيل دون شفقة ولا رحمة. . . عندئذ خر المهاجمون سجداً عند

أقدام المدافعين، وبادت فرق بأكملها تحت الأسوار، وتحولت التربة اليابسة إلى أنهار من الدماء، ولكن بارثينوبيوس أخذته الحمية فانقض على الأبواب انقضاض الصاعقة، وطلب النيران والفؤوس ليحطم طيبة ويحرقها. وكان يراقبه عن كثب بطل طيبي يدعى بيريكلومينوس Periclymenus، فأخرج كتلة من الصخر تكفي لقتل فيل وتركها تهوي من فوق السور في اللحظة المناسبة، على رأس ذلك العنيد، فهشمته وطحنت عظامه طحناً. فلما رأى أتيوكليس مناعة هذا الباب، جرى إلى الأبواب الأخرى، فتقابل مع توديوس عند الباب الرابع، وكان ثائراً كالأفعوان، يضع على رأسه خوذة ذات رياش، ويحمل درعاً ثقيلة حولها أقراص معدنية تحدث جلجلة كلما تحرك، فقذف برمحه عالياً صوب الحائط، كما قذفت فرقة حاملي الدروع سيلاً من الحراب إلى قمة الأكمة، فاضطر أهل طيبة إلى التقهقر عن الحافة.

في تلك اللحظة ظهر أتيوكليس، فجمع رجاله كما يجمع الراعي القطيع بعد تشتيت، وعاد بهم ثانية إلى الأسوار، وأصلى العدو ناراً حامية من السهام والحراب والمزاريق، وكان يسرع من باب إلى آخر يحث رجاله ويشجعهم، فرأى كابانيوس يحمل سلماً طويلاً ويعلن على الملأ أن زوس نفسه لن يستطيع أن يمنعه من هدم المدينة وتدميرها، وبينما كان يملأ شدقيه فخراً بتلك العبارات القذرة، أسند السلم إلى الحائط، ثم احتمى بدرعه، وتسلق درجاته الزلقة غير مبال بما يتساقط عليه من وابل الصخور والسهام. . . غير أنه لم يكن أهل طيبة هم الذين عاقبوه على كبريائه وتصعير خده، بل كان زوس نفسه يتربص له، فسلط عليه إحدى صواعقه، فأهلكته وهو يقفز من السلم إلى الحائط، وتناثرت أشلاؤه في مسافات بعيدة، واشتعلت النيران في شعر رأسه وانبعث منها لهيب بلغ إلى عنان السماء، ولوثت دماؤه عوارض السلم.

رأى ذلك أدراستوس فسرت الرجفة في أحنائه، وأيقن أن رب الآلهة كان معادياً لمشروعه، فلام نفسه على إقدامه عليه رغم تحذير أمفياراوس العراف له، ولات ساعة مندم!، فأصدر في الحال أمراً إلى جميع جيوشه بالانسحاب

والتقهقر، فابتعدوا عن الخندق المحيط بـالمدينـة. فلما رأى أهـل طيبة هـذا البشيـر، علموا أن زوس نفسـه يعضدهم، فتهللوا وتشجعـوا، واندفعـوا خارج أبواب المدينة على الأقدام، وفي العربات، يشيعـون الفوضى في جمـوع أهل أرجوس فاصـطدمت العربـات بالعـربات، وهـوت الأجسام على الأرض جثثاً هامدة، ونكلوا بأعدائهم ومزقوا جيوشهم شر ممزق. ولم يعودوا إلى طيبة إلا بعد أن أقصوا المهاجمين المخذولين إلى مسافات سحيقة.

(٥) الشقيقان يتقاتلان:

هكذا كانت خاتمة الهجوم على طيبة، بيد أنه لما عاد كريون وأتيوكليس إلى أسوار مدينتهمـا، أحتشد جيش أرجـوس المغلوب على أمره، مـرة ثانيـة، واستعد لشن هجوم آخر. . . ولم يكن ذلك على غفلة من أهل طيبة، فقد فطنوا للأمر. وكان أملهم في استئناف المقاومة ضئيلاً، بعد أن قـل عددهم، ووهت عزيمتهم، ووهنت قوتهم عن ذي قبل. وأخيراً وصل الملك أتيوكليس إلىٰ قرار حاسم. فأوفد رسولاً إلى جيش أرجوس الذي كان قد اقترب من جديد وعسكر بـالقرب من الخنـدق المحيط بالمـدينة، يـطلب من الجميع أن يلزم الصمت والسكون ويستمع إلى ما سيقوله أتيوكليس حقناً للدماء.

وقف أتيوكليس فوق أعلى برج بالقصر، وصاح بأعلى صوته مخاطباً رجاله داخل الحوائط ، وجيش أرجوس خارجها فقال: «أيهـا الدانيـون Danai. . . . رجال أرجوس. . . . وكل من أقبل للهجوم على هذه المدينة. . . وأنتم يا شعب طيبـة! إنه ليحـزنني ويشق على نفسي أن تضحوا بـأرواحكم الغاليـة، وتبذلـوا نفـوسكم رخيصة من أجلي ومن أجـل پولـونيكيس! دعونـا نتحمل عبء هـذه المعركة. . . دعونا نتقاتل منفردين ونريحكم من شر هذه الهيجاء الضروس، فإن قتلته حكمت البلاد بحق وعن بجدارة، وإن قتلني استحق صولجان الملك. . . وعندئذ لا يستخدم أعدائي أسلحتهم، بل يعودون إلى وطنهم دون إراقة أي دماء أخرى. .

عندئذ قفز پولـونيكيس من بين صفوف جيش أرجـوس، وأعلن استعداده

للنزال كما أشار شقيقه أتيوكليس. . . لقد كان الطرفان منهوكي القوى، متعبين من تلك الحرب الطاحنة التي لن تعود بالفائدة إلا لواحد منهما فقط . وقد ارتاح الجيشان المتحاربان إلى قول أتيوكليس، فصفقا لـه، إعلانـاً عن استحسانهمـا لرأيه، وإظهاراً لتقديرهما لخلقه السامي، وبعد أن اتفقا على نص معين وأقسما بالإيمان المقدسة، تسلح كل منهما بكامل عدته، من قمـة الرأس إلى أخمص القدم، وكان إشراف طيبة يشجعون ملكهم ويقوون روحه المعنوية، بينما وقف أبـطال أرجوس يشـدون أزر حليفهم الذي لفـظتـه دولـتـه . . تقـدم الشقيقـان مدججين بالسلاح ومتحصنين بالبرونز، وكان كل منهما يحذر أخاه ويحملق فيه بعيون جاحظة، ونظرات صارمة. . . فصاح أصدقاء بولونيكيس قائلين: «تذكر، تذكر، أن زوس ينتظر منك أن تشيد له هيكلاً في أرجوس، شكراً على ما سيهبه لك من نصر مبين!»

وكان أهل طيبه يشجعون أتيوكليس بقولهم: «إن قضيتـك عادلـة، لأنك تدافع من أجل مدينتك وعرشك. . . دع التفكير في هـذه المكافـأة المضاعفـة يحفزك على القتال بعزيمة وإقدام، حتى تحرز النصر الذي يتوج رأسك بإكليل من المجد والفخار».

وقبل أن يبدأ النزال، اجتمع عرافو الطرفين، وقدموا الذبائح ليتبينـوا من هيئة النيران ما ستسفر عنه الموقعة. ولكن العلاقات لم تكن قاطعة، فكان يمكن تفسيـرها بـأنها بشيـر نصر أو نـذير انهـزام، تارة لهـذا الجانب وطـوراً للجانب الآخر. . فلما قدمت الذبـائح، ووقف الشقيقـان على أهبة الاستعـداد، رفع بولونيكيس يديه متضـرعاً، وأدار رأسـه نحو بـلاد أرجوس، وصلى إلى الآلهـة فقال: «أي هيرا، هيا سيدة أرجوس! من بلدتك اختـرت شريكـة حياتي، وفي بلدتك أعيش، امنحـي أحد مواطنيك الظفر الموفق، دعيني أنتصر على عدوي واصبـغ يدي اليمنى من دمـه!» وفي الوقت نفسـه رفـع أتيـوكليس بصـره نحـو السماء، متجهاً صوب معبد أثينا في طيبة، وتوسل قـائلاً: «ابنـة زوس، سيري

رمحي نحو الهدف مباشرة، سدديه إلى صدر من قدم ليهدم بلاد آبائي ويدمرها!».

ما كادت شفاه أتيوكليس تنتهي من تلك العبارات، حتى أعلنت الأبواق ابتداء النزال، فانقض كل من الشقيقين على الآخر، وهجم عليه بكل ما أوتي من حول وطول، كأنهما خنزيران متوحشان قد شحذا أنيابهما للقتال، فقطعت رماحهما عرض الفضاء وارتدت عن درعيهما. فأخذ كل منهما يصوب رمحه نحو وجه عدوه وعينيه، ولكن درعيهما تلقيا الضربات فلم تصب حامليهما... رأى القوم ذلك، فتصبب العرق من أجسامهم في قطرات كبيرة، من شدة الهول وعظيم الفزع. عندئذ أخرج أتيوكليس قدمه اليمنى، ليبعد صخرة كانت تعترض طريقه، وبذلك جعل رجله اليسرى بدون وقاية درعه البرنزي، فانتهز بولونيكيس هذه الفرصة، وصوب رمحه نحو رجل عدوه فأصابها، عندئذ أخذ جيش أرجوس يصيح فرحاً وطرباً كما لو كان هذا الجرح وحده هو النصر الفاصل بين الفريقين.

أحس أتيوكليس بطرف الرمح يخترق لحمه، ولكنه رغم ذلك، ورغم شدة الألم، لم يسمح لأعصابه بأن يتملكها الذعر أو الألم، ثم أخذ يراقب منافسه مراقبة شديدة ليجد منفذاً إلى جسمه، فرأى كتفه مكشوفة، فألقى رمحه بسرعة البرق الخاطف، فأصاب الهدف، ولوأن الجرح لم يكن عميقاً، فصاح الطيبيون فرحاً ولكنهم لم يحدثوا ضجة كالتي أحدثتها أهل أرجوس... ثم تراجع أتيوكليس قليلاً وخطف قطعة من المرمر حادة الطرف، وقذف بها أخاه فشقت رمحه شطرين. فتعادل الشقيقان إذ كان طرف رمح أتيوكليس قد انكسر في كتف أخيه، فألقيا رمحيهما المبتورين وأمسكا بسيفيهما وشرعا يتقاتلان، فكانت درعاهما تصطكان والهواء يهتز من شدة الالتحام والتصادم، عندئذ تذكر أتيوكليس حيلة كان قد تعلمها في تساليا. وفجأة انتقل من مكانه وتقهقر ملقياً ثقله على قدمه اليسرى، وغطى نصفه الأسفل بالدرع بمهارة فائقة، ثم قفز إلى الأمام بقدمه اليمنى، وطعن أخاه على حين غرة، إذ لم يكن يتوقع مثل هذا التغيير المفاجيء في الوضع، وكانت الطعنة في الأمعاء أعلى الحرقفة. فمال بولونيكيس على أحد جنبيه، ثم سقط على الأرض يتخبط في بركة من الدماء.

أيقن أتيوكليس أنه قد قضى على منافسه وأحرز النصر الذي كان ينشده، فانحنى فوق جثة أخيه ليجرده من عدته الحربية، وكان هذا هو عين الخطأ. لأن بولونيكيس عندما سقط لم يتخل عن سيفه، وعلى ذلك عندما رأى عدوه وقاتله ينحني فوقه، وكان لا يزال فيه قوة رغم كونه يلفظ أنفاسه الأخيرة، سحب حسامه وأضلل نصله في كبد أخيه فخر بجانبه جثة هامدة.

لما رأى القوم موت ملكهم، فتحوا أبواب طيبة على مصاريعها، وتدفقت منها جموع النساء والعبيد يبكين ويولولن حاكمهن، وانحنت أنتيجوني على أخيها بولونيكيس الذي كانت تحبه كثيراً لتحظى منه بآخر كلماته. وكان أتيوكليس قد مات على الفور، أما الآخر فكان ما يزال فيه عرق ينبض، فحول عينيه اللتين خبا نورهما، نحو شقيقته وقال: «والهفي على حظك العاثر يا أختاه، وحظ أخي الذي قتلته بيدي، وما كنت أعرف مقدار ما أكنه له من الحب إلا الآن فقط! إنني أتوسل إليك يا شقيقتي العزيزة، أن تواري جثتي في ثرى وطني ومسقط رأسي، لا تدعي مدينة طيبة تحرمني حتى من هذا الرجاء، والآن اغلقي جفني لأني أرى شبح الموت جاثماً على جبيني».

مات بولونيكيس بين ذراعي أخته، وفي الحال بدأ الطرفان يتشاحنان بصوت مرتفع، واحتدم النقاش بينهما. فقد أراد أهل طيبة أن يخلعوا على أتيوكليس تاج النصر، بينما يخلعه أهل أرجوس على بولونيكيس... لقد اختلف كذلك أصدقاء القتيلين، فبعضهم يقول: «كان بولونيكيس هو أول من ضرب بالرمح» فيجيب البعض الآخر: «ولكنه كان أول من سقط على الأرض»، وطال النقاش حتى أدى في آخر الأمر إلى استخدام السلاح، وكان من حظ الطيبيين أنهم كانوا في صفوف منتظمة على أهبة الاستعداد للقتال، بينما كان أهل أرجوس قد تركوا أسلحتهم، إذ من فرط ثقتهم بالنصر، لم يروا ما يدعو إلى حمل أسلحتهم الثقيلة..

انقض أهل طيبة على المعتدين فجأة دون أن يمكنوهم من التسليح، ففرقوهم أباديد، ولاذ كل فرد من أهل أرجوس بالفرار من الجهة التي تسوقه إليها

قدماه، فانتشروا في غير نظام يضطربون أمام مزاريق الطيبيين الذين لاحقوهم دون رحمة ولا هوادة، فتردى منهم خلق كثير، يعدون بالمئات.

وجد بريكليمينوس الفرصة سانحة أمامه، فاقتفى أثر أمفياراوس العراف إلى نهر إسمينوس، وكان أمفياراوس يهرب في عربة، فلما وصل إلى النهر حرنت الجياد فزعاً من المياه المتدفقة بسرعة في مجرى النهر، فأمر سائق عربته أن يخوض في النهر، وقبل أن تخطو الجياد خطوة واحدة في الماء، كان ملاحقه قد أدركه، وكاد رمحه يلمس عنق العراف، لولا أن زوس لم يشأ أن يموت شخص، منحه هبة النبوءة، تلك الميتة الدنيئة... فشق الأرض بصاعقة، فانفغرت عن كهف مظلم، وابتلعت العربة والعراف قبل أن يصيبه أذى.

اندحر جيش أرجوس وعاد إلى وطنه مفكك الأوصال، يحمل خزي الهزيمة ومثالب الفرار، وقد ترك أسلحته ومعداته مغنماً للطيبيين الذين رجعوا بمئات الأسرى، يهللون فرحاً بالظفر.

(٦) قرار كريون:

أقيمت الزينات في كل ناحية وكل طريق من طرق طيبة وابتهج القوم ابتهاجاً عظيماً بما أحرزوه من نصر على أعدائهم المعتدين، وبعد أن انتهت مظاهر الفرح، فكروا في دفن موتاهم. ولما كان ابنا أوديبوس قد قتل كل منهما الآخر، ولم يصبح هناك من يطالب بالعرش من نسل أوديبوس، فقد آل إلى خالهما كريون عرش البلاد، فنصب نفسه حاكماً على المدينة، وملكاً يسوس الرعية ويرعى شعب طيبة، ومن ثم أصبح من واجبه أن ينظر في موضوع دفن ابني أوديبوس. فأمر بإعداد جنازة مهيبة لإتيوكليس حامي طيبة، فحمل إلى مثواه الأخير على أعناق الأشراف، يحف به كل ما يليق بالملوك العظام من مظاهر التبجيل والاحترام... فسار جميع مواطني طيبة في موكبه الجنائزي، حتى ازدحمت بهم الطرقات على سعتها، وأقيمت المباريات التي كان يتنافس فيها الأبطال والفرسان، ومنحت الجوائز الثمينة للفائزين، ولكن جثة بولونيكيس

بقيت من غير دفن، إذ حرم كريون على المواطنين دفنها. فقد بعث منادياً يعلن في ربوع طيبة، أن بولونيكيس هذا كان عدواً لدوداً للبلاد، جاء ليدمر المدينة ويحرقها بالنيران، ويشفي غلته من دم شعبه ومواطنيه، وطرد الآلهة من طيبة، واستعباد من بقي من المواطنين بغير قتل، إذن يجب على أهل طيبة أن يعتبروه خائناً لوطنه، جزاؤه الحرمان من الدفن، وأن تترك جثته في خارج المدينة طعمة للوحوش الكاسرة والطيور الجارحة. كما أنه أمر المواطنين بالعمل على إطاعةرغباته. ووضع على الجثة حراساً وحفاظاً ثقات، حتى لا يتمكن أي فرد من سرقة الجثة أو دفنها. وجعل عقوبة الإقدام على أيهما الموت رجماً في ميدان عام بالمدينة.

سمعت أنتيجوني تلك الأوامر، فهالها قسوة خالها وجوره، ولكنها تذكرت الوعد الذي أعطته لشقيقها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فذهبت محزونة الفؤاد إلى شقيقتها إسميني، وحاولت أن تحثها على مساعدتها في نقل جثة بولونيكيس. بيد أن إسميني تلقت الأمر ببرود شديد، كأن لم يجر في عروقها قطرة واحدة من دم الأبطال. . . . فأجابت والدموع تترقرق في مقلتيها: «أختاه، أنسيت موت أبينا وأمنا، وما لاقياه من خاتمة شنيعة؟ هل غاب عن ذاكرتك هلاك شقيقينا، كل بيد الآخر؟ لم يبق سوانا نحن الاثنتين! أتريدين أن تسوقينا إلى عاقبة مماثلة؟»

تركت أنتيجوني شقيقتها الرعديدة وقالت: «لست في حاجة إلى مساعدتك، سأقوم وحدي بدفن جثة أخي مهما نالني من عقاب، وبعد ذلك أموت قريرة العين، وأرقد بجواره، أنا التي أحببته طوال حياتي».

لم يمض وقت طويل حتى هرع أحد الحراس إلى الملك كريون، وهو شاحب الوجه مأخوذ النفس، وصاح قائلاً: «إن الجثة التي طلبت منا حراستها قد دفنت، ولسنا نعرف من الذي دفنها، كما أن الفاعل قد فر ونجا. . . لا نستطيع أن نفهم كيف حدث ذلك، فإن الحارس المكلف أخبرنا بما حدث، فصعقنا لذلك الأمر. . . ولا يغطي الجثة سوى طبقة رقيقة من الثرى تكفي لإرضاء آلهة

العالم السفلى . . . والغريب في الأمر أنه ليست هناك أية علامة تدل على استخدام مجرفة، أو آثار لعجلات عربة. عندئذ بدأ كل منا يتهم الآخر، حتى انتهى بنا الأمر إلى استعمال اللكمات . . . وأخيراً رأينا أن نطلع جلالتكم على جلية الموضوع، فاختاروني لأقوم بمهمة الرسول المبلغ».

اتقد كريون غضباً، وتميز غيظاً وظل عابس الأسارير، ثم انفجر كالبركان الصاخب، وهدد بشنق جميع الحراس أو يسلموا إليه الفاعل، كما أمرهم بإزاحة التراب عن الجثة وتشديد الرقابة . . . فظل الحراس يجلسون في الشمس المحرقة من الصباح الباكر حتى الظهيرة، وبعدئذٍ هبت ريح عاتية ملأت الفضاء غباراً . . . فأخذ الحراس يؤولون في معنى تلك الظاهرة، وبينما هم كذلك إذ رأوا فتاة تقترب من الجثة وهي تذرف الدموع السواجم، وكانت تمشي بخفة كأنها طائر لا يسمع لأقدامه وقع . . . وكانت تحمل في إحدى يديها جرة من البرونز، ثم انحنت بسرعة وملأت الجرة بالتراب، واقتربت من الجثة في حرص وحذر، ولم تكن ترى الرجال المختفين وراء أكمة مجاورة هرباً من رائحة الجثة المتعفنة . . . فلما وصلت إلى جثة بولونيكيس، سكبت التراب عليها ثلاث مرات بدلاً من الدفن . . . عندئذٍ انقض الحراس عليها وأمسكوها بتلابيبها والجرة في يدها ثم ساقوها إلى الملك متلبسة بالجريمة .

(٨) أنتيجوني وكريون :

عرف كريون أنها ابنة أخته أنتيجوني فصاح فيها قائلاً: «أيتها الفتاة الحمقاء، الآن تقفين برأس منكس! أتعرفين أم تنكرين أنك فعلت ما يتهمونك به؟»

فقالت الفتاة وقد رفعت رأسها عالياً في كبرياء وعظمة: «اعترف». فقال كريون: «وهل كنت تعرفين الأوامر؟ وإذا كنت تعرفيها، فلم تجرأت على عصيانها بوقاحة هكذا؟» . . . فأجابت أنتيجوني في إصرار: «كنت أعرفها، ولكنها لم تصدر عن أحد الآلهة الخالدين . . . إنني أعرف أوامر أخرى ليست

بنت اليوم أو الأمس، ولكنها قائمة منذ الأزل، ولا يعرف أحد من الذي أصدرها. . . ولا يستطيع شخص أن يخالفها دون أن يصيبه غضب الآلهة. . . وعلى ذلك فإن أحد هذه الأوامر هو الذي منعني من أن أترك جثة أخي بدون دفن، فلو أن أمراً عد عملي هذا حماقة، لكان هو نفسه الأحمق!»

فاتقد كريون غضباً وقال: «أتعتقدين أنك صلبة العود، فلا تقهر روحك العنيدة هذه؟ إن أصلب الأسلحة أسهلها مكسراً. . . فيجب على كل من يقع في قبضة من هو أقوى منه، ألا يظهر سفاهته ووقاحته».

فأجابت أنتيجوني: «لن تستطيع أكثر من أن تقتلني، فدونك وما ترى! فلن يموت اسمي بوفاتي، وعلاوة على ذلك فإن الشعب كله مرتاح إلى ما فعلته، وإنما يمنعهم الخوف منك من الجهر به، فمن أهم واجبات الأخت أن ترعى أخاها». فصاح كريون على الفور: «حسناً، إن كان لا بد لك من أن ترعيه، فارعه إذن في هاديس!». وكان يوشك أن يأمر خدمه بالقبض عليها، لولا أن إسميني اندفعت إلى القاعة، وكانت قد سمعت بوقوع أختها في الأسر. ويبدو أنها قد نفضت عنها ضعفها وخوفها، فتقدمت إلى خالها في جرأة نادرة، وقالت إنها قد علمت بأمر الدفن، ويسرها أن تموت مع شقيقتها. . . ولكنها ذكرت كريون بأن أنتيجوني ليست ابنة أخته فحسب، ولكن زوجة ابنه هايمون Haemon أيضاً. . . فبقتلها يحرم وريث عرشه من الزواج بمن يحب. .

لم يكلف كريون نفسه عناء الإجابة على قولها، بل أمر خدمه أن يسوقوا ابنتي أخته إلى الحجرات الداخلية في القصر.

(٨) هايمون وأنتيجوني:

أسرع هايمون، عندما بلغه الحكم القاسي الذي أصدره والده ضد أنتيجوني حبيبته، بالذهاب إلى أبيه ثائراً يعصف بقلبه الغضب والحقد، فلما رآه كريون على تلك الحال، علم ما جاء من أجله، فوجه إليه بعض الأسئلة وهايمون يجيب عليها بروح النبوة الصادقة، والكمد يقطع أحشاءه. وبعد أن

أقنع أباه بحبه المتأصل لابنة عمته، قال: «كفى عناداً يا أبتاه! إنك لا تعلم ماذا يقول الناس عنك، ولن يبلغك ما يتقولون به في مجتمعاتهم وأنديتهم، وما يتهامسون به في الطرق والبيوتات، لأن عيونك المستبدة تمنعهم من الجهر أمامك بما لا يسر أذنيك. . . ولكنني أعرف ما يحدث، وأسمع كل ما يقال. إن المدينة كلها تبكي حظ أنتيجوني. وكل مواطن يستحسن عملها ويعتبره من أعمال البطولة التي تستحق التمجيد السرمدي. فلا أحد قط يعتقد، أو يوافقك على أن الشقيقة التي ترفض أن تنهش الكلاب عظام أخيها، أو تأكل الطيور لحمه، يكون جزاؤها الموت، أو تستحق العقاب بأي حال من الأحوال. . . ومن ثم، أرجو يا والدي العزيز، أن ترضخ لصوت ومشيئة الشعب، فما أنت ملك إلا بالشعب، فإن لسان حال الملوك الظالمين دائماً يقول:

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته   كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً النعيم بلا   شكر الإله فعنه الرب ينزعه

كن كأشجار الغابة الكثيفة، القائمة على مجاري المياه، إنها تنحني أمام قوة الماء، ثم تنتصب دون أن يلحقها أذى أو ضرر، أما تلك التي تقاوم فإن التيار الجارف يقتلعها من جذورها دون رحمة ولا شفقة. . .»

فقال كريون بتهكم وسخرية: «أتقترح أيها الصبي الغر، أن تلقنني درساً في سياسة الملك؟ يبدو أنك تقاتل في صالح امرأة!».

فأجاب هايمون بسرعة ولهفة: «نعم! إذا كنت أنت امرأة، فما نطقت بحديثي ذلك إلاّ لأجل مساعدتك فقط» .

فأجاب أبوه بازدراء واحتقار: «إنني ألمس جيداً، أن حبك الأعمى لتلك الآثمة يأسر روحك، ولكني أقسم أنك لن تغازلها وهي حية، لأن هذا هو قراري، فلسوف تسجن في مكان منعزل، ناء عن العمران، داخل قبر من الصخر الجلمود، وسيعطى لها من الطعام ما يسد رمقها فقط أو ما يكاد، وبذلك

أنقذ المدينة من عار القتل. . . هناك يمكنها أن تطلب الحرية من آلهة العالم السفلي، وستعلم أيضاً بعد فوات الأوان، أنه كان خيراً لها أن تطيع الأحياء بدلاً من الأموات». ثم أشاح بوجهه عن ابنه، وأمر بإعداد كل شيء لتنفيذ أمره، فسيقت أنتيجوني علانية أمام جميع سكان طيبة، إلى القبر المعد لها. . . فوقفت بشجاعة، غير هيابة ولا وجلة، تنادي الآلهة الخالدين، وأعزاءها الذين كانت تأمل في أن تلتقي بهم مرة أخرى، ثم دخلت المغارة التي خصصت لها.

وفي الوقت نفسه، كانت جثة بولونيكيس لا تزال بغير دفن، وقد نال منها التعفن والعطب، وكانت الكلاب والطيور تأكل من الجثة وتدنس المدينة بنقلها قطعاً من لحمه إلى هذا المكان أو ذاك. . . عندئذ ظهر تايريسياس العراف العجوز، الذي مثل ذات مرة أمام الملك أوديبوس، وتنبأ إلى كريون بكارثة وشيكة الحدوث، كما دلته أسراب الطيور، ورائحة دخان الذبيحة التي احترقت فوق المذبح، وأصوات طيور شريرة جائعة، ثم قال: «من الجلي الذي لا ينكره أحد، أن الآلهة غاضبة علينا، وذلك بسبب معاملتك لابن أوديبوس المقتول. فلا تتشبث بأمرك أيها الملك. استسلم للميت وكف عن القتل، فأي مجد هناك في قتل المقتول؟ ابعد عنك هذه الفكرة، إنني أنصحك لمصلحتك».

ولكن كريون ظن أن النصح غش، ورفض الاستماع إليه كما فعل أوديبوس من قبل، واتهمه بالكذب والطمع في المال. فاستشاط الرجل العجوز غضباً، ودون أن تأخذه شفقة و رحمة، كشف الستار عما سيتمخض عنه المستقبل، فقال بصوت مهيب: «فلتعلمن إذن، أن الشمس لن تغيب إلا وتكون قد ضحيت من دمك بفرد مقابل روح. إنك تقترف جريمة مزدوجة بحرمانك العالم السفلي من حقوقه، وحرمانك العالم العلوي من الروح التي يجب أن تحيا في ضوء النهار. . . أيها الصبي قدني بسرعة من هذا المكان. . . دعنا نترك هذا الرجل لما ينتظره من مصير مرير». ثم توكأ على عصاه وغادر المكان ممسكاً بيد الغلام.

(٩) معاقبة كريـون :

استولى على الملك كريون صمت رهيب، وسكون مهيب، فيهما الكثير من الذعر والخوف، فتتبع العراف بنظراته، وهو يـرتعد فـرقاً، وينتفض هلعـاً، وتوغل في تصوراته وتخميناته، وساورته شتى المخاوف والظنون، وحدثته نفسه أن يتراجع في قراره، ولكن كبرياءه وغطرسته لم تعرفا الاسترسـال في الجور، وأين كرامته كملك إذا هو نقض ما سبق أن قرره؟ . . . وأخيراً دعا شيوخ المدينة إلى اجتماع للتشاور فيما يجب عليه أن يفعله. فأجمعوا كلهم على هذا القرار: «أطلق سراح أنتيجوني من قبرها الصخري، وادفن رفات بـولونيكيس، أو على الأصح ما بقي من جثته».

لم يكن من السهل على كريون أن يرضخ لمشورة أولئك الرجـال الذين عركهم الدهر وعركوه، وكيف يستمع إلى نصحهم وهو الملك الحاكم بأمره، بل كيف يجرؤ هؤلاء على أن يصدروا قراراً ضد رغباته. ولما كان أمامه طـريقان، وكان قد فقد كل عطف وكل حنان، حتى على فلذة أكباده وأعز الناس لديه، فقد اختار الطريق الذي قال عنه العراف تايريسياس، ما دام قـد بدا لـه أنه السبيـل الوحيد لمنع الهلاك عن بيته. فذهب هو شخصياً في مقدمة حاشيته إلى الحقل الـذي كانت فيـه بقايـا جثة بـولونيكيس، ومن ثم إلى القبـر الذي سجنت فيـه أنتيجوني. . تاركـاً زوجته يوروديكي وحدهـا في القصر، وقـد اعتزلت مقـابلة أحد، وظلت بمفردها في حجرتها.

بينمـا كانت يـوروديكي مستسلمة إلى أفكـارها وتصـوراتهـا. إذ سمعت صراخاً وبكاء في الطريق، ولما ازداد النحيب شدة، تركت حجرتها وذهبت إلى ساحة القصر لترى ما الخبر. فوجدت نفس الرسول الذي قاد زوجها إلى مكان جثة بولونيكيس، فسألته عن خطبه فقال: «أي ملكتي وسيـدتي المبجلة، لقد صلينـا إلى آلهـة العـالم السفلي عنـدمـا غسلت الجثـة المتعفنــة في الحمـام المقدس، ثم أحرقنا تلك الأشلاء الباقية من ذلـك المسكين، وأخذنـا من ثرى مسقط رأسه، وكونا أكمة جنائزية، وبعد أن انتهينا من إهالة الثرى على الرفات،

توجهنا إلى القبر الصخري الذي سجنت فيه الفتاة لتموت جوعاً بعيداً عن البشر، وكان قد سبقنا إليه أحد الخدم، ولكنه قبل أن يصل إليه سمع صيحات تنم عن ألم ممض، منبعثة من القبر، فاستدار على عقبيه وأسرع إلينا ليخبر الملك بالصوت المنبعث من داخل الرمس. فلما رآه الملك شاحب الوجه مرتاعاً، عرف كل شيء بنفسه، وإنما بصورة غير واضحة، مدركاً أنه يتعلق بابنه. فأمرنا بالعدو، واستراق النظر إلى داخل القبر من شق في الصخور. فرأينا ما يشيب له الطفل في وقت الرضاع، رأينا أنتيجوني متدلية في مؤخر الكهف، وقد شنقت نفسها في أنشوطة صنعتها من خمارها، وتحت قدميها، قد رقد ابنك هايمون متعلقاً بركبتيها، يبكي حبيبته، ويلعن الأب الذي سلبه زوجته. . . عندئذ كان الملك قد بلغ الصخرة مكتئباً، واجتاز مدخل الرمس منادياً هايمون بقوله: «أيها الصبي التعس، ماذا تبغي، وما هو هدفك؟ ما هذا التفكير الجنوني الذي يبدو في عيونك الجاحظة؟ تعال إلي! إلى ركبتي، إنني أتوسل إليك!» غير أن الصبي لم يجبه بشيء، ولم يعر كلماته أي اهتمام، بل اكتفى بالنظر إليه وقد خدره اليأس، ثم استل سيفه ذا الحدين من غمده، فأسرع أبوه إلى خارج الكهف قبل أن تصيبه الطعنة. . . عندئذٍ اتكأ هايمون بجسمه على طرف السيف، فاخترق جنبه ونفذ من الجانب الآخر. فلما سقط طوّق أنتيجوني بذراعيه، وجذبها إليه وأخيراً رقد كلاهما ميتاً في عناق أخير».

كانت يوروديكي تصغي باهتمام إلى كلام الرسول، فلما انتهى من حديثه ظلت صامتة لا تنطق ببنت شفة، ثم هرعت إلى داخل القصر. فلما عاد الملك إلى القصر، وخدامه يحملون ابنه الوحيد على خشبة الموتى، علم أن يوروديكي قد طعنت نفسها بسيف، وأنها ترقد في بركة من الدماء داخل القصر.

(١٠) دفن أبطال طيبة:

لم يبق من أسرة أوديبوس غير إسميني، فقد قتل الابنان، كل بيد الآخر، وانتحرت أنتيجوني داخل القبر الصخري. ولا تروي الأساطير شيئاً عن إسميني، ولا كيف ماتت، وكل ما نعلمه عنها، هو أنها ماتت بلا أبناء، فختم

موتها قصـة تلك العائلة المنكـودة الحظ، التي كتب عليها الشقـاء في الحياة، ووقت الممات.

نرجع إلى الأبطال السبعة الذين قدموا من أرجوس، للهجوم على طيبة، فلم ينج منهم سوى أدراستوس الذي حمله جواده الخالد أريون Arion، ذلـك الجواد العجيب الذي أنجبته ديميتر من بوسايدون. فقد طار به بعيداً حتى وصل إلى أثينا بسلام، حيث قصد إلى المعبد وجثا متضرعاً أمام المذبح ممسكاً بغصن زيتون، وتوسل إلى الأثينيين أن يساعدوه في إقامـة جنازة مهيبـة للرجال الـذين سقطوا صرعى أمام حوائط طيبة.. فأجاب شعب أثينا طلبه، وصحبوه ثانية إلى هذه المدينة تحت قيادة ثيسيوس. وهكذا أجبر الطيبيـون على أن يوافقـوا على دفن القتلى من أهل أرجوس.

صنع أدراستوس سبع كومات حطب تكريماً لجثث الأبطال الذين سقطوا في حومة الوغى، وأقام مباريات جنائزية بالقـرب من نهر أسـوبوس Asopos، تبجيلاً للرب أبولـو. فلما انـدلعت النيران في كـومة كـابانيـوس، ألقت زوجته إيفـادني Evadne، ابنـة أفيس I'phis بنفسهـا وسط النـار المنـدلعـة ألسنتهـا فاحترقت معه.. ولم يمكن العثور على جثة أمفيارالوس، إذ قد ابتلعتها الأرض كما قدمت، فحزن الملك حزناً شديداً لعدم استطاعته تقـديم فروض التبجيـل والاحـترام لصديقـه ثم قال: «إنني لأتفقـد عين جيشي! إنني لأتفقـد الشخص الذي كان أعظم عراف وأشجع محارب في ميدان القتال».

فلما تمت الطقوس الجنائزية، شيـد أدراستوس معبـداً فخماً أمـام أسوار طيبة، وكرسه للربة نيمسيس Nemesis، ربة العقاب، وبعدئذ غـادر البلاد مـع حلفائه الأثينيين.

(٧) مسرحية «بروميثيوس موثقاً»:

هذه كذلك إحدى تراجيديات مجموعة ثلاثية لم يستطع أحد ما أن يعيـد تكوينها، فيقدم أيسخولوس التيتان بروميثيوس المحب لجنس البشر وقد أنزل به

زوس عقاباً قاسياً جزاء محبته لبني الإنسان. وتتبع هذه المسرحية تراجيدية أخرى عنوانها «فك قيود بروميثيوس» التي جاء فيها هرقل، بعد ثلاث دورات كل منها عشرة آلاف سنة، فوضع نهاية لعذاب ذلك التيتان المنكود الحظ. وربما كانت هناك تراجيدية ثالثة تتمم هذه المجموعة الثلاثية هي في عداد المفقودات أيضاً، ونعتقد أن عنوانها «بروميثيوس حامل النار Prometheus Pyrphorus» وتمثل قيام عبادة بروميثيوس في أتيكا. والفعل قليل في تراجيديا بروميثيوس المقيد ومع هذا فهي رائعة حقاً نظراً لجمال السيناريو وعظمة الموقف والبطل وهي على عكس التراجيديات السابقة، يبدو أنها كانت تتطلب وجود ثلاثة ممثلين.

ولقد ورد في هذه المسرحية ذكر عدد كبير من الآلهة وأنصاف الآلهة كما ورد فيها ذكر كل من إبيميثيوس[1] Epimetheus وباندورا[2] Pandora أي آدم وحواء عند الأغارقة . . .

ومع ذلك فلا يظهر من كل هؤلاء على خشبة المسرح غير بروميثيوس بصفته البطل الرئيسي للتمثيلية وعدد محدود من القوى التي يستعين بها زوس في معاقبة البشر والآلهة أو إنزال الأذى بهم. .

أما الجوقة الغنائية فتتألف من حوريات البحار والمحيطات.

والآن ما هي أسطورة بروميثيوس التي استمد منها أيسخولوس مادته لصياغة مسرحيته المسماه «بروميثيوس مغلولاً أو «موثقاً» أو «مقيّداً» كما يحلو للبعض تسميتها.

كان بروميثيوس، بن إيابيتوس Iapetus ، أحد جماعة التيتانيس Titanes

(١) يشير إسمه إلى التفكير بعد فوات الأوان.

(٢) أول امرأة منذ بدء الخليقة سميت كذلك لأنها كانت هدية جميع الآلهة إلى البشر، أو لأن كل إله منحها هدية.

وهم آلهة قديمة في الأساطير الأغريقية حكموا العالم قبل زوس وآلهة أوليمبوس. كانوا في بداية الأمر يعتبرون أبناء أورانوس (السماء) وجيا (الأرض). كان رئيسهم الملك كرونوس Cronos، وكانت تنضم إليه ريا[1] Rhea، زوجته، وإيابيتوس، وأوقيانوس، وآخرون. وكان يعتقد فيما بعد أن عددهم إثني عشر لأن آلهة أوليمبوس كانوا إثني عشر. كان التيتانيس يعتبرون مراكز للقوى الطبيعية للسماء والأرض والبحر.

تغلب كرونوس Cronos بمساعدة أمه جيا Geia على أورانوس Ouranos وحكم بدلاً منه مع ريا، أخته وملكته. خشى كرونوس أن يتغلب عليه أحد أبنائه فكان يبتلع أولاده كلهم ساعة أن يولدوا. ولكن زوس أنقِذ بمساعدة جيا وأجبر على إخراج إخوته. ثم بدأت حرب التيتانيس الشهيرة ضد زوس وأقرانه. وكان أوليميوس حصن زوس، كما كان جبل أوثروس في قبضة أعداء كرونوس. استمرت الحرب عشر سنين انتهت بفوز زوس بمساعدة جيا. فنصحه أن يُخرج من تارتاروس[2] Tartarus العمالقة ذوي المائة الأيدي والكوكلوبيس[3] Cyclopes ليكونوا حلفاء له. فصنع الكوكلوبيس الصواعق لزوس، وبهذا السلاح القوي انتصر زوس ثم سجن التيتانيس في تارتاروس ولم يترك غير أوقيانوس لأنه لم يشترك في الحرب ضد زوس وكذا بروميثيوس بن إيابيتوس لأنه ساعد الأولمبيين .

كان بروميثيوس إذن شقيق إبيميثيوس، يميّزه الإسم برووميثوس كرجل ذي بصيرة، بينما الإسم إبيميثيوس يشير إلى رجل قصير البصر. كان يعتبر بروميثيوس أعظم محسن عرفه البشر، وبطل الأموات ضد دكتاتورية زوس. أتى إليهم بهدية النار فمهّد بذلك الطريق لتقدم مدنيتهم وعلومهم وفنونهم. كان يُنظر

---

(١) ابنة الملك نوميتور من ألبا لونجا في لاتيوم. أنجبت للإله مارس رومولوس مؤسس روما، وريموس.

(٢) هوة سحيقة جداً تبعد عن هاديس بقدر ما تبعد الأرض عن السماء .

(٣) هم أبناء أورانوس وجيا.

إليه أيضاً كخالق للإنسان صنعه من الطين في هيئة الآلهة ومنحه بعض صفات الحيوان.

اشترك پروميثيوس في حرب التيتان ضد الآلهة مؤيداً زوس، ولكن لما وجد فيما بعد أن الآلهة يحاولون الاعتداء على حقوق البشر، حاول محاباة البشر فأمر بتقسيم ثور نصفين وأخفى الأجزاء المنتقاة داخل جلد الثور ليخدع زوس باختيار الأجزاء القليلة الأهمية. بيد أن زوس لم يُخدع وانتقم بأن جرد الإنسان من النار. وبعد ذلك سرق بروميثيوس النار من أوليمپوس وأخفاها في قصبة جوفاء وأحضرها إلى الإنسان على الأرض. فلما عرف ذلك زوس أراد معاقبته وأمر هيفايستوس[١] أن يصنع المرأة الأولى باندورا لتكون بليّة للبشر، ووهبتها الآلهة كل جمال ظاهري كما وضعوا فيها الخداع والمداهنة والمكر والخبث. فأخذها هيرميس Hermes إلى إبيميثيوس الذي اتخذها زوجته رغم تحذير بروميثيوس له، وكان معها صندوق قدِّم إليها هدية، فلما دفعها الفضول إلى فتحه هربت منه جميع الشرور، فأسرعت باندورا وأغلقته في الوقت المناسب قبل أن يهرب الأمل. فرأى زوس أن يضاعف العقاب فشدّ وثاق بروميثيوس إلى صخرة فوق جبل القوقاز Caucasus حيث كان يتعيش نسر على كبده بالنهار ثم يسترجعه بروميثيوس من جديد بالليل، وأخيراً قتل هرقل النسر وأطلق سراح بروميثيوس، فكافأه الأخير على ذلك بأن أعطاه جميع التعليمات اللازمة للحصول على تفاحات بنات أطلس[٢] Atlas وهن ثلاث أو أربع أو سبع ويسمون الهيسبيريديس[٣] Hesperides.

* * *

وتبتدىء قصة أيسخولوس هذه إذن بمشهد صلب بروميثيوس على جبال

---

(١) أحد آلهة أوليمبوس العظام. هو رب النار وابن زوس وهيرا.

(٢) حارب، مع التيتان ضد الآلهة. ولما هزم وضع في المغرب الأقصى وكلف أن يحمل السموات فوق كتفيه.

(٣) بنات أطلس كانت حديقتهن في جزيرة بالمغرب الأقصى خلف مجرى أوقيانوس.

القوقاز في أقاصي المعمورة على يد هيفايستوس، إله النار، تساعده «القوة» و «البطش». وهناك على إحدى الصخور تشد وثاق بروميثيوس بالسلاسل والأصفاد. وبالرغم من أن پروميثيوس يعلم تمام العلم بأنه مذنب لعصيانه أوامر رب الأرباب والبشر ومع ذلك فلا يندم على مساعدته البشر أو سرقته النار في سبيل خدمتهم.

وبينما يعاني بروميثيوس آلام الصلب يترك وحده على المسرح ويمضي في سرد أوجاعه يحدّث بها الهواء والجبال والشمس والبحار والأنهار والعيون والأرض لتشهد على ما أنزله به رب الأرباب ظلماً وعدواناً، وبعدئذٍ تزوره حوريات البحار والمحيطات اللواتي يؤلفن الجوقة ويسألن بروميثيوس عن جريمته التي اقترفها والتي عوقب من أجلها مثل هذا العقاب الصارم فيعيد على أسماعهن سابق خدماته لزوس في حروبه حتى مكنه من عرش السماء.ويعدد لهن سابق خدماته التي أسداها للبشر والتي لولاه لما عرفوا النار أو الأمل والفصول والزراعة والكتابة والحساب والتعبير أو الطب والمعادن وطرق استعمالها.

بعد ذلك يظهر المحيط نفسه ويعرض على پروميثيوس استعداده للقيام بدور الشفيع الوسيط لدى زوس فيرفض پروميثيوس شفاعته خوفاً عليه من غدر زوس وبطشه. . فيعدل المحيط عن رأيه ويقتنع برأي پروميثيوس.

وتأتي بعد المحيط «إيو»[1] وقصتها مع كل من هيرا وزوس قد سبق الكلام عنه في قصة «الضارعات» فيحكي لها پروميثيوس آلامه وأوجاعه ويتنبأ لها ببعض ما ستتعرض له من أحداث غير سارة كما يطمئنها بأن عرش زوس لن يدوم طويلاً. . .

وإذ يكرر پروميثيوس على مسامع الجوقة كلامه عما تخبئه الأيام لزوس وعرشه حتى يرسل زوس هيفايستوس إلى پروميثيوس يسأله عما يقصد بنبوءته

(١) ابنة إناخوس. أحبها زوس وحوّلها إلى عجلة ليحميها من غضب هيرا.

وعن اسم الذي سيخلع زوس عن العرش ولكن بروميثيوس يرفض أن يفصح عن اسمه رغم ما وعده به هيفايستوس من فك للأعلال وإطلاق سراحه.

وبعد الرفض تهوي الصواعق على بروميثيوس وتحطم الصخرة المثبت عليها بروميثيوس وإذا به يختفي تحت أنقاضها وتنتهي التمثيلية عند هذا القدر ويسدل ستار الختام.

وهناك من الأدلة ما يشير إلى أن هذه المسرحية قد مثلت عقب قصة «السبعة ضد طيبة»... أي في تاريخ لاحق لسنة ٤٧٥ ق. م.

لقد قام بتمثيل هذه الدراما ثلاثة ممثلين عاملين وممثل واحد صامت. وهناك من يرى أن أيسخولوس لم يستخدم غير ممثلين اثنين عاملين فقط. أما الممثل الأصلي الذي قام بدور بروميثيوس الذي لم يغادر المسرح من بداية المسرحية إلى نهايتها. أما هيفايستوس والقوة وإيو والمحيط فقد قام بأدوارهم ممثلون إضافيون وهذه أول مرة يستعين فيها أيسخولوس بهذا العدد الكبير من الممثلين الإضافيين الذين يلعبون أدواراً ذات أهمية واضحة.

تختلف هذه القصة عن سابقاتها على أن أشخاصها ليسوا أبطالاً بل آلهة من عالم السماء.

وجدير بالذكر فيما نحن بصدده ما كتبه العلامة أندريو Andricux إذ يقول عن هذه القصة: «إن أيسخولوس كان يرمي بقصته هذه إلى التحقير من شأن السلطة المطلقة وبيان ضررها وشرورها، وأن يمثل الاستبداد في صراع مع الشجاعة وصلابة الرأي وحب التضحية في سبيل الديمقراطية...».

كان أيسخولوس يهدف إذن إلى عدة أفكار هامة إحداها اجتماعية تتجلى أولاً في محاولته التجديد في عواطف الآلهة والتقليل من قوتهم... وثانياً في ضرورة تحمل المرء للآلام في سبيل الرقي والتقدم... وبعضها أفكار خلقية تنحصر في تضحية بروميثيوس براحته وسعادته مقابل تعليم الإنسان الفن الذي به يتقدمون وينهضون.

(٨) مسرحية «الأوريستيا»:

إن مجموعة الأوريستيا تعتبر آخر مؤلفات أيسخولوس، وهي الدليل على بلوغه الذروة في الفن والنبوغ، وتتناول المسرحيات الثلاث مقتل أجاممنون.

كان أيسخولوس يقول إن الآلهة حكماء، والبشر الذين لا يخافونهم، أولئك المقترفون لأعظم إثم، وهو الكبرياء غير المشروعة (Hubris)، يتعلمون الخضوع بواسطة الآلام. هكذا حال أجاممنون. فلما ركبه الغرور وتكبّر بسبب انتصاره في طروادة، خدعته زوجة مولعة بالانتقام، فجعلته يسير على البساط الأرجواني إلى البيت، وإلى حتفه. وقلما يتصور القارىء الحديث تلك الرجفة التي أحس بها النظارة الأثينيون عندما رأوا ذلك الملك العظيم ينزل من عربته ويضع قدمه على بساط الفخر. وأما كاساندرا[١] Cassandra، تلك الأميرة الطروادية ذات موهبة التنبؤ، التي صارت أمة الملك، فتشم رائحة الدم.

إن مسرحية «أجاممنون» هي الأولى في المجموعة الثلاثية. وهناك من يعتقد أن هذه المسرحية ليست فقط أعظم ما كتبه أيسخولوس، بل وأروع مسرحية مفجعة في المسرح الإغريقي كله... لما تزخر به من روعة وجلال في كل من التصميم والفعل... فضلاً عما تتمتع به من فن مسرحي وعقدة مكتملة ومستوى رفيع من حيث التأليف المسرحي المتقن.

وفي هذه المسرحية يُقتل ملك موكيناي Mycenae وهو عائد من طروادة، بواسطة زوجته كلوتمنسترا Clytemnestra وبمساعدة عاشقها أيجيسثوس بحجة الانتقام منه لابنتها «إيفيجينيا» التي قبل أجاممنون أن يقدمها ذبيحة إرضاء للربة أرتيميس ونزولاً على إرادة أتباعه. ولكن الربة أرتيميس أشفقت على أفيجينيا واستعاضت عنها بغزالة، ثم خطفتها في سحابة إلى تاوريس Tauris حيث

---

(١) ابنة بريامو س وهيكوبا. كسبت حب أبولو لفرط جمالها فأعطاها ملكة التنبؤ عندما قبلت أن يخطبها. ولكنها حنثت في وعدها فعاقبها الإله بأن جعل نبوءتها باطلة لا يثق بها أحد.

صارت كاهنة الربة وكان عليها هنا أن تشترك في الذبائح التي تقـدم لأرتيميس للغرباء الذين تتحطم سفنهم على الشاطيء.

ولقد مثلت مأساة أجاممنون في سنة ٤٥٨ ق. م. ويستهلها أيسخولـوس بـأن يصعد أحـد الحراس فـوق سطح القصـر ليرى النيـران التي تعلن هزيمـة الطرواديين وفوز الأغارقة في حـرب طروادة ومـا أن يراهـا حتى يهرع إلى ربـة القصر كلوتمنسترا لينبئها بالأخبار المفرحة. . . وفي هذه اللحظة تترنم الجـوقة المؤلفة من شيوخ أرجوس بقصة الحرب الطروادية وبالنبوءة التي ترددت كثيـراً على أن أجـاممنون رئيس الجيش الأثيني مهـدد بانتقـام غـامض عقب عـودتـه وتمضي الجوقة في تـذكير النـظارة بالكيفيـة التي ماتت بهـا إفيجينيا، ابنـة ربة القصر، وزوجة أجاممنون.

يلي ذلـك ظهور رسـول يعلن وصول أجـاممنون تـرافقه أسيـرتـه الحلوة «كاسّاندرا» ابنة بريماموس Priamus، ملك طروادة وشقيقة البطل العظيم هكتور Hector، الذي لا يبذه في البطولة إلا أخيل Achilles.

فتتظاهر كلوتمنسترا باستقبال زوجها بالبشاشة والسرور بينما قلبها مشحون بالنفاق والرياء. . . وإمعاناً في خداع زوجها تأمر بأن تفرش أمام أجاممنون القائد الـظافر بسط حمـر نفيسة كي يمشي عليهـا إلى أن يدخـل القصر. . . فيجتـاز أجاممنون البسط الحمراء في لون الدم ويدخل قصره حيث كان الموت ينتظره بلا رحمة على يد زوجته تاركاً أسيرته على خشبة المسرح. وتحاول كلوتمسنترا إدخالها لتقتلها مع أجاممنون فلا تنجح في أول الأمر. . وما أن تهم كـاسّانـدرا بدخول القصر حتى تسمع بعد لحظات قصيرة صيحات عالية يتبين الجميع أنها صيحات أجاممنون مختلطة بصرخات كاسّاندرا. . وتظهر في الحال كلوتمنسترا أمام المشاهدين حاملة السلاح الذي استعملته في اقتراف جريمتها ثم لا تتورع أن تتفوه بكلمات سماتها القحة والعجرفة. . ولا تلبث أن تجاهر الجوقة بسخطها على الملكـة المجرمـة ويزداد المـوقف توتـراً وخطورة بـظهـور عشيق الملكـة

وشريكها في الجريمة وتنشب بينه وبين الجوقة معركة عنيفة لا يفصلهما إلا تدخل كلوتمنسترا.

وقبل أن ينسدل الستار تعلن جوقة الشيوخ أمام المشاهدين أن أوريستيس، بن أجاممنون المقتول، لن يهدأ بالاً إلا بعد أن ينتقم لأبيه من قاتليه.

وإلى هنا تنتهي مسرحية أجاممنون. أما المسرحيتان الأخريان فهما «خويفوري» و «يومينيديس»، وهما تتممان اللعنة.

وتقع حوادث المسرحية الثانية بعد ذلك بعشرة أعوام ذلك لأن كلوتمنسترا لما قتلت زوجها كان ابنهما أوريستيس Orestes لا يزال طفلاً. كما أن أمه كانت على وشك أن تقتل ولدها هذا لو لم تخطفه إلكترا Electra من بين يديها وأرسلته سراً إلى ملك فوكيس Phocis زوج شقيقة أجاممنون. فلما أشرف أوريستيس على العشرين، نصحه أبولو بالانتقام لمقتل أبيه فعاد إلى قصره في موكيناي ثم يظهر شخصيته لشقيقته إلكترا وبمساعدتها يأخذ أوريستيس بثأر أبيه ويقتل أيجيستوس ووالدته كلوتمنسترا. وعندئذٍ تعاقبه الفورياي Furiae وهن ربات الانتقام وعددهن ثلاث ويصوّرن كعذارى مجنحات لهن شعور من الثعابين، تحيط بأجسادهن الأفعوانات ويحملن المشاعل والسياط والمناجل ويتدثرن دائماً بملابس الصيادين ويعاقبن بقسوة من يكسر ويحطم العلاقات العائلية الطبيعية والقتل والكبرياء الزائدة عن الحد... وكانت وسيلتهن في ذلك متابعة الأثيم حيث يذهب ثم دفعه إلى الجنون... وكن لا يلقين بالاً إلى أسباب الجريمة أو بواعثها بل ينتقمن من المذنب سواء اقترف إثمه قاصداً أم بغير قصد.

كان لا بد لأوريستيس إذن أن يفرمن الفورياي، أولئك الربات المتوحشات المقيتات، اللواتي يعاقبن على قتل الأم. ولكنهن يصبنه بالجنون ويضطر أوريستيس أن يتجول من مكان إلى آخر طلباً للنجاة منهن.

* * *

وفي المسرحية الثالثة المسماة «يومينيديس» أو «الرحيمات» تحضر الربة أثينا سلسلة من الفظائع انتقاماً لفظائع النهاية الهادئة. . . وإذ كان أبولو قد طهر أوريستيس فقد أوفده إلى أثينا كي يتوسل إليها أن تخلصه من الفورياي. فعيَّنت أثينا «الأريوباجوس» وهي محكمة خاصة مؤلفة من اثني عشر عيناً من أعيان أثينا الممتازين ليحكموا في هذه المسألة. . ولكن اليومينيديس لا يعجبهن هذا الموجهة إلى أوريستيس وبعد المداولة وأخذ الأصوات تحكم المحكمة ببراءة أوريستيس. إلا أن اليومينيديس يثرن ويتمردن على القضاة ويهددن المدينة كلها فتتدخل أثينا بحكمتها المعروفة وتهدىء من روعهن وثورتهن وترضخ اليومينيديس لأوامر أثينا ويصبحن حليفات أتيكا ومصدر رخائها وسعادتها كما تغير معنى إسمهن الذي كان هو «الأيرينويس Erinnyes» إلى الربات المحسنات أو الرحيمات أي «اليومسنسديس» كما أقام لهن سكان أثينا غاراً عند سفح تل «أريس».

وهكذا تنتهي المسرحية الثالثة التي تصور المثلث الدموي المزعج من مسرحيات أيسخولوس المأسوية.

وكانت كل من هذه التراجيديات الثلاث تتطلب ثلاثة ممثلين . . . وعلى الرغم من تعادل هذه المسرحيات في قوة أفكارها وعاطفتها مع المسرحيات السابقة ، فإنها تتفوق عليها في التنفيذ الدرامي . .

* * *

(٩) مبتكرات أيسخولوس وعقيدته الدينية:

اهتم أيسخولوس منذ أول عهده بترقية التراجيديا لأنه رغب في أن تكون لها عظمة بالغة في كل شيء، حتى في تمثيلها الواقعي. فتناول الأقنعة بالتحسين لتكون أكثر تعبيراً في ملامحها. وألبس ممثليه ثياباً فاخرة، وربما كان أول من ألبسهم أحذية، أحذية سميكة النعال كي يبدوا أطول قامة ـ وإذا لم تكن هناك مناظر مصوَّرة حتى نهاية حياته، أو حتى بعد عصره، كما يُحتمل، فمن المحقق أنه كان يجد متعة في مظاهر الأبهة. كان يَسُّره أن يُدهش عيون

نظّارته في نفس الوقت الذي يدهش فيه عقولهم. ففي تراجيدات المتضرعات والفرس والسبعة ضد طيبة وأجاممنون، يدخل الملوك والملكات في مظاهر العظمة، وأحياناً في عربات، يحيط بهم رهط غفير من الخدم والحشم. ويشاهد المتفرج في پروميثيوس، كتلة ضخمة من الصخر وسط بيداء. فيأتي إليها أوقيانيديس Oceanides في عربة مجنحة، ويظهر الإله أوقيانوس ممتطياً صهوة جريفين (حيوان أسطوري له جسم وأرجل أسد ومنقار وأجنحة نسر) وسط الفضاء. ويبصر المرء عقاب ذلك التيتان. وأخيراً ينهار الجبل الذي كان مربوطاً فيه ويختفي. كل هذا يحدث بآلات بسيطة.. بيد أن تأثيره كان عظيماً على جمهور لا يميل إلى النقد الكثير. وإن ظهور الإيرينويس في المسرحية الأخيرة ودخولهن المرقص وسط قاعة الموسيقى ورقصاتهن الغريبة، لتترك ذكريات مفزعة ربما بالغت فيه الأسطورة فيما بعد. إلا أن وجود مثل هذه الأسطورة ليدل يقيناً على حيوية الأثر الأول للفكرة.

لم يكن كل هذا منظراً خاوياً. فإن العظمة الخارجية لتُعبِّر عن عظمة الفكرة.. لم يقنع أيسخولوس كما قنع من سبقوه بوضع أساطير البطولة في قالب درامي. بل أرادها أن تبدو مظهراً لإرادة الآلهة.. وإذ جُبل على التأمل العميق، كان يبحث بغريزته عن الأسباب الداعية للأحداث. كان يؤلف مسرحياته بحيث أن تركيبها، إذا لم يفسر هذه الأسباب، وهو الأمر الذي كثيراً ما يقلل من غموضها، فلا أقل من أن يُشعر بوجوده ويوحي بالخوف المطلوب. وربما كان هذا أهم مبتكراته الحديثة. لم يفتقر سابقوه إلى العاطفة الدينية، فلم يفتقر أي نشيد غنائي منها، وأقل هذه جميعاً أنشودة ديونيسوس. غير أنه جمع النادر والمبعثر، وضم بعضه إلى بعض في وحدة قوية في تراجيدياته، وجعله بارزاً بقوة عبقريته. كانت كل مجموعة ثلاثية، وكل تراجيديا عملاً دراميا ناشئاً عن العمل العظيم لقضاء الآلهة أو للمصير. وهكذا أيقظ أفكار الناس كما أيقظ عواطفهم.

لم يكن أيسخولوس فيلسوفاً بالمعنى الصحيح، كما قيل أحياناً في شيء

من المبالغة ولم يكن حتى من علماء اللاهوت. وإنما كان قبل كل شيء شاعراً وكاتباً مسرحياً، ودائماً ما رأى الأسباب مستترة وراء الصور الحية. ولم يفصل تلك الأسباب عن آثارها من الآلام البشرية وأحداث الحياة. لم يدركها في صور مجردة تقبل الوحدة المنطقية وإنتاج نظرية كاملة عن الكون من اتحادها معاً، بل على العكس أدركها بوجدانه وعاطفته العميقة. ولم يسع قط إلى إزالة غموضها. فهذا الغموض الغريب عنصر ضروري للفكرة الإلّهية التي فرضت نفسها عليه ـ والتي جعل جمهوره يلمون بها. ولكي يبيِّن لهم أنه يوجد وراء المرئيات أسباب بعيدة قوة التأثير، لا تُرى في الحال، وأن أعمال البشر لا تشتمل على كل ما يبررها، ولا على كل تفسير لها، وأنها تخضع، دون وعي، لقوة عليا مجهولة، وأن الروح البشرية بعد أن تتأثر بها وتتخيل شتى الخيالات، غالباً ما تصل إلى الغرض الذي لم تعثر عليه من قبل ـ هذا هو ما يهدف أيسخولوس إلى الإيحاء به ويعتبره وظيفة الفن الدرامي.

إذن فإلى أي شيء يهدف في تلك المملكة الإلّهية؟ أهو المصير؟ أم هو الرغبة الخيِّرة؟ من المشكوك فيه أن يستطيع أيسخولوس نفسه الإجابة على هذا السؤال إجابة محددة. وربما كانت معتقداته هي نفس معتقدات معاصريه ـ خليط من آراء يأتي بعضها وراء بعض بالتدريج، ولكنها ليست قادرة دائماً على الإقناع. يبدو أننا نرى وراء كل ذلك قوة مضطربة غاشمة لا يمكن مقاومتها هي ضرورة تتحكم في كل الأشياء ولكن من المؤكد أيضاً أنه إذا كانت هذه فكرته فإنها قابعة في أقصى الخلفية وراء جميع الآراء الأخرى. وأهم ما تبدو فيه هو بعض قوانين معينة غير قابلة للتغيير، كالوراثة، وانتقال اللعنات، وقوة الإنقياد للنميمة، ودور الإيرينويس.

حقيقةً، أننا نرى زوس نفسه في مسرحية بروميثيوس، يوضع في مرتبة ثانوية خطرة لا يستطيع منها فكاكاً. بيد أن هذه حالة شاذة. وعلى العموم، ما يهدف أيسخولوس إلى بيانه هو إرادة الآلهة الصادرة بعد روية وسداد رأي، والمعقولة، والواضحة الأغراض، والتي بالاختصار، تهدف إلى الخير. ولكن

هذا ليس سوى اتجاه أو ميْل فحسب، وليس هدفاً محدداً تجب المبالغة فيه أو إهماله وما يجب علينا أن نقوله قبل كل شيء، هو أن الشاعر في مثل هذه القضايا، لا يهتم بالرد إهتمامه بإثارة القضية نفسها. وهذه القضية الأخيرة جزء أساسي من الدراما، والرد عليها خارج عن نطاق الدراما، ولا يظهر إلا عن طريق الرغبة الملحة في معرفة ما يثيره.

(١٠) مبتكرات أيسخولوس الأخرى:

أضفى أيسخولوس على التراجيديا صفة جديدة تمام الجدة بتضمينها مثل هذه الآراء الدينية. كما أنه جدد تركيبها في الوقت ذاته، بتطوير العنصر الدرامي. ويمكن تلخيص تجديداته في هذا المضمار بقولنا أنه حدَّ من دور الكوروس في الفعل الدرامي. وأوجد الممثل الثاني، ولهذين الأمرين نتائج هامة.

يقوم الكوروس بدور البطل في مسرحية المتضرعين التي يُحتمل أن تكون أقدم تراجيدياته الباقية. وإرادة الكوروس هي الدافع الأساسي للفعل الدرامي، وتتبع متعتنا آلامه ومخاوفه ورغباته. ومن ثم كانت أناشيده طويلة طولاً يحدد دور الحوار. وإذا أطلنا التأمل مدة أطول تكونت لدينا بغير شك فكرة عما كانت عليه التراجيديا قبل عصره. وإذا نظرنا إلى الكوروس، هذه الشخصية الجماعية، على أنه ليست له نفس الأهمية الدرامية التي للفرد، وبذا تقل أهميته من أجل زيادة أهمية الأفراد، فإننا في الحقيقة نفصل بذلك الدراما عن الشعر الغنائي. وكان لأيسخولوس الفضل في حدوث هذا الشيء، وحدث التغيُّر فعلاً في عصر تراجيدية المتضرعات. وانتقل هذا التغيير في جميع المسرحيات الأخرى. حقاً، ظلت الأدوار الغنائية طويلة جداً، ولكنها ليست طويلة كما كانت من قبل، والأهم من هذا، هو أن أهمية الكوروس غدت ضئيلة. فاستعيض عن الجماعة بشخصيات فردية تسهم خصائص كل منهم في الفعل الدرامي. إذن تتركز متعتنا في شخصيات أكثر ميزة، كانت ضحية القدر المحتوم.

لا يزال هؤلاء الأشخاص الدراميون عديدين في كل مسرحية. ومع ذلك

عددهم يزيد دائماً، وهذا يعطي فرصة النشاط الحيوي للمسرحية. ويتطلب تمثيل كل من تراجيديات أيسخولوس الباقية، بما فيها المتضرعات، ممثلين إثنين على الأقل. أما پروميثيوس المقيد والأوريستيا فتتطلب ثلاثة ممثلين. إذن فقد أوجد أيسخولوس الممثل الثاني في أوليات حياته، ثم استخدم بعد ذلك الممثل الثالث الذي استخدمه سوفوكليس في حوالي سنة ٤٦٨.

تدور مسرحيات أيسخولوس دائماً حول حادث واحد، وتسمح بقدر ضئيل من المتناقضات، وبقليل من المفاجئات أو لا تحتوي على مفاجئات، ولا يُضَمِّنها أي تلاعب مسرحي، بل يحتفظ منذ البداية بموقف درامي واحد، وهذا يجعلنا نتوقع حادثاً معيناً. ثم تتقدم المسرحية نحو هدفها في طريق مستقيم مستمر. وأخيراً يأتي دور الحل فيصنع خاتمة للفعل الدرامي. إذن فما من شيء يكون أقل تعقيداً من هذه المسرحية، ولا شيء خيراً من هذه الطريقة يمكن أن يؤكد الاسم الذي أطلقه عليها أرسطو «تراجيديا بسيطة» فتتألف المسرحية على هذا النحو من أناشيد وسرد وأوصاف وبذا تضم العنصر الغنائي وعنصر البطولة اللذين لا يزالان عظيمي الأهمية. وأحياناً تضفي المناظر الحلقية على الموضوع الرئيس صفة السرد، مثل حلقة إيو في مسرحية پروميثيوس المقيد. ولكننا لا ننكر سيادة العنصر الدرامي في مسرحيات أيسخولوس التي نعرفها. وتتجلى هذه السيادة حتى في آخر مسرحياته. والعناصر الجديدة هي: أولاً، الحوار الذي يظهر بوضوح مراحل الموقف الأصلي وعواطف الأشخاص، ثانياً، بعض الإبتكارات في المناظر، التي تبعاً لإمكانيات المسرح، كانت ذات أثر بالغ على المتفرجين. ومراحل الفعل الدرامي محددة تماماً، كل مرحلة بدورها في مسرحية أجاممنون: فدخول الملك إلى قصره وسيره فوق بساط أرجواني فرشته كلوتمنسترا على الأرض، وهذيان كاساندرا، والصراخ خلف المنظر، وظهور القتلة فجأة ملوثين بالدماء، وظهور الجثث غير المتوقع، كل هذه وقائع رائعة تعطي سلسلة من التأثرات الحادة العميقة. ولا تخص أمثال هذه الآثار الشعر الغنائي ولا شعر البطولة، ولكنها تخص المسرح وحده. وتراجيدية أوريستيا كلها

مليئة بالآثار. قلما تخلو منها أية مسرحية من المسرحيات الأولى مهما قلّت هذه الآثار.

(١١) دور العواطف والأشخاص في مسرحيات أيسخولوس:

قلما تعير المسرحيات المكونة بطريقة أيسخولوس، نفسها إلى تصوير عدد كبير من العواطف المتنوعة. فإن سيكولوجيا هذا الشاعر بسيطة كالفعل الدرامي لمسرحياته، ولكنها تشبه هذا الفعل في قوتها وروعتها. فتحتاج الشخصية الأولى في معظم مسرحياته إرادة عاطفية قوية تظهر منذ البداية وعلى العموم لا ينتج عن هذا إلا قليل من التعليل، وليس هناك إحتمال داخلي كالذي تعبِّر عنه الأغاني الفردية أو الذي يعبِّر عنه الحوار. وهذه الإرادة جزء من طبيعة الشخص وتبدي موقفه وهي إحدى عواطفه العميقة، بل هي حقيقة نفسه، ولذا كانت عديمة المرونة. هكذا كانت إرادة الدانايديس وإيتوكليس وبروميثيوس وكلوتمنسترا وأوريستيس، وتشبه قوة لا يمكن مقاومتها، وتتضمن شيئاً خارجاً عن مقدور البشر من حيث الشدة والتهور، ولا تصطدم مع نفسها إطلاقاً. وكثيراً ما يتألم الأشخاص من القوة العنيفة لهذه الإرادة، ويرون خطرها ومشاقها وفظائعها. ولكن هذا كله لا يمنعهم هذه الإرادة.. يجب على المرء أن يمعن النظر في هؤلاء الأشخاص ليرى ولو أثراً ضئيلاً من التردد وعلى العموم فإن البواعث التي تحثهم على الإحجام لا تقوم بشيء إلا أن تثيرهم وتلهب عواطفهم، ولا تُجدي فيهم التحذيرات ولا إسداء النصح المانع، لأنهم يعتبرون آراءهم ضرورات حتمية لا يسعهم إلا الانسياق وراءها.

قلما تسمح لنا هذه الصرامة الشديدة، وأن نهجو النفس هجواً تاماً إلى عاطفة واحدة بأن نعتبر أشخاص المسرحية كاملين ولكنهم أشخاص بمعنى مثالي، لأن لهم فردية. وما يشتركون فيه هو العاطفة القوية الفياضة. وهنا يبدي العنصر الغنائي تشبثه بالأشخاص الدراميين العظام. فلكل واحد منهم شخصية عميقة، زاخرة بالعواطف والانفعالات النفسية والأحزان والرغبات التي تفيض في أثناء الحديث وتكشف عن نفسها في الصلاة أو في البكاء أو في الاحتجاجات

أو في الدفاع عن الكرامة أو في التحدي. ويمكن خلق مبتكرات جديدة لا حدود لها في التشابه الأساسي لحياتهم الأخلاقية.

ما تلك القوة التي تدفعهم؟ أهي الرغبة الحرة؟ أم هي قوة عليا تعمل فيهم وتستعيض عن نفسها بهم؟ كثيراً ما طُرح هذا السؤال، فكانت الإجابات عليه متباينة. وقد لا يمكن الإجابة عليه بجواب مطلق. هناك أشخاص، مثل بروميثيوس الذي تتجلى فيه الحرية الشخصية بدرجة لا يمكن نكرانها. حقيقي أن حرياتهم تصل في النهاية إلى نتائج تتفق وقرار قوة إلّهية عليا. ولكن إذا أردنا التوفيق في هذه المسائل من وجهة النظر هذه، وصلنا إلى نفس تعريف الرغبة الحرة بأنها مسألة ميتافيزيقية عليا لا بد أن أيسخولوس لم يرغب في تفسيرها، أو ربما لم يدركها على الإطلاق. وما يمثله في بروميثيوس هو ما يسميه العالم أجمع بالحرية الأخلاقية، ولا حاجة بنا إلى التوسع أكثر من هذا. وهذه المسألة غامضة في حالة إكسيركسيس الذي دُفع إلى الخراب بواسطة الدوار الذي سلطته عليه الآلهة، أو إتيوكليس الذي يستبد به هذيان تتكشف فيه لعنة والده التي تنتهي بقتل أخيه، أو كلوتمنسترا التي تنفِّذ في أبناء أتريوس لعنة أسرته الموروثة، أو أوريستيس الذي ترسله استجابة شكلية للوحي ضد أمه، فيُدفع إلى القتل بواسطة المخاوف الإلّهية. فهل كل هؤلاء الأشخاص أحرار؟ أهو منظر الرغبة البشرية ذلك الذي يصوره هذا الشاعر؟ أو أنه الرغبة فحسب - تلك الرغبة التي تسيطر عليها قوة عليا؟ كذلك هنا، إذا أردنا الإجابة الصحيحة اضطررنا إلى أن نجيب في دقة غير بالغة، وبغير اهتمام بتأنق العبارات المهذبة الغريبة على هذا الشاعر وعلى معاصريه. يطيع كل هؤلاء الأشخاص قوة إلّهية عليا تصل إلى هدفها يقيناً. بيد أنه لا يوجد بينها اصطدام ولا نزاع بل هناك اتفاق تام بين هذه القوة العليا ورغباتهم وآرائهم وعواطفهم، ولا تعارض مع شخصياتهم أو تكتم حرياتهم، وإنما تسمح لهم بالعمل دون عائق. فبينما ينفِّذ جميع الأشخاص ما قضت به الآلهة والأقدار، ينفِّذون في الوقت ذاته رغبات نفوسهم أيضاً. فيعملون بطريقتهم وبما تمليه عواطفهم ورغباتهم الوقتية، ولا يمكنهم أن يفعلوا

غير هذا دون أذى أنفسهم. إذن فهم أحرار بالمعنى المعروف في كل مكان. أحرار كما نحن أحرار، ولو أننا نطيع قوانين الكون الأزلية ـ أحرار واعون في إرادة عمل معيَّن وإنجازه تبعاً لأهوائهم. فإذا كان هناك غموض في كل هذا فهو لا يخص التراجيديا، وإنما يخص طرق الحياة الأساسية، ويقع فيما وراء الواقع نفسه.

بمجرد أن تصير هناك عدة شخصيات للتمثيل في المسرح الإغريقي، فإن طريقة موافقتهم أو معارضتهم، وإبراز صفات بعضهم بواسطة البعض الآخر، تصبح من الوظائف الدقيقة لفن الشاعر. فعندما قدَّم أيسخولوس الممثل الثاني مضاعفاً بذلك عدد الأدوار، اضطر إلى إبداء اهتمام زائد بهذه المسألة. وهنا أيضاً أسس سابقات مسيطرة.

لا بد أن بطل مسرحية المتضرعات الذي مثل بغير شك دوري داناوس وأيجيبتوس، كان دوره ثانوياً ليس غير. أما أتوسا Atossa، في مسرحية «الفرس» ففي المرتبة الأولى تماماً. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً وُضع قانون صريح لسلطة الأدوار. فلكل من إيتوكليس في السبعة ضد طيبة، وبروميثيوس في التراجيدية المسماة باسمه، وكلوتمنسترا في أجاممنون، وأوريستيس في خويفوري وفي يومينيديس، أهمية درامية لا تسمح بأن تضارعها أهمية أخرى. وإذا كانوا مدينين بهذا لأنفسهم أولاً، أي لشدة عواطفهم وآلامهم، فإنهم مدينون به جزئياً ـ وهذا جدير بالذكر ـ إلى علاقاتهم بالأشخاص المحيطين بهم. وغالباً ما توضع وترتَّب جميع أدوار المرتبتين الثانية والثالثة، ليس فقط لإظهار الفعل الدرامي، بل ولصالح الدور الرئيسي أيضاً ـ لتعمل على تألقه وتُسهم في إبرازه وتحديده. هذه الحقيقة مدهشة، وخصوصاً دراسة أدوار الكوروس أو دور الرسول في تراجيدية السبعة ضد طيبة، وأدوار هيفايستوس وأوقيانوس وإيو وأوقيانيديس في بروميثيوس، وأدوار إليكترا والكوروس في خويفوري، ودوري بوثيا Pythia وأبولو في يومينيديس. وربما لم تكن دراسة التناقض وعلم التوافق والتعارض قد عُرفا في ذلك الوقت. فليست العواطف في مسرحياته ذات تنوع كاف في هذه الناحية. وإذا قرأنا أيسخولوس لكي نقارنه بسوفوكليس رأينا أنه لا

يزال هناك فن كثير يستوجب التنمية. ولكن المحقق أن أيسخولوس مهد الطريق على الأقل وأبان ما سوف يكون عليه هذا الفن.

(١٢) فقرات أيسخولوس الغنائية ولغته:

يجب إضافة ابتكار آخر نهائي إلى الابتكارات السابقة، لا يقل عنها أهمية ، فيقول أرستوفانيس (في الضفادع ، ١٠٠٤ - ١) : إنه مبتكر الأسلوب التراجيدي .

الأصل في الأسلوب التراجيدي غنائي في خصائصه الأساسية. ولا يجب أن يغيب عن بالنا أن الفقرات الغنائية كثيرة ورائعة، ثم انمحت في أزمنة لاحقة. إنها نظم على نطاق واسع أحياناً، يكرس فيها هذا الشاعر نفسه إلى مزج الإيقاع بتماثيل التركيب في مقطوعات مدهشة الإنشاء. وإن لغته لتقبل النمو الطويل، وأوضح خصائصها، الجرأة والنقاء والاتساع والوقار. وهي مليئة بالألفاظ المركبة التي تلفت الأذن، بجرسها السمعي أو بصفاتها الرنينية، وتسترعي الإنتباه بغزارة وتراكم صورها البيانية وحدّة أفكارها ورغم أنها متساوية في القوة وبراعة التكوين، فغالباً ما نرى الأسلوب غامضاً إذا ما تناولناه بالتفصيل. هكذا نجده نحن، وهكذا وجده الأثينيون. بيد أن براعة التكوين الكامل والدقيق ليست ضرورية. يشبه أسلوب الأناشيد هذا، صورة كبيرة مرسومة يجب أن ينظر إليها المرء من مسافة بعيدة. فعندما يغني الكوروس تلك الأناشيد، ويحافظ اللحن عليها، تسير سيراً رائعاً، فكل شيء فيها فخم أو مشعر بالحزن أو بالفظاعة، وتبدو الأفكار العظيمة مبهمة وراء المجازات والتشبيهات الرائعة العديدة، ويخلق الحماس عدة تعبيرات جديدة في غاية الروعة. لقد صيغت هذه المقطوعات المتألقة العظيمة مبهمة وراء المجازات والتشبيهات الرائعة العديدة، ويخلق الحماس عدة تعبيرات جديدة في غاية الروعة. لقد صيغت هذه المقطوعات المتألقة العظيمة لكي تبهر الجموع وتحدث في عقولهم شيئاً من النشوة. وحتى اليوم، على الرغم من عدم مصاحبة الموسيقى والتلحين لها، ورغم قيام

الصعوبات بسبب التغيرات التي لحقت بالنصوص، نجد من العسير أن نقرأ شعره دون أن نتأثر بانفعال نفساني عميق. مثال ذلك عندما نقرأ أغنية الفزع التي تنشدها سيدات طيبة في تراجيدية السبعة، أو شعر الجد الهزلي في أجاممنون، أو حوار كاسندرا الغنائي في نفس المسرحية، أو الحوار الغنائي لأوريستيس وإليكترا في خويفوري، أو أنشودة الإيرينيس يحرص على قتل الأب في يومينيديس. لا شك في أن كثيراً من التفاصيل في هذه الفقرات يفوتنا فهمها أو تحيّرنا، غير أن أثر المجموع رائع لا يقاوم.

على الرغم من روعة أيسخولوس في هذه الفقرات الغنائية، فإن لغة هذه المسرحيات أقل مناسبة للأجزاء الدرامية حقاً. فتماثل العبارات لا يلائم تمثيل مختلف أطوار الحياة حتى ولو حاول هذا الشاعر ملاءمتها. وقد رأينا أنه كان يستخدم الأسلوب الغنائي حتى في تصوير الأشخاص. فجميع الأشخاص ذوو عواطف سامية، والواقع أن لغته تبدو مناسبة للتعبير عن الأبهة والعظمة. أما فقرات السرد والحوار ففخمة مثل أناشيد الكوروس. ولكن إذا كانت لغته، في كل مكان، بنفس هذه الصفة الأساسية، فإن الأجزاء الغنائية تغدو ذات جرأة وعظمة إنشاء أكثر من سائر الأجزاء الأخرى. وميول هذا الشاعر متشابهة في كل موضع، ولكنها أكثر اعتدالاً وأكثر مطابقة للشائع العام، وأكثر اهتماماً بمطالب الوضوح. وإذا ما كانت المخيلة أكثر تحفظاً، صار المنطق وترابط الأفكار أكثر وضوحاً، فعندما يحتاج الشاعر إلى سرد الوقائع، يمكنه تعديل الإنشاء ليلائم حركة السرد، بينما اللغة التي تحتفظ بوقارها لا تدهش جمهوراً يريد أن يفهم قبل كل شيء آخر. فإذا وجب عليه التعليل فإن لهجته الحادة البارعة تحذف التشبيهات في المكان الذي يلزم وجودها فيه وتضع مكانها الدليل. نرى ذلك بوضوح، ولا سيما في الحوارات حيث يصير كل سطر سؤالاً أو جواباً، وكل توسُّل أو رفض هجوماً أو تهرُّباً. في مثل هذه الأحوال نرى لغته موجزة وجيدة وحادة ولو أنها شكلية قليلاً. وتبدي لغته ملاءمتها الدرامية في هذه المواضع بنوع خاص، وتدل على القدر الواجب تعديلها به لكي تناسب تماماً الفعل الدرامي.

وكذلك هنا تبرهن هذه اللغة على فضل السبق لأيسخولوس وعلى العموم، لا نزال نعترف بأن أسلوبه غنائي أكثر منه درامي.

(١٣) ماذا ورثت التراجيديا عن أيسخولوس:

تلخيصاً لما تقدم، نقول إن أيسخولوس تعهد التراجيديا بالتربية منذ طفولتها حتى جعلها نوعاً من الأدب لم يَفُقْهُ أو يضارعه نوع آخر. لقد أضفى عليها تركيباً أخيراً ولو في خصائصها على الأقل. والأحسن من هذا، أنه ارتقى بها حيث الخيال والعاطفة والأفكار والأسلوب إلى درجة لم يخطر على بال سابقيه أنها تستطيع بلوغها. فصارت بفضله، في النصف من القرن الخامس، عملاً أدبياً ثابتاً إذ ضمَّت جمال المناظر وبساطة الفكرة وقوتها ، وقوة العواطف المتعمقة الخاصة بالمصير. وزيادة على ذلك، فلا توجد هذه الميزات فقط جنباً إلى جنب في مؤلفاته، بل ومتحدة ومركزة أيضاً. ونظراً للتركيز الخاص بالدراما، أحرزت هذه الميزات قوة جديدة عن طريق التعاون المتبادل بين كل ميزة وأخرى. فنتج عن هذا شيء جديد تماماً، امتزجت فيه جميع صور التراكيب المعروفة، وتناولها التحسين. وبهذا صارت التراجيديا عميقة التأثير على جمهور نظّارته. وإن التراجيدية اليونانية التي هي حقيقة أدبية عظمى من حقائق القرن الخامس، لتدين بنشأتها إلى أيسخولوس.

لم يعوز التراجيديا كما تركها أيسخولوس - مدهشة وقوية وبسيطة - شيء آخر من العظمة أو من القوة. ولكنها، والحق يقال، كانت تفتقر من حيث السيكولوجيا إلى تنوع العواطف والأفكار، وإلى مرونة الحركة، وإلى استخدام فن المتناقضات والمفاجئات. أما أنها صارت، من ناحية، حية تمثل الحياة الواقعية ومن ناحية أخرى أقوى في العواطف العميقة عن طريق تناول العمل الدرامي بمهارة، فهذا عمل تولاه سوفوكليس ويوريبيديس من بعده.

أمين سلامة
١٩٨٨

مسرحية الفرس

المقـــدّمَة

هذه هي المسرحية الإغريقية الوحيدة، علاوة على الكوميديات، التي لم تؤخذ مادة موضوعها من الأساطير، وإنما أُخذت من التاريخ الحديث. وُضعت في سنة ٤٧٢ ق. م. بعد موقعة سالاميس بثماني سنوات. ومنظرها بلاط ملك فارس. وفعلها الدرامي ليس سوى وصول رسول يحمل أخبار هزيمة الفرس وتقديم الملك إكسيركسيس Xerxes كسير القلب مجلّلاً بالعار. وهدف هذه المسرحية تمجيد عزة الأثينيين الطبيعية، والثناء على أعمالهم، وتقديم النصر في سالاميس على أنه اللحظة الحاسمة في اندحار فارس وإقامة الحرية الإغريقية. لا شك في أن ذلك النصر ذو أهمية عظمى وأنه جعل كل شيء آخر ممكناً. وقد أبان الشاعر أن النصر لم يتحقق إلا بفضل اتحاد الشعب الأثيني وشجاعته وصدق عزيمته. وقد تمت هزيمة الفرس في السنة التالية في موقعة بلاتايا Plataea على يد إسبرطة. ويبدو أن القوة الأثينية لم تقم في ذلك النصر إلا بدور ضئيل جداً. ومن المحتمل جداً أن يكون هذا راجع إلى دافع الغيرة. وهكذا، ليس من المناسب أن تُذكر بلاتايا في منظر الرسول الذي يتضمن نبوءة جميلة ولو أنها قصيدة، بواسطة شبح داريوس Darius، توحي بأنها آخر مغامرة للحملة الفارسية. وإن هذا النصر لَيُنسب بحق إلى الدوريانيين Dorians أي الإسبرطيين. ولا يليق بأيسخولوس أن يقول إنه يقلل من أهمية بلاتايا. وفكرته في هذه المسرحية هي انتصار أثينا. وكان نظارته عبارة عن زملائه المواطنين. وقد كتب مسرحيته داخل أثينا، إذ اجتاحته، هو نفسه، حمى الطموح الابتكاريّ، التي كانت تسوق الأثينيين قُدُماً إلى الحرية وإلى السيادة وإلى

توسيع رقعة بلادهم، وكانت فرصة عرضها دينية، فـأقام الأثينيـون صلاة شكـر قومية في أثينا.

أقدم رواية وصلتنا عن موقعة سالاميس هي خطبة الرسول. ولما كان من المؤكد أن أيسخولوس إما أن يكون قد راقب تلك المعركة. أو اشترك فيها هـو نفسه، وجب النظر إلى روايته بعين الجد على أنها مستند تاريخي. ومع ذلـك فيبدو فيها كثير من الاختلافات عن روايات القرن الخامس الأخرى المذكورة في الجزء الخامس من مـؤلف هيرودوت Herodotus. وإذا قارن القراء الروايتين وراعوا المحتملات في كلتيهما، استنتجوا أن النقاط الهامة متساوية تقريباً؛ لا شك في أن أيسخولوس كان يعرف الحقائق، وأنه عرض مسرحيته أمام آلاف يستطيعون مناقضته إن كان كاذباً. ومن جهة أخرى، فإن ما اهتم به هو وما اهتم به نظارته، هو الشعر والطقوس والاحتفالات، أكثر من اهتمامهم بالتاريـخ. أما هيرودوت فاهتم بالفكرة التاريخية وبسرد قصة ممتعة، فضلاً عن أنه كانت تربطه بأثينا روابط قوية، ويتضح من روايته لموقعة بلاتايا أنه كان محابيـاً. وعلى أية حال، فإنه يعتمد على السجلات العَرَضية والذكريات المتضائلة أو الميالـة إلى الاختراع.

عُرف عن أيسخولوس ولعه بالمظاهر، ومن المعقول أن نفرض تفخيم أثر هذه المسرحية بتشكيلة فاخرة من الثياب الشرقية، وبمحاولة تصوير أخلاق العدو المهزوم وتمثيل كلامه أيضاً ـ تسليةً للظافـرين كما فعـل شكسبير في مسـرحيته «هنري الخامس». وهناك أدلة على هذا في النص نفسه. نجد هذا في القوائم الطويلة للأسماء الغريبة الطنانة، وعدد من الألفاظ الفارسية، وبعض إيقـاعات الكوروس التي تتفق وإيقاع الموسيقى الشرقية (وقد لا يُعتبر رفع شبح داريوس مجـرد أبهة شـرقية، حيث إن شبـح كلوتمنستـرا قـد ظهـر أيضـاً في مسـرحيـة «يومينيديس» رغم أن استحضار الأرواح ليس من طرق التنبؤ الإغريقية العادية). بيد أنه لا توجد بهذه المسرحيـة خطة حقيقيـة. وفضلاً عن المنـاظر التـاريخية والشعر، لا بد أن تقع المتعة الرئيسية في فخامة سرد الرسول الحماسي.

الفرس ΠΕΡΣΑΙ

أشخاص المسرحية

كوروس من شيوخ الفرس

أتوسا Atossa : والدة إكسيركسيس

رسول

شبح داريوس Darius، والد إكسيركسيس

إكسيركسيس Xerxes : ملك فارس

الفرس ΠΕΡΣΑΙ

أشخاص المسرحية

كوروس من شيوخ الفرس

أتوسا Atossa : والدة إكسيركسيس

رسول

شبح داريوس Darius، والد إكسيركسيس

إكسيركسيس Xerxes : ملك فارس

المنظر : قصر إكسيركسيس الملكي في صوصة Susa ؛ قبر داريوس. . .

الزمن : عام ٤٨٠ ق. م. أو أوائل عام ٤٧٩ . بعد معركة سالاميس ببضعة شهور (سبتمبر سنة ٤٨٠ ق. م.).

يدخل الكوروس، المستشارون المبجلون لملك فارس.

الكوروس : نحن المجلس الفارسي الذي بقي هنا عن ثقة، نيابة عن جميع مواطنينا الذين يعملون الآن في هيلاس Hellas، لحراسة هذا البيت الذهبي الغني. إن الملك، إكسركسيس نفسه، ابن داريوس، هو الذي اختار رتبتنا وسنّينا لنحكم ممتلاكاته.

ولكن متى سيرجع - إكسيركسيس ملكنا وجميع حاشيته المرتدية الذهب؟

إن قلوبنا لتخفق في صدورنا، وتصرخ بمخاوف تتنبأ بها.

إن زهرة الشباب الآسيوي قد غادرت الوطن، وما من ،

إشاعة أو رسول راكب، يأتينا بكلمة عنهم .

من صوصة، ومن إكتابانا Ectabana، ومن الأسوار الكيسيانية Kissian العتيقة، ومن كل باب من أبواب الأجداد،

تتدفق القوة الفارسية شطر الغرب -

البحارة في السفن بالألوف،

والفرسان والمشاة، يسيرون

في صفوف القتال القاسية .

فالزعماء ذوو الأمجاد الفارسية،
والموظفون الملكيون لذلك الملك العظيم،
أميستريس Amistres وأرتافيـرنيس Artaphernes،
وميجابازيس Megabazes ، وأستاسبيس Astaspes ،
يسيرون قُدُماً إلى وجهتهم البعيدة،
سادة القوس واللجام
منظر يبث الرعب في الحواس
ويصطدم العضلات لدرجة الشلل
بقسوة الروح؛
فهذا أرتيمباريس Artembares، الذي جرت عربته
عدة مرات مع الموت، وماسيستريس Masistres ،
ذلك الفارانداقيس Pharandaces العديم الخـوف،
وسوستانيس Sosthanes ،الذي طارت جياده الأربعة بقيادته الثابتة .

بعد ذلك اجتمع هناك من النيل
(ذلك الماء الشاسع الكثير الثمار)
وغيـرهم : سـوسيسكـانيس Susiscanes، وبيجـاسـتـاجـون
Pegastagon وأرساميس Arsames حاكم ممفيس المقدسة ؛
وأريوماردوس Ariomardus ، مُصْدِر القوانين لطيبة القديمة،
وأخيراً أولئك المجذفون الماهرون،
من ساكني المستنقعات الذين لا يُحْصَوْنَ عدّاً ،
الذين ملئوا القائمة المصرية .

ثم سارت جماعة من اللوديين Lydians الرقيقي البشرة،
سارت مع الباقين ممثلين
قبائل البلاد الأصلية كلها ،

الذين يوحي حماسهم إلى قوادهم
أركتيوس Arcteus وميتروجاثيس Mitrogathes ،
وإلى ذهب سارديس Sardis ؛
بينما يتقدم صف على صف
من العربات ذات الثلاثة والأربعة الخيول
فيلقي الرعب في كل وجه حتى يمتقع لونه،
ورجال تمولـوس Tmolus المقدسـة،
ثاروبيس Tharybis الجريء وماردون Mardon ،
سندانا الرمح هذان،
مع الرماحين الموسيين Mysian الخفـاف،
يُقْسمون بأن يدمروا هيلاس الفخورة
ويُقَرِّبون وقت استعبادها.

من بابل الذهبية،
مثل أمواج المياه المختلطة،
يظهر مزيد من الجيوش المتنوعة:
البحارة الذين يثقون في السفن،
والنبالين الذين تشد أصابعهم الباسلة،
السهام إلى الأذن.
من كل مملكة في آسيا
يتدفق الشرق إلى الأمام مسلحاً ؛
لقد صدرت كلمة الملك المفزعة:
فسمعها مليون سيف
هكذا كانت زهرة الرجولة،
فخر الشجاعة الفارسية،
التي أبصرناها تسير ؛

ومن أجلهم تحزن الأرض التي ربّتهم
بشوق حـادّ .
وتَعُدُّ كل يوم يمر بغير عمل
فيزلزل قلوبنا، ويطيل المهلة الطويلة .

من مدة طويلة، منذ أن قاد قواته المدمرة
فوق المضيق إلى أرض أوروبا المجاورة؛
وعبر قنال هيلي Helle على طريق عائم؛
يتكون من شريط من السفن المربوطة والألواح المسمرة
تُطَوِّق عنق البحر بجسر من القوارب .

وهكذا يُنزل الملك العظيم، في سيل واحد متدفق،
هذا القطيع الكثيـر الملايين، هذا العجب العجاب
من الجيوش الهاجمة بطريقين، من البر ومن البحر،
وإن عزيمته لجريئة ضد العالم كله .
يُؤيدها الإخلاص الوحشي لقواده؛
وهو نفسه نظير الآلهة، الذي زُرعت عشيرته في الذهب[1]
في الظلام، تتألق من نظرته
عين تنين دموية .
انظر، مجاذيفه الألف تتقدم!
انـظر، سهامـه العشرة آلاف تطيـرا
وتسير العربـة الملكية في المقدمة؛
وتتحدّى قسّى آسيا القاهرة

(١) يشير بهذا إلى الأسطورة التقليدية القائلة بأن إكسيركسيس منحدر من برسيوس Perseus، وأن الجنس الفارسي قد سمي باسمه. وكان برسيوس هذا، ابن زوس، الذي هبط على أمه داناي Danae في وابل من أمطار الذهب.

رمّاحي هيليني Hellene الذائعي الشهرة في الحرب.
لأنه عندما تقفز الجيوش وتزمجر
في زهوها، كطوفان عظيم،
إذن، فما من شهرة حربية يمكن أن تكون أكيدة
لكي تصد مَدَّ المحيط ذاك،
وما من تحصينات قوية تكون مضمونة لذلك.
لا تستطيع أية قوة أن توقف الأسلحة الفارسية؛
وما من خوف يمكن أن يؤثر في القلوب الفارسية. احتمال

ومع ذلك، فعندما تعمل السماء بخطة ملتوية
وتنفّذها جيداً، فماذا بوسع الإنسان الفاني
أن يفلت من خداع الآلهة الخالدة؟
أين هو ذلك الذي قَفْزته السريعة
تزيل الشرك المحدق، في خفة؟
إن ابتسامة التملق لربه الغرور Delusion الناعمة
لا تقود إلا إلى حيث يكمن شركها ؛
هناك يدفع المرء دَيْنه المميت ؛
فيقبض القضاء على من تركه الموت.
منذ زمن بعيد، وَضعت القوى السماوية
على الاسم الفارسي
شروطاً: أن يذيع شهرتها على الأرض؛
أما ضوضاء الفرسان، وتحطُّم القلاع،
ونهب المدن ـ فهذه لنا.

ولكننا تعلّمنا مهارة أخرى
فأذنبنا على المنظر المحرَّم،

حيث تزمجر ريح العاصفة بحدّة،
فتُلهب بالسوط قنوات البحر العريضة حتى تَبْيَضَّ،
وسار ألف سيف بثقة
إلى الحرب على حبال من الكتان[1] .

هذه هي صور الظلام
التي تلف قلبي في عباءة من الخوف
لأن جميع الرجال الذين ذهبوا إلى هناك،
إن لم تسمع مدينتنا العظيمة
أن الهلاك الذي يبتلع الرجال
قد جرّد أرض وطننا؛
وإن لم تُرَدِّد أحجار صوصة العتيقة
والسور الكيسياني الشاهق
صدى تأوهات ألم الارتباك
الصادرة من النساء على موتاهم،
وهن يضربن الصدر والرأس ،
بينما تقع الأصابع الممزّقة
على أثواب من أدق الخيوط

سارت، كسرب من النحل
جميع قوتنا الفارسية،
واختفى كل من المشاة والفرسان
فوق البحار الضيقة ـ
وامتدت حدود إمبراطوريتنا
بالسفن من أرض إلى أرض ـ

---

(١) أي على جسر من السفن مربوط بعضها ببعض بالحبال.

حيث يشاء قائدها.
بينما هنا، كل زوجة فارسية،
اشتاقت إليه، أسرعت
مسلحة إلى الحملة الوحشية،
ونثرت فراشها الخاوي
بالدموع الرقيقة عبثاً،
تبكي على حياتها المنفردة.

هلموا، أيها الفارسيون، واجتمعوا عند هذا السلم العتيق لقصر،
إكسيركسيس. فإننا بحاجة إلى المشورة،
وإلى الحكمة وإلى الشجاعة. ماذا عمل إكسيركسيس؟
أي حظ نال الوارث الملكيّ
لبرسيوس، مؤسس عشيرتنا الفارسية؟
هل أضعفَت القوسُ المشدودةُ من قوة هيلاس؟
أو هل سيطرت قوة الرماح البرنزية الرؤوس؟

[تدخلُ أتوسا في عربة، يتبعها الخدم]

انظروا! ها هي والدة الملك، متألقة كعيون
الآلهة الخالدة، الملكة أتوسا، تقف!
ويقع الفارسيون، منبطحين أرضاً عند قدميها ثم ينهضون
ويُحيّونها بصوت واحد. تحيا ملكتنا،
أنبل سيدات الأراضي الشرقية،
تحيا زوجة داريوس، ووالدة إكسيركسيس!
إنكِ والدة إله، وكنتِ زوجة -
إلا إذا كانت الأقدار قد قلبت أيديها
ضدنا، وفشل معروفها القديم.

أتوسا : هذا الخوف هـو ما أحس بـه؛ فإن الأفكـار المقلقة
تنتابني ، أنا أيضاً .
لذا تركتُ المخدع الذهبيّ الأثاث الذي
كنتُ أقاسم فيه الملك داريوس. لأبوح بمخاوفي الشخصية،
من أن تنقلب ثروتنا الواسعة، في طريق التهور.
ذلك السلام الجميل الذي بناه داريوس بمساعدة السماء.
تملأ باليَ القلِقَ فكرتان وُلدتا من هذا الخوف،
ومع ذلك، فإنني لا أجرؤ على الكـلام: فأولاً، دنيـا
الثروة هذه عديمة القيمة .
إذا افتقرنا إلى الرجال؛ ثـانياً، لن يبتسم الحظ
للرجال العديمي الثروة حسب ما تستحق قُوّتهم.
هنا، الثروة تكفينا، بيد أن مخاوفنا تكمن في أعزّائنا:
وهل هناك شيء أثمن للبيت من سيده الحي ؟
إنكم تعرفون كيف تسير الأمور، في مثل هذا القلق
زوِّدوني بنصيحتكم، أيها الأصدقاء الفارسيون المسنون
والموثوق بهم ؛
إذ كل أملي في النصيحة الأمينة موضوع فيكم.

الكوروس : كلمتكِ، أيتها الملكة، أمرٌ لنا، سواء لنفعل
أو لنتكلم ، كما يحلو لسلطتكِ أن ترشدنا .
إليك ولاءنا ومحبتنا، مع نصيحتنا الطيبة.

أتوسا : منذ أن قاد ابني جيشه، وخرج،
ليدمرنا أيونيا[1] Ionia ، أخذت الأحلام تنتابني في كل ليلة،

---

(١) جزء من الساحل الغربي لآسيا الصغرى يمتد تقريباً من سمورنا Smyrna إلى ميليتوس Miletus والجزر الملاصقة والتي يحتلها الأغارقة الأيونيون.

ولكني حتى الآن لم أرَ حُلماً واضحاً كالذي رأيته
في هذه الليلة الماضية. فاصغوا إليَّ: ظهرت لي
سيدتان، جميلتا الهندام،
إحداهما ترتدي الزيَّ الفارسيّ، والأخرى الزيَّ
الدورياني Dorian،
وكانتا رائعتي الجمال، وفي قوامٍ
وقدٍّ يفوقان مثيليهما في نساء عصرنا.
كانتا شقيقتين من عشيرة واحدة، لكل منهما ميراثها،
إحداهما بلاد الإغريق، والأخرى آسيا. ويبدو أن هاتين،
السيدتين، كانت كل منهما تثير الأخرى إلى العراك.
فجاء ابني،
ومنعهما وروَّضهما، وربطهما إلى نير عربته،
وربط الأعنة في عنقيهما. وكانت إحداهما
فخورة بهذه السيور فخضعت للأعنة.
أما الأخرى فناضلتْ، ونزعت السيور من العربة،
وقذفت باللجام، وكسرت النير الخشبي قطعتين.
فوقع ابني على الأرض، ووقف أبوه إلى جانبه.
وقف أبوه داريوس وأشفق عليه. فرفع إكسيركسيس بصره
فرآه، ومزَّق ثوبه، هكذا كان حلمي في هذه الليلة.
فاستيقظت، وغمستُ يدي في الينبوع الرائق المتدفق؛
وبعد أن تطهَّرتُ، ذهبت إلى وطيس المذبح، لكي أُصَلِّي
من أجل الخلاص من الشر، وأقدم
الضحية لمن يستحقونها. وبينما أنا واقفة، رأيت
نسراً يطير طالباً المأوى في وطيس أبولو[1]

---

(١) إله الشمس.

فراقبته فزعةً، في سكون؛ ثم جاء عقاب،
وانقضَّ بأجنحة مندفعة، فأمسك بمخالبه
رأس النسر؛ وإذ لم يقاوم هذا، قبع هناك،
مستسلماً إلى الجراح
واجَهَتْ عينيَّ هذه العلاماتُ
بخوف لا يقل عنه خوف آذانكم. لأنه ـ تأكدوا من هذا ـ
إذا تغلّب ابني، غدا أعجوبة العالم؛ ولكنه،
إذا أخفق، فما من حكومة يمكن أن تسأله،
سواء ربح أو خسر. فطالما هو حي، فهو ملك فارس.

الكوروس : أيتها السيدة، لن نتكلم لئلا نسبب لك خوفاً لا داعي له،
ولئلا نبث فيكِ الأمل. صلّي للآلهة بخشوع،
واطلبي منهم أن يدرءوا عنكِ أيَّ طالع شؤم رأيته،
وأن يُتموا الخير لكِ ولابنكِ،
ولفارس أيضاً، ولجميع أصدقائكم. بعد ذلك يجب أن تسكبي
السكائب للأرض وللموتى، وتحثّي
زوجكِ المفقود داريوس، الذي رأيته في هذه الليلة،
على أن يرسل لك ولإكسيركسيس، البركة من الأعماق،
وأن يحتفظ بكل ما ليس بركة مُكَفَّناً بأكفان سميكة
في ظلام جوف الأرض. تخرج نصيحتنا هذه
من قلوب مخلصة وحكم رزين، وإنا لنتنبأ
بأنه إذا كانت هذه الطوالع طيبة أو رديئة، فإن
كل شيء سيكون خيراً.

أتوسا : أول الأفكار أصدقها. وأنتم يا أوائل المفسرين لي،
قد قرأتم حلمي بما يناسب كُلّاً من ابني
والبيت الملكي. عسى أن يأتي كل شيء للخير.

سأعود، وسأعمل بنصيحتكم،
وأقدم هذه الطقوس للآلهة، وللموتى المحبوبين.
ولكن نبئوني : أين بُنِيَتْ أثينا، تبعاً لتقارير البشر؟

الكوروس : على مسافة بعيدة نحو الغرب، حيث يُنزل ربُّ الشمس نيرانه الخابية.

أتوسا : ولكن لماذا يتوق ابني ليجعل من هذه المدينة فريسة له؟

الكوروس : ما إن يهزم أثينا حتى يصير سيد جميع هيلاس.

أتوسا : ألديهم إمدادات وافرة من الرجال المحاربين؟

الكوروس : نعم لديهم ؛
جنود أُنزِلوا، ذات مرة، بالأسلحة الفارسية ضربة مفزعة.

أتوسا : وفضلاً عن رجالهم، هل لديهم مخزون طيب من الثروة في وطنهم ؟

الكوروس : لديهم ينبوع من الفضة، مكنوز في تربتهم.

أتوسا : وهل هم ماهرون في قذف السهام؟

الكوروس : كلّا، البتة :
ولكنهم يحملون تروساً قوية، ويحاربون بالرماح يداً ليد.

أتوسا : ومن راعيهم؟ أي سيد تطيعه قواتهم؟

الكوروس : سيد؟ ليسوا خدماً لأي إنسان.

أتوسا : وهل بوسعهم، من دون سيد، أن يقاوموا الغزو؟

الكوروس : نعم!
لقد أبادوا جيش داريوس العرمرم النبيل.

أتوسا : تجلب ألفاظهم الأفكار المقلقة
لمن كان أبناؤهم في الجيش الآن.

الكوروس : إذا لم أخطيء، فسرعان ما ستعلمين الحقيقة كلها، هذا الرسول،
بغير شك رسول فارسيّ، وسيأتينا بأنباء سارة أو غير سارة .

[يدخل رسول]

الرسول : أيا مدن آسيا الواسعة ! ويا أرض فارس المحبوبة،
مقر الثروة المناسبة! لقد أطاحت ضربة.
بعزّتكم السعيدة؛ فسقطت زهرة كل شبابكم.
من القَدَر السيء أن آتي بأول أخبار الهزيمة ؛
غير أنه يتحتم عليَّ أن أفضي إليكم، الآن، بكل حقيقة الكارثة :
أيها الفرس، ما عاد لأسطول مملكتكم ولا لجيشها وجود.

الكوروس : واحزناه، ويا للحزن ثانية!
فليبكِ كل قلب يسمع،
هذا الألم، غير المرغوب فيه.

الرسول نعم، ضاعت كل تلك الأسلحة القوية،
وأنا لا أزال أرى النور، وراء كل أمل، ورجعتُ ثانية.

الكوروس : لماذا عشنا كل هذه المدة الطويلة؟
إن محصول السنين الناضجة
لهو الحزن الجديد، والدموع المفاجئة.

الرسول : سادتي، كنتُ هناك؛ ورأيت بعيني رأسي ما أخبرتكم به؛
وفي مقدوري أن أقص عليكم تفاصيل تلك الهزيمة العظمى .

الكوروس : نوحوا، وابكوا، ! فعبثاً
ذهب جيشنا القويّ
في السهام والسيوف والرماح،
إلى أرض هيلاس المقدسة.

الرسول : إن شواطىء سالاميس، وكل السواحل المجاورة،
تعج بالجثث المتناثرة المقتولة في تعاستها.

الكوروس : ابكوا، ونوحوا، ! فقد صار موتانا
غنيمة للمحيط ،
مقـذوفين على قاعـة المائـج ،
وانتشرت عباءاتهم المطوية على مساحة واسعة
فوق المدّ المغْرق .

الرسول : لم نجد مساعدة من قِسِيِّنا أو سهامنا، فإذ أحدقت بنا هناك
الحيازيم المصطفقة، راقبنا أمة تغرق وتموت.

الكوروس : نوحوا عالياً في يأس
على القَدَر القاسي الساحق
لأولئك الذين حكم عليهم مقت الآلهة
بالهلاك هناك.

الرسول : أي اسم تكرهه آذاننا أكثر من سالاميس؟
أما أثينا ـ فاسم يولد الألم في ذاكرتنا!

الكوروس : أُبغَضُ الأسماء جميعاً ـ
أثينا! من يمكنه أن ينسى
دَيْن سيداتنا الفارسيات ـ
وتلك الدموع البريئة التي سقطت
من أجل الزوج المفقود، أو الابن
منذ ذلك الوقت البعيد في ماراثون[1] Marathon؟

أتوسا : أيها الناصحون الأخيار ، لقد احتفظتُ بصمتي كل هذه الأثناء.
مبهوتة بسوء الحظ؛ فهذه الأخبار بالغة الفظاعة سواء في روايتها

---

(١) سهل يقع على بعد اثنين وعشرين ميلاً من شمـال شرق أثينا.

أو في الاستعلام عنها. ومع ذلك، فإذ كُنّا بشراً،
يجب أن نتحمل الحزن عندما ترسله الآلهة. لهذا قف وأخبرنا
بالكارثة كلها، رغم أن صوتك تخنقه العبرات. من منهم لم
يمت؟ ومن يجب علينا أن نحزن عليه؟
من قوادنا، الذين يترك الموت مكانهم شاغراً؟

الرسول : الملك إكسيركسيس، حي.

أتوسا : إذن فإن نور الأمل يسطع
لمنزلي، كالفجر الأبيض بعد الظلام.

الرسول : أما أرتيمباريس Artimbares، قائد العشرة آلاف فارس،
فيطفو جريحاً بجانب صخور الشاطيء السيليني Silenian.
وأصاب رمح داداكيس Dadaces، الذي كان يقود عشرة آلاف رجل،
فقفز مندفعاً إلى الماء من فوق سفينته.
وأما تيناجون Tenagon البكتريّ Bactrian المولد،
والأول في صفوفهم،
فيغشى الآن الساحل المتآكل بفعل البحر، لجزيرة[1]
موطن أجاكس[2] Ajax.
وثلاثة آخرون، هم: ليلايوس Lilaeus، وأرساميس Arsames،
وأرجيستيس Argestes أصيبوا، وشوهدوا فوق سطح الماء حول
جزيرة اليمام[3]، ينطحون الصخور الجرانيتية. وأما ميتالوس
Metallus الخروسياني Chrysean،

(١) أي جزيرة سالاميس.

(٢) ابن الملك تيلامون ملك سلاميس، وحفيد أياكوس. أتى بمعجزات هي آية في الشجاعة والقوة.

(٣) هناك شك حول حقيقة هذه الجزيرة.

الـذي كان يقـود عشرة آلاف جنـدي من المشـاة، وثـلاثين
ألف فارس ،
كان يُطلَق عليهم اسم «الفرسان السود» ـ فعندما
قُتل، صُبغ شعر لحيته الكثة الصفراء، باللون الأحمر الدموي،
وغُمس في البحر القرمزيّ. ومات ماجوس العربي؛
وبقي أرتاميس Artames البكتريّ في الخارج،
مقيمـاً في أرض مقفرة. ومـات ثارويبس Tharybis، قائد خمسـة
صفـوف كل منهـا من خمسين سفينة، وهـو
لوريناني Lyrnean المولد ـ
لقي وجهُه الجميل نهاية غير جميلة،
مسكين هذا البائس، لأنه لم يُدفن.
ونال سوينيسيس Syennesis، أشجع رجل في الجيش كله، وقائد
القوات الكيليكية Cilician، الذي أهلك بذراعه الوحيدة عدداً من
الأعداء أكثر ممن أهلكهم أي فرد آخر، نـال مجداً عـظيماً، وهـو
الآن في عداد الأموات.
هذه هي قائمة القواد الذين لقوا حتفهم ؛
ومع ذلك فلم أذكر للآن سوى القليل من عدة آلاف ميتة.

أتوسا : وا أسفاه! هذه هي ذروة المحنة نفسها،
التي جلبت على فارس، العار والخسارة وألم الحزن.
ولكن ارجع بقصتك الآن إلى الوراء وأخبرني بهذا :
كم كان عدد السفن الهيلينية التي
تجاسرت على مهاجمة أسطولنا، حيزوماً بحيزوم؟

الرسول : لو حبا الحظ كثرة العدد لأحرزنا النصر في ذلك اليوم.
كانت كل القوة الهيلينية مكونة من ثلثمائة سفينة،
غير عشر سفن حربية منتقاة.

وأعرف أنه كان لدى إكسيركسيس،
ألف سفينة في القيادة، من بينها مائتان وسبع سفن سريعة بصفة خاصة، هذه هي النسبة، والآن، هل تقولين إننا دخلنا المعركة بقوة ضعيفة؟ كلاّ، فإن النتيجة كانت توضح كيف كانت الآلهة تمسكك الميزان
ضدنا بأيدٍ محابية، فأهلكتنا جميعاً.
إن الآلهة هي التي تحافظ على أن تبقى مدينة أثينا سالمة.

أتوسا : ماذا ـ سالمة؟ ألم تُدمَّر أثينا بعد كل هذا؟

الرسول : طالما فيها رجال، فإن تحصينات المدينة تظل قائمة لا تتحرك.

أتوسا : أخبرني الآن، كيف بدأ الهجوم بين الأسطولين،
من تَقَدَّم أولاً وضرب الضربة الأولى؟ أهم الأغارقة؟
أو ابني الجريء المبتهج بسفنه التي يخطئها الحصر؟

الرسول : لا أحد منهما، يا مليكتي. بل هي «فوريّة»[1] ما، قوةٌ ما، خبيثة، ظهرت فأثارت كل هذه الهزيمة الماحقة.
جاء رجل هيليني من الجيش الأثيني، وأخبر ابنكِ إكسيركسيس، بهذه القصة: بأنه، ما إن يُرخِي الليل سدوله،
حتى لا يبقى الهيلينيون، وإنما يقفزون إلى ظهور السفن ويركنون ويركنون إلى الفرار من طريق سريّ،
فيجذفون ناجين بحياتهم. فعندما سمع إكسيركسيس هذا، ولم تكن لديه أية فكرة عن خدعة ذلك الرجل، أو عن غيرة الآلهة، فأرسل هذه الكلمة لجميع قواده: «عندما تكفّ الشمس عن إطلاق لهيبها ليدفيء الأرض، ويسيطر الظلام على بلاط السماء، صُفُّوا

(١) ربة من ربات الانتقام.

القسم الأساسي لأسطولنا في ثلاثة صفوف، لحراسة المداخل والمضايق الملتوية.» ثم أرسل سفناً أخرى لتسير بالمجاذيف حول الجزيرة، مهدِّداً بأنه إذا شقَّت السفن الإغريقية طريقاً للنجاة من الموت، فإنه سيقطع رأس كل قائد فارسي. فأظهرَ بهذه الألفاظ كيف طمس تجاهُلُه للآلهة عقلَه.

وعلى ذلك كان بحّارتنا في نظام جيد، وطاعةً لأمره، تناولوا طعام العشاء، ثم ربط كل مجذف مجذافه إلى وتد التجذيف الناعم، وعندما غربت الشمسُ وأقبل الليل، أقلع جميع المجذفين، وكل الجنود الثقيلي التسليح؛ ونادوا من صف إلى صف، وهتف كل واحد للآخر مجذفين في طريقهم تبعاً للأوامر الصادرة إليهم. واحتفظ القواد طول الليل بكل قواتهم تجوب البحر هنا وهناك خلال المضيق.

وكان الليل قد أخذ في الرواح، ولم تبدر من الهيلينيين أية بادرة تدل على محاولتهم التسلل خلسة،

حتى أضاءت أخيراً على الأرض خيول النهار البيضاء،

فملأت الجو جمالاً. بعد ذلك صدرت من السفن اليهيلينية
صيحة الحرب الحادة كأنها أغنية الفرح،
فأجابتها صيحة مدوية من صخرة الجزيرة.

عندئذٍ عرف الفرس خطأهم، وتملَّكَ الذعر كل رجل.
لم يكونوا هاربين أولئك الذين أنشدوا تلك الأنشودة المفزعة
وإنما كانوا الهيلينيين يهجمون بقلوب جريئة
إلى المعركة. ودوى البوق عالياً بين صفوفهم.
وفي الحال تحركت مجاذيفهم المحوطة بالزَّبَد، على وتيرة واحدة،
تضرب الأمواج المِلْحة على نغمة «أشعة الشمس»؛

وسرعان ما لاح كل أسطولهم أمام البصر،
ظهر جناحهم الأيمن في بادىء الأمر،
في نظام دقيق، ثم أقبلت جميع الصفوف،
وفي تلك اللحظة بلغت آذاننا صيحة عظيمة:
«إلى الأمام، يا أبناء هيلاس! حرِّروا مملكتكم!
وحرروا أبناءكم، وزوجاتكم، ومقابر أسلافكم،
ومعابد آلهتكم. فالجميع في خطر: هيًا، إلى القتال الآن!»
وردًّا عليهم، من جانبنا، علت ضجة
كبرى من الأصوات الفارسية، لقد أتت الساعة الحاسمة.
وفي الحال، اصطدمت سفينة بأخرى، بمقدمها النحاسيّ.
بدأت الهجومَ سفينة هيلينية، فقصفت كل مؤخر
سفينة حربية فينيقية. ثم تلا الهجومَ هجومٌ
من كل جانب. فأولاً، بكامل عزمه الضخم، قاوم أسطولنا.
ولكن سرعان، في تلك المدة البسيطة،
ما انشقت سفننا بالمئات، ولم تستطع أية واحدة منها
أن تساعد الأخرى.
فأخذت كل منها تضرب الأخرى بمقدمها البرنزي، وبعضها
تجرَّد من كل مجذاف. في تلك الأثناء، أحاط بنا
العدو في حلقة وهجم. فانقلبت سفننا،
واختفى سطح البحر مفروشاً ببساط من الحطام،
والقتلى، وامتلأت كل الشواطيء والحواجز بالموتى.
بعد ذلك خرجت كل سفينة لدينا من الصف،
وأخذت تجذف لتنجو بحياتها.
فأمسك الهيلينيون بقطع كثيرة من الحطام ومن المجاذيف
المكسورة

وشطروا رجالنا السابحين في البحر، وطعنوهم
كما يقتل الصيادون سمك التونة أو أي صيد في الشبكة.
وكان البحر كله صرخة واحدة من الصياح وأنين الموتى.
حتى جاء الليل والظلام، فأخفيا هذا المنظر، ولو تكلمتُ لمدة.
عشرة أيام وعشر ليال، لما أمكنني أن أخبركم بكل آلام ذلك اليوم. ولكن اعرفوا هذا: لم يسبق أن مات في يوم واحد مثل هذا العدد العظيم من الرجال.

أتوسا : واأسفاه! ما أعظم ذلك المحيط من الكوارث
الذي حاق ببلاد الفرس وبكل عشيرة شرقية!

الرسول : هناك ما هو أدهى وأمرّ، فلم أروِ نصف قصتي بعد.
تأكدوا، أن ما بقي منها يربو على ضعف ما سبق.

أتوسا : أيّ شيء يمكن أن يكون أسوأ من هذا؟
ماذا بوسع أسلحتنا أن تتكبد ليربو على كل الآلام السابقة؟

الرسول : زهرة أشرافنا والدم النبيل، شباب وشجاعة نبلائنا المختارين،
فأولاً، في ولاء ثابت للملك نفسه.
غاصوا في حمأة الموت الزؤام.

أتوسا : أصدقائي، هذه الأنباء السيئة أكثر مما في مقدوري أن أطيق -
كيف ماتوا ؟

الرسول : قبالة سالاميس
جزيرة صغيرة، لا تصلح لرسو السفن -
حيث يسير بان[1] Pan الراقص على طول شاطئها الملحيّ.

---

(١) ابن هيرميس أو زوس وإحدى الحوريات. كان إلهاً أركادياً لرعاة الأغنام والماشية وللصيادين.

فأرسلهم إكسيركسيس إلى هناك، حتى إذا ما نزل الأعداء،
من سفنهم وناضلوا للوصول إلى شاطىء تلك الجزيرة،
استطاعت القوة الفارسية أن تنقضّ عليهم في غير ما عناء
وتنقذ البحارة الفرس من الغرق في البحر:
فيا له من سوء تصرُّفٍ قاتل! وعندما منحت السماء،
في الموقعة البحرية ،
المجد للهيلينيين، في نفس ذلك اليوم،
أتَوْا مسلحين بتروس ورماح برنزية، وقفزوا من سفنهم،
وضربوا حصاراً حول الجزيرة كلها، حتى لا يعرف رجالنا أين
يذهبون. فنزل عليهم أولاً وابلٌ من الضربات بالحجارة المقذوفة
باليد، ثم من أوتار القسيّ المشدودة،
انطلقت السهام لتقتل؛ وأخيراً بصرخة وحشية واحدة
انقضّ عليهم الهيلينيون، فقطعوا وبتروا
أعضاءهم كالجزارين، حتى مات آخر رجل تعيس منهم.

رأى إكسيركسيس مبلغ الفظاعة هذه، بجانب البحر
وهو جالس فوق ذروة تل مرتفع حيث يستطيع أن يراقب بوضوح.
كل قواته في البحر وفي البر. فولول بصوت مرتفع،
ومزق ثيابه وهو يبكي، وفي الحال صَرَفَ
جيشه، وحثهم على الفرار بسرعة في غير نظام.
وهكذا يأتيكم هذا بحزن جديد ليختلط مع الأول[1].

---

(١) من الممكن جداً أن تكون هذه السطور (من أول «رأى إكسيركسيس مبلغ الفظاعة.... حتى.... ليختلط مع الأول) زائفة. ومن الجلي أن تحدث في التراجم التالية، لهذه المسرحية إغراءات مستمرة بقصد إمتاع فئة خاصة من المتفرجين. كما يحوط الشك حقيقة الكلام التالي للرسول.

أتوسا : أواه! أية قوة خبيثة تلك التي خدعت آمالنا الفارسية؟
خرج ابني ليذوق حلاوة الانتقام من أثينا،
فوجدها مُرّة. ألـم يكْفِ من ماتوا قبلاً في ماراثون ؟
لم يربح إكسيركسيس لنا الانتقام،
بل جرّ علينا عالماً من الآلام.
ولكن، خبّرني الآن، أية سفن من تلك هربت؟
أين تركتها؟ ألديك أية أخبار معينة؟

الرسول : نشر ربابنة السفن الباقية الأشرعة وفروا في عدم نظام سـريع مـع الـريح المتتبعـة. أما على اليـابسة فقـاست فلول الجيش خسارة مريعة،
وعذبهم الجوع والعطش والتعب. ناضل بعضنا في الوصول أخيراً
إلى فوكيس Phocis والخليج الميلياني Melian،
حيث يتجول سبرخيوس Spercheius خلال السهل الظمآن.
وبعـد ذلك وصلنـا إلى أخايـا Achaea، ثم إلى تسـاليـا،
نصف أموات من افتقارنا إلى الطعام؛ فماتت هناك أعداد كبيرة
من الظمأ والجوع، لأننا قاسينا كليهما. ومن هناك بلغنا ماغنيسيـا Magnesia، ومقدونيا، ومخاضة نهر أكسيوس Axius، ومستنقـع بولبي Bolbe، الزاخر بعيدان الغاب، وجبل بانجايوس Pangaeus في إيدونيا Edonia.
في تلك الليلة، أيقظ أحد الآلهة الشتاء قبل موعده بمدة طويلة؛
فتجمّدَ سطح ستريمون Strymon المقدس. فمَن كانوا من قبل
ملحد، خرّوا رُكّعاً عابدين الأرض والسماء؛
وارتفعت من الجيش كله صلوات عدة.
بعد ذلك ساروا فوق الجليد الصلب.
فالذين بدءوا يعبرون، منا،

قبل أن ترسل الشمس أشعتها المقدسة،
نجوا. ولكن، سرعان ما سطعت أشعتها كاللُّهُب الثاقبة،
فصهرت الجليد في وسط المجرى. فزلَّت أقدامهم مُكْرهة،
وسقط الرجال فوق الرجال في الماء. فمن مات
بسرعة كان أسعد حظّاً. والحفنة التي نجت،
كابدت متاعب جمة، فشقَّت طريقها بصعوبة عبر تراقية
إلى بر الأمان. وأخيراً وصلت إلى أرض الوطن.

وهكذا يحق لمدن فارس أن تحزن على شبانها المفقودين.
ما قلتُه هو الصدق، ومع ذلك فجميع ما رويته ليس سوى جزء
يسير من كل البلاء الذي أرسله الله لتحطيم فارس.

الكوروس : أيا روح الدمار القاتلة، ما أقسى
هجومكِ ووطأكِ الأمة الفارسية كلها!

أتوسا : لقد أُبيد جيشنا وراح. يا للحزن المرير!
أيها الحلم الحي الذي أضاءَ ظلام نومي،
ما أوضح ما حذّرتني من قبل بتلك المصيبة!
وأنتم، أيها المستشارون، ما أخف تفسيركم!
ومع ذلك، فبما أنكم نصحتموني بالصلاة، فقد نويتُ أولاً: أن أنادي آلهة السماء، ثم أُعِدُّ في بيتي دقيقاً وزيتاً وعسلاً، ثم أعود فأقدمها هدية للأرض وللموتى.
أعلمُ أن ما حدث، حدث؛ ورغم هذا، فسأقدم ذبيحة أملاً في أن يأتي الزمن بقضاء أفضل.
وفي تلك الأثناء، يجب عليكم أن تتشاوروا، فيما يختص بخسارتنا الحاليّة،
مع مستشارين أمناء آخرين؛ فإذا رجع ابني وأنا غائبة،

فهوِّنوا عليه الأمر، وأوصلوه إلى البيت بسلام،
لئلا يعمل اليأس على تراكم حزن فوق حزن.

[تخرج أتوسا مع الخدم والرسول]

الكوروس : يدك، يا زوس، ملكنا، قد مسحت من الوجود
كبرياء الدولة الفارسية الواسعة المتغطرسة
ولفَّتْ شوارع صوصة[1]
في ضباب من الحِداد الكئيب
فترى الآن نساء عديدات، مشتركات في حزن واحد،
يشققن الخمار نصفين بأيدٍ رخصة بيضاء،
ويبللن صدورهن المطوية
بدموع دافقة كالأنهار؛
وتخرج العرائس الحديثات الزواج من فُرُشهن الحريرية
من الشباب والمتعة والترف الناعم،
يعولن بتأوهات رقيقة
من أجل سادتهن المنتزَعين منهن،
بينما يأكل الألمُ الشديدُ القلبَ كأنه الجوع.
ننضم نحن إلى هؤلاء في الحِداد
على مصير أولئك الراحلين.
اسمعوا هذه الأنَّةَ المُتَّهِمة التي ترتفع الآن
من كل أرض آسيوية تجردت من الرجال:
مَن قادهم إلى هناك، غير إكسيركسيس؟
مَن خَتَمَ بالموافقة على موتهم، غير إكسيركسيس؟
خطأ مَن، ذلك الذي أرسل كل رجالنا في السفن بحراً،
وفقدنا الجميع، ما عدا إكسيركسيس ؟

(١) في النسخة الإغريقية، صوصة وأكباتانا.

ابن داريوس، الذي لا يُقهر
قائد النبالين الفارسيين
المحبوب من جميع شعبه!

وضع رجال البر، ورجال البحر ثقتهم
في مراكب ذات أجنحة من القماش وعيون في زُرقة البحر،
وحَمَلتهم سفن من الوطن،
وأخيراً أهلكتهم سفن -
سفن يديرها الأيونيون، في مقدمها الموت
وهرب الملك نفسه
في رحلات شتوية شاقة
ناجياً بحياته عبر سهول تراقية.

وأولئك الذين كانوا أول من ماتوا،
تُركوا هناك، الآن قسراً عاجزين،
وجُرفوا على طول الشاطيء الكوخرياني[1] Cychrean .
ارفعوا أحزانكم عالية إلى السماء، وابكوا
بألم مرير، وتأنيب ضمير عديم الجدوى،
إلى أن يكلَّ القلب، ويمرض اللحم.

هناك ترقد تلك الصورة المحبوبة كثيراً،
محصورة بحركة جَزْر التيارات المائية،
فتولم عليها أسراب عديمة الصوت،
أولاد المحيط الطاهر.
هنا، يبكي كل بيت رجلاً،
وينوح الآباء الذين ثكلوا أبناءهم

(١) أي الشاطيء الإغريقي.

فالمتاعب التي أرسلتها الآلهة
تُنهي بالحزن حياتهم الطويلة المدى.

ما عادت الأمة الآسيوية، من الشرق إلى الغرب،
تابعة لسلطاننا الفارسيّ ؛
ولا عندما يجبرها الملك
أن تدفع الجزية، ولا تضع وجوهها في الأرض
خضوعاً، لأن القوة الملكية
قد ضاعت واختفت منذ هذه الساعة.

ما عاد الخوف يُلجم الكلام ؛
وسيثرثر اللسان العادي بغير ضابط ،
في حرية، لأن نير الحكومة
يرقد نكسوراً على الشاطيء الدامي
وفي حقول سالاميس التي تُخفي
خرائب عزّتنا الفارسية.

[تدخل أتوسا وحدها]

أتوسا : أيها الأصدقاء الأعزاء، ويا من عرفتم معنى الآلام، اعلموا هذا:
عندما تهجم علينا أمواج المتاعب، فكل حادث جديد
يملؤنا فزعاً، ولكن عندما تهبُّ ريح الحظ رقيقة
نفكر في التمتع بنفس الطقس اللطيف طول حياتنا.
والآن، إذ تنتابني المخاوف، أرى غضب السماء في كل تهديد ؛
وترنُّ في أذنيَّ نغمات لا تحوي أية تعويذات شافية ؛
لقد صدمَتْ هذه الأخبار المحزنة عقلي صدمة فظيعة.
لذا جئتُ على قدميَّ وبغير خدم
عائدة من القصر، ومعي الهدايا التكفيرية

لوالد ابني، كيْ تلطف الأرواح الراحلة:
جئتُ باللبن، الحلو والأبيض، من بقرة عديمة
البقع؛ وبإبريق
العسل المُحَلًّى برحيق الأزهار، وبالماء الرقراق، المأخوذ
من ينابيع بِكْر؛ ومن الحقول، هذه الجرعة غير الممزوجة،
تلك الروح المسرعة لوالدتها الكرمة العتيقة،
وهنا أيضاً، الزيت الطيب الرائحة،
المأخوذ من الزيتون الزاهي، الذي
يـزدهر في الأشجـار الدائمـة الخضرة، وأخيـراً هـذه
الأكـاليـل، المضفورة بالأزهار،
أطفال الأرض منتجة الجميع.

لذا، ساعدوني يا أصدقائي، في تقديم هذه السكيبة للموتى؛
وبتراتيل الخشوع، استدعوا داريوس من قبره،
بينما أقوم أنا، تكريماً للآلهة التي تحكم في العالم السفلي،
بسكب هذه الهدايا لتهبط في الأرض الظمأى.

الكوروس : ليكن واجبكِ، أيتها السيدة الملكية، مرهوبة فارس،
أن تصبي سكيبة النبيذ في الأرْض ذات القصور؛
بينما نستدعي نحن بالأناشيد
مرشدي أرواح الموتى، للصالح.

اسمع، يا ملك الظلال، وأنتم يا جميع القوات السفلى،
هيرميس، والأرض: أرسلوا هذه الروح إلى النور؛
لأن داريوس وحده،
قد يعرف، بما فوق حكمتنا،
علاجاً ما، يُرينا كيف ننقذ أرضنا.

وهل ملكنا المبارك، الشبيه بالآلهة، يسمع الآنَ

توسُّلنا القوي المنشود
بنغمات متغيرة من نغمات الألم والخوف
باللغة الفارسية الصعبة؟
أو هل يلزم أن نجعل أحزاننا الصارخة تدوي
لتخترق الأرض غير المكترثة
وتوقظ أذن داريوس؟

اسمعوا، يا جميع القوى السفلى، والأرض:
امنحوا ذلك الرأس الشبيه بالآلهة
الذي ولدته صوصة
ذلك الروح العظيم، أن يصعد؛
أرسلوه من الأعماق حيث يرقد الآن،
الذي لا يرقد مثيله بين الموتى الفارسيين.

لقد أحببنا داريوس حُبّاً جمّاً(١)
ونُعزّ قبره أيما إعزاز
حيث يرقد قلبه الآن مُخَبّأً،
الذي كانت أفكاره عزيزة لدينا.
أطلقوه، أيدرونيوس Aidreneus!
أرسلوا ملكنا الشبيه بالآلهة!
اسمع، يا أيدرونيوس المرهوب!
لم يحدث قط للملك داريوس
أن تأثر بحماقة الحرب الجشعة
فأرسل أرواحاً لا تحصى إلى الجحيم.
كنا نسميه « حكمة الله »؛

(١) سمى داريوس، عدة مرات، في هذه المفاجأة، بصورة اسمه الأخرى، وهي داريانية Darean.

وكانت تقوده حكمة الله،
فقاد شعبه بحكمة.

يا ملك الأيام الماضية، يا سلطاننا![1] تعال، واظهر!
قف فوق أعلى صخرة على قبرك، يا ملك ملكنا،
مرتدياً الزيَّ الملكي، الذي اعتدتَ أن تلبسه،
الحذاء الزعفراني، شعار الملكية!
اسمع يا داريوس، يا أبانا وحافظنا،
قصتنا ذات الآلام غير المنتهية والصعبة التسمية!
ينزل الظلام والفزع بأجنحة ستوجية Stygian:
شباننا - قبض عليهم الموت وازدردهم.
اسمع يا داريوس - يا أبانا وسيدنا وحافظنا!

أيها الملك، الذي نبكي على فقده بمحبة وبدموع[2]
سفننا ذات السطوح الثلاثة، لم تعُدْ سفناً، أبداً، أبداً!

[يصعد شبح داريوس]

داريوس : يا شيوخ فارس، يا من كنتم، فيما مضى، شباناً معي،
يا أعظم الناصحين إخلاصاً، أي عمل يشغل بال حكومتنا؟
لماذا تشققت الأرض المتأوهة وجُرحت؟ أرى
زوجتي تزور قبري، ويأمرني الخوف بقبول،
سكائبها بسرور. كذلك أراكم على قبري
تبكون بطلبات مُلِحّة وبألم شديد حاد،
تستدعون روحي الراحلة. لذلك رغم أن الصعود

---

(١) الكلمة المستعملة هي Balen، وهي كلمة فروجية بمعنى ملك.
(٢) توجد بعد هذا السطر عدة سطور محرفة بطريقة لا يُجدي فيها الإصلاح.

من هاديس[1] Hades ليس بالرحلة السهلة، وقوات
الأرض على استعداد لتتسلم أكثر منها لتسمح بالذهاب
إلا أنني لما كُنتُ أحظى بالعظمة بينهم، أتيتُ.
تكلموا بسرعة، حتى لا أتأخر أكثر من المهلة المحددة لي
أيُّ عبء مفاجيء من الأزمات يثقل كاهل فارس الآن؟

الكوروس : يُحرِّم علينا الاحترام، أن ننظر إلى وجهك ؛
كما يمنعنا الاحترام من التكلم في حضرتك؛
إننا نرهب جلالتك الآن كما كنا نرهبك من قبل.

داريوس : ومع ذلك، فبما أن تضرعاتكم قد استدعتني من تحت الأرض،
إطرحوا عنكم رهبتكم للعظمة، وقصوا حكايتكم غير مطولة،
أوجزوا وأخبروني بما تريدون أن تقولوا.

الكوروس : من أجل الاحترام لا نجرؤ على تلبية ما تريد ؛
ومن أجل الاحترام، لا نجرؤ على الكلام أمامك؛
ومن أجل الإخلاص، لن نتكلم لئلا نحزنك.

داريوس : إذن، فبما أن الخوف الماضي يمنع مستشاريَّ،
تكلمي، أيتها الملكة أتوسا، يا شريكة فراشي الملكية؛
كُفِّي عن هذا النحيب والعبرات، وكوني بسيطة.
فالحزن من نصيب الرجال،
ويجب عليهم أن يتحملوه. تأتي الأحزان من البحر ومن البر؛
وتتضاعف شرور البشر مع تقدم السنين الفانية.

أتوسا : لا شك في أن سعادتك تفوق سعادة سائر البشر:
كنتَ مباركاً في حياتك ـ أنت الذي بينما كنتَ ترى الشمس،
عشتَ سنين طويلة لا تشوبها شائبة، كإله فارس المحسود؛

---

(١) الجحيم.

وإنك لمحسود الآن في الموت الذي لم يؤلمك
برؤية هاوية الدمار. إذن فاسمع كل شيء باختصار:
لقد وُضع اسم فارس العظيم وإمبراطوريتها في التراب.

داريوس : وكيف كان ذلك؟ هل بضربة وباء؟ أو بحرب أهلية؟

أتوسا : كلَّا، لا بهذا ولا بتلك، وإنما هلك كل جيشنا قرب أثينا.

داريوس : أخبريني ، مَن من أبنائي ذهب بحملته بعيداً هكذا؟

أتوسا : إنه إكسيركسيس، الذي خلت آسيا من رجالها بتهوره.

داريوس : يا له من أحمق مسكين! وهل حاول ذلك في البر، أو في البحر؟

أتوسا : في كليهما؛ تقدم في جبهتين، ليضاعف من شدة الحرب.

داريوس : كيف أمكنه عبور البحر بمثل هذه القوات البرية الضخمة؟

أتوسا : وضع سلسلة من السفن في الهلليسبونت Hellespont، ليصنع طريقاً.

داريوس : هذا عمل ضخم! فهل سدَّ البوسفور العظيم؟

أتوسا : نعم، فعل هذا. لا شك في أن إلَهاً ما قد ساعده في تنفيذ خطته.

داريوس : إلَهٌ ما؟ أخشى أن تكون قوة ذلك الرب سلبت إكسيركسيس عقله.

أتوسا : من الواضح جداً أن الأمر كذلك، انظر إلى الدمار الذي سببه.

داريوس : ماذا حدث لجيوشه، التي تبكين عليها؟

أتوسا : حلت بالأسطول كارثة دمرت قوته البرية.

داريوس : دمرت؟ هل قُتل كل جيشنا لآخر رجل؟

أتوسا : هذه هي المصيبة التي تحزن بسببها صوصة.

داريوس : يُفقد جيش نبيل، كان ضمان أرضنا!

أتوسا : وكل بكتريّ، ذهبت جميع زهرة شبابهم.

داريوس : أتّعِسْ به من ابن، أن يفقد مثل هذه القوة المتحالفة العظيمة!

أتوسا : سمعنا أن إكسيركسيس وحده، مع قليل من الأتباع -

داريوس : أيُّ مصير قابل، في النهاية؟ أهو حي؟

أتوسا : وصل أخيراً، فرحانَ بعد يأس، إلى الجسر الموصل بين القارتين -

داريوس : هل وصل سالماً إلى الأرض الآسيوية؟

أتوسا : سالماً، ما في ذلك شك، فالرسالة تشهد بحياته.

داريوس : ما أسرع ما تمتّ النبوءة القديمة!
ضرب زوس، في خلال جيل واحد، فوقعت
على ابني فحْوَى تلك الإيماءات التي كنتُ
أثق بأن الآلهة سترجئها عدة سنوات.
ولكن السماء تلعب دورها، سواء بالخير أو بالشر، في حياة الإنسان الخاصة.
إذن، فقد فُتح لبيتي كله الآن ينبوع من الأحزان لا ينضب معينه:
وكان ابني، بتهور الشباب،
وبغير أن يعلم طرق الآلهة ، السبب في كل هذا .
كان يأمل في أن يوقف ذلك المجرى المقدس، البوسفور،
ويقيد الهيلليسبونت بالأغلال كما يُقَيَّد العبد؛
يريد أن يغير مسير الطبيعة، ويحوِّل البحر إلى أرض يابسة، ويقيد مضيقاً بالحديد، ليعد طريقاً لجنوده .
ظن في حماقته البشرية أنه سيتغلب

على الآلهة الخالدة، حتى بوسايدون[1] Poseidon نفسه،
ألم يكن هذا جنوناً استولى عليه؟
والآن، أخشى أن تقع ثروتي التي ربحتها بكل عناء،
فريسة لأول ناهب.

: تعلَّمَ إكسيركسيس الطائش الحماقة من صحبة المجانين.
أخبروه بأنك، والده، قد ربحتَ بسيفك
ذهباً أثرى به أولادك؛ بينما هو كشخص جبان،
لم يربح مزيداً، وقام بدور المحارب في وطنه.
فوضع خطة هذه الحملة على هيلاس، هذه الأسلحة
الشاسعة الامتداد،
ضاعت بالتقريعات المستمرة لمثل أولئك الرجال الأشرار.

داريوس : إذن، فهذه الكارثة، التي لا تُنسى، والكاملة،
والتي لا تقاس، لم يحدث قط أن جعل مثلها أرضنا الفارسية
بلقعاً، منذ أن أصدر زوس هذا الأمر، أولاً،
أن رجلاً واحداً، قابضاً على زمام العرش والصولجان،
يجب أن يكون
سيد كل مراعي آسيا المستوية. فجاء ميدوس Medus أولاً،
وقاد هذه الأمة، ثم ابنه، الذي سيطرت حكمته على إرادته،
وقام بمنصب الملك. وكان قورش Cyrus المحظوظ ثالث ملك؛
ذلك الذي، بينما كان يحكم، بارك الأرض بالسلام.
فأضاف إلى إمبراطوريته لوديا Lydia وفروجيا Phrygia؛
وأخضع أيونيا بالقوة، ولم يُثر
أيَّ غضب للآلهة، لأن قلبه كان حكيماً.

---

(١) إله البحر.

والرابع بعد ذلك هو ابن قورش، الذي حكم البلاد.
والخامس ماردوس Mardus ، الذي جلب العار
على مملكته وعلى العرش القديم ؛
بيد أن أرتافيرنيس Artaphernes الشجاع وأصدقاءه تآمروا عليه
وقتلوه في قصره. وأخيراً نِلتُ أنا ذلك المركز
الذي كنتُ أصبو إليه. وكان لديَّ كثير من الجيوش،
وقدتُ عدة حملات ،
ولكني لم أُنزل ببلدي ضربة كهذه.
إكسيركسيس ابني صغير، وعقله شاب،
نسي جميع تعليماتي. تأكدوا من هذا
يا مستشاريَّ: انظروا تجدوا أن جميعنا
نحن الملوك الفـارسيين مجتمعين،
لم نسبب لبلادنا مثل هذا الضرر.

الكوروس : إذن، أيها الملك داريوس، أية نتيجة تفيد
من جميع ما قلتَ؟ كيف، بعد هذه النكسة،
نعمل نحن وفارس، لخير صالحها؟

داريوس : لا تتخذوا أي عمل. حتى ولو كانت قـوة فارس ضعف
مـا كانت عليه،
لا تستخدموا أية أسلحة ضد أرض هيلينية.
لن تستطيعوا النصر؛ والأرض نفسها ستقاتل إلى جانبهم.

الكوروس : تقاتل إلى جانبهم؟ وكيف؟

داريوس : إنها أرض جرداء وتقتل
بالقحط أية قوة تربو على الحجم المتوسط .

الكوروس : ولكننا سنرسل قوة مختارة، مزودة بسهولة .

داريوس : ولا حتى تلك القوات التي بقيت في هيلاس
ستعود سالمة إلى الوطن.

الكوروس : ماذا؟ ألا يعبر كل جيشنا الهيلليسبونت؟

داريوس : سيرجع قليل من الكثير،
إذا كنا نعلم من دليل هذا اليوم، أن نصدق
النبوءة الإلّهية، التي ستتم بكل تأكيد
لآخر حرف فيها. لذلك، كانت الآمال عبثاً، التي
بها ترك إكسيركسيس الآن خيرة رجاله
حيث ينشر الأسوبوس Asopus تياره الثمين ليخصب
السهل البيوتي الجاف، الذي ينتظرونه؛ وهناك أيضاً
ينتظر الدمار والألم غير المعروف الذي يجب أن يقاسوه ـ
الجزاء الوفاق للزهو والوقاحة في حق الآلهة.
فقد ساروا خلال هيلاس، وبغير وازع، حطموا
تماثيل الآلهة، وأحرقوا المعابد، وسَوُّوا بالأرض المذابح والمباني
المقدسة، حتى صارت الآن كوماً واحداً من الأنقاض.
لذلك سيتعادل تدنيسهم لمحارم الآلهة، مع آلامهم.
وسيأتي أكثر من هذا؛ لأن ينبوع ألمهم
لم يجف بعد، وسرعان ما سيتدفق بلاء جديد.
فوق السهل البلاتاياني Plataean، سيسكب
الرمح الدورياني
الدم في تضحيات لا حدود لها، وسيتراكم الموتى فوق الموتى
ليشهدوا لمدة ثلاثة أجيال من الآن
على أن الإنسان فانٍ، ويجب أن يتعلم كبح جماح كبريائه.
لأن الكبرياء ستزهر، وسرعان ما ستغدو ثمرتها الناضجة

إغراء، ومحصولها المرير، الدموع.

انظروا إلى حماقتهم وإلى جزائها، وتذكَّروا
أثينا وهيلاس. ولا يحتقرَنَّ أي رجل،
ما لديه من ثروة، طمعاً في المزيد.
فيضيع ثروته بدون ثمرة، لأن زوس، المتوَّج في الأعالي،
يكبح بقسوة جماح البشر المزهوين والمتغطرسين.
أما بخصوص ابني، فبما أن السماء حذَّرته، كي يكون حكيماً،
فعلِّموه بعقل سليم، وانصحوه
ليكفَّ عن إهانة الرب بالصلف والمحاولات التهورية.

وأنتِ، يا زوجتي العزيزة، عودي إلى البيت، وأحضري ملابس جميلة، واذهبي لمقابلته، فالثياب التي يرتديها، عبارة عن أسمال ممزقة. بقايا ثياب ملكية فاخرة.
تمزقت إبان ألمه الشديد ـ هي كل ما ترك الحزن له.
تحدَّثي إليه في رفق، لأنني أعرف أن صوتكِ وحده،
سيمتلكه ويهدىء من روعه.

والآن يجب أن أعود إلى الظلام السفلي،
وداعاً، أيها المستشارون!
ولتتذوق روحكم مسرات كل يوم، على الرغم من الأحزان؛
فلا فائدة للموتى من كل كثرة.

[يخرج شبح داريوس]

الكوروس : ما أمرَّ أن نسمع عن الآلام الكثيرة
التي أصابت الآن الجيش الفارسي، والتي لا تزال تنتظره!

أتوسا : أيا يد الله! إن قلبي مريض بعدة الأحزان؛
بيد أنه ما من حزن أشد من هذا،

أن أسمع مبلغ تعاسة ابني في ثيابه، مم يُخلُّ بشرفه ،
سأذهب
وأحضر ثياباً من القصر وأُعِدُّ قلبي
لمقابلته، ولن أتخلى عنه في ساعة الحاجة.

[تخرج أتوسا]

الكوروس : عندما كان ملكنا الطيب داريوس، المسن والعظيم القوة،
والذي لا يُقهر، يحكم على فارس كإله،
زَيَّنت العظمة والثروة مدينتنا،
وكسبت لنا جيوشنا شهرة في عيون العالم،
فكانت قوانيننا حصناً يحمي الحكومة ويرشدها؛
وعاد رجالنا من القتال بدون خسائر، وبغير تعب،
منتصرين لأوطانهم.
فكم من مدينة استولى عليها دون أن يعبر
نهر هالوس Halys أو يغادر أرض وطنه!
فالمناطق القريبة من مصب نهر ستروموند، والمساكن التراقية
وكثير من ولايات الجزر، والمدن البرية
المحوطة بالأحجار، تعترف به سيداً؛
وكانت المدن المطلة على الهيلليسبونت بفخر،
وبروبونتيس Propontis القصية، ومصب النهر الشمالي؛
والجزر المحاذية للأرض التي يبللها البحر
على شاطئنا الغربي - ساموس، بستان الزيتون،
ولسبوس Lesbos وخيوس Chios وباروس Paros،
وموكونوس Myconos ، من ممتلكاته ،
وكذلك ناكسوس Naxos وأندروس Andros الواقعة بقرب
تينوس Tenos .

كما حكم داريوس، فضلاً عن هذه، على الجزر الداخلة في
البحر الواقعة في منتصف المسافة بين أوروبا وآسيا: ليمنوس،
وإيكاروس Icaros، ورودس Rhodes، وكنيدوس Cnidos،
والمدن الكوبرية بافوس Paphos وصولي Soli وسالاميس اللعينة
ذات الاسم المرهوب، سبب كل دموعنا.

وله في أيونيا أيضاً، تلك المدن الهيلينية الغنية والآهلة بالسكان.
فقد حكم داريوس بحسب رغبته؛
وكانت تتحرك بكلمته قوة من المحاربين لا تعرف الكلال،
هي خليط من كل جنس.
أما الآن، فقد أعلن الرب مشيئته، وعَكَسَ حظنا:
فحطَّمَنا البحر والحرب وهزمانا.
[يدخل إكسيركسيس، ممزَّق الثياب، يتبعه جنديان أو ثلاثة جنود]

إكسيركسيس: ابكوا من أجل المصير المميت الذي ألقاه القَدَر
عليَّ دون أن أراه. كم هي مريرة لعشيرتي
ضربات مقت السماء الوحشي!
إلى أين أذهب لأُخفي رأسي؟
لقد فقدتْ أعضائي المرتجفة فائدتها
عند رؤية أولئك الرجال الحازمين. أواه، يا زوس!
ها قد لفَّني الموت مع الموتى!

الكوروس : واأسفاه، على اسم فارس المبجل!
واأسفاه، على كل ذلك الجيش النبيل،
زهرة الرجولة، وفخر آسيا،
الذي حكمت عليه الآلهة بالعار المميت!
إن أرضنا لتنوح على الرجال الذين ولدتهم،

الذين قتلهم إكسيركسيس، الذي أَطعم
فكُي الجحيم الجائعين بموتى فارسيين ؛
سادة القوس، وفخر مملكتهم،
ساروا في الطريق القاتم وماتوا؛
غاب ألف ألف من الوجود.
واأسفاه، واأسفاه، يا سيد مملكتنا!
تلك القوة التي وضعنا فيها ثقتنا،
تضعضعت أمام السيف الهيليني،
فأحنت الركبة وعضت الثرى.

إكسيركسيس: انظروا إليَّ، أنا موضوع الحزن،
الطريد المقيت والمأسوف عليه،
المولود لأحطم عشيرتي.

الكوروس : إنا لنرحب بعودتك
بموسيقى غير محبوبة،
وبحداد شرقيّ،
وبوجه مقنَّع دامع.

إكسيركسيس: انشدوا عالياً أناشيد النحيب
ذات النغمات المحزنة غير المنسجمة؛
فقد هجرني الحظ والسرور
وحلَّ محلهما الحزن.

الكوروس : احتراماً لألمك الممضّ
ولتحطيم أسطولنا،
ننشد أنشودة حزننا

حتى يكلَّ القلب ويُبَحَّ الصوت،
بدموع وأنين يُردِّد صدى
حداد الوطن الأم
على أبنائه الذين ذهبوا إلى الحرب.

إكسيركسيس: حطمتْنا أيونيا،
القوية في سفنها الحربية المعدنية؛
غير أن أريس[1] Ares ساعدها أكثر من السفن
في حصد المحصول الدموي
لذلك الشاطيء المنكود الحظ.

الكوروس : تعال، نسألك عن القصة كلها
أين المحاربون الشجعان
الذين كانوا يقفون إلى يمينك؟
صوصاس Susas، وفارانداكيس Pharandaces،
وأجدابـاتيس Agdabates وبسـاميس Psammis،
ودوتـاميس Dotames وسوسيسكانيس Susiscanes ،
سادة أرضنا العزيزة؟

إكسيركسيس: هناك بجانب شاطيء سالاميس
تركتُهم حيث سقطوا
قتلى من سفنهم، وطفوا
محطَّمين على الصخور المسننة
بقوة البحر الرقيقة.

الكوروس : واأسفـاه! أين فارنـوخوس Pharnuchus، وسـوالكيس Seualkes
وأريومارديوس Ariomardus وكلهم أمراء باسلون؟

(١) هو مارس عند الرومان، أحد آلهة أوليمبوس. وابن زوس وهيرا.

وليـــلايــوس Lilaeus وممْفيس وثــاروبيس
وهوستايخماس Hystaechmas وأرتيمباريس ؟
لماذا تترك حزناً واحداً دون أن تخبرنا به؟

إكسيركسيس: واأسفاه! قرب أثينا المقيتة
رفعوا عيونهم
ورأَوْا أسوارها العتيقة ؛
فكل رجل أبصرها ارتعد،
ونزل إلى الموت يائساً،
وهناك يرقد إلى الأبد.

الكوروس : وخادمك الموثوق به أعظم ثقة
الذي عدَّ كل جيوشك،
ابن باتانوخوس[1] Batanochus، ألپيستـوس Alpistus،
هل هو من المفقودين ؟
أهناك مزيد من الأحزان لفارس؟
أين بارثوس Parthus وأويباريس Oebares العظيم -
هل تركتَهما هناك، تركتهما
وقد حطمتهما الصخور وتقاذفتهما الأمواج ؟

إكسيركسيس: كفى أسئلة معذِّبة ؛
إنكم تمزقون قلبي شوقاً
إلى كل صديق نبيل .

الكوروس : لا يزال هناك آخرون سنسأل عنهم :
إكسانثيس Xanthis، الذي قاد الماردِيين

(١) يقع الضغط عند نطق هذا الاسم على المقطع الثالث.

وذياكسيس Diaexis وأنخاريس Anchares -
لماذا لم يتبع أحدهما
عربة سيده الملكية؟

إكسيركسيس : كانوا جميعاً قادة فارس ؛
ولقوا جميعاً حتفهم.

الكوروس : حتفهم القاسي، غير المسمّى!

إكسيركسيس : انكسرْ يا قلب، وتدفّقي يا دموع، إلى الأبد.

الكوروس : أيا ضربة السماء غير المطلوبة،
الواضحة وضوح الغضب القاسي
المشيرة إلى لمحة إحدى الفوريات!

إكسيركسيس: لن يحلّ دهر
سلاسل هذا البلاء؛

الكوروس : لقد هُزمنا حقاً،

إكسيركسيس: من كان بوسعه أن يتنبأ بمثل هذا الألم؟ فبحّارة الهيلينيين
في يوم نحس فارس
أحضروا سفنهم للقتال،
وانتزعوا منا عزتنا .

إكسيركسيس: أن نفقد مثل هذا الجيش اللجب!

الكوروس : ماتت قوة فارس.

إكسيركسيس: انظروا، هذه الأسمال، بقايا الثياب الملكية التي كنتُ أرتديها؛
وجعبة سهامي هذه -

الكوروس : أهذا كنزك الملكيّ

المُنقَذ من ذلك العتاد الضخم؟

إكسيركسيس: مات جميع مدافعينا.

الكوروس : ورجال أثينا محاربون،
ووحشية هي الأعمال التي قاموا بها.

إكسيركسيس: راقبتُ المعركة في صمت ـ

الكوروس : عندما حُطِّمَت كل سفننا؟

إكسيركسيس: رأيت تلك الفظاعة القاتلة،
وشققتُ ثوبي نصفين.

الكوروس : ماذا بوسعنا أن نقول للتعزية؟

إكسيركسيس: ما من لفظ يمكن أن يعادل ألمي.

الكوروس : إنه حزن مزدوج، بل ومثلث ـ

إكسيركسيس: بينما يبتهج من نكرههم!

الكوروس : لقد شُلّت قوة رجولتنا.

إكسيركسيس: اختفى حرسي المختارون ـ

الكوروس : غرقوا في البحر قاتلهم.

إكسيركسيس: فلتُغرق الدموع كل صوت!
انصرفوا، انصرفوا، إلى بيوتكم.

الكوروس : سننصرف باكين.

إكسيركسيس: ابكوا عالياً،
واقرعوا صدوركم من أجلي.

الكوروس : إنه معروف مُحزن، وطلب مسبب للألم.

إكسيركسيس: انضموا إلى ترنيمتي المحزنة.

الكوروس : أو كتوتوتوتوى Octotototoi!
يا يد القضاء المُبْكية!
أيها الملك، إننا نبكي من أجلك.

إكسيركسيس: اقرعوا صدوركم،
ونوحوا عالياً من أجلي.

الكوروس : انظر إلى دموعي، أيها الملك.

إكسيركسيس: ابكوا عالياً، واقرعوا صدوركم من أجلي.

الكوروس : إنني أفعل هذا برغبة خالصة، يا سيدي.

إكسيركسيس: ابكوا عالياً ونوحوا.

الكوروس : أو كتوتوتوتوى!
تختلط الضربات الجارحة بعويل الحزن.

إكسيركسيس: تعالَوْا، اقرعوا صدوركم، وأنشدوا ترتيلة حزن موسيانية Mysian.

الكوروس : يا للألم، يا للألم!

إكسيركسيس: انزعوا الشعر الأبيض من لحاكُمْ، من أجل خاطري.

الكوروس : ها نحن ننزع الشعر الأبيض من لحانا،
بأصابع ممتدة وبكاء مرير.

إكسيركسيس: ابكوا وولولوا.

الكوروس : إننا نبكي ونولول.

إكسيركسيس: شقوا ثيابكم، مزقوها على أجسادكم.

الكوروس : يا للألم، يا للألم!

إكسيركسيس: وانزعوا شعوركم حزناً على جميع الجيش الميت.

الكوروس : ها نحن ننزع الشعر الأبيض من رؤوسنا،
بأصابع ممتدة وبكاء مرير .

إكسيركسيس: املئوا عيونكم بالعبرات.

الكوروس : عيوننا مليئة بالدموع.

إكسيركسيس: اقرعوا صدوركم ونوحوا عالياً من أجلي.

الكوروس : واأسفاه، واأسفاه!

إكسيركسيس : انصرفوا إلى بيوتكم وأنتم تبكون .

الكوروس : واأسفاه، واأسفاه!

إكسيركسيس: ليملأ البكاء المدينة .

الكوروس : واأسفاه، واأسفاه!

إكسيركسيس: ابكوا وأنتم ذاهبون بخطوات رزينة.

الكوروس : كل خطوة تتذكر
الأرض الفارسية التي جُلِّلت بالعار.

إكسيركسيس: واأسفاه على الرجال الذين هلكوا.
في سفننا الحربية ذات السطوح الثلاثة!

الكوروس : هيّا، الآن، يا مليكنا وسيدنا،
سنرافقك بالدموع
إلى بيتك، إلى قصرك الزاخر بالأحزان.

مسرحية
بروميثيوس المقيد

بروميثيوس المقيد،

مقدمة

«تضم رحمة الآلهة المتوَّجين، عنصراً من عناصر القوة». هذه العبارة هي أبرز عبارة في مسرحيات أيسخولوس، بسبب صداها في الإنجيل «العهد الجديد». وهي موجودة في الأنشودة العظيمة الأولى من أناشيد الكوروس بمسرحية «أجاممنون»، في نهاية فقرة تبين، في سطور قليلة خالدة، أساس اعتقاد أيسخولوس في «معاملة الله للبشر». فيقول هذا الكاتب المسرحي: يهتم الله بأن يتعلم البشر الحكمة، وحدد لهم طريقها، وهو طريق الآلام. ثم أعطى البشر الحرية في أن يتعلموها أو لا يتعلموها. غير أن حالة التعلم المؤلمة عنيدة لا ترحم، أو أنها بمعنى آخر، تضم عنصرين أو مبدأين، أحدهما قاسٍ والآخر رقيق. وفكرة المسرحية الثالثة من المجموعة الأوريستية، وهي «يومينيديس»، اتفاق هذين المبدأين، اتفاق الانتقام مع العدل، واتفاق القوة مع الملاطفة.

الفكرة في كل من مسرحيتي بروميثيوس والمتضرعات واحدة. وكل من هاتين المسرحيتين هي المسرحية الأولى في مجموعة ثلاثية. وتمثل كلتاهما فعل العنف. أما المسرحيات الأربع المكملة لهما في مجموعتيهما، فمفقودة. غير أن الدليل الموجود لدينا، والذي نستطيع بواسطته التخمين عن محتوياتها، يدل (في حالة المتضرعات على الأقل) على ما يمكن أن ترشدنا مشابهة الأوريستيا إلى ما نتوقعه: ترشدنا إلى أن المسرحية الثانية توضح نتيجة العنف في خلق عنف آخر، بينما تجمع المسرحية الثالثة الطرفين المتعارضين معاً في اتفاق معقول. والمسرحيتان الثانية والثالثة من مجموعة بروميثيوس، هما «تحطيم قيود

بروميثيوس» و «بروميثيوس جالب النار». ومما يؤسف له، أن البقية القليلة الباقية من هذه المسرحيات عبارة عن كسر بسيطة لا يمكن أن تدل، بحالٍ ما، على أية تفاصيل عن الطريقة التي أوضح بها أيسخولوس فكرته. والمسرحيتان المكملتان لمجموعة «المتضرعات» هما «المصريون» و «الدانائيون Danaids». وعادة ما يطلق على هذه المجموعة الثلاثية اسم «المجموعة الدانائية». والاحتمالات هنا أكثر وضوحاً، كما سنرى عما قليل.

توضح «يومينيديس» النزاع بين العنف والعقل كما يتمثلان في أبطال وآلهة العصر الهوميري، ولو أنهما يتصلان بالأحياء من نسل البشر في القرن الخامس قبل الميلاد. ويرجع بنا هذا الشاعر، في «بروميثيوس»، إلى المرحلة الأولى من ذلك النزاع، الذي هو تاريخيًّاً عنصر أول ظهور الآلهة الأوليمبية في بلاد الإغريق، وهو الذي ظنه الأغارقة العصر البدائي الأول لنشأة الإنسان.

لا شك في أن الانتقال من ذلك العالم البدائي إلى العالم المتمدين، ومن حياة القبائل البدوية وسكنى القرى إلى المدن ذات الأسوار وإلى الولايات المنظمة، عملية إدراك مجرد حدثت تدريجياً، وانتشرت بغير نظام في عدة ممالك وفي مناطق واسعة من المعمورة. ولا بد أن الأفراد الذين شاهدوا مثل هذا التغير، قد نسبوه إلى حادث فجائي، أو إلى حادث تذكاري ـ قد يكون غَزْواً أو حصاراً أو مذبحة أو هجرة. ولهذه المرحلة من النظام الاجتماعي الإغريقي نظير أسطوري في قصة التغير العنيف في الأسرات لدى الآلهة.

كان كرونوس، في الحقبة البدائية، سيد جميع الآلهة. وقد خُلق الجنس البشري إبان ذلك الوقت. بيد أن الآلهة اعتبرت خلق البشر إخفاقاً يؤسف له، وظل البشر في حالة بؤس وإهمال تام من جانب الآلهة. كانت القوة تحكم كل شيء، ولم يُعرف العقل ولا الحق. كان التيتان[1] Titans، الذين هم أبناء

---

(١) آلهة قديمة في الأساطير الإغريقية حكموا العالم قبل زوس وآلهة أوليمبوس. كانوا في بداية الأمر يعتبرون أبناء أورانوس (السماء) وجيا (الأرض).

الأرض المنحـدرون من الآلهة، قـوماً ضخـام الأحجام والقـوة، ومجـردين من الذكاء. وظلوا كذلك إلى أن ظهر من بينهم بروميثيوس، وكان ذا عقل وأخلاق حميـدة، تضم كثيراً من السجـايا، من الـدهاء والعبقـرية، إلى محبـة الحريـة والعدل. أما إدراك أن الطبيعة تقع في مثل هذه المبادىء غير الملموسـة وليس في القوة الغاشمة، فكان سرّاً خاصاً بالأرض أفضت بـه إلى ابنها بـروميثيوس. (كـان الأغارقـة، في جميع العصـور، يعتقدون أن الأرض هي المصـدر الأول للمعـرفة والتنبؤ). جعلت هـذه الحقيقة بـروميثيوس يقف إلى جـانب زوس بن كرونوس في تمرده ضد أبيه وضد الأسرة العتيقة. وبمساعدة بروميثيوس أحـرز الآلهة الأوليمبيون، ومن بينهم زوس، النصر في معركة ذلك اليوم. ومنذ ذلـك الوقت، حكم الآلهة الدنيا ومن فيها.

أمـا بروميثيـوس فلم يكن خالـداً فحسب، بل وكـان ابن الأرض أيضاً، ولـذلـك أحس بعـطف نحـو سكـان الأرض من البشـر الفـانين. وهكـذا رأى بروميثيوس في الجنس البشري، الذي احتقره زوس وكان ينوي إبادتـه، جنساً جـديـراً بـالنمو المستمـر. فسرق نـاراً من السماء وأعـطاهـا للبشـر. وعلّمهم المهارات الأساسية، سواء أكانت مهارات ذهنية أو يدوية. وهكذا، أحبط بعمله هذا خطة زوس التي أراد بها خلق جنس آخر أكثر كمالاً من الجنس البشري. ولذا، عندما يصوره أيسخولوس (أي بروميثيوس) وهو يُعاقَب على سوء الإدراك وسوء التصرف هذين، فإن القاريء أو المتفرج إذ يحكم بين الخصمين، يجد كفتي الميزان متزنتين تمام الاتزان. وما يجعلنا نميل كثيراً إلى بـروميثيوس هـو إيمانه بالجنس البشري ورغبته في مساعدته بالحالة التي هو عليها، سواء أكانت حياته زاخرة بالأعمـال النبيلة أو مليئة بـالبؤس المؤسف، موقـراً كُلًّا من الـطيبة والشرور. فمهما كانت الفضيلة نادرة في الجنس البشري، فإنها على الأقل بالغة القيمة. ولكن رغم اتزان كفة الشعور بالعطف على بروميثيوس، فـإننا نـرى أن الكوروس نفسه، وهو الميال إليـه، يلومه على كبـريائـه. ومن الجلي أن قضية زوس لا تزال واجبة التقديم.

كان من الواجب أن يحدث هذا في مسرحية «تحطيم قيود بروميثيوس». (والحقيقة أنه يندر أن نجد مادة باقية بعد ذلك للمسرحية الثالثة). ولا شك في أن زوس نفسه، في نهاية مجموعة المسرحيات الثلاث هذه، قد هجر استخدام القوة، ودخل في مفاوضات مع بروميثيوس الذي أخبره بالنبوءة الخاصة بحورية البحر ثيتيس[1] Thetis، حتى إن هرقل أطلق سراح بروميثيوس بأمر من زوس. وربما كان ذلك بأن قتل النسر أولاً بقوسه، حتى تَمَنَّى القنطور خيرون[2] Centaur Chiron أن يموت في آلام الجرح الذي أصابه به هرقل (انظر الحاشية المذكورة بآخر هذه المسرحية). فسُمح له بأن يفقد خلوده وأن يهبط إلى هاديس. وهكذا قاسى نفس آلام بروميثيوس تحقيقاً للنبوءة (انظر الجزء الأخير من هذه المسرحية). وقد اعترفت التسوية النهائية بالسيادة لزوس، وبحق الجنس البشري في الوجود وفي النمو، وبتفوق العقل على العنف.

أطول منظر في هذه المسرحية هو المنظر الذي تقوم فيه إيو Io، الفتاة العذراء ابنة إناخوس Inachus ، ملك Argos ، بزيارة بروميثيوس والفوز بعطفه كزميل من ضحايا طغيان زوس. يضم هذا المنظر أكثر من ٣٠٠ سطر في منتصف الفعل الدرامي. ويتناول جزءٌ كبير منه وصف الرحلات الخطرة التي كُتب على إيو أن تقوم بها، قبل أن تصير في النهاية عروس زوس. لقد عاش أيسخولوس في عصر انتشر فيه الرحلات والارتياد، ومن الطبيعي أن تكون كتابته، مثل كتابة شكسبير، مرآة لولع مواطنيه الشديد بقصص المناطق النائية والقبائل الغريبة. كما استخدمت قصة إيو أيضاً، كإشارة، حتى في هذه المرحلة المبكرة من مراحل الدراما، إلى أن هناك ناحية أخرى في أخلاق زوس،

---

(١) ابنة ثيريوس ودوريس. ربة البحر، قامت هيرا بتربيتها وتزوجت بيليوس الذي كان بشراً، وصارت والدة أخيل العتيد.

(٢) ابن كرونوس وفيلوريا. كان قنطوراً يشتهر بحكمته وعدالته ومهارته في كثير من الفنون التي علمه إياها أبولو وأرتيميس.

سيتكفل الزمن بإظهارها. وما إن تصل إيو إلى مصر حتى يقول پروميثيوس:

هنـا أخيراً سيعيـد زوس إليكِ عقلكِ ويـأتي

إليكِ بلمسـة رقيقـة، وليس بفزع.

ولسنا نعرف بصفة أكيدة ما إذا كانت نهاية آلام إيو قد تناولها الشاعر في المسرحيتين الأخريين؛ فهذا متروك للحدس، وليس لدينا أي دليل عليـه. غير أنه من الجلي أن بطل مسرحية «تحطيم قيود پروميثيوس» هو هرقـل، كما أنهـا تضم نزول إيو، التي نافست شهرتها شهرة پروميثيوس في الإحسان إلى البشر.

لما كان أساس جميع الفعل الدرامي في مسـرحية «المتضـرعات»، هـو قصـة إيو، صـار لزامـاً علينا إذن أن نحكيهـا كاملة: فـإذا كانت إيـو ابنـة ملك أرجوس، صارت كاهنة بمعبد هيرا، الربة الحامية لتلك المدينة. فأبصرها زوس هناك ورغب فيها. ولما كانت هيـرا، في هذه المسـألة بـالذات عـالمة بـرباط الزواج قبل عقده، فقد استخدمت منتهى الدقة في الخطوات التي اتخذتها لمنع ذلك الزواج، فحولت إيو إلى بقرة، ثم أقامت عليها حارساً خالداً هو العمـلاق أرجوس Argus (ومعناه «الحاد العين») ليراقبها ليل نهار. فأمـر زوس هيرميس بأن يقتل أرجوس. وعند ذلك أرسلت هيرا ذبـابة من ذبـاب الماشيـة لتجنّ إيو بلدغاتها وتجعلها تهيم على وجهها من مملكة إلى أخرى من شدة العذاب. وعلى الرغم من غرابة صورة الآلام الطويلة التي عانتها إيو البريئة، فهي تخلق عاطفة عميقة خاصة، وتعطي إيو أهمية فذّة بين أمهات أولاد زوس. وأخيراً وصلت إيو إلى مصر عن طريق تراقية، والبوسفور، وآسيـا الصغرى، وفينيقيـة. وفي مصر انقطعت قسوة هيرا فلم تطارد إيو بعد ذلك، وتركها الجنون الذي سببته لها ذبابة الماشية، واستعادت كامل صورتها البشريـة أو جزءاً منهـا، رغم اختلاف شتى روايات الأسطورة في هذا الموضوع. وهناك أيضاً زارها زوس، الذي قرر القَدَر أن يتم حبه لها. فصارت حبلى بواسطة أنفاس خيـاشيمه ولمسـة يده. وهكـذا

يحيط الغموض مرة أخرى بهذه المضاجعة المُيَئِّسة، وما إذا كانت ذات علاقة بتحول إيو، أو أنه يمكن اعتبارها تعبيراً حسّاساً لإظهار الرقة نحو سيدة معذَّبة. فأنجبت إيو ابناً لزوس، هو إبافوس Epaphos، ومعنى اسمه «لمسة».

من الواضح أن لهذه القصة أهمية عظمى في علم وصف الإنسان، وذات علاقة بالآراء الدينية لقدماء المصريين. بيد أننا نهتم هنا بحلقاتها التالية التي تمد الشاعر بخطة المجموعة الدانائية. عاش إبافوس وذريته على شواطيء نهر النيل حيث احتفظ أخوان من نسله بالأسرة بعد ذلك بثلاثة أجيال. إنهما أيجوبتوس Aegyptus وداناوس Danaus. كان لأيجوبتوس خمسون ولداً، ولداناوس خمسون ابنة. فاعتزم الشبان أن يتزوجوا بنات عمهم. فهربت بنات داناوس (أي الدانايد أو الدانائيات) بإرشاد والدهن، إلى أرجوس، الموطن الأصلي لجدتهن إيو. فتعقبهن أبناء أيجوبتوس. غير أن ملك أرجوس وشعبها منحوهن الحماية وتحدُّوا المصريين. وعند هذه النقطة تنتهي مسرحية «المتضرعات».

يتضح من مجمل الأحداث كما ترويها الأسطورة، أن داناوس أوعز إلى بناته، أخيراً، بالموافقة على الزواج - بيد أن ذلك الاتفاق كان ينطوي على غدر حاك خيوطه داناوس، وأشرف على ضمان تنفيذه. فقد جعل بناته يقسمن اليمين معاً على أن يقتلن أزواجهن جميعاً في ليلة الزفاف. فنفذن جميعاً ما أقسمن عليه ما خلا واحدة تدعى هوبرمنيسترا Hypermnestra، وَجَدَتْ مطالب الحب أقوى من الوفاء بالعهد الذي اتفقت عليه مع شقيقاتها، فاحتفظت بزوجها لونكيوس Lynceus. نرى نحن أن هذه هي أعظم نقطة في المسرحية إمتاعاً. بيد أن التراث القديم لا يتحدث كثيراً عن مغامرات هوبرمنيسترا بعد ذلك، كما فعل في حالة أوريستيس Orestes. فجاءت هذه المسألة من صالح أيسخولوس إذ أعطته الحرية في تكوين مجموعته الثلاثية، ولكننا لا نعرف كيف استغلَّ هذه الحرية، وليس أمامنا إلا أن نخمن بها. وقد بقيت كسرة طويلة من المسرحية الثالثة، أي «الدانائيين». إنها جزء من خطبة ألقتها أفروديتي، تسير هكذا:

السماء المقدسة مفعمة بالرغبة في أن تضطجع مع الأرض. وتستبد بالأرض رغبة ملحة في العثور على زوج. فيسقط المطر من السماء العاشقة، فتحبل به الأرض وتلد للناس علف ماشيتهم وأغنامهم وهدايا ديميتير Demeter. ومن نفس طقوس الزواج المرطبة، تنضج ثمار الأشجار. وأنا السبب في هذه الأشياء.

نستنتج من هذه الخطبة التي تمجد الحب تمجيداً واضحاً، أن الحب هو العنصر الجوهري للحياة في هذا الكون. وأن أفروديتي دافعت عن فعل هويرمنيسترا في الإبقاء على حياة لونكيوس، وحثت الأخوات التسع والأربعين على الموافقة على مشروع الزواج، وكما يُنتظر.قالت في فصول الشتاء التالية، إن الدانائيات وجدن أزواجاً ثبت أن فهمهم الطبيعي على غير أساس، بينما غدا لونكيوس وهويرمنيسترا أسلافاً لملوك أرجوس .

كيف تناول أيسخولوس هذه المادة المثيرة المتمردة؟[1] فنجده أولاً، قد أعطى صفة بارزة في وضوح تام لبطلته الجماعية التي يمثلها كوروس الدانائيات، بينما يميل أولاد أيجوبتوس بطبيعتهم وغريزتهم إلى أسلافهم البرابرة أكثر من ميلهم إلى أسلافهم الإغريق. فيمثلهم مولعين بالإنغماس في اللذات، محبين للعنف والاعتداء. أما الدانائيات فعلى نقيض هؤلاء، متحضرات في آمالهن، ولو أن أفكارهن صارت، تحت ضغط ظرف طارىء، على استعداد لعناق العنف في صورة متهورة منافية للتعاليم الدينية. تأتي بعد ذلك شخصية داناوس الكثير المكر والدهاء، ذي العزيمة الثابتة القوية. فيُعدُّه بعناية، في المسرحية الأولى، لدور سفك الدماء بغير اكتراث، الذي أسنده إليه في المسرحية الثانية. وربما أعده أيضاً لمواجهة القَدَر الذي سيلقاه في المسرحية الثالثة حيث يقاسي الموت جزاء مؤامرته على قتل أبناء أخيه. والأهم

(١) إنني مدين بالأفكار التي تتضمنها هذه الفقرات الثلاث إلى مقالة عنوانها: «مجموعة الدانائيين الثلاثية» للأستاذ R.P. Winnington-Ingram، أعدت لتنشر في مجلة الدراسات الهيلينية.

من كل هذا، أن أيسخولوس يعطي تمثيلاً واضحاً وأكثر مناسبة للمغزى الخُلُقي الجوهري يفوق ما تعطيه الأسطورة نفسها. فتقول الأسطورة إن الدانائيات قد اعتبرن ذلك الزواج محرماً، ويذكر أيسخولوس وجهة النظر هذه في سياق المسرحية. ولكن بما أن أهل أثينا، في عصره، لم يجدوا مانعاً من الزواج بين أبناء الأعمام، فإنه لم يؤكد هذه النقطة، وينقل المتعة إلى ناحية أخرى هي سلوك أبناء أيجوبتوس العدواني، إذ اعتزموا الزواج ببنات عمهم بالقوة. فيقدم العقل والملاطفة هنا، كما في مسرحية «يومينيديس»، على أنهما المبادىء الصحيحة للحياة المتدينة. غير أن هذين مبدءان يجدان من العسير دائماً أن يدافعا عن أنفسهما ضد هجوم العنف. وفي نهاية «المتضرعات»، يعلن منادي المصريين الحرب على أرجوس، ويكون الجيش المصري قد نزل بالفعل إلى أرض أرجوس.

تُسهِّل لنا دراسة نص «المتضرعات» مع كسرة خطبة أفروديتي التي سبق ذكرها، التخمين إجمالاً بما حدث في المسرحيتين الأخريين. ومن المحتمل أن يكون المصريون قد بدءوا بهزيمة جيش أرجوس، وربما كان ذلك بحصار المدينة. ولا بد أن يكون أيسخولوس قد ضمَّنَ هذه المسرحية مفاوضات الزواج وجعل ذروتها مقتل الخمسين عريساً. وربما التمس الخروج من المسرحية عند نهايتها بسير الأزواج إلى حجرات الزواج القاتلة. ويخلق عنف المصريين في المسرحية الأولى عنف ضحاياهم في المسرحية الثانية. وعلى ذا يتبع الاعتداء ضد زوس رب المتضرعين (Zeus Hikesios) اعتداء آخر ضد زوس رب إكرام الضيوف (Zeus Xenios).

لا بد أن تكون المسرحية الثالثة قد بدأت باكتشاف جرائم القتل التسع والأربعين، وإعلان هوبرمنيسترا إبقاءها على حياة زوجها بسبب الحب. هذا موقف ينبغي لدولة أرجوس أن تعالجه، لأن قتل الضيوف يلوث المدينة ويدعو إلى الانتقام، بيد أنه ما من شك في أن داناوس وبناته التسع والأربعين قد اعتبروا هوبرمنيسترا مجرمة وخائنة، كما اعتبروا لونكيوس عدوهم. ولا بد أن

مجلس العشائر في أرجوس قد أصدر قراراً في ذلك، فأدان تحـدي زوس رب المتضرعين، في المسرحية الأولى، ثم رجع فأدان، بكل تأكيد، تحدي زوس رب إكرام الضيوف. غير أنه إذا كان الداناثيون قد أُدينوا على جريمتهم، فماذا عن العطف الذي نشعر به نحوهم في المسرحية الأولى عندما كانوا ضحايا لا حول لهم ولا طول؟ هذه هي المعضلة التي تتطلب التدخل الإلّهي في شخص أفروديتي. ولا نعرف كيف حُلَّت هذه المسألـة. ولكن الحل المعقـول يتضمن الموافقة على الزواج وتطهيرهم من جريمة الدماء (أي الأب وبناته)، كما يصور الاعتقاد بأن زوس يخلط القوة بالإحسان في تعليم البشر طريق الحياة القويم.

قبل أن نترك مسرحية «المتضرعات» نرى لزاماً علينا أن نذكر بضـع نقط بسيـطة: «أولاً، عدد أفـراد الكورس. تقـول الأسطورة إن هنـاك خمسين فتاة داناثية. فإذا كان في الكوروس خمسون فتـاة، فلا بـد أنه كان معهن خمسـون خادمة في ذلك الكوروس للقيام على خدمتهن. كما أن عدد الجنود الذين جاءوا مع الرسول المصري، لا يمكن بحالٍ ما أن يقل عن العشرين. وهذا يعني أن الملك بلاسجوس Plasgus لا بد أن جاء بحرس من ثلاثين رجـلاً على الأقل، إذا كان له أن يظهر بأنه تغلَّب بسهولة على المصريين. كما أن حـرس داناوس لا بد أنه كان كبيراً حتى لا يبدو أقل من حرس ذلك الملك. إذن فمن الممكن جداً أن الشاعر كان يقصد وجود حشد ضخم كهذا، ولو أن ذلك يبدو مناسباً في نهاية المجموعة الثلاثية (كما في «يومينيديس») أكثر منه في بدايتها. ومن المؤكد أنه عندما بدأت التراجيديا في أول عهدها، كان الكـوروس يتألف من خمسين عضواً، ثم نقص هذا العـدد إلى اثني عشر في تـاريخ غيـر معروف، كمـا في مسرحية «أجاممنون». كان ذلك بسبب الاعتقاد أن مسرحية «المتضرعات» كانت عمـلاً مبكراً جـداً. وإذا كان تـاريخهـا هـو عـام ٤٦٣ ق. م. أو حـوالي هـذا التاريخ، بدا من غير المعقول أن نتمسك بعدد أفراد الكوروس.

ومهما كان عدد أعضاء الكوروس، فعندما تتكلم رئيسته عن نفسها وعن زميلاتها، فإنها تتبع تقاليد التراجيديا باستخدام صيغة المتكلم المفرد. غير أننا

استخدمنا في الترجمة صيغة المتكلمين بصفة عامة إلا إذا كانت صيغة المفـرد أكثر مناسبة للموقف.

يحتاج اسم أيجويتـوس إلى تعليق موجـز. فمن الجليّ أنه «بـطل أطلق اسمه على بلده». وقد استعملنـا الهجاء الـلاتيني لاسمه، والإسم الإنجليـزي لأرض مصر.

بروميثيوس المقيد
أشخاص المسرحية

القوة
العنف
هيفايستوس Hephaestus، إله النار.
بروميثيوس Prometheus.
كوروس من بنات أوقيانوس.
أوقيانوس Oceanus، رب البحر.
أيو IO، أميرة من أرجوس.
هيرميس Hermes، رسول زوس.

قمة جبل صخرية تطل على البحر
تدخل القوة والعنف تجران بروميثيوس[1]
يتبعهم هيفايستوس.

القوة : لقـد بلغنـا أقصى بقـاع الأرض هنـا،
التي يؤمهـا السكـوثيـون Scythians، إنها بريَّة لا أثر فيها لقدم.
قم بواجبك يا هيفايستوس. تذكَّرْ أيَّ أمر
كلفك به الأب. ها هوذا بروميثيوس المتمرد؛
سمِّرْه إلى الصخرة، ثبِّته في هذه القمة الشاهقة
بإحكام في قبضة السلاسل الشديدة الصلابة.
كان كنزك هو الذي سرقه، تلك العظمة الزاهرة
للنار التي تُشَكِّل كل شيء، وأعطاها للبشر - إنها جريمة
لا تسكت عليها الآلهة، ويجب أن يقاسى من أجلها الآن،
حتى يتعلم أن يقبل سيادة زوس

(١) هناك خلاف عما إذا كان بروميثيوس يمثله ممثل ظاهر أو تمثله دمية ذات قناع على الرأس ما إن يُثَبَّت في موضعه حتى يصير بوسع ممثل مستتر في الخلف أن يتكلم خلاله. فمثل هذا الإجراء يجعل التقييد وثقب اللحم أقرب إلى الحقيقة.

ويكف عن أن يعمل بطلاً للجنس البشريّ.

هيفايستوس: أما أنتما أيها العنف والقوة، فإن أمر زوس لكما قد نُفِّذ. لقد انتهت مهمتكما. ولكن كيف يتسنى لي أن أجد قلباً يجعلني أضع يديَّ على إله من جنسي، وأسمِّره بقوة إلى هذا الوادي البارد المرير؟

ومع ذلك فيجب سواء وجدتُ قلباً أو لم أجد، يجب
أن أفعل هذا.
فإن التراخي في طاعة ما قاله زوس شيء مخيف.
[إلى بروميثيوس] يا ابن ثيميس[1] Themis الراجح العقل،
رب الأفكار الجبلية،
بقلب مكلوم كقلبك سأثبّتك الآن
في قيود من البرنز بحيث لا تستطيع الحركة في هذه القمة المنعزلة،
حيث لن تسمع صوتاً، ولا ترى شكلاً بشرياً، وإنما تلفح أشعة الشمس الملتهبة جلدك فيفقد نضارته ورونقه. سيسرك أن ترى الليل يغطي النهار بعباءته الدكناء المزركشة «بالترتر»، ويسرك كذلك أن تبدد حرارةُ الشمس الصقيعَ عند الفجر.
كل ساعة متغيرة ستجلب ألماً متعاقباً يعذب جسمك؛
ولا يستطيع أي رجل مولود حتى الآن، إطلاق سراحك.
لقد جرَّ عليك هذا إحسانُك إلى الجنس البشريّ.
إنك إله لا ينحني أمام غضب الآلهة - أنت، الذي أخطأتَ حقاً، وأعطيت البشر الفانين ميزات. من أجل هذا ستبقى ساهراً فوق

---

(١) ابنة أورانوس وجيا، كانت رمزاً للقانون والنظام والعدالة.

هذه الصخرة المريرة،
واقفاً منتصباً، لا تنام، ولا تنحني في وضع الراحة.
وتصدر منك أنّاتٌ كثيرة وصرخات ألم عديدة،
لا فائدة من أي شيء، لأن قلب زوس صعب الإرضاء.
فالسلطة المكتسبة حديثاً دائماً ما تكون قاسية .

القوة : ما فائدة
ضياع الوقت في الشفقة؟ لماذا لا تمقت
إلّهاً عدُوّاً لجميع الآلهة ،
وأعطى ميزتك للجنس البشريّ؟

هيفايستوس: إن روابط الميلاد والزمالة قوية بدرجة غريبة.

القوة : هـذا حقيقي، ولكن كيف يمكن عصيان كـلام الأب؟
أليس هذا شيئاً تخافه أكثـر ؟

هيفايستوس: لقد كنتِ دائماً قاسية، ميالة إلى الاعتداء.

القوة : لا فـائـدة من تمـزيق قلبـك من أجله، هيّـا الآن،
لا يمكنـك مساعدته، لا تضيِّع وقتاً في الاهتمام به.

هيفايستوس: إنني أمقت مهنتي، أمقت مهارة يديَّ.

القوة : ولِمَ تمقتها؟ انظر إليها النظرة البسيـطة: مهنتك
لا ذنب لهـا فيما يجب توقيعه الآن.

هيفايستوس: هذا صحيح.
ولكني أود أن تكون مهارتي قد أُعطيتْ لشخص آخر.

القوة : كل الأعمال شاقة ـ خلا أن تحكم أنت الآلهة.
لا أحد مرتاح من العمل غير زوس.

هيفايستوس: أعلم هذا. كل ذلك (مشيراً إلى برروميثيوس) دليـل فوق كل نزاع.

القوة : أسرع إذن؛ كبِّله بالأصفاد
قبل أن يراك الأب تتلكأ.

هيفايستوس: إذن، فانظري، هنا!
ها هي أصفاد المعصم الحديدية معدة. [يبدأ في تثبيتها].

القوة : خذها؛ كبِّله،
اطرق بكل قُوتك، برشمْها في الصخرة.

هيفايستوس: حسناً، إنني أثبِّتها! لن ينحلَّ هذا الحديد.

القوة : زدْهُ تثبيتاً، كبله بإحكام، لا تترك شيئاً مرتخياً.

هيفايستوس: هذه الذراع ثابتة، وعلى الأقل لن يستطيع الإفلات منها.

القوة : والآن سمِّر ذراعه الأخرى بإحكـام. دعه يعلمْ
أن كل حكمته ليست سوى حماقة بجانب زوس.

هيفايستوس: انظري! لا أحد ـ سواه ـ يستطيع أن يجد خطأً في عملي.

القوة : والآن، ادفع المسامير خلال صدره مباشرة بكل ما أوتيتَ من قوة.
ذلك الناب العنيد، ناب الأسفين الشديد الصلابة.

هيفايستوس: واأسفاه! إنني، يا برروميثيوس، أبكي من أجل آلامك.

القوة : ألا تزال محجماً؟ تبكي من أجل عدو زوس؟
خذ حذرك وإلا احتجتَ لأسَفِكَ من أجل نفسك.

[هيفـايستوس يـدفع الـوتد]

هيفايستوس: انظري! ها أنتِ ترين منظراً يؤلم عينيكِ.

القوة : إنني أرى.

بروميثيوس ينال جزاءه الوفاق. هيّا ، ثبِّت الأطواق حول ضلوعه.

هيفايستوس: يجب أن أفعل هذا، لا تسوقيني بالأمر.

القوة : أقسم بأنني سآمرك ـ نعم، وأدفعك إلى العمل قُدُماً.
هيا، اهبط الآن، أُدخل رجليه بقوة في هذه الحلقة.

هيفايستوس: ها قد نُفِّذ هذا بسرعة.

القوة : والآن سمِّرْ تلك الأصفاد بإحكام.
اطرق شديداً. لعملنا قاضٍ قاسٍ.

هيفايستوس: إن كلامكِ ليلائم ملامحكِ.

القوة : (ساخرة) كن رقيقاً إذن. أما إذا كنتُ أنا صعبة وعديمة الرحمة،
فلا توجِّهْ ذلك إليَّ.

هيفايستوس: ها رجلاه قد ثُبِّتتا؛ هيا بنا ننصرف.
[يخرج هيفايستوس]

القوة : [لبروميثيوس] امكث هنا، واملأ نفسك غروراً حديثاً،
واسرق ميزات الآلهة وأعطها للبشر.
كيف يستطيع بَشَرُكَ أن يقطعوا لك هذه العقدة؟
لقد سُمِّيتَ خطأً، يا بروميثيوس، العاقل ـ قبل ـ الحادث!
فالحكمة هي عين ما تحتاجه، ليت لك عقل
لتشق طريقك وتتحرر من قيود الحدّاد العظيمة هذه!
[تخرج القوة والعنف]

بروميثيوس : أي آلهة السماء، ويا أيتها الرياح السريعة الأجنحة، والمجاري القافزة.
ويا ضحك أمواج البحر الذي لا يُحصَى،

ويا أيتها الأرض، أم كل الحياة!
إنني أناديكم وأنادي دائرة الشمس التي تبصر كل شيء :
انظروا ما فعلته الآلهة بي، أنا الإله!

انظروا بأي غضب
عوقبتُ وعُذِّبتُ
عليَّ أن أتألم
لمدة ألف سنة!
انظروا إلى هذا السجن المخجل
الذي اخترعه من أجلي
سيد الآلهة الجديد!
هأنذا أئن من شدة الألم
من الألم الحاضر والألم المستقبل.
متى أرى شروق
نجم خلاصي؟

ماذا أقول؟ إنني أعرف كل شيء حق المعرفة
هذا ما سوف يكون؛ لا عذاب يأتي دون التنبؤ به من قبل.
يتحتم عليَّ أن أقاسي قَدَري المحدد على خير ما يمكنني،
عالماً بأنني لا أستطيع مقاومة قوة الحاجة.
في مثل هذه الآلام يستوي الكلام والسكوت عندي.
فبسبب أنني منحت البشر هدايا
سُمِّرتُ في وتد التعذيب هذا، لأنني أنا الذي بحثت عن مصدر
النار، وسرقتها، ولففتها في نخاع ساق شَمَرٍ جاف. فأثبتت النار
أنها معلم للبشر في كل فن، ومورد هم العظيم.
هذا هو الذنب الذي أدفع ثمنه الآن كاملاً،
عارياً أمام الرياح والسماء، مقيداً ومصلوباً.

آه! مَن هناك؟
أي صوت، وأي نسيم عطر
يهبُّ إلى جانبي ـ حيث، لا يمكنني أن أراه؟
أمن عند إله، أو إنسان، أو نصف إله؟
أتيتَ إلى هذه القمة القائمة في طرف العالم
لتبصر عذابي؟ أو لأي شيء؟
تراني، أسيراً تعيساً،
أنا الإله، عدو زوس،
أنا الذي اكتسبتُ عداوة جميع الآلهة،
التي تؤم بلاط زوس
لأنني كنت صديقاً مخلصاً للبشر.

آه، آه! إنني أسمعه ثانية، قريباً مني!
إنه يخشخش ـ أهو صوت طير؟
والهواء يهمس برفرفة الأجنحة الخفيفة!
فأيّاً كان هذا القادم، فهو يجلب الخوف.
[يدخل الكوروس في سفينة ذات أجنحة، أو في عربة مجنحة].

الكوروس : لا تخف شيئاً. كلنا أصدقاؤك.
لقد طرنا إلى هذا الجبل بأجنحة السباق،
بعد أن حظينا بموافقة أبينا بعد تردد؛
وحملتنا الريح بسرعة إلى هنا
لأن صدى الفولاذ الرنان
قد جلجل خلال أعماق كهفنا،
طارداً الخجل الهادىء من أفكارنا؛
وكما كنا بأقدام حافية
أتينا من فورنا في عربتنا المجنحة.

بروميثيوس : واحزناه، واكمداه! يا أطفال تيثوس Tethys الخصبة،
يا بنات أوقيانوس، يا ذوات المدِّ الدائم السهر
الذي يلف الدنيا كلها، تطلَّعْنَ إليَّ.
أبصرن في أية قبضة قاسية،
سُمِّرت في هذه القمة الصخرية لهذا الوادي.
يجب أن أحتمل سهري المخيف.

الكوروس : هأنذا أنظر، يا بروميثيوس، فيملأ الخوف المفاجيء عينيَّ
وأنا أرى جسمك يذوي فوق هذه الصخرة،
معذَّباً بأصفاد من الفولاذ الشديد الصلابة.
هناك سيد جديد يمسك بدقة أوليمبوس ؛
حقاً إن هذه لقوانين جديدة
تلك التي يحكم بها زوس في طغيان؛
ويحطم الآن قوات الماضي العظيمة.

بروميثيوس : لو زجَّ بي هذا الزوس تحت الأرض،
أسفل هاديس، مأوى الموتى.
داخل فلوات تارتاروس،
مقيِّداً إياي بالأصفاد القاسية التي لا أستطيع منها فكاكاً،
حتى لا يشعر أي إله أو أي مخلوق آخر
بالغبطة وهو يراني أتألم،
لكان هذا أهون على نفسي من أن أصير ألعوبة بائسة
لكل ريح، ويجلب عذابي السرور لأعدائي.

الكوروس : أي إله يكون هكذا قاسي القلب حتى
يجد سروراً في رؤيـة مثل هذا المنظر؟
من ذا الذي لا يتألم معك في آلامك ـ

سوى زوس؟ المتشبث بغضبه العنيد،
فيطأ تحت قدميه عشيرة أورانوس[1] Uranus، ولا يلين
إلى أن يشفي غليله، أو إلى أن تقوم مؤامرة بارعة.
فتنزع الإمبراطورية المنيعة من يده.

بروميثيوس : أُقسم لكِ أنني، وأنا أعذَّب هكذا، مقيَّد اليد والقدم بهذه السيور
القوية، سيحتاج إليَّ سيد الخالدين.
لكي أضع الخطة الجديدة وأخبره عمن سيسلبه سلطته ومجده.
ولن تسحرني بعد ذلك تعويذاته المعسولة الصادرة
من لسانه المغري،
ولن أخضع بتأثير تهديداته الوحشية، أو أبوح بهذا السر،
حتى يطلق سراحي من هذه القيود الجهنمية،
ويوافق على أن يعوضني عن هذا الألم.

الكوروس : إنك تتحدى، يا بروميثيوس، وروحك،
رغم جميع آلامك، لا تتزحزح قيد أنملة،
بيد أن في ألفاظك حرية بالغة؛ وإن قلبي
ليرتجف من الفزع النافذ؛
إنني أضطرب لمصيرك: كيف يمكنك الوصول إلى
نهاية هذه المتاعب والاستراحة في ميناء آمن؟
لأن طباع ابن كرونوس لا تلين
وليس لأية ألفاظ أن تؤثر على قلبه فيرقّ.

بروميثيوس : إنني أعرف أن زوس لا يرحم
ويوجِّه القانون كما تشاء رغبته.

---

(١) ملكوت السموات أو السماء. كان ملك العالم قبل كرونوس. ويصوّرونه تارةً في هيئة رجل قوي ذي لحية، وتارةً بأجنحة، وتارةً بجلباب يغطي رأسه ليمثل السموات.

ومع ذلك، فسيصير طبعه معتدلاً في الوقت المناسب،
عندما يتحقق كلامي ويتحطم.
عندئذ سيهدِّيء أخيراً من سورة غضبه القاسي،
ويطلب عقد معاهدة صداقة معي؛ وسأرحب به.

الكوروس : هيّا الآن وأفْضِ إلينا بكل شيء وفسِّره لنا.
عن أية تهمة قبض عليك زوس
وعاملك بمثل هذه الفظاعة والوحشية؟
أخبرنا، إن كان هذا لا يضيرك.

بروميثيوس : إني ليؤلمني أن أتحدث عن هذا، كما أن السكوت عليه
ليس بأقل ألماً. فهناك الألم في كل جانب.
فعندما وقع الخلاف ودبَّ النزاع بين الآلهة لأول مرة
وجعلهم ينقسمون حزبين، أحدهما
اعتزم نزع السلطة من كرونوس[1] Cronos، وجعْل زوس
الملك المطلق السلطة - تذكّروا هذا - بينما الحزب المعارض لذلك
قد اعتزم ألا يحكم زوس الآلهة قط -
في ذلك الوقت عرضتُ خير النصائح جميعاً،
وحاولتُ إقناع التيتان أبناء السماء والأرض،
فأخفقتُ. كانوا يحتقرون المكر؛
ففي غمرة زهوهم بقوتهم العظيمة
اعتقدوا أنهم سينتصرون بسهولة ويحكمون بالقوة.
وكنت أعرف المصير المحدَّد لما سيأتي من أمور. لأن والدتي،
ثيميس، أو الأرض (هما شخص واحد رغم اختلاف الإسمين)،

(١) هو رب الحصاد في الأصل ويحكم العصر الذهبي في هذه الحياة الدنيا عندما كانت الأرض تعطي غلّتها دون عناء للإنسان وعندما كان السلام والعدل والبراءة تخيم على جميع أنحاء الأرض.

أخبرتني عدة مرات، أن ليس للقوة الغاشمة،
ولا للعنف، بل للدهاء، أن يحقق النصر
لحكام المستقبل. وشرحتُ لهم هذا،
ذاكراً الأسباب ـ التي وجدتها لا تستحق الاهتمام لمدة لحظة واحدة.

بعد ذلك فُتِحَتَ الطرقُ أمامي، وظهر لي أنه من الخير
أن أتخذ موقفي ـ ومعي أمي ـ إلى جانب
زوس، راغباً ومُرَحِّباً. كنت أنا الذي
أشرتُ بتلك النصيحة التي بواسطتها رقد كرونوس وأتباعه
مدفونين الآن في هوة تارتاروس.
هذه هي المساعدة التي قدمتُها لملك الآلهة؛ وهذه هي مكافأتي ـ
هذا هو نكرانه الأسود للجميل.
أن ينظر بعين الريبة إلى جميع أصدقائه ـ فهذا المرض
يبدو طبيعياً في نفس الطاغية.
والآن رداً على سؤالكِ، عن أية تهمة يعذبني زوس، أخبركِ.
عندما جلس على عرش والده
عيَّنَ في الحال عدة حقوق لمختلف الآلهة،
محدِّداً لكل منهم مكانه المحدد وسلطته.
أما البشر البؤساء فلم يهتم بهم، واعتزم
أن يبيدهم ويخلق جنساً آخر.
فلم يعترض أحد سواي على هذا الغرض:
فتجاسرتُ. وأنقذتُ الجنس البشريّ من أن يُطحن ويُحوَّل
إلى تراب، أنقذته من الموت الزؤام.
ومن أجل هذا أوقع. بي هذه الآلام المريرة ـ[1]

(١) لاحظ أن القوة وهيفايستوس قالا إن بروميثيوس قد عوقب لسرقته النار من السماء، وليس =

وهأنذا أتحمل الآلام الشديدة، التي يحطم النظر إليها القلب .
لقد عطفتُ على البشر الفانين، ولكن لما كنت أنا نفسي لا أُعتبر
جديراً بالرحمةِ، صرتُ هكذا قاسي المبدأ ـ
وهذا منظرٌيَصِمُ اسم زوس بعدم الشرف .

الكوروس : إن القلب المصنوع من الحديد، والخلق المنحوت من الصخر،
يا بروميثيوس، هما اللذان يرفضان مكافأتك على آلامك.
ولو علمتُ هذا من قبل، لما رغبتُ قط في أن أرى هذا المنظر،
وبما أنني رأيته الآن، فإن الحزن والحنق يعذبان قلبي .

بروميثيوس : الحقيقة أن أصدقائي يشعرون بالعطف عند رؤيتي .

الكوروس : ألم يزد ذنبك على ما قلت؟

بروميثيوس : بلى : جعلت الناس لا يعرفون موعد موتهم .

الكوروس : وأي علاج اكتشفتَ لمحنتهم؟

بروميثيوس : غرست الأمل الأعمى عميقاً في قلوبهم .

الكوروس : لقد جَلَبْتَ هديتك لهم نعمة عظمى .

بروميثيوس : فعلتُ أكثر من هذا .
أعطيتهم النار .

الكوروس : ماذا؟ الناس الذين ليست حياتهم إلا يوماً،
يمتلكون إشعاع النـار الساخن؟

=لمحافظته على الجنس البشري من الهلاك . أما قول بروميثيوس هنا فيثير السؤال : هل هو يزيف بحُرية في هذه القصة لتبدو في صالحه هو؟ الظاهر أن هذا هو ما أراده أيسخولوس . ولا شك في أن قضية زوس قد عُرضت قويةً في المسرحيات التالية لهذه في نفس المجموعة الثلاثية . فأعطى أيسخولوس زوس هنا دليلاً إخبارياً : فالجنس البشري، كما يعرف كل فرد مليء بالأخطاء! فيلوم زوس بروميثيوس بقوله : كانت نيتي أن أبيدهم وأخلق جنساً أرقى .

بروميثيوس : نعم، إنهم يمتلكونه، وسيسيطرون على عدة صناعات .

الكوروس : إذن، فهذا هو الذنب الذي تقاسي عليه العذاب هنا ـ

بروميثيوس : أقاسي وحشية زوس التي لا تلين.

الكوروس : ألم تحدد نهاية لعذابك هذا؟

بروميثيوس : كلا، لم يحدد شيء، إلا إذا مضى الوقت الذي يختاره .

الكوروس : لن يختار وقتاً قط . فأي أمل هناك؟ لقد كنتَ مخطئاً بحق ـ
ألا ترى ذلك؟ إني ليحزنني أن أقول إنك مخطيء، ويعذبك قولي
هذا. إذن فلنكفَّ عن الكلام في هذ الموضوع.
وبدلاً من هذا، حاول أن تفكر الآن في أية حيلة للخلاص.

بروميثيوس : من السهل لمن يقف خارج
حائط سجن الألم أن ينصح ويُعَلِّم مَن
يتعذب. كنتُ أعرف دائماً كل ما قلته لي.
مخطيء؟ إنني أقبل هذه الكلمة. لقد رغبتُ.
رغبتُ في أن أكون مخطئاً!
وبمساعدتي البشر أوجدتُ المتاعب لنفسي.
ومع ذلك فلم أكن أتوقع عذاباً كهذا ـ
أن أبقى فوق قمة مهجورة غير مسكونة،
موثقاً في وسط الهواء إلى هذه الصخرة،
وأُترك عندها حتى أتعفن!
استمعي: كُفِّي عن البكاء من أجل الألم الذي أقاسيه الآن.
انزلي إلى الأرض، سأخبركِ بما يخبئه المستقبل لي، ستعرفين
كل شيء من البداية إلى النهاية. اصنعي ما أطلبه منكِ، اصنعيه!
اشتركي في ألم من كان دوره الآن. فالحزن جوّاب
يزور الكثيرين، ويحضر معه دائماً نفس الهدية.

الكوروس : إن طلبكَ لينزل على آذان راغبة في إجابته، يا بروميثيوس.
أقبلن، أيتها الشقيقات، أتركن مقاعدكن
في السفينة التي تطير في فضاء الطيور المقدس ؛
انزلن بخفة إلى الأرض الصخرية.
إنّا نتوق إلى الإصغاء حتى نهاية
قصة كل ما حدث لك، يا بروميثيوس.

[تنزل فتيات الكوروس من سفينتهن. وبينما هن يتجمعن على الأرض، يأتي أوقيانوس ممتطياً صهوة مخلوق مجنح من ذوات الأربع].

أوقيانوس : ها قد بلغتُ هنا أخيراً!
جئتُ من مسافة بعيدة لأزورك، يا بروميثيوس،
قائداً هذا المخلوق السريع الأجنحة
بالرغبة وحدها دون أي لجام.
صدِّقني، إنني لحزين على سوء حظك.
فإنني قريب لك، على ما أعتقد،
فجعلتني قرابتي أعطف عليك.
ولكن فضلاً عن القرابة، لا أحد
أحترمه أكثر منك.

هذا حقيقي، وسأبرهن لك عليه؛
لأنني لستُ أهلاً للتملق.
هيّا، أخبرني الآن ماذا بوسعي أن أفعل لمساعدتك.
لن تقول، يا بروميثيوس،
إن لك صديقاً أوفى من أوقيانوس.

بروميثيوس : مـا هذا؟ من هـذا؟ آه! إذن فهـل حضـرتَ
لتـرى عـذابي؟ كيف تجرأت على مغادرة
نهرك الأوقياني وكهوفك الـطبيعية ذات السقـوف الصخريـة
لتزور الأرض، أم الحديد؟ أأنت هنا
لتشاهد ما أقاسيه، وتضيف حزنك إلى حزني؟
تطلَّعْ إلى هذا المنظر. أنا هنا، صديق زوس،
الذي بمساعدته وطد سيادته المطلقة.
انظر بأية آلام يُخضعني الآن.

أوقيانوس : فهمتُ، يا بروميثيوس، ورغم خبث ضميرك
أريد، على الأقل أن أنصحك بخير ما في مكنتي:
يحكم بين الآلهة ملك جديد. إذن فلتعرف نفسك،
وتتخذ لنفسك طرقاً جديدة تلائم الزمن.
فإن تفوهتَ بألفاظ منحرفة أو غاضبة،
فقد يكون زوس ـ المتوج، رغم كونه بعيداً في الأعالي ـ يسمعك؛
وتكون النتيجة أن عبء متاعبك الحالية يبدو شيئاً تافهاً صبيـانياً.
آهٍ، يـا صديقي البـائس، اخلع عنك حـالـة غضبـك وابحث عن
الخلاص من جميع آلامك. قد يبدو ما أقوله
كلاماً عتيقاً بالياً؛ غير أن حالتك هي الجزاء المُحتَّم،
يا بروميثيوس، من لسان متغطرس الألفاظ.
إنك لا تزال غير خاضع، لم يروِّضك الألم؛
تريد أن تضيف آلاماً جديدة إلى ما تعانيه الآن.
هيَّا الآن، واقبل إرشادي: إذ يحكمنا سيد
لا أحد يقدر على مقاومة سلطانه المطلق الفظ.
اعلم هذا، وكُفَّ عن رفس المنخس.
والآن سأذهب وأحاول، عسى أن أجد سبيلاً في حدود سلطاني،

لإطلاق سراحك. وفي أثناء ذلك، الزم الصمت،
لا تثُر ولا تتوعد. إنك ذكي، وتعـرف جيداً
أن العقـاب يقع على اللسان غير السهل الانقياد.

بروميثيوس : إنني أحسدك على حظك، إذ لم توضع تحت الرقابة.
فحتى في وقت الإرهـاب، تجـاسـرتَ على العـطف عليَّ.
والآن اترك هذا الشيء، ولا تفكر فيه بعد ذلك.
اصنع كل ما في وسعك،
فلن تستطيع حثه على الصفح؛ إنه صعب الزحزحة.
خذ حذرك لنفسك، لئلا تلتقي بالمتاعب في طريقك.

أوقيانوس : إنك أكثر حزماً عندما تنصح غيرك.
منك عندما تنصح نفسك،
فإن تجاربي لتوضح لي ذلك.

بيد أنني مصمم على الذهاب،ولن أتكلم بعد ذلك ضد هذا الأمر.
إنني على يقين ـ نعم، متأكد من أن زوس سيمنحني ما أطلب،
ومن أجل خاطري سيفك قيودك ويطلق سراحك.

بروميثيوس : أشكرك، وسأظل دائماً أشكرك. إن معروفـك هو كـل ما أطلبـه.
ولكن لا تفعل شيئاً من أجلي؛
فسيـذهب تعبك هبـاء منثـوراً، ولا يجلب عليَّ أي نفـع،
مهمـا قصدتَ أن تجرب. لا تفعل شيئاً،
وابتعد عن طريق الخطر. فإن كنتُ أتألم، فلا أرغب إذن
أن يتألم معي عدد كبير؛
ابتعد عن هذا الشيء. إن مصير أطلس يحزنني ـ مصير أخي،
الذي يقف في المغرب الأقصى بحمله الذي لا يطاق
يضغط على ظهره، عمود السماء والأرض.

كما أنني أرثي لحال تيفـون[1] Typhon، ذلك العمـلاق المدمـر
المـولود من الأرض،ذو المـائـة رأس، والـذي مـوطنـه الكهـوف
الصقلية ؛
رأيته وقد أُخضعتْ كل قوته النارية بالقوة.
لقد وقف ضد الآلهة المتحدين، وفكاه المخيفان
تصدران الفزع، وينبعث من عينيه وهج فظيع
يومض، ويهدد بإبادة عرش زوس.
ولكن وقع عليه سلاح زوس الساهر؛
فأحس بالبخار الناري لتلك الصاعقة الساحقة،
التي نسفته من زهوه الشامخ، وأصابت
نفس قلبه، وأحرقت قوته وحوّلتها إلى رماد كبريتي.
والآن، إذ سُحق تحت جذور جبل إتنا، قرب مضيق البحر،
يرقد ككتلة منبطحة عـاجزة، بينمـا فوق القمـة
يطرق هيفـايستوس الحديد المحمَّى إلى درجة الاحمرار؛
ومن هناك، في يومٍ ما
ستنطلق أنهار من اللهب، وبفكوك متوحشة تبتلع الحقول المستوية
المتألقة في صقلية الخصيبة؛ مثل ذلك الغضب سيـرسله تيفون،
رغم احتراقه بصاعقة زوس،
سيرسله يغلي في صورة تيارات من الزَّبَد المتأجج النيران
غير القابل للإخماد. ولكنك لست مجرداً من التجارب؛
ولا حاجة بك إلى تعليماتي. انجُ بنفسك

(١) يسمى أيضاً توفويوس. أصغر أبناء تارتاروس وجيا. تزوج إخيدنـا التي أنجبت له أطفالاً كثيـرين جميعهم وحوش، منهم الخيمـايرا والفسنكس وكيـربيروس وسكـولاً والجورجون، والهاربييس. كان توفون وحشاً مخيفاً هائل الحجم عظيم القوة لـه مائـة رأس ثعبانيـة وعيون يتطاير منها الشرر وأيادي وأقدام قوية وصوت جهوري يخيف السامع.

بالطريقة التي تعرفها. وفي أثناء ذلك سأشرب كأسي المؤلمة.
حتى الثمالة، إلى أن تخفَّ حدة غضب زوس.

أوقيانوس : ألا تعلم، يا بروميثيوس أن الغضب مرض تستطيع الألفاظ شفاءه؟

بروميثيوس : نعم، إذا لطّفتَ الروح
عندما تكون اللحظة مناسبة - وليس بأن تكبح بفظاظة
جماح غضب مستشيط.

أوقيانوس : أخبرني يا بروميثيوس، هل ترى خطراً قادماً
حتى في جرأتي بالعطف عليك؟

بروميثيوس : إنه جهدٌ سطحيّ، وحماقة ناتجة عن خفة العقل.

أوقيانوس : إذن، فلتكن تهمتي الحماقة. فأحياناً يحصل الرجل العاقل على بغيته عندما يظنه الناس غير عاقل.

بروميثيوس : في هذه الحالة أكون أنا الذي يظنه الناس غير عاقل.

أوقيانوس : يتضح من طريقة كلامك أنه من الخير لي أن أعود ثانية إلى وطني.

بروميثيوس : لماذا؟ نعم. فإني أخاف أن تخلق لنفسك عدُواً بالعطف عليَّ.

أوقيانوس : ومن هو؟ أهو السيد القويّ الحديث التتويج؟

بروميثيوس : حذارِ، فقد ينقلب غاضباً.

أوقيانوس : إن حتفك درس لي، يا بروميثيوس.

بروميثيوس : انصرف! اخرج! وكن كما أنت!

أوقيانوس : إني أتوق إلى الانصراف، فلا حاجة لأن تصرخ.
فهذا الحيوان ذو القوائم الأربع. يضرب بجناحيه طريق الهواء الأملس. نعم، سيسره جداً أن يرقد مرتاحاً في حظيرته بالوطن.

يخرج أوقيانوس

الكوروس : إنني أبكي، يا بروميثيوس، حزناً على حالتك المميتة.
تنهمر الدموع من عينيّ،
هابطةً في تيار رقيق،
وتغسل خدي كأنها ينبوع ماء.
بهذا المنظر المحزن
يعطينا زوس، الذي يحكم بقوانين من وضعه،
مثالاً لسلطته المتغطرسة، على آلهة الماضي .
والآن يصرخ كل قرن من الزمان، حزيناً، بصوت عال؛
وتحزن أقوام أوروبا [1]
عليك وعلى جنس التيتان،
إن حكمك القديم الماجد، وشرفك؛
وجميع القبائل المستقرة
التي ترعى حقول آسيا المقدسة
تنتحب عالياً من أجلك وتقاسمك آلامك؛
والأمازونات[2] Amazons المقيمات بأرض كولخيس Colchis،
العذراوات الجريئات في القتال،
والجموع السكوثية الساكنة في نهاية الدنيا
على سواحل بحيرة ماكوتيس Macotis. ؛
وأمراء بلاد العرب المحاربون؛

(١) فُقد جزء من هذا السطر في المخطوطات عند هذه النقطة. وربما عبّرت هذه الجملة عن المعنى المحتمل.

(٢) شعب من النساء المحاربات قطعت أثداءهن اليمنى منذ ولادتهن لتصبح لهن الحرية في استخدام الحراب. كان من أعمال هرقل الإثني عشر أن يحصل على زنار ملكتهن هيبولوتا التي وُفق في قتلها.

المتحصنون بقلعتهم الصخرية قرب جبل القوقاز[1] -
الذين يُلقون الفزع بصرختهم الحربية
في صفوف الرماح المشحوذة، يبكون من أجلك.
مرةً واحدة من قبل، رأيت
إلهاً من التيتان يعذَّب هكذا،
مغلوباً على أمره بقيود منيعة،
إنه أطلس الممتاز وحده في القوة،
الذي يحمل قبة السماء فوق ظهره، ويئن[2] ؛
وأمواج المحيط الواسع
تزمجر معه بصوت واحد،
وتبكي أعماق المياه،
ويتمتم ظلام عالم الموتى الدامس، أسفل،
والنافورات المقدسة للأنهار المتدفقة
تبكي حزناً على ألمه.

بروميثيوس : لا يجب أن تحسبي أني صامت بسبب كبريائي أو عنادي،
فإن التفكير والغضب يقضمان قلبي،
إذ أرى نفسي أعامَل هكذا بقسوة. ولماذا، مَن سواي
أحرز لهؤلاء الآلهة الجدد أمجادهم، أولاً وأخيراً،

---

(١) نقلت هذه العبارة من تعليق سايكس وويلسون Sikes and Willson. فجغرافية أيسخولوس مختلطة جداً حتى إن المرء قلما يدهش لأي تغيير في موضع، أو لأن نتهمه بأي شرود، إذ يكون هذا فعلاً فوق مقدوره.

(٢) نص هذه الفقرة محرف. ومن المحتمل أن تكون هذه السطور حاشية. فإذا حذفت، أشارت الفقرة الأخرى (وأمواج المحيط الواسع... تبكي حزناً على ألمه) إلى بروميثيوس، وليس إلى أطلس، وفي هذه الحالة يجب أن تُقرأ هكذا:

وأمواج البحر تزمجر بصوت واحد،
وأعماق المياه.... إلخ
تبكي حزناً على ألمك.

كل ما تعرفينه، ولن أتحدث به. مما فعلتُه
للبشر في محنتهم، اسمعيه الآن. فأولاً
كانوا بغير عقل، فأعطيتهم عقلاً وتفكيراً ـ وما أقوله
ليس انتقاداً
آن جميع هداياي لهم، كانت بدافع حسن النية.
كانت لهم في تلك الأيام عيون، ولكن لا بصر لها؛
وكانوا يسمعون أصواتاً دون أن يستطيعوا الإصغاء إليها؛
وكانوا يقضون حياتهم كلها.

كالأشباح في الأحلام، مضطربين ولا هدف لهم.
والبيوت المبنية بالطوب المجفف بحرارة الشمس، أو بالنجارة،
لم تكن لهم أية فكرة عنها، بل كانوا يعيشون في الجحور،
كأسراب النمل،
أو في أعماق الكهوف البعيدة عن ضوء الشمس؛
ولم يعرفوا طريقة أكيدة.

لتحديد الشتاء، أو الربيع المزهر، أو الصيف المثمر؛ كانت كل
أعمالهم بغير معرفة، حتى أتيتُ. فعلّمتهم أن يحددوا متى تشرق
النجوم أو تغرب ـ وهذا فن صعب. والأعداد، والعلوم البدائية،
اخترعتها لهم، وكيف يدونون الألفاظ كتابةً ـ
والمهارة في تذكُّر كل شيء، أُمّ كثير من الفنون.

وكنتُ أول من أخضع الحيوانات ووضعها تحت النير كعبد للإنسان
بالسيور أو بالسرج، لتحلّ محل البشر تحت الأحمال الثقيلة؛
وربطت الحصان إلى العربة، وجعلته يطيع العنان، ويكون
زينة للثروة والعظمة. ولا أحد قبلي اكتشف

عربة الملاّح ـ تلك المركبة ذات الأجنحة الكتانية التي تجوب
البحار.

أوجدتُ مثل هذه الأدوات والمهارات للبشر: أما أنـا نفسي ففقير بائس،
أفتقر حتى إلى حيلة تخلصني من هذا الألم الممضّ.

الكوروس : يَعقب الـذلُّ الألم؛ فـإذا كنتَ مشتت الفكـر ضللتَ طـريقـك؛
كالطبيب الفاشل عندما يمرض، تيأس الآن من العثور على عقاقير تشفي بها نفسك.

بروميثيوس : والآن، اسمعي بقيـة ما سـأخبرك بـه، أية صنـاعات،
وأيـة طرق ابتكرتُها ـ وستدهشين أكثر من ذلك.
أول شيء، من حيث الأهمية: إذا مرض الإنسان، لم يكن لديه
أي علاج، من الدواء الصلب أو السائل،
أو المرهم، بل كان يموت لافتقاره إلى العقاقير ؛
إلى أن علمّتهم كيف يخلطون الأعشـاب الشافيـة المسكّنة
وبذا يحافظون على أنفسهم من جميع الأمراض.
بعد ذلك وضعت طرقاً شتى للتنبؤ،
فكنت أول من استخدم الأحلام في معرفة ما يخبئه القَدَرَ
ليحدث بعد ذلك، وفسرتُ المعنى الخفيّ
لأصـوات الإنسان، وأصـوات الأشياء، والمنـاظر التي يُلتقى بهـا صدفةً في الطريق.
وحددتُ طيران الطيور الجارحة المعقوفة المخالب تحديداً دقيقاً،
وما كان منها طالع سعد بطبيعته، وما كان منها شؤماً، وكيفية معيشة كل نوع منها؛
والأحقاد، والصداقات، والمخالطات نوعاً بنوع
وكيف يُحتفظ بها. وكيفية تفسير العلامات في الضحية،
كرقة القلب، وأضواء النار، وأية ألوان منها تسر الآلهة
في كل من أشكال فصوص الكبد الأرقط .

وعظام الفخذ الملفوف بالدهن، وأحرقت السلسلة الفقرية،
قائداً الناس في سبل ذلك الفن الغامض.
وعلامات اللهب التي كانت غامضة من قبل، أوضحتها الآن.

هـذا كثير في شأن التنبؤ. تأتي بعـد ذلك كنـوز الأرض، البرنـز
والحديد والفضة والذهب المخبـأة عميقاً في بـاطن الأرض،
مَن غيري.
يستطيع أن يفخر بأنه كان أول من وجدها؟ لا أحد، إلا من يتكلم
كالمجنون. وبالاختصار، هاكِ الحقيقة في كلمة واحدة:
كل مهارة البشر وعلومهم كانت هدية بروميثيوس.

الكوروس : إذن، أَبَعْدَ أن ساعدتَ البشر على حساب ضرر نفسك، تهمل في
تخليص نفسـك من العـذاب؟ إن عنـدي آمـالاً، في أن يُـطلَقَ
سراحُك وتنافس زوس في سلطانه.

بروميثيوس : القَدَر كفيل بتنفيـذ كل شيء في الـوقت المنـاسب، ولكن ليس
مقدَّراً
أن تصل هذه الأحداث إلى مثل هذه النهاية. مقدر لي
ألا أحصل على الحرية إلا بعد آلام لا تحصى.
فالدهاء شيء تافه جداً بجانب الحاجة.

الكوروس : ومن الذي يضع يده على الدفة ليقود الحاجة؟

بروميثيوس : الأقدار الثلاث، والفوريات[١] Furies، اللواتي لا ينسين شيئاً.

الكوروس : وهل تقلُّ سلطة زوس عن سلطة هؤلاء؟

---

(١) هن الإرينـوس، ربات الانتقـام. ويسمون أيضـاً اليـومينيـديس. ويسميهن الـرومـان الفـورياي. هن بنـات جيا من دمـاء أورانوس أو نـوكس وسكوتـوس وعددهن ثـلاث أليكتو وتيسيفوني وميجايرا.

بروميثيوس : إنه لا يستطيع الفرار من القَدَر.

الكوروس : وأي شيء أعطاه القَدَر لزوس، غير السلطة الخالدة؟

بروميثيوس : هذا شيء قد لا تعرفينه، ولذا لا تسألي عنه.

الكوروس : إنه حقيقةٌ ما، مقدسة، تلك التي تلفها بالغموض.

بروميثيوس : حوِّلي أفكاركِ في أي اتجاه آخر؛ فليس هذا وقت الكلام
في ذلك، إنه سِرٌّ، يجب بكل وسيلة
كتمانه، فبالمحافظة عليه يمكنني الهروب
من هذا السجن المقيت، وهذه الآلام المخيفة.

الكوروس : عسى زوس، الذي يُصرِّف كل أمر،
ألا يستخدم قوته في سحق إرادتي،
وعسى ألا أملَّ أبداً
عبادة الآلهة بتقدمات نقية من الثيران
بجانب مجرى أبي أوقيانوس الذي لا ينضب معينه.
لعلي لا أخطيء بالكلام، بل لعل هذه العزيمة
تظل على أشدها في قلبي.
من الممتع أن يقضي المرء طوال حياته
في ثقة واطمئنان وأمل،
ويغذي النفس بالنور والمرح.
بيد أنني أرتعد عندما أراك، يا بروميثيوس،
معذَّباً بآلام لا نهائية.
لأنك لا تخاف زوس،
وإنما تتبع أهواءك
إنك تحترم جنس البشر الفانين احتراماً بالغاً.

انظر، يا صديقي، كيف ذهبتْ جميع المنافع التي قـدمتَها،
دون أن تُشكَر عليها .
أخبرني ، أية قوة موجودة، وأين هي ،
وأيـة مساعـدة توجـد في البشر الـذين يعيشون لمـدة
يـوم واحـد فحسب؟
ألم تلاحظ العجز الذريع،
الضعيف كالحلم،
الذي يكبل قبائل البشر العمياء؟
فلن تخطيء أغراض البشر إطلاقاً
خارج نطاق حكومة زوس.
هذه هي الحقيقة التي تعلمتُها من سقوطك، يا بروميثيوس.
وما يرن في أذنيّ هو الاختلاف
بين أصوات حزن اليوم
والأغاني التي أنشدناها لمباركة زواجك،
أغنية الحمّام، وأغنية الفراش
عندما غازلتَ ونلتَ بالهدايا
شقيقتي هيسيوني Hesione وصارت عروسك بالزواج.

[تدخل إيـو]

إيـو : أية أرض هذه؟ وأي جنس يعيش هنا؟
مَن هذا الذي أراه مكبلاً بقيود الصخر
تحت رحمة الريح والعاصفة؟

[تصرخ فجأة من الألم والفزع]

إن ذبابة المواشي تلدغني من جديد. أواه، أواه!
إنني أرى شبح أرجوس،

الراعي ذي المائة عين، المولود من الأرض ـ
أيتها الآلهة! أبعديه عني!
لقد قُتل، غير أنه ما من أرض تخفيه،
إنه يلاحقني بنظرته الماكرة،
لقد هرب من قبره ليطاردني بغير رحمة،
ويسوقني جائعة فوق الشواطيء الرملية؛
بينما الموسيقى الواضحة للمزامير[1] المكسوة بالشمع
تملأ أذنيَّ بنغمة تتلهف إلى النوم

إلى أين، إلى أين، إلى أين
تقودني في رحلتي غير المنتهية، غير المنتهية؟
ماذا جنيت، يا ابن كرونوس؟
أي ذنب وجدتَه فيَّ،
لتضع فوقي مثل نير العذاب هذا،
وتسوقني إلى البؤس والجنون
بذلك الفزع المثير اللاذع؟
أحرقني بالنار، دع الأرض تبتلعني،
ارمني طعاماً لحيّات البحر ـ
أيها السيد الرب، أترفض لي هذا التوسل؟
لقد طال ترحالي حتى امتدَّ إلى مسافات بعيدة،
وعوقبتُ بهذا الترحال بما فيه الكفاية؛
لستُ أعرف كيف أهرب من الألم.
أتسمع صوتي؟ إنني إيو، الفتاة ذات القرون!

---

(١) يُسمع صوت مزامير الـ'ن عند هذه النقطة، وربما كان ذلك لتمثيل طنين ذبابة الماشية؛ فتظنه إيو صوت عزف الراعي أرجوس.

بروميثيوس : حقاً إنني أسمع صوت ابنة إناخوس المخبولة التي ألهبت قلب زوس بالحب، وتقاسي الآن بواسطة حقد هيرا[1] عذاب مطاردة طويلة قاسية.

إيو : إنك نطقتَ باسم والدي، فكيف عرفتَه؟
أخبرني، مَن أنت - أنت الذي يُرثى لحالك مثلي؟
إنك تعرف مَن أنا، ونطقتَ صواباً باسم
المعذَّب المرسَل من السماء
الذي يهاجمني ويطاردني بلدغاته.
كنتُ أجري بغير راحة
بقفزات جنونية من الألم والجوع،
ضحيةً لحقد هيرا الفظيع.
هل هناك أحد، في كل عالم الآلام هذا يعاني ما أعانيه؟
أخبرني بوضوح، ماذا بقي لي لأقاسيه؟
وأية وسيلة، وأي علاج يمكنه إنقاذي؟
تكلم إذا كنتَ تعرف، أعطِ المساعدة والإرشاد
للعذراء المعذبة المنفية.

بروميثيوس : سأخبركِ ببساطة عن كل شيء ترغبين في معرفته، لن أحيك غموضاً، وإنما سأخبركِ بكلام بسيط كالذي يستعمله المرء في التحدث إلى صديقه. أنا بروميثيوس، الذي منح البشر هدية النار.

إيو : أيها المحسن العام للجنس البشري،
يا بروميثيوس المنحوس الطالع، لمَ صُلبتَ هكذا؟

بروميثيوس : كنتُ أندب جميع آلامي، ولكنني كففتُ الآن.

---

(١) زوجة زوس.

إيو : ألا تريد أن تخبرني -

بروميثيوس : اسألي، سأجيب على كل شيء.

إيو : إذن فمن الذي سمّرك بإحكام في هذا الوادي؟

بروميثيوس : قررت إرادة زوس، فأطاعت يد هيفايستوس.

إيو : وما الذنوب التي تنال عنها هذا العقاب؟

بروميثيوس : كفى ما أخبرتكِ به.

إيو : إذن، فأجبني على هذا السؤال: أين ينتهي تجوالي الملعون، ومتى؟

بروميثيوس : لن أخبرك الآن. هذا خير لكِ من أن تعرفي.

إيو : لا تُخْفِ عني ما قُدِّر لي أن أقاسيه.

بروميثيوس : لن أجيبكِ، بغير رضاي، على ما سألتني عنه.

إيو : إذن فلماذا تتردد في إخباري بالحقيقة كلها؟

بروميثيوس : ليس هذا عن سوء قصد. إنني أتحاشى أن أكسر قلبكِ.

إيو : هيّا، لا تهتم بي أكثر مما أريد.

بروميثيوس : حيث إنكِ مصممة على هذا، فلأخبرنّكِ إذن، استمعي.

الكوروس : لم يحن الوقت بعد. هيّا بنا نشترك في هذه المتعة.
ولنسأل إيو لتخبرنا أولاً عن قصة عذابها،
ونسمع من شفتيها كيفية تحطيم حياتها.
وبعد ذلك، تعلم هي منك ماذا يجب عليها أن تقاسيه.

بروميثيوس : جاء وقتكِ، يا إيو، أن تجيبي طلبهن؛
ولا سيما وهُنَّ أخوات والدكِ.

يجد الحزن والدموع الجزاء الحق عندما
يكون السامعون أيضاً مستعدين بدموع العطف.

إيو : لا يمكنني أن أرفض، ستسمعون كل شيء تريدون معرفته، بألفاظ بسيطة، حتى ولو تكلمتُ عن تلك الأحداث الأولى التي نشأت منها متاعبي، وجعلني تحوُّلي المشئوم أبكي.

كانت الرؤى تزورني في حجرتي ليلاً،
وتكرر ألفاظ الغَزَل، قائلة: «يا أعظم الفتيات المباركات،
لماذا تعيشين عذراء طوال هذه المدة؟ إن الحب ينتظركِ ـ
الأعظم: زوس، تلهبه سهام الرغبة،
فيتوق إلى الاتحاد معكِ في حب. لا ترفضي،
يا طفلتي، فراش زوس. اخرجي إلى حشائش ليرنا Lerna
العميقة، حيث ترعى أغنام والدكِ وماشيته،
لكي ترتاح عين زوس من الشوق، ويشفي غليله».

كانت مثل هذه الأحلام تأتيني في كل ليلة متعبة،
إلى أن تجاسرتُ على إخبار والدي. فأرسل الرسل مرات عديدة
إلى پوثو Pytho وإلى دودونا Dodona ليعرف ماذا يجب عليه أن
يفعل أو يقول، لكي يُرضي الآلهة.
فكانوا يعودون بتقارير محيِّرة،
غامضة الألفاظ، وصعبة التفسير. ولكن أخيراً جاءه قول واضح لا
غموض فيه
يأمر إناخوس[1] Inachus بأن يطردني من بيته

(١) إله نهر، وأول ملوك أرجوس. وحين تشاجرت هيرا مع بوسايدون حول امتلاك أرجوس، قام إناخوس بدور القاضي مع كيفيسوس واستيريون، وأعطى الحق لهيرا. فعاقبه بوسايدون بأن جفف نهره في فصل الصيف.

ومدينته كي أرتحل كفتاة شريدة[1] إلى أطراف الدنيا ؛
فإذا رفض، فإن صاعقة زوس النارية
تسقط وتبيد عشيرته إلى آخر رجل .

هكذا كان وحي لوكسياس Loxias، فانصاع أبي للأمر، وطردني وأقفل بابه في وجهي - غير راغب في ذلك مثلي ؛ ولكنه كان مُجبراً على أن يفعل هذا بلجام زوس القاسي .
وفي الحال تغير شكلي ، واختل عقلي ، وصرت ذات قرون،
كما ترون، ويلدغني منخس ذبابة الماشية الثاقب،
فاندفعتُ أتشنج مجنونة إلى المجرى البلوري .
لكرخنيا Cerchnea وإلى ينبوع ليرنـا، وتبعني
أرجوس، الـراعي العملاق الشديد الغضب
الذي كان يراقب كل خطوة أخطوها بعيونه المائة ألف .
وفجأة نزلت ضربة غير متوقعة سلبته حياته .
أما أنا، التي جننتُ بلدغـة ذبابـة الماشيـة، فلا أزال
مـطاردة من أرض إلى أرض،
يلهبني ذلك السوط الذي عيّنته الآلهة .
هذه هي قصتي
فإذا كان بوسعك أن تخبرني بما لا يزال باقياً لأعانيه، أخبرني ، ولا تـأخذنّـك الشفقة بي فتـطمئنني بالأكـاذيب. فإنني أعتبـر الألفاظ الزائفة شر الأوبئة جميعاً .

الكوروس : يا له من قضاء فظيع محزن!

---

(١) المعنى الحـرفي لهذه الصفـة الإغريقيـة هو «يطلق سراح»، وتستعمـل بصفـة خـاصـة للحيوانات المعدة لأن تقدَّم ذبيحة لأحد الآلهة، فيُسمح لها بأن ترتع في المـراعي الملحقة بالمعبد، دون رباط ، ومن هنا ناسبت هذه الصفة إيو.

لم أحلم قط بأن مثل هذه القصة الغريبة
تصل إلى أذنيَّ؛
ذلك الألم الشديد، والقسوة، والفزع،
المريـرة جميعاً سـواء في النظر إليها أو في احتمالها،
لن تجمد روحي بجرح حاد كهذا.
وأسفاه، أيها القدر، القدر!
إنني أرى حظ إيو فأرتجف.

بروميثيوس : إنكِ تذرفين دموعك قبل الأوان، كسيدة مذعورة.
احتفظي بها حتى تسمعي ما سيأتي الآن بعد ذلك.

الكوروس : تكلم، إذن، وأخبرها بكل شيء. فمما يريح المتألمين أن يعرفوا مقدماً كل الألم الذي يجب عليهم أن يحتملوه.

بروميثيوس : لقد حصلتِ على طلبكِ الأول بسهولة، كنت ترغبين في سماع قصة إيو من شفتيها. والآن، هيّا، اسمعي البقية - أية آلام على يد هيرا لا تزال تنتظر هذه الفتاة الصغيرة. والآن، احفظي في قلبكِ كلامي، يا ابنة إناخوس، واعلمي نهاية
جميع ترحالاتكِ.

اتجهي أولاً، من هذا المكان، نحو الشمس المشرقة، واجتازي السهولة غير المحروثة حتى تبلغي أرض السكوثيين الرُّحَّل،
الذين يعيشون في مكان مرتفع فوق سطح الأرض
في بيوت يقيمونها على عربات متينة العجلات،
ذات سقوف من الأغصان المضفورة.

إنهم يتسلحون بقسِّى قوية؛ ابتعدي عنهم تماماً، وسيري في الطريق القريب من شاطيء البحر الصاخب الصخري، سيري خلال هذه المملكة. بعد ذلك تجدين على يسارِك، مملكة الخالوبيس

Chalybes، الـذين صنـاعتهم الحـديـد. احــذري هؤلاء لأنهم متوحشون، وما من غريب يستطيع أن يقترب منهم ويعود سالماً.
بعـد ذلك تصلين إلى نهـر هـوبـريستيس Hybristes، ذي التيـار الوحشي الذي ينطبق على اسمه.
لا تحاولي عبوره، فهو بالغ الخطر.
استمـري في سيركِ حتى تصلي إلى جبـال القوقـاز نفسهـا، إلى قمة.
جميع سلسلة الجبال تلك، حيث ينبع من جوانبها نهر يتدفق في عنف. عنـدئذٍ يجب أن تجتـازي أعلى قمة قـريبـة من النجـوم.
وتسيـري في الـطريق المتجــه جنـوبــاً. حيث تجـدين عشيــرة الأمازونات المحاربات، كارهات الرجال.
سـوف تؤسس هـذه العشيـرة في المستقبـل مـدينـة ثيميسكــورا Themiscyra على نهر ثيرمودون ، Thermodon حيث يواجه فك جبل سالموديسوس Salmydessus البحر ، وهذا عدو للملاحين، وزوجة أبٍ للسفن .
ستقـودكِ الأمازونـات في طريقـكِ مسرورات أبلغ السـرور.
بعد ذلك، عند موضع اتصال نهر ضيق ببحيرة،
ستصلين إلى البرزخ الكيميرياني Cimmerian .
إذن يجب عليك أن تغادري
الأرض بجـرأة وتعبري المضيق المـايوتيكي Maeotic .
ستتحـدث العصور القادمة
بقصة عبورك هذه، وسيسمى
ذلـك المكـان البـوسفـور Bosporus تخليـداً لاسمـكِ. وهكـذا ستصلين من أوروبا إلى القارة الآسيوية.

ألا يبدو لكِ أن ملك الآلهة هذا

يستخدم العنف في جميع الأمور سواءً بسواء؟
إن إلهاً يتوق إلى الزواج بهذه الفتاة البشرية، فيُحكم عليها بمثل هذه الرحلات. ما أتعس حظكِ، يا إيو، في عاشقكِ هذا، كل ما أخبرتكِ به إلى هذا الحد قلما يبدأ الآن ـ صدقيني! ـ كل ما يمكن إخباركِ به.

إيو [وهي تبكي] : أواه، أواه! ليس بوسعي أن أحتمل هذا!

بروميثيوس : أتعودين إلى البكاء والأنين؟
وعندما تسمعين البقية، ماذا يحدث إذن؟

الكوروس : هل لديك ما تخبرها به من المتاعب والآلام، غير هذا؟

بروميثيوس : نعم، لديَّ بحر عاصف قاتل النكبات.

إيو : ولماذا أستمر في الحياة، إذن؟ لماذا لا ألقي بنفسي في الحال إلى أسفل، من فوق هذه القمة الصخرية فأُمزِّق إرباً،
فأجد الراحة من جميع آلامي؟ خير لي أن أموت مرة واحدة، من أن أقاسي العذاب كل أيام حياتي.

بروميثيوس : إذن سيشق عليكِ احتمال آلامي المبرِّحة، إذ مقدر لي ألا أموت.
فلو متُّ لكان في الموت خلاصي ؛ أما الآن فلا تلوح في الأفق أية نهاية لآلامي إلى أن يُخلع زوس عن المُلك.

إيو : ماذا؟ وهل من الممكن أن يُخلع زوس؟

بروميثيوس : أعتقد أنه يسرك أن تَرَىٰ ذلك يتحقق.

إيو : وكيف لا، بعد كل ما سببه لي من عذاب؟

بروميثيوس : خذيها حقيقةً، واقعة : سيحدث هذا.

إيو : وبواسطة مَن.
سيجرِّد زوس من سلطته؟

بروميثيوس : نفس أغراضه الحمقاء.

إيو : وكيف يحدث هذا؟ أخبرني، إن لم يكن فيه ضرر.

بروميثيوس : يفكر في زواج ينتهي إلى سقوطه.

إيو : أيريد الزواج بربة خالـدة، أو بفتاة من البشـر؟
أخبرني، إن كان بوسعك.

بروميثيوس : ولماذا تسألين عمَّن سيتزوجها؟ هذا شيء
لا أستطيع أن أفضي به إلى أحد.

إيو : إذن، فهل هي التي ستخلفه على عرشه؟

بروميثيوس : ستلد ابناً أقوى من أبيه.

إيـو : أما من طريقة يفلت بها زوس من هذا القَدَر؟

بروميثيوس : كلاّ، إلا بمساعدتي. أنا وحدي الذي يستـطيع
إنقـاذه، إن أطلق سراحي.

إيو : ولكن إذا كان زوس غير راغب في إخـلاء سبيلك،
فمن يستطيـع إطلاق سراحك؟

بروميثيوس : يستطيع ذلك ابنٌ لكِ يطلق عليه اسم «مُخَلِّصي».

إيو : ماذا تقول؟ سيخلّصك ابني من هذه السلاسل؟

بروميثيوس : نعم، في الجيل الثالث عشر بعدكِ.

إيو : يتعذر عليَّ تفسير هذه النبوءة الأخيرة.

بروميثيوس : إذن فلا تسعَيْ إلى معرفة حظك المَقدَّرَ لك.

إيو : لقد منحتني هذا المعروف ، فلا ترفض الآن .

بروميثيوس : سأمنحكِ واحدة فقط من نبوءتين .

إيو : وما هما؟ امنحني ما أختاره .

بروميثيوس : إذن، فاختاري بين بقية رحلتكِ، وبين مخلِّصي .

الكوروس : من هذين المعروفين، أرجوك أن تمنحها واحداً،
وتمنحني الآخر، يا بروميثيوس. لا تكن مُكْرَهاً في إخبارنا.
أظْهِرْ لإيو جميع ترحالاتها المستقبلة .
وأخبرني بذلك الذي سيطلق سراحك،
فإني أتلهف إلى معرفة ذلك .

بروميثيوس : بما أنكِ متلهفة، فلن أرفض إخباركما، بكل ما تطلبانه. فأولاً:
سأذكر لكِ، يا إيو، أسماء الأراضي العديدة التي سيزج القَدَر بكِ
إليها في رحلتكِ؛ اكتبي ما سأخبركِ به في كراسة ذاكرتكِ .

بعد أن تعبري المضيق الفاصل بين قارتين
استمري في تجوالكِ فوق لجة البحر نحو الشرق
حيث تبدو الشمس ملتهبة عند الأرض الجورجونية، كيسثيني
Cisthene، التي تقيم بها العذراوات الشمطاوات بنات فوركيس
Phorcys في صورة بجعات، ولهن عين واحدة وسن واحدة بين
ثلاثتهن، أولئك المخلوقات اللواتي لا تُطلّ عليهن قط أشعة
الشمس، ولا القمر ليلاً. وبقربهن أخواتهن الثلاث المجنحات،
عدوات الجنس البشري المقيتات، الجورجونات[1] ذوات الشعور
الثعبانية، اللائي لا يراهن إنسان ولا يعيش معهن .

(١) بنات فوركوس وكيتو. كانت إقامتهن بالقرب من مملكة الأموات وحديقة الخالدين خلف جزيرة أوقيانوس. وكان منظرهن بشعاً «مخيفاً»، ولهن أجنحة من البرونز .

ليس هذا سوى البداية . والآن، اسمعي عن منظر بشع آخر يجب أن تلتقي به . احذري كلاب زوس الساكنة، الجريفينات(١) الحادة المناقير، واحذري قبيلة الفرسان الأريماسبيين Arimaspian، ذوي العين الواحدة والقاطنين على شواطيء النهر البلوتوني Plutonian، الذي تقذف مياهه بالذهب، لا تقتربي من هؤلاء.
بعد ذلك ستصلين إلى منطقة نائية،
حيث يعيش قوم سُمر البشرة، بقرب نافورات الشمس اللامعة.
هناك النهر الإثيوبي . سيري بمحاذاة مجراه هابطة ، إلى أن تبلغي الشلال الذي ينبع عنده من التلال البوبلينية Bybline نهر النيل الذي يتدفق مجراه المقدس ليطفيء ظمأ البشر. وسيقودكِ إلى دلتا النيل
حيث تؤسسون أخيراً، أنتِ ونسلكِ، يا إيو
مستعمرتكم القصية بأمر القضاء.

إذا وجدتِ نقطة غير واضحة أو صعبة الفهم
فاسألي عنها ثانية، وتأكدي من أنكِ فهمتها.
لديَّ متسع من الوقت أريد إنفاقه أكثر مما أريد أن أحتفظ به.

الكوروس : إذا بقي شيء ستخبرنا به
من رحلات إيو الحافلة بالآلام،
فهاتِ ما عندك، وإلا فامنحنا الآن
المعروف، الذي كما تتذكر، طلبناه منك.

بروميثيوس : لقد سمعتْ إيو كل طريق تجوالاتها .
وإذا كانت تعتقد أنني أفضيتُ إليها بكلام غير حقيقي
فسأخبركن بما قاسته قبل مجيئها إلى هنا،

(١) حيوانات خرافية برأس وأجنحة نسر وجسم سبع .

لأبرهن على صحة أقوالي. سأهمل ذكر معظم التفاصيل،
وأتعرض مباشرة إلى تجوالاتكِ الحديثة.
عند وصولكِ إلى السهول المولوسية Molossian
والسور الصخري.
المرتفع فوق دودونا،
حيث مقر وحي زوس الثيسبروتي Thesprotian ،
حيث تنمو أشجار البلوط الناطقة -
التي هي أعجوبة تتحدى التصديق - والتي خاطبتكِ بوضوح وبغير غموض، على أنكِ عروس زوس المنتظرة - هل في هذه الحقيقة مساس لكِ؟ - من ذلك المكان خرجتِ هائمة على وجهكِ، مريضة بلدغة ذبابة الماشية، على طول طريق شاطيء البحر إلى البحر الأدرياتي المترامي الأطراف[1]، ومنه رجعتِ ثانية
وقد ساقتكِ عاصفة الاضطراب إلى مجيئكِ الوحشي إلى هنا.
ولسوف يدل خليج البحر طوال الأزمنة المستقبلة على ذلك - فيسمى البحر الأيوني Ionian، كي يُخلَّد لجميع البشر قصة تجوالات إيو. أخبركِ بهذا كبرهان على أن عقلي المتنبيء
يرى أكثر مما تلتقي به العين.
أما الآن فسأخبركن جميعاً
بالبقية، مستأنفاً حديثي من النقطة التي توقفتُ عندها.

حيث يُرَسِّب فيضان النيل شاطئه الغرينيّ، تقع على آخر حافة الأرض، مدينة كانوبوس Canopus؛ وهناك سيعيد زوس عقلكِ
إليكِ أخيراً، ويأتيكِ ليس بالفزع، بل بلمسة رقيقة؛
فبمجرد أن يضع يده عليكِ، فإنها تضع الحياة في رحمكِ،

(١) المعنى الحرفي لكلمة Adriatic هو «خليج ريا Rhea العظيم» هذا مثل «البحر الأيوني»، الاسم القديم لبحر الأدرياتيك.

وستلدين لزوس ابناً أسمر البشرة، وتطلقين عليه اسمـاً مشتقاً من طريقة الحبل به «إبافوس Epaphos» أي «طفل اللمسة».

سيمتلك ثروة محاصيـل جميع تلك الأراضي التي يـرويها النيـل العريض المجري. وبعد خمسة أجيال منه، ستعود أسرة مكونة من خمسين أختاً إلى أرجوس على غير رغبتهن، متلهفات إلى الفرار من الزواج بأبناء عمهن. أما الشبان. فيسطاردونهن بعناد ويقتفون أثـرهن كمـا تصيـد الصقـور اليمـام؛ متلهفين إلى حب غيـر شرعيّ[1].

بيد أن إلرب سيضن عليهم بالتمتع بعرائسهم.

وستـرحب بهم أرض أرجوس عنـدما يـأتي الليل وتقـوم العزيمـة الجريئة بنوبة الحراسة، وتشن أيدي السيدات

الحرب والذبح، وتُقهر كرامة الذكور

لأن كل واحدة ستغمد سيفها الحاد في رقبة زوجها وتقتله.

عسى مثل هذا الحب يصيب أعدائي!

إلا أن الرغبة الحلوة ستُغري فتاة واحدة وتثلم حدَّ عزيمتها، فتُبقي على حياة زوجها، وتفضِّل أن تسمى جبانة، وترفض اسم قاتلة، ثم تعيش في أرض أرجوس وتنجب ملوكاً.

ومن أولاد أولادها يولد في الوقت المنـاسب (إن تبعنا كـل خطوة استغرقنا وقتاً طويلاً) بطل لا يعرف معنى الخوف

ويشتهر بدقة إطلاق السهام، ينقذني من هذه القيود.

هذا هو الوحي الذي أخبرتني به أمي،

ثيميس التيتانية، المولودة في العصر القديم. ولكن كيف يحـدث

---

(١) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو «عازمين عقد زواج لا يجب أن يُعقد».

كل هذا، يستغرق تفسيره وقتاً طويلاً مني ، ولا تجنين شيئاً من وراء سماعه .

[تقاطعه إيو بصرخة ألم وحشية]

إيو : لقد عاودتني نوبة الجنون،
وإن مخي ليتشنج ، وذبابة الماشية
تلدغني بسهمها الخالد .
ويخفق قلبي بشدة داخل جسمي ؛
وتضطرب مقلتيَّ وتدوران ؛
وينزل عليَّ الجنون كعاصفة غاضبة
فيدفعني بعيداً عن طريقي ؛
فلا أستطيع التحكم في لساني ؛ فتندفع الألفاظ منه كيفما اتفق،
وتصطدم بأمواج من الدمار القاتل[1]!

[تخرج إيـو]

الكوروس : لقد كان رجلاً حكيماً حقاً
يزن أفكاره في ذهنه أولاً ثم يعبر عنها بالألفاظ،
حتى يكون خير حُكم
هو أن تتزوج من درجتك؛
وأن الرجل الذي يشتغل بيديه يجب ألا يتـوق إطلاقـاً إلى الزواج
بسيدة أفسدتها الثروة
ولا بامرأة تزهو بأسرتها النبيلة .
أيتها الأقدار، المنفِّذات لكل أمر،
لعلكن لا ترينني أقاسم زوس فراشه ؛
وألا أتزوج إلهاً قط !

(١) يقصد بهذا أنه يشبه مجرى ماء سريع الجريان يلتقي بالبحر .

لأنني أرتعد إذ أرى عذراوية إيو،
محرومة من حب إنسان،
ومعذبة في منفى لا يستقر لها فيه قرار بقسوة هيرا.

عندما يكون الزواج متعادلاً
في حالتي، فإنه لن ينطوي على خوف أو خطر.
ولكن عسى حب الآلهة الأعظم مني
ألا يُلقي عليَّ نظرة صعبة المقاومة.
إذ عندها تكون حرباً لا يمكن القتال فيها،
وطريقاً مباشراً لليأس.
لا يمكنني التنبؤ بما سيكون عليه مصيري ؛
لأنني لا أرى طريقاً للفرار من رغبة زوس.

بروميثيوس : أُقسم على أن زوس، رغم كل عناده، يمكن
إخضاعه. ستكون هذه الزيجة كارثة،
تلك التي ينوي عليها ـ زيجة تطيح به
من العرش ومن المُلْك إلى حيز النسيان.
وعندئذٍ، تتحقق اللعنة التي صبها عليه أبوه كرونوس
يوم أن فَقَدَ عرشه القديم.
ما من إله غيري بوسعه أن يُظهر له
طريقة اجتناب هذه النائبة. فأنا أعرف كل شيء.
فلندعه الآن جالساً، في اطمئنان هادىء
وسط رعوده السماوية، مُلوِّحاً في يده
بصاعقته التي تنفث النار ـ التي لن تنقذه :
سيكون سقوطه أكيداً، ومخجلاً، وغير ممكن الاحتمال!
مثل هذا الخصم يعدُّه الآن بنفسه

ضد نفسه، أعجوبة غير قابلة للمقاومة،
إنه خصم سيجد لهباً أشدَّ حرارةً من صواعق البرق،
ضربة قاضية تشلُّ الرعد؛ ضربة قوّتها ستشق رمح بوسايدون
الثلاثي الشعاب، ذلك السوط المرهوب؛
الذي يهزّ كلّاً من البحر والبرّ. هذا هو الحاجز
الصخري، الذي فوقه.
تصطدم قوّته وتغرق، حتى يعلم عظَم.
الهوة التي تفصل بين أن يحكم المرء وأن يُحكَم.

الكوروس : لا شك في أن هذه التهديدات ضد زوس،
لا تمثل سوى رغبتك أنت وحدك.

بروميثيوس : إني أتكلم بما سوف يَحدث حقيقةً ـ وبرغبتي أنا أيضاً.

الكوروس : هل لنا، إذن، أن نتوقع مجيء من يجبر
زوس على أن يجثو على ركبتيه؟

بروميثيوس : نعم، ستنحني رقبة زوس تحت وطأة آلام أسوأ من آلامي.

الكوروس : ولماذا لا تخاف الإفضاء بمثل هذه الألفاظ المنطوية على إهانات جارحة؟

بروميثيوس : ولماذا أخاف؟ ليس مقدراً لي أن أموت.

الكوروس : قد يبتكر لك زوس ألماً أشد عذاباً.

بروميثيوس : إذن فليفعل! أنا مستعد لكل شيء.

الكوروس : يجب على الرجل الحكيم أن يتكلم بتواضع، وأن يخشى نيميسيس Nemesis[1].

---

(١) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: « حكماءهم الذين ينحنون أمام أدراستيا Adrasteia. =

بروميثيوس : الانحناء! والتوسل! كما هي العادة دائماً، يشقان على اليد القوية!
فأنا لا أكترث لزوس قط ، وليعمل
ويحكم كيفما شاء لتلك المدة القصيرة التي له.
لن يحكم طويلاً بين الآلهة. ـ لماذا، انظري!
ها هو ذا رسوله قادم، ذلك اللاعق الجديد لبصاق الطاغية.
لا شك في أنه يحمل رسالةً ما.

[يدخل هيرميس]

هيرميس : إنني أخاطبك ـ أنت يا ذا العقل الراجح والقلب المريض أكثر من المرض نفسه؛ أنت يا من بجّلتَ المخلوقات الذين حياتهم مجرد يوم واحد وأذنبتَ في حق الآلهة الخالدة، أنت يا سارق النار:
يأمرك الأب بأن تخبره عن تلك الزيجة،
التي تفخر بأنه سيسقط بواسطتها عن سلطانه. تكلم الآن لا لا تتحدث بألغاز بارعة، وإنما بالحقيقة المفصلة. لا تضطرني، يا بروميثيوس إلى أن أسافر كل ذلك الطريق ثانية؛ لأن زوس لا ترضيه مثل هذه الإجابات .

بروميثيوس : أيتكلم هذا الإله «وصيع بين الآلهة، بعبارات طنانة مليئة بالأهمية
ـ إنك وكل حاشيتك صغار؛ وكذلك سلطتك،
وتحسب أنك تحتل
قلعة منيعة. بيد أنني شاهدتُ
أسرتين أطيح بهما من نفس هذا العلو؛
وسأرى الثالثة، المُلْك الحالي، يسقط إلى الأرض
في عار أكثر من عار طليعته، وأسرع منها.

= وأدراستيا (الذي لا مفر منه) اسم أقل شيوعاً من نيميسيس. ومعنى العبارة «ينحني أمام أدراستيا» هو محاولة تحاشي سوء عاقبة كلام الزهو، بأن يقوم المرء بحركة ما تدل على الذلة والهوان .

أتــظنني أرتعـد وأنكمش أمــام هؤلاء الآلهـة الحــديثي العهــد
بالسلطان؟
لا أهتم بهم في كثير أو قليل - ولا أعيرهم أقل انتباه!
والآن، ارجع أدراجك في نفس الطريق التي جئتَ منها، فلن تعلم
أي شيء من هنا.

هيرميس : مثل هذا السلوك العنيد والوقح،
هو الذي جرَّ عليك هذا العذاب المؤلم.

پروميثيوس : أفهم هذا: لن أغيِّر عذابي المؤلم؛
بأية شروط، من أجل ذلتك وعبوديتك.

هيرميس : لا شك في أنك تفضل أن تظل عبداً مقيداً إلى هذه الصخرة،
على أن تكون الرسول الموثوق به للأب زوس.

پروميثيوس : إنك تستعمل اللغة المناسبة للوقح.

هيرميس : يلوح لي أنك تجد حالتك الحاضرة ترفاً.

پروميثيوس : أتعتقد هكذا؟ عسى، ذات يوم، أن أرى أعدائي وأنت من بينهم،
في مثل هذا الترف!

هيرميس : ماذا، أنا؟ أتلومني على آلامك؟

پروميثيوس : موجز القول، إنني أمقت جميع الآلهة الذين يجازون على معروفي
بمثل هذا الغضب المخجل.

هيرميس : من الجلي أن جنونك قد امتد إلى شوط بعيد.

بروميثيوس : ربما - إذا سُمِّيتْ كراهية الأعداء جنوناً.

هيرميس : إذا أُطلق سراحك واستعدتَ قوتك، غدوتَ شيئاً لا يطاق.

پروميثيوس : واأسفاه!

هيرميس : واأسفاه! هذه كلمة لم يعرفها زوس قط .

بروميثيوس : ولكن الزمن، عندما يشيخ، سيُعلِّم كل شيء.

هيرميس : لم يُعلّمك الزمن ضبط النفس أو الحزم ـ حتى الآن.

بروميثيوس : كلا ـ وإلا لما جادلتُ إلهاً وضيعاً.

هيرميس : يظهر أنك لن تقول شيئاً مما يريد زوس أن يعرفه.

بروميثيوس : ومع ذلك، فأنا مدين له بالشيء الكثير، إلى أن أرده له مسروراً.

هيرميس : أتمزح معي، أتظنني طفلاً؟

بروميثيوس : ألا تكون عندئذٍ طفلاً، أو أسوأ من طفل، إذا كنتَ لا تزال تأمل
في أن تحصل مني على جواب؟
ما من عذاب، أو عنف، بواسطته
يستطيع زوس أن يحملني على الإفضاء بسِرِّي، إلى أن تُزال عني
أضرار هذه القيود. إذن
فلتنزل اللُّهُب الحارقة من السماء. دع الدنيا كلها بعواصف الثلج
البيض الأجنحة، والرعود تحت الأرضية تنهال وترتج: لا شيء
يجبرني على إظهار بِيَدِ مَن سيطيح القَدَر بزوس من طغيانه.

هيرميس : فكِّر الآن فيما إذا كانت هذه الطريقة تجدي.

بروميثيوس : فكرتُ في كل هذا منذ زمن طويل مضى، وأنا الآن مصمم.

هيرميس : هيّا، وهاتِ ما عندك، أيها الأحمق، بينما لا يزال هناك وقت،
تزن فيه موقفك وتعود إلى صوابك.

بروميثيوس : إنك تضيع أنفاسك سدى. وبوسعك أن تحث الأمواج أيضاً.
لا يتسربَنَّ إلى نفسك أنني بالخوف مما ينوي زوس، سأكشف عن
عقل امرأة، أو أركع أمام عدوي الممقوت بأيدٍ نسوية

مبسوطة للتوسل من أجل إخلاء سبيلي. كلَّا، كلَّا على الإطلاق!

هيرميس : أرى كلامي يجُرُّ كلاماً آخر، وبغير ما فائدة، فمهما رجوتُ، فلا شيء يجعلك تلين أو ترِقّ بل، كحصان لم يُركَب بعدُ، تجرب قوّتك وتمسك بحديد اللجام بين أسنانك وتجذب الأعنة في عنف، غير أن كل عنفك صادر عن قوة ضعيفة واهنة،
لأن العناد خُلُق أحمق، ليس له
قوة في نفسه. فكِّر الآن في أية عقوبات
ستنهال عليك، دون ريب، كعاصفة
الأمواج الشاهقة، إذا رفضت سماع كلامي

فأولاً، سيشق زوس هذه الهوة الصخرية بالزلزال ولهب البرق، ويدفنك تحت الأرض،
وأنت لا تزال مسمَّراً إلى هذه الصخرة المعانقة. وبعد مرور زمن طويل، ستعود إلى النور؛ ثم يأتي كلب زوس القاتم الجناحين، ذلك النسر المتوحش المقبل على الوليمة بغير دعوة، فيمزق لحمك كالخرق ويظل طوال اليوم يولم على كبدك، فينهشه إلى آخره. ولا تأملنَّ في الخلاص
من مثل هذا العذاب، حتى يُعثَر[1] على إله
ليحلَّ محلك في العذاب، وينزل باختياره إلى هاديس التي لا تصل إليها الشمس، وإلى أعماق تارتاروس المظلم.

فكِّرْ، من جديد إذن، فليس هذا مجرد كلام مختلق ولكنه الحقيقة كما تحدَّث بها زوس، الذي لا يكذب، وإنما سينفِّذ كل كلمة نطق بها فمه.

(١) تشير هذه النبوءة إلى القنطور خيرون، فعندما أصابه هرقل، عن غير قصد، بسهم مسموم، صار ألمه عظيماً حتى إن زوس أجاب طلبه في أن ينهي حياته الخالدة وينزل إلى هاديس.

تَبَصَّرْ في كل طريقة؛ وفكِّرْ، وتأكد من هذا:
فدائماً ما كانت الموعظة الحسنة خيراً من العناد.

الكوروس : يبدو لنا أن كلام هيرميس معقول.
إنه يأمرك بنبذ المقاومة وسماع النصيحة الخالصة.
أطعه، فإن حمق العاقل هدّار للكرامة.

بروميثيوس : كنت أعرف ما يريد هيرميس أن يقول
قبل أن يثرثر به. لن يخلّ بشرف
العدو أن يقاسي الآلام على يدي عدوه.
إذن، فلتنزل عليّ حلقات البرق ذات الشعاب
وليثُر الهواء بالرعد واضطراب الرياح العاتية،
ولتُخرج الزوابع قاع الأرض من جذوره، ولتقلب أمواج البحر
المزمجرة بوحشية طريق النجوم في السماء؛
دعه يرفعني إلى فوق ثم يقذف بي إلى تارتاروس المظلم
فوق التيارات الوحشية للمصير الحتمي:
إنني كائن لا يستطيع زوس أن يقتلني.

هيرميس : مثل هذه الأفكار والألفاظ
هي ما يتوقع المرء سماعه من المجانين.
فإن طلباته هذه لتدل على أعراض الاضطراب؛
ولا أرى أية علامة للتحسن.
[إلى الكوروس] أما أنتن، يا من تعطفن على آلامه،
فابتعدن عن هذا المكان بسرعة،
لئلا يشلّ قصف الرعد العاتي حواسكن.

الكوروس : إذا أردتَ أن تحثه، فاستعمل نغمة غير هذه وانصحه بمشورة أخرى. إنك تتكلم بسرعة بالغة، وتأمرنا بأن نفعل ما لا يمكننا التفكير في فعله. أتريدنا أن نتخلق بالجبن؟

سنبقى مع بروميثيوس، وليأت ما يأتي.
لقد تعلّمنا أن نمقت من يتخلون عن أصدقائهم؟
وما من منقصة نحتقرها أكثر من هذه.

هيرميس : إذن، فلتتذكرن تحذيري؛
وعندما تدهمكن الكارثة
فلا تلقين اللوم على الحظ أو تقلن إن زوس قد أغرقكن في آلام غير منتظرة؛
حينئذٍ لا تلومَنَّ إلا أنفسكن وليس زوس.
فإنكن على علم بما سيأتي، ولن يأتي على حين غرة،
أو يحدث سراً.
إن حماقتكن وحدها هي التي ستوقعكن
في شرك الهلاك الذي لا فكاك منه.

[يخرج هيرميس]

بروميثيوس : سيحدث الآن، ينتقل التهديد إلى حيز التنفيذ فالأرض تضطرب،
والرعد يرسل صداه من الأعماق، فيجيبه الفضاء مزمجراً، ويسير البرق الناري في خط متكسر ويومض.
ويرقص التراب داخل دوامة ترتفع كالنافورة؛
وتتقاتل تيارات الرياح الأربع معاً.
وترتب أنفسها في صفوف استعداداً للمعركة؛
ويقعقع الجو والبحر في أصوات مختلطة غير متميزة.
وأرى الطوفان يتقدم نحوي،
وقد أرسله زوس ليخيفني.

أيتها الأرض، يا أمي المقدسة؛
ويا أيتها السماء، حيث الشمس والقمر

يعطيان الضوء للجميع، كل منهما بدوره،
إنكما تريان كيف أظلم. !

تتحطم الصخرة وتختفي، بينما يتفرق
الكوروس في جميع الجهات

مسرحية
السبعة ضد طيبة

السبعة ضد طيبة

مقـــدّمة

تتعلق قصة أوديبوس[1] وأسرته، المعروفة جيداً من بين القصص الطيبية لسوفوكليس، بالجيل السـابق لجيل حصـار طروادة. وهي كقصـة أجاممنـون، تتتبّع أثر لعنة حلّت بأسرة، وجَدَّدَت نفسها بنزق الأجيال المتعاقبة وعدم تقواها. وهي على نقيض الأوريستيا لا تحمل رسالة أمل في «التطهر الداخلي»، ولا تبيد اللعنةُ نفسَها إلا بشهرة تلك الأسرة.

عندما بدأت المسرحية كان أوديبـوس قد مـات منذ مـدة، وتعارك ولـداه إتيوكليس Eteocles وبولونيكيس Polyneices. ويمكننا أن نستنتج أنه كان بينهما اتفاق على اقتسام الحكم فيما بينهما بالتساوي والسلطة الملكية التي ورثاها عن أبيهمـا. غير أن إتيـوكليس حاول أن يستـأثـر بـالسلطة وحـده، ولـذلـك ذهب بولونيكيس يطلب مساعدة أدراستيس[2] Adrastes، ملك أرجوس وستـة ملوك

---

(١) ابن الملك لايوس الطيبي وجوكاستا. ولقد شاعت نبوءة بأن لايوس سيُقتل بيد ابنه، فأمر والده بالتخلص من أوديبوس وأن تثقب قدماه وتُشد فوق جبل كيثايرون (ومن هنـا جاء اسمـه متورم القدمين) ولكن العبد آثر أن يعطيه إلى راع من رعاة الملك بولوبـوس الكورنثي عـلى أن يتخلص منه. فحمله الأخير إلى القصر حيث اعتنى بولوبوس بتربيته واتخذته بيريبويا ابناً لها لافتقارها إلى ولد.

(٢) ابن تيلاوس ملك أرجوس. لما طرده أمفياراوس من أرجوس هرب إلى بوليبوس جده من أمه وكان ملكاً على سوكيون Sycion، فاعتلى العرش بعد وفـاته ورجـع بعد ذلـك ملكاً إلى أرجوس وزوّج أخته إريفيلي من أمفياراوس الذي كان قد اصطلح معه.

آخرين. وبذا جلب قوات ضخمة مختلطة ليهاجم بها المدينة التي وُلد فيها.

غير أن الأخوين كانا قد تنازعا أيضاً مع أوديب قبل موته. وسبب هذا النزاع غير واضح، ولكنه يتعلق بالطريقة التي عاملا بها والدهما بعد أن ظهرت حقيقة زواجه المحرَّم التي أعمى نفسه بسببها. وإذ غضب أوديب من سلوكهما معه لعنهما، وضمَّنَ لعنته النبوءة القائلة بأن غريباً يأتي من البحر ومولوداً من النار، فيقسو عليهما عند تقسيم الميراث بينهما. ويُحَلُّ هذا اللغز في سياق المسرحية. فالغريب هو الحديد، ذلك المعدن الذي استُورد حديثاً من بونطوس (بونطوس لفظ إغريقي بمعنى «بحر») Pontus. لقد اقتسم إتيوكليس وبولونيكيس ميراثهما بالحديد المقسَّى في النار والمشحوذ.

ترجع تلك اللعنة إلى زمن سابق، فقد صبَّها لايوس[1] Laius والد أوديب إذ حذَّره أبولو من أن أحد أبنائه سيقتله، وأمره بأن يعيش ويموت بغير إنجاب أطفال. فلما عصى هذا الأمر، جلب عليه عصيانه عداوة أبولو. وقد حاول إصلاح خطئه بالتخلص من طفله. فكانت النتيجة المعروفة هي المادة التي كوَّن منها سوفوكليس مسرحية «الملك أوديبوس».

وفي مسرحية «السبعة ضد طيبة»، يكون إتيوكليس عالماً بتلك اللعنة التي نزلت بأسرته، حق العلم، ولا سيما لعنة أوديب التي كانت تطارده في أحلامه. وإذ شغله الاستعداد للقتال والتفكير فيه، نسي مصيره الحالك، وأبدى تواضعاً واعترافاً بالآلهة في سلوكه إزاء تهديدات عدوه. فأرسل أبطاله المحاربين الذائعي الصيت، واحداً واحداً، ليواجهوا هجوم الملوك عند ستة أبواب من أبواب طيبة السبعة.

وعندما لم يبق غيره، أخبره الرسول بأن شقيقه بولونيكيس يقود الهجوم بنفسه على الباب السابع. وينصح كل من الرسول والكوروس إيتوكليس بأن يتحاشى سفك دماء أخيه بأن يرسل في طلب محارب آخر، أو بأن يغيِّر الخطة

---

(١) ملك طيبة ، ابن لابداكوس وزوج جوكاستا التي أنجبت له أوديبوس .

التي صمم عليها من قبل. وليس رفضه أن يفعل هـذا راجعاً فقط إلى خشيتـه الظهور بالخوف من أخيه، ولا إلى خجله من مواجهـة شقيقه وتنفيـذ ما اعتـزم عليه، وإنما يرجع أيضاً إلى الإحساس الإغريقي بالمأساة الذي شعر به، وإلى اعتقاده بأنه لا مفر من القضـاء المحتوم. فعنـدما سمـع أن أخاه قـد وصل إلى الباب السابع، أدرك من فوره أن اللعنة قد أحكمت قبضتها عليه، فقال في نفسه إنه يستطيع أن يتحاشاها بتغيير خطته في هذه الفرصة، بيد أنها سوف تمسك به مرة أخرى في مظهر ربما كان أشد هولاً وأعظم إيلامـاً. إذن، فهي نازلـة به لا محالة ولا سبيل إلى الإفلات منها.

هكذا نظر إتيـوكليس إلى الموقف. أمـا الكوروس فنـظر إليه من جـانب آخر. فلو ركن إتيوكليس إلى التواضع والتقوى، اللذين أبداهما، وتبادل الأبواب مع محارب آخر من الأبطال الستة، لسار كل شيء على ما يرام، ولانصـرف عنه غضب الآلهة الذي كان يغلي وقتذاك حاراً. فإن سفك دم الأقارب عندئذٍ معناه اليـأس من الهـروب من اللعنـة، وتحقيق المصيـر الـذي تـرسله السمـاء على المدينة. وبمعنى آخر، يشعر الكوروس أنه بالرغم من أن اللعنة حقيقة واقعة فإن مصير بيت أوديب يقع في تلك اللحظة فيما يختاره إتيوكليس. ولما كان هو رجلاً بتلك الصفـة وابن أوديب، فإنـه سينصـرف من تلقـاء نفسـه ويختـار الـطريقـة الخاطئة. بيد أنه لا تزال هناك فـرصة لإمكـان الاختيار الصـواب، وبذا أُرْضَى الآلهة. غير أن أيسخولوس لا يعرض هذه في نتيجة الآراء الحرة، ولكنه يعرضها في النّص كما هي في نصّ مسرحية أجاممنون Agamemnon.

الفعل الدرامي قليل جداً في هـذه المسرحيـة، ويتكون حـوالي ثلثه من المنظر الذي يصف فيه الرسول كل بطل في الجيش الغازي، ويصف أسلحتـه وأخلاقه. فيصور الخمسة الأوائل منهم شديدي الكبرياء والغطرسة. وهذا يجعل إتيوكليس يتأكد من عدم وقوف الآلهة إلى جانبه. أما أمفياراوس Amphiaraus، البطل السادس، ففي غاية التواضع والتقوى، وكان متردداً في القيام بأي دور في تلك الحرب. فكان من الممكن استغلال هذه الطيبة، بيد أن إتيوكليس اختـار

لاستينيس Lasthenes لكي يواجه أخاه، وترك النتيجة للآلهـة. بعد ذلـك تأتي ذروة العمل الدرامي، وهي وجود بولونيكيس أمام البـاب السابـع. هذا كـل ما يمكن أن يوجد في الصورة الدرامية لهذا المنظر الطويل الراكد. ومع ذلك، فلا يوجد فقط خيال طليق وكلام مؤثر في كل حلقـة وفي أناشيـد الكوروس، بـل وتتضمن المسرحية كلها كمجموعة واحدة، متعة إضافية عندما ندرك أنه قد تناول نتـائج السيـاسة الأثينيـة بوضـوح وبقوة. وكمـا قال أريستـوفانيس في مسـرحية «الضفادع»، هذه قبل كل شيء مسرحية زاخرة بالـروح الحربيـة. ظهرت هـذه التمثيلية سنة ٤٦٧ ق. م. أي بعد أن دمر الفرس أثينا تدميراً شاملاً باثنتي عشرة سنة فحسب. وطالما حث قادةُ أثينا البعيدو النظر مواطنيهم على أن يحيطوا تلك المدينة بسور منيع لأن قوّتها المتزايدة قد خلقت لها الأعداء في كل مكان، حتى في بلاد الإغريق نفسها. وما من شك في أن بالمسرحية كثير من العبارات التي تحمل إلى النظارة تحذير الشاعر لهم ونصحه إياهم بالتزام الحكمـة في الوقت المناسب. ففي خلال سنة أو اثنتين من ظهور تلك المسرحية بديء في تحصين الأكروبول بطريقة جدية.

مسرحية «السبعة ضد طيبة» ثالث مسرحية في مجموعة ثـلاثية الأولى منها «لايوس» والثانية «أوديب». ولا بد أن تألق وشهرة مسرحية سوفوكليس التي عنوانها «الملك أوديب»، همـا المسئولان عن اختفـاء مسرحيـة أيسخـولـوس في نفس الموضوع. بيد أنه يتضح من بعض الإشارات في هذه المسرحية أن أيسخولوس قـد تتبَّعَ الهيكـل العام لهـذه القصـة كمـا نعـرفهـا. ولسـوء الحظ، ليس نص المسرحية هو ما تركه أيسخولوس. فبعد أن مضى على وفاة ذلك الشاعر خمسون سنة أو يزيد، عندما كانت مسرحية أنتيجوني Antigone لسوفـوكليس من أشهر المسرحيات في القائمة الأثينية، كُتبت خاتمة جديدة لمسرحية أيسخولوس هذه، تقدِّم أنتيجوني وإيسميني[1] Ismene والإعـلان الذي يُحـرِّم دفن بولـونيكيس،

---

(١) ابنة أوديبوس وشقيقة أنتيجوني.

وتَحَدِّي أنتيجوني. وأسلوب هذه الخاتمة الزائفة رائع. وإن النظارة الإنجليز ليشعرون بأنها أنقذت هذه المسرحية الفاترة في اللحظة الأخيرة. غير أن الشاعر كان يقصد، دون أي شك، أن ينهي المسرحية بالحداد على الأخوين. وبموتهما انقطع دابر تلك الأسرة وتحققت اللعنة. أما الأختان فلا أهمية لهما، وليس لمنظرهما، الذي يقدم باباً جديداً في القصة، مكان في المسرحية الثالثة من هذه المجموعة. وبما أن الخاتمة الأصلية ـ التي ربما كانت تتراوح بين عشرين وخمسين سطراً ـ مفقودة، فليس أمامنا إذن إلا أن نترجم المسرحية كما هي في المخطوطات.

السبعة ضد طيبة

Ε ΠΤΑ ΕΠ ΘΗΒΑΣ

أشخاص المسرحية

إتيوكليس Eteocles : ملك طيبة

جندي

كوروس من النساء الطيبيات

أنتيجوني Antigone
اسميني Ismene
} شقيقتا إتيوكليس.

رســـول

ستة أبطال طيبيين مسلحين، وجنود آخرون، ومواطنون وخدم.

المنظر : ميدان فسيح في مدينة طيبة. بعض التماثيل البدائية للآلهة، قائمة فوق قواعدها. يمتد المنظر في الخلفية فوق سور المدينة إلى الوادي الطيبي حيث يعسكر الجيش المحاصِر. الوقت، قبيل الفجر.

يدخل عدد من المواطنين وهم يتكلمون بحدة، ثم يسكتون فجأة عندما يصل إتيوكليس. يتبع إتيوكليس بعض الجنود، وقد ارتدى ثياب ملك، ولكنه غير متوَّج.

إتيوكليس : أيها المواطنون، يا أبناء كادموس[1] Cadmus. إن الرجل الممسك بدفة الدولة، ويدير من مقصورته، بعينين ساهرتين، مصائر مملكته، يجب أن يتكلم بما يتطلبه الموقف. فإن سار كل

---

(١)كادموس هو المؤسس الأسطوري لطيبة. وكانت مدينته تسمى أولاً كادميا Cadmea. وفي القرن الخامس كانت الكادميا هي أكروبول طيبة. وكانوا يعتقدون أنها المدينة الأصلية المسورة. ويتحاشى أيسخولوس طوال هذه المسرحية ذكر اسم طيبه الذي كان يمقته الأثينيون. إذ في سنة ٤٧٩ ق. م.، أي قبل تأليف هذه المسرحية باثنتي عشرة سنة، حاربت قوة من طيبة إلى جانب الفرس الغزاة، في موقعة بالاتيا. وعندما يستعمل أيسخولوس اسم كادميا، لا يحدد تاريخ مسرحيته فحسب، بل ويتجنب ذكر اسم يمقته متفرجوه. وليس العنوان «السبعة ضد طيبة» هو العنوان الذي ظهرت به المسرحية في أول عهدها، وإنما استعمله أريستوفانيس بعد ذلك بحوالي ستين عاماً.

شيء حسبما نهوى، فشكراً للسماء، ولكن إذا ـ لا قدَّرَت السماء ـ قابلنا سوء الحظ، فإن إتيوكليس سيكون الاسم الوحيد الذي تتناوله الألسنة في كل شارع بالتهديدات وعويل المواطنين الساخطين؛

عسى زوس الحافظ، أن يحفظ منه المدينة التي أسسها كادموس! ولكنكم كذلك، يجب أن تقوموا بدوركم.

الشاب الذي لا يزال تنقصه الرجولة، والرجل العجوز المسن الذي مضى خير جزء من حياته ـ ليستخدم كل منهما قوته الحيوية إلى أقصى ما بوسعه، وليراقب كل طريق كما يتطلب الواجب، احرسوا مدينتكم خير حراسة، واحرسوا مذابح آلهتها، حتى لا يبيد مجدها اللائق؛ واحرسوا أولادكم، وهذه الأرض العزيزة، أمَّكم ومربيتكم؛ لأنها، عندما كنتم أطفالاً تَحْبُون، غذَّتكم بتربتها الحنون التي ترحب بكل آت جديد، وتحمَّلَتْ عبء تربيتكم وتنميتكم، وجعلتكم رجالاً جديرين بتأسيس البيوت، وحمل التروس، والنمو في القوة والقيمة، والقدرة على تلبية طلب هذا اليوم.

إن كفة الحظ راجحة في جانبنا حتى الآن، فشكراً للآلهة، التي أعطتنا خلال مدة الحصار الطويلة هذه،

الميزة في الحرب، أما الآن، فإن عرّافنا(1)، الذي يحتفظ بطيور العرافة، وبغير مساعدة النار يخبر بمجرد السماع والتأمل، بطريقة لا تخطيء، عما تدل عليه الفؤل. فلما فسَّرَ مثل هذه العلامات، قال إن هجوماً ضخماً بين الآخيين، يُدَبَّر الآن في هذه الليلة لاقتحام مدينتنا.

(1) أغلب المؤكد أن من يقصده أيسخولوس هنا هو تايريسياس Teiresias، الذي تروي الأساطير أنه عاش حتى رأى أكثر من سبعة أجيال.

إذن، فإلى الأسوار! تجمَّعوا عند الأبراج والأبواب، إلى الأمـام،
في كـامل أسلحتكم، سيـطروا على قمـة الأسوار؛
واملئوا كل موضع في كل حصن؛
واثبتوا في مدخل الباب
بشجـاعة. ولا تخـافوا قط ، حشـود الأجـانب هـذه!
فـإن الـرب سيعطي النصر.

[يصيح المواطنون ويهتفون]

وقد أرسلتُ الكشافين ليستطلعوا جيش العدو؛ وأنا واثق من أنهم لن يضيعوا وقتاً؛ وسيقدمون تقريرهم بسرعة حتى أكون آمناً من كل مباغتة.

[يدخل جندي]

الجندي : أي إتيوكليس العظيم النبل، يا ملك الكادميين، هأنذا آتيك بأنباء موثوق بها عن جيش العدو، حيث رأيتُ بعيني رأسي كل ما يدور هنالك.

أخذ الأبطالُ السبعةُ، قوادُ الجيوش، ثوراً وقطعوا رقبته، وجمعوا الدم في ترس أسـود، وغمسوا أصـابعهم في دم الثور، وأقسمـوا يميناً باسم «القسوة» المرهوب، وباسم «الفزع» المتعطش للدماء، على أنهم إما أن يبيدوا مدينة الكادميين، ويجعلوا أرضها يباباً، أو يموتوا.

ويختلط دمهم بتربتنا. وجاءوا بتذكارات خاصـة بهم لتعلَّق على عـربة أدراستـوس[1] Adrastus وتؤخذ إلى والـديهم في الوطن؛ وبكوا بالدموع، ولكن ما من واحد منهم نطق بكلمة حزن. كانت

(١) ابن تيلاوس ملك أرجوس.

قلوبهم من الحديد، مستعرة بالشجاعة، كالشرر المنبعث من عيني
الأسد.
لم أتوانَ في المجيء بهذه الأخبار، رغم سوئها؛ وتركتهم يسحبون
الأزلام، جاعلين الحظ يقرر كيف يقود كل منهم جيشه لاقتحام
أبوابنا.

إذن، فانتق في الحال أقدر محاربي المدينة وضعهم عند الأبواب
المفتوحة. فإن كامل قوة أرجوس تزحف علينا الآن بأقصى سرعة؛
وإن البخار الأبيض لأنفاس خيولهم ليملأ السهل برمته. لذا، كن
رباناً حكيماً للسفينة، وتأكد من مناعة كل شيء قبل أن تنفجر
عاصفة الحرب على أسوار مدينتنا.
فإن أمواج المحاربين المسلحين تزمجر فوق اليابسة، ولكي
تلاقيهم، استخدم
كل وسيلة تبدو أتمَّ استعداداً. سأراقب بعين يقظة، بالنهار، بما لا
يقل عنك؛ وآتيك بالتقارير الحقيقية من ساحة الوغى مباشرة؛
فإنك إذا ما حُذِّرتَ من قبل، لم يصبك الأذى.

[يخرج الجندي]

إتيوكليس : أي زوس، أيتها الأرض، أيها الآلهة الذين يحرسون هذه المدينة!
أي لعنة والدي أوديب[1]، القوية في الانتقام! انظروا إلى هذه

---

(١) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: «يا لعنة والدي وإيرينوسه Erinys القوية (جمعها Erinyes). وقد استعملت كلمة إيرينوس هذه، كثيراً في هذه المسرحية. وتدل على مخلوق أرقى من البشر يتعلق بفكرة تنفيذ العقاب. إنه روح الانتقام أو روح الحقد الدفين الكامن في الطبيعة الأخلاقية وليس في الطبيعة الإنسانية، وتمثل الإيرينوس (وخصوصاً في الأوريستيا Oresteia) على أنها مخلوقات من الإناث، بشعة المنظر، مقيتة الطلعة، ذات أجنحة، وترتدي ثياباً سوداء، تطارد وتعذب من اقترفوا جرائم معينة، مثل قتل الأم. وعلى ذلك إذا لعن أب أبناءه، كما فعل أوديب، قامت الإيرينوس بتنفيذ ما تتضمنه اللعنة. وإيرينوس الفرد=

المدينة، التي تتدفق منها الصلاة باللغة الإغريقية:
لا تسلموها إلى أعدائها
مدمَّرةً، محطمَّة، وبيتها ومذابحها مهدمة وسط التراب! لا تسمحوا قط باستعباد حرية هذه المدينة، مدينة كادموس، في السلاسل والأغلال القاسية. هبُّوا إلى مساعدتنا. فإن قضيتنا المشتركة لتنطقُ من أجلنا: لأن الأرض المزدهرة تمجد الآلهة.

[يخرج إتيوكليس[1]، يتبعه المواطنون. بعد لحظة يدخل كوروس من النساء، من جميع الأعمار، في فوضى واضطراب. ينظرن نحو السهل المكشوف].

الكوروس : أواه! إنني أبكي ألم الفزع المريع! لقد انطلق جيشهم؛ وغادر المعسكر.
انظروا! ها هم قادمون، يتدفقون قُدُماً، يتقدمهم الفرسان؛
أعرف ذلك من النقع المثار في الجو،
الذي رغم كونه عديم الصوت، فإنه يروي القصة الحقيقية في وضوح.

[يُسمع ضجيج وصخب من بعيد]

إن وقع حوافر الخيل فوق الأرض قد أربكَ حواسي.
وإن الصوت ليقترب؛ إنه يطير،
إنه يقعقع برعد سيل الجبل غير المقاوَم!

(وهو المعنى المستعمل كثيراً في هذه المسرحية) ليس مفهوماً تماماً، وإنما يقرب من «الروح الشريرة» أو الشيطان الذي ينوب عن المرء في مطاردة من أذنب معه.

(١) توجد بعض إشارات في النص إلى أن المنظر يتغير عند هذه النقطة من الأجورا Ogora (أو مكان الاجتماع) إلى الأكروبول، وكذلك عند خروج إتيوكليس للمرة التالية (كما سيأتي فيما بعد) إلى الأجورا. ولكن جميع المظاهر الأساسية يمكن تمثيلها في منظر واحد.

اسمعونا، اسمعونا، اسمعونا، اسمعونا، أيها الآلهة والربات!
إن الموت ينقضّ علينا؛
هلموا إلى نجدة أسوارنا ، واحمونا !
فالجيش ذو التروس البيضاء والأسلحة المشحوذة،
يهجم على مدينتنا.
أيُّ آلهة، أو أية ربات ستنقذنا أو تشد إزرنا؟
لماذا لا أخِرُّ متوسلة، في الحال،
وأمسك بالتماثيل المقدسة؟
اسمعونا، يا من تجلسون على عروش المباركين!
هذا وقت التعلق بالتماثيل، لماذا نَنتظر مرتبكات؟
أتسمعون صليل التروس، أو لا تسمعونها؟
فإذا كنتم لم تسمعوها، فلماذا نلجأ إلى الصلاة،
ونتوسل بهدايانا من الأثواب والأكاليل؟
إني لأرهب ذلك الصليل، إن ذلك الصوت ناشيء عن عشرة آلاف رمح.
أي أريس، ماذا أنت فاعل؟
هل ستهجر هذه الأرض، التي هي أرضك منذ البداية؟
أيها الرب ذو الخوذة الذهبية، تطلّع وانظر إلى مدينتنا، التي أطلقتَ عليها، فيما مضى، اسم «مدينتك المحببة»، وإن أنفاس أريس لتطردهم.
إذن، فيا زوس، أي أبتاه زوس، السيد الملك،
أرجعْ أعداءنا على أعقابهم، واسلبهم فريستهم!

إن الأرجوسيين ليحاصرون قلعة كادموس؛
وقد رُوِّعنا بآلات الحرب.
إن قِطَعَ اللجُم التي بين أسنان الخيول، لتنشد أغنية للقتل؛

هنـاك سبعة قـواد، وهـم يمسكون رمـاحهم في أيـديهم، وتتـألق أسلحتهم ويعلو بـريقها على كـل مـا سـواهـا، يسحبـون الأزلام ويتخذون مواقفهم كلٌّ منهم عند الباب الذي يقع من نصيبه.

وأنتِ، أيتها المولودة من زوس،
أي الاس[1] القوية، المُمَجَّدَة في القتال،
كوني مخلِّصتنا!
وأنتَ، يا خالق الخيول، يا ملك البحار،
يا پسايدون، اضـرب برمحـك الثلاثي الشعـاب، رمح صيـادي السمك،
اجلب علينا خلاصاً من الفزع .
وأنت، يا أريس، يا أريس؛
احرس المدينة التي سماها كادموس،
احمنا بحضورك البراق.
وأنتِ أيضاً، أيتها الربة الكوبرية، أم عشيرتنا،
ساعدينا، فرغم أننا مولودون من دمكِ،
فإننا، بالصلوات التي نقدمها للآلهة،
نتقرّب إليكِ وندعوكِ.
وأنتَ أيضاً، يا أبولو، أيها الإلّه الذئب، تحَوَّلْ ذئباً واهجم على قطيع رجـال العدو، معـطياً أنينـاً نظيـر أنين،
وأنتِ أيضاً، أيتهـا العذراء، ابنة ليتو[2] أحضري قوسكِ.

[فترة توقُّف، يصغي خلالها الجميع بانتباه،
ثم يقطعن الهدوء بصرخة فزع]

---

(١) لقب لأثينا.

(٢) ابنة كويوس وفويبي، ووالدة أبولو وأرتيميس من زوس.

لقد سمعتُ قعقعة العربات!
إنها تطوف حول المدينة، أيتها الملكة هيرا.
هذا الصوت ناشيء عن خشخشة محاور عجلات العربات الثقيلة الأحمال. أشفقي علينا، يا أرتيميس!
إن الجو ليضطرب من اهتزاز الرماح.
ماذا سيحدث لمدينتنا؟
ماذا سيتمخض عنه هذا الحادث؟
ما هو الغرض الذي يأمر به الرب؟

[يُسمع صوت ارتطام بالخارج، فتصرخ النسوة من جديد]

صه! إن الأحجار لتنهال على قمة أسوارنا! أي أبولو المحبوب!
وتصلصل التروس ذوات الإطار البرنزي، عند الأبواب.
وأنتِ أيتها الملكة أثينا[1]، المباركة في المعارك، التي أعطاكِ زوس السلطة المقدسة لتقرري مصير الحرب، قفي إلى جانبنا، وأنقذي وطننا، هذه المدينة ذات السبعة الأبواب.

اسمعونا، أيها الآلهة الكاملو القوة؟
اسمعونا، أيها الآلهة الملوك، والربات،
يا حافظي حصون مملكتنا:
لا تخونوا مدينتنا
من جهاد القتال هكذا
إلى أعداء ذوي عقول أجنبية.
استمعوا إلينا، نحن الفتيات، كونوا عادلين وأنصتوا
إلينا ونحن نبسط أيدينا إليكم بالصلاة.

(١) لم تكن هذه الربة من آلهة الإغريق وإنما كانت لديهم «أونكا Onca». كان ذلك هو الاسم الأصلي لتلك الربة الفينيقية النشأة، التي كانت تُشَبَّه بأثينا في طيبة، وكان لهـا معبد خـارج المدينة بقرب أحد الأبواب.

اسمعونا، يا آلهتنا، وخلّصونا؛
قفوا بمحاذاة مدينتنا، وأظهروا لها محبتكم.
تذكروا تقديمات هذا الشعب،
وعندما تتذكرونها، خلّصونا!
فلتتركّزْ أفكاركم على الطقوس المقدسة لمدينتنا
وضحاياها المخلصة.

[يدخل إتيوكليس]

إتيوكليس : أيتها المخلوقات التي لا تطاق، إنني أسألكن،
هل هذه هي طريقة إنقاذنا؟
هل هذا مما يشجع مقاتلينا الواقفين على الأسوار
ـ أن ترتمين على تماثيل آلهتنا الحارسة
وتُعْوِلْن وتصرخن، الأمر الذي يمتعض منه كل ذي لُب؟
النساء! أرجو أن أُجَنَّبَ مئونة الحياة بينهن،
سواء في وقت الحرب، أو خلال نعمة السلام!
أعط النساء حريتهن،
تجدهن جريئات فوق ما يطاق، ولكن، ما إن يشعرن بالخطر حتى يضاعفن
كل صعوبة، في المدينة وفي البيت.
انظرن الآن، إنكن بالاندفاع مذعورات هنا وهناك
تغمرن قلوب مواطنينا بالخوف والجبن.
وبذا ينال العدو كل ميزة يرغب فيها،
بينما نحن في داخل الأسوار ـ نقطع رقابنا بأنفسنا.
هذا ما يتأتى من الحياة وسط حشد من النساء.

والآن، كل من لا يخضع لسلطتي،
سواء أكان رجلاً أو امرأة، أو أي شيء بين هذا وتلك،

سيُحكم عليه بحجر الموت[١]. نعم، سيموت
دون استئناف الحكم؛ سترجمه أيدي الشعب بالأحجار حتى يموت.
الحرب من شئون الرجال، ولسنا بحاجة إلى كلام النساء.
ليس لكُنَّ مكان هنا، ادخلن إلى بيوتكن حيث لا تُحدثن ضرراً.
أسمعتُنَّ هذا، أو لم تسمعن؟ أو هل أنتُنَّ صُمُّ الآذان؟

الكوروس : يا ابن أوديبوس العزيز،
إن ما خوّفني هو صوت قعقعة وخشخشة العربات،
صراخ المحاور والعجلات الدوارة،
ونغمة الدفة الخشنة
التي تُمسك الخيول من أفوهها،
القطع الحديدية المشكَّلة بالنار، التي تضبطها[٢].

إتيوكليس : إذن، فهل يهجر قائد الدفة الذي يعمل في بحر هائج
عجلة الدفة ويهرع إلى مقدم السفينة؟

الكوروس : كلاَّ... ولكني أثق في الآلهة، ولذا جريتُ إليها، إلى هذه التماثيل العتيقة، مباشرة

(١) يشير بهذا إلى طريقة التصويت عن الاتهام أو البراءة بوضع حجر أسود أو أبيض في آنية. وفي العبارة التالية جناس في نوعي الأحجار المسببة للموت.

(٢) ما يصفه الشاعر في هذه الفقرة هو العجلات وأجهزة العربات والأصوات التي تحدثها وهي تمر. والصور المستعملة في وصفها هي المزامير الموسيقية (تستعمل نفس كلمة Syrinx للمزمار وللثقب الأسطواني الموجود في سرة العجلة)، وأجهزة قيادة السفينة التي استخدم مصطلحاتها للتعبير عن اللجام والقطع الحديدية التي توضع في أفواه الخيول. والمعنى كله معقد في اللغة العربية، ولكن هذه أشياء مألوفة في كل يوم للأغارقة. فاستخدام الدفة للحصان يشبه استخدام اللجام للسفينة. وتعطي الترجمة المعنى بصورة مفهومة، ولا نحاول أكثر من الإشارة إلى الاستعارات والكنايات.

عندما سمعتُ صوت ذلك الارتطام القاتل على أبوابنا.
نعم، ساقني الفزع عندئذٍ
إلى الصلاة للآلهة المباركة
لتضع يداً حامية فوق مدينتنا.

إتيوكليس : صلِّين لكي تظل أسوارنا ثابتة أمام رمح العدو[1].
أليس هذا من صالح الآلهة؟ لأنهم يقولون
عندما يستولي العدو على مدينة، ترحل عنها جميع آلهتها.

الكوروس : أتمنى ألا أعيش لأرى
مجلس الآلهة الكامل هذا يهجرنا،
والجنود الأجانب تملأ الطرقات في مدينتنا،
يهدمون، ويحرقون، ويحطمون.

إتيوكليس : صلين إذا شئتن، ولكن لماذا تبتعدن عن المعقول؟
لماذا يقول المثل السائر، يجب البحث عن الأمان؟
إن «الطاعة» هي أم «الأمان»، وهي كذلك زوجة «المخلص».

الكوروس : هذا صحيح؛ ولكن قوة الآلهة لا تزال أعلى؛
وغالبا، عندما يكون الناس عاجزين إزاء الكارثة،
عندما تغشى عيونهم سحب قاتمة.
حتى في أشد الأحزان عناداً،
فإن عون الآلهة تدلهم على الطريق

إتيوكليس : إن خدمة الآلهة، والتقدمات الدموية، والتضحية
من أجل الآلهة، هي كل ما يهتم به الرجال، عندما يجربون قوتهم

---

(١) يعود الشاعر هنا إلى استخدام الكنايات البحرية: فالمصطلح «To hold Firm» يعني «لا ينفذ إليه الماء». وكلمة Spear ومعناها رمح، يقصد بها قاع السفينة. وهكذا يصور سفينة تصطدم بأخرى.

مع العدو. أما مهمتكن فهي أن تمكثن في البيوت.

الكوروس : سنعيش بعون الآلهة، في مدينة غير مقهورة، وتبتعد عن أسوارنا جموع الأعداء،
ليست الآلهة غاضبة، لأننا نصلي لهم.

إتيوكليس : لا أمانع في تمجيدكن للآلهة؛
على أن يكون هذا في هدوء وعدم خوف؛
إنكن تنشرن اليأس بين مواطنينا.

الكوروس : لقد أرعبتني أصوات الحرب المفاجئة المختلطة، فجريتُ من هنا مذعورة إلى الأكروبول،
بيت الآلهة المقدس.

إتيوكليس : اصغين إليَّ: إذا بلغ مسامعكن أن الرجال يموتون ويُجرحون، فلا تستقبلن الأخبار بالصراخ، فإن دم الرجال غذاء لأريس.

الكوروس : هناك! إنني أسمع صهيل خيول!

إتيوكليس : لا تهتمي بالسمع إلى هذا الحد.

الكوروس : إن قلعتنا تئن من أساسها!
ها هم قد التفوا حولنا.

إتيوكليس : لا شك في أنني سأهتم بهذا الأمر ـ اتركي كل شيء لي.

الكوروس : إنني خائفة، إن صوت الطرق على الباب يعلو.

إيتوكليس : صه! لا يجب أن نتحدث هكذا عن المدينة.

الكوروس : أيها الآلهة الذين تقاسموننا حياتنا! لا تهجروا هذه الأسوار.

إتيوكليس : فليأخذكن الطاعون! ألا تتذرّعن بالصبر وتُمسكْن ألسنتكن عن الثرثرة؟

الكوروس : أيها الآلهة، نحن شعبكم، احفظونا من الاستعباد.

إتيوكليس : إنكن اللواتي تجعلن مني عبداً، ومنا جميعاً.

الكوروس : أي زوس، القادر على كل شيء، سدِّدْ ضرباتك ضد أعدائنا.

إتيوكليس : أي زوس، أية هدية منحتنا عندما خلقتَ النساء!

الكوروس : تتألم النساء كما يتألم الرجال إذا ما سقطت مدينتهم.

إتيوكليس : أتنطقن بمثل هذه الألفاظ(١)، وأيديكن على التماثيل المقدسة؟

الكوروس : لقد فقدتُ شجاعتي، وذهب الذعر بلساني.

إتيوكليس : أتوسل إليكن! لا تجبرنني على اتخاذ إجراءات أكثر خشونة.

الكوروس : لسنا نعلم ماذا تريد منا، أوضحه لنا.

إتيوكليس : أريد أن تمسكن ألسنتكن التعيسة، ولا تخوفن أصدقاءكن.

الكوروس : سمعاً وطاعة، فالقَدَر واحد للجميع، سنتحمله.

إتيوكليس : تسرني هذه النغمة أكثر من السابقة. والآن. اعملن أكثر من ذلك.
لا تتشبّثن بهذه التماثيل، وصلِّين صلاة أحسن من الأولى، أن تقاتل الآلهة من أجلنا، واصغين أولاً إلى نذوري، ثم ارفعن صرخة النصر القوية بقلوب طيبة، صرخة التضحية التي يألفها الإغريق قاطبة، لتُحَمِّسَ رجالنا وتجعلهم غير هيّابين في الميدان.
وأنا من ناحيتي، أنذر لآلهة مملكتنا الحارسين، الذين يسهرون على حقولنا وعلى شوارع مدينتنا،
وإلى نافورة ديركي Dirce، وإلى نهر إسمينوس، أنه إذا صار

---

(١) تدل العبارة «إذا سقطت مدينتهم»، بطريق غير مباشر، على الكارثة التي تجعل، هي نفسها، الكارثة وشيكة الوقوع، وهذه في حد ذاتها إهانة للآلهة التي تُطلب مساعدتها.

النصر لنا، ونجت هذه المدينة، تجري دماء الأغنام فوق مذابح آلهتنا،
وأذبح لها الثيران ، وأكرس التذكارات ،
من أثواب أعدائنا. استمعوا إلى صلاتي، أيها الآلهة:
«أثواب أعدائنا، ومغانم المعارك المشقوقة بالسيوف،
سأعلقها كأكاليل في معابدكم المقدسة».
هذا ما يجب أن تكون عليه صلاتكن؛ وليس بهذا النحيب المرتفع،
وليس بالنطق بتلك الألفاظ البربرية الحمقاء أمام الآلهة؛ الذين، بكل تأكيد، لن ينقذوكن مما سوف يأتي. وفي هذه الأثناء، سأختار ستة رجال، ثم أعود، فأضعهم معي، وأكون أنا سابعهم، لحراسة أبوابنا السبعة، لكي نكون متعادلين مع العدو في العزة والقوة، وإلا فستصل الإشاعات السريعة إلى شعبنا.
وتملؤها بحُمّى الخوف الباطل.

[يخرج إتيوكليس]

الكوروس : هأنذا أطيعك، غير أن عقلي متيقظ بالخوف.
والقلق المجاور لقلبي،
يشعل نار الخوف من الجموع التي تحاصرنا،
فأكون أشبه بيمامة ترهب،
من أجل سلامة صغارها في عشها،
الأفعى الزاحفة بقسوة إلى فراش تلك الصغار.
أُنْظُرْ إلى حيث يتقدم نحو أسوارنا،
أولئك المحاربون، الذين من كل نوع، إنهم أُمّة تحمل السلاح!
ماذا سيكون مصيرنا؟
وانظر ثانية، ها هم يقذفون وابلاً من الأحجار الحادة الأطراف

على الرجال المعتدين بالسيف والمقلاع .
أيها الآلهة السماوية المولد،
ضعوا كل قوة
لإنقاذ المدينة والعشيرة التي أسسها كادموس.

أية مملكة صالحة للسكنى ستجدونها خيراً من هذه،
إذا سلمتم إلى أعدائنا أرضنا العميقة،
وينبوع ديركي، أكثر الأمواه تغذيةً
التي يصبها بوسايدون، مطوِّق الأرض،
وأولاد تيثيس، ليشربها رجالنا؟

ولهذا، أيها الآلهة الحارسون،
أنْزِلوا الفوضى بالجيش الواقف عند أبوابنا،
واقتلوا رجاله وهم يقذفون بتروسهم؛
واربحوا المجد لأنفسكم بين شعبنا.
هلموا إلى إنقاذ مدينتنا،
ثبِّتوا عروشكم بيننا ،
استجابة لنحيبنا المرتفع وصلواتنا.

كم يكون مؤسفاً أن يُحكم هكذا،
على مدينة عريقة، بالفناء،
ويُستولى عليها بالسيف، وتُستعبَد،
وتصبح أكواماً من الرماد المنهار،
وتُترك وحيدة يجللها العار
بأيدي الآخيين Achaians ومشيئة الآلهة؛
الذين يرمِّلون النساء، صغيرات وكبيرات،
ويجرونهن من شعورهن كما تُجَرُّ الخيول،

وقد غدت ثيابهن أسمالاً على أجسادهن ؛
وعند الجلاء عن الخرائب، ترتفع صرخة،
الأصوات المختلطة الصادرة من أولئك الأسرى
الذاهبين إلى حتفهم.
إنه لمستقبل مفزِّع، ذلك الذي أرهبُه.

يجب أن تُذْرَف الدموع من أجل الفتيات الرقيقات التربية،
اللواتي قطفن زهرة عذريتهن قبل طقوس الزواج
ويسرْن في الطريق المقيت إلى بيوت جديدة.
ماذا سيكون مصيرهن؟ أقول إن الموتى يتمتعون بحظ أعظم سعادة.

عندما تنهزم مدينة
يلاقي أهلها كثيراً من الآلام والمحن،
فيقبض رجل على رجل آخر، أو يقتله؛
ويجلبون النار ـ ويغدو المكان كله فاسد الجوّ بالدخان.
ويسيطر جنود أريس على الناس زرافات زرافات،
ويتنفس القنوط فوق المشاعر الموقرة.

يملأ الطرقات ضجيج الصياح؛
ويسقط سور الأبراج،
ويواجه الرجل الرجل فيسقط أمام الرمح،
مضرجاً بالدم، وتصيح أمهات الأطفال الحديثي الولادة
باكيات على أطفالهن المذبوحين على صدورهن؛
وتُشتِّت العصابات الجوّالة أفراد الأسرة الواحدة.
ويلتقي الناهب بالسالب، وكلاهما مُحَمَّل؛
وخالي اليد ينادي خالي اليد
ليجرب حظه معه غير قانع،
بنصيب أقل أو معادل لنصيب زميله.

فيقول كل منهما، «إنك لا تستطيع أن تسعى لنفسك،
فإذا تخلّفتَ، فمن كان ينتظرك؟»
هناك مخزون من الطعام مبعثر فوق الأرض بغير نظام ـ
وهذا منظر تحزن له ربة البيت؛
وهدايا الأرض الجميلة ملقاة، بعضها مع بعض بدون اعتناء
أسفل بقايا الأطعمة المتروكة بغير اهتمام.
أما الفتيات الصغيرات، وقد غدون إماء، وجديدات
على الأحزان،
وصرن جوائز حرب، فينتظرهن فراش مؤسف،
فراش رجل كل حظه أنه هزم عدوه؛
هناك يلتقين ليلاً مع فضٍّ بكارتهن،
ويستبدلن بالراحة ألماً، ودموعاً لا تنقطع.

الكوروس الأول : صديقاتي العزيزات، انظرن! لا شك في أن هذا هو الجندي العائد
ليخبرنا بشيء جديد من ميدان القتال؛
إنه يجري بسرعة كما لو كانت قدماه عجلتي عربة[1].

الكوروس الثاني : وها هو الملك نفسه، ابن أوديب،
يصل في الوقت المناسب، ليسمع الأخبار التي يحملها الرسول؛
وهو كذلك، يسرع خطوه في عجلة ظاهرة.

[يدخل الجندي من جانب، وإتيوكليس من الجانب الآخر، يتبعه ستة أبطال وجنود آخرون]

---

(١) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: «يحث بسرعته المحاور الحاملة لقدميه». وسواء وجدت الأذن الإغريقية مثل هذه العبارة المألوفة ذات نغمة جدية، أو وليدة الهياج، أو شعرية، أو ذات دعابة خفيفة، فمن المحتمل عدم إمكان استعمالها.

الجندي : لقد عرفتُ تماماً تنظيم الأعداء؛
يمكنني أن أخبرك بمن يقف عند كل باب تبعاً للأزلام.
وقف توديوس Tydeus عند الباب البرويتيدي Proetid، مزمجراً؛
ولكنه، رغم هذا لا يستطيع أن يعبر نهر إسمينوس،
إذ حَرَّم عليه ذلك
العراف، لأن الذبائح لم تكن مقبولة؛
وإذ جُنَّ جنود توردیوس هذا بتعطشه للقتال، غدا كالأفعى
تفحُّ ظُهراً، فأخذ يهذي ويكيل الشتائم
قائلاً، إن العراف ابن أويكليس Oecles [1]
ماهر في الروغان والابتعاد
عن طريق الموت؛ وجبان القلب حتى في القتال.
وبينما هو يصيح ملء شدقيه، يقذف بثلاث ريشات طويلات ظليلات،
من قبرة خوذته،
بينما من داخل ترسه، ترسل الأجراس المصنوعة من البرنز رنيناً مفزعاً؛
وقد نقش على صفحة هذه الأداة الوقحة، سماء
تتألق بالنجوم، وفي وسطها
يضيء البدر المجيد وضّاحاً بين النجوم،
فيبدو كأنه عين الليل ذاتها.
وهكذا يفخر بجنون، متبختراً في حلته الحربية.
فأخذ يصيح بجانب شاطىء النهر،
متلهفاً إلى القتال،
كحصان عربة متوحش [2]، يعض على قطعة اللجام،

---

(١) من المؤكد أنه ليس تايريسياس، وإنما هو أمفياراوس Amphiaraus.

(٢) تنصبّ مقارنة الشاعر هنا على سباق للعربات، وليس على معركة. وفي السطر التالي، تدل:

قلقاً من انتظار صوت البوق،
فمن ذلك الذي سترسله لمواجهته؟ من هو الجدير بالثقة
ليحـافظ على باب پروميثيوس عندما يسقط الحاجز؟

إتيوكليس : لا يخيفني ما يلبسه الرجل؛
فليس في مقدور الصور أن تحدث جراحاً،
كما أنه ليس بوسع دروعه ولأجراسه أن تؤذي بغير رحمة.
أما ذلك الليل الذي تخبرنا به،
وبريق النجوم السماوية المنبعث من ترسه -
فهي خزعبلات يمكن التنبؤ بها عن ذلك الرجل.
مـاذا يحدث لـو سقطت ليلة المـوت على عينيه؟ أعتقـد أن رمـز الغرور هذا يبـرر بعدل، معنـاه لنفس الرجـل الذي يحمـل ذلك الرمز، وتصير كبرياؤه تنبؤاً ضد نفسه.

لدينا هنا، ابن أستاكوس Astacus الشجاع، لمقاتلة توندیوس؛
إنني أُعَيِّنه بطلاً لذلك الباب، فإن مولده
نبيل؛ ويحترم عرش «الاحتشام»،
ويمقت ألفاظ الزهو، ولا يسعى إلى أي فعل يجلب العار
اللهم إلا في أعمال القتال.
لدينا فرع صغير نشأ من أولئـك الذين أبقاهم أريس من الـرجال المزروعين[1]، وهو ميلانيبوس Melanippus، ابن أرضنـا بحق.

كلمة «الحاجز» على الساق التي تقف الخيول وراءها، ويعلن سقوطها عن بدء السباق.

(١) عندما جاء كادموس أولاً، إلى الموضع الذي بنيت فوقه طيبة، قتل تنّيناً كان يحرس ذلك المكان. وبأمر أثينا، زرع أسنانه في الأرض، فخرج منها رجال مسلحون شرعوا يتحاربون، بعضهم مع بعض. ومن عاش منهم أخيراً ساعد كادموس في تأسيس تلك المـدينة، وصـار أسلاف الأريستوقراطية الطيبية.

سيرسل أريس، ربة «واجب القرابة»، بحظ الضربة، هذا أكيد
وعدل، يرسلها قانونه
لحماية الأرض التي ولدته، من سيف العدو.

[يخرج ميلانيبوس]

الكوروس : إذن، فعسى بطلنا، الذاهب إلى هناك أن يقاتل من أجل مدينتنا
باسم العدالة،
وأن تمنحه الآلهة النصر
غير أنني أرتعد وجلاً عندما أرى
الموت الأسود لأولئك الرجال
الذين يموتون وهم يقاتلون من أجل أعزائهم.

الجندي : كذلك، عسى الآلهة أن تمنح ميلانيبوس، النصر!
أما الباب الإلكتراني Electran، فذهب بالقرعة إلى
كابانيوس Capaneus(1).
وهو شخص متغطرس، أشبه بالعملاق، وأسوأ من ذلك
السالف الذكر.
يبدو الصلف في ثرثرته، أكثر مما تتصف ألفاظه بالناحية الإنسانية،
وإنه ليرسل
تهديدات غريبة مخيفة ضد أسوارنا،
تهديدات لا بد أن تحبطها الآلهة.
فيقول: سواء أراد الرب أو لم يُرد. فسينهب هذه المدينة؛
وليس بمقدور صاعقة زوس نفسه،
لو قُذفت عند قدميه، أن توقفه. أما البروق والصواعق، فهو يعتقد

(1) يدل هذا الاسم على كلمة Kapanos بمعنى «دخان» ـ وهذه صورة من الألفاظ الموحية. كما يشير المعنى إلى نهاية ذلك الرجل: إذ ضربه البرق في أثناء الهجوم.

أنها لا تزيد على حرارة أشعة الشمس في وقت الظهيرة.
ويتخذ مستشاراً له، حامل نار غير مسلح،
كل سلاحه مشعل متأجج النار يقبض عليه بكلتا يديه،
ألفاظه بالحروف الذهبية، هي «سأحرق هذه المدينة.»
إذن، فأرسلْ لمنازلته بطلاً ـ مَن سيذهب إليه؟
من ذلك الذي يقف أمامه غير هائب لجميع زهوه؟

إتيوكليس : ميزتنا على هذا أيضاً، تزيدنا ربحاً على ربح.
فعندما تنتفخ كبرياء الناس بالحماقة، يغدو لسانهم أداة اتهامهم.
ليست تهديدات كاپانيوس مجرد ألفاظ ـ وإنما هو على استعداد
لأن يعمل متحدياً الآلهة. فعندما يفخر بجنون، ملء رئتيه،
فإنه يرسل تحديه القاتل إلى السماء، فتتضخم
ألفاظه كما ترعد الأمواج في أذن زوس.
وإنني لعلى يقين من أن حامل ناره سيوافيه
بما يستحق ـ الصاعقة، غير المشابهة لحرارة أشعة الشمس في
وقت الظهيرة. لقد عيَّنتُ لمواجهته رجلاً.
حاقد الألفاظ، ملتهب الشجاعة، إنه پولوفونتيس Polyphontes؛
الذي ستكون قوته درعاً أكيدة، تقينا بنعمة أرتيميس[1]، بطلتنا
وبنعمة الآلهة الآخرين.

[يخرج پولوفونتيس]

والآن، اذكر اسم بطل آخر، والباب الذي عُهد إليه به.

الكوروس : الموت لمن يزهو عالياً ضد مدينتنا!
لتكن الصاعقة هي السلاح الموقف له،

---

(١) لسنا نعرف بوضوح لماذا ذكر اسم أرتيميس بنوع خاص. فربما كان البابُ الإلكتراني مكرساً لها، وربما كان بولوفونتيس نفسه كاهناً لها.

قبل أن يقتحم بيتي .
وليكن أول تقهقر لرمحه الوقح
خراباً على نفسه!

الجندي : والتالي بعد ذلك في سحب أزلام الأبواب، ليعرف
الباب الذي سيهاجمه.
قفز الزلم الثالث من الخوذة البرنزية المقلوبة فأرسل إتيوكلوس
Eteoclus منقضاً بجنوده على الباب النياستاني Neistan،
وقد تلهفّت أفراسه القلقة، إلى اقتحام المدخل فأخذت تدفع
جباهها وهو يديرها، تارة إلى هذه الجهة وطوراً إلى الجهة
الأخرى.
أما خياشيمها الأنبوبية فمليئة بالأنفاس الحيوانية المزهوة،
وترسل - موسيقى وحشية. وفوق ترسه شارة -
غير متواضعة، وإنما هي: رجل في حلة حربية يتسلق سور العدو
بواسطة سلم، لكي ينهب المدينة؛
كذلك يصيح هذا الرجل - وكلامه مكتوب هناك -
«لن يصدني أريس نفسه عن أسوارهم!»
أرسلْ ضده رجلاً نثق في قدرته
على درء أغلال الرق عن مملكتنا .

إتيوكليس : هاك الرجل في الحال: سأرسل ميجاريوس Megareus، أحد
أفراد العشيرة المزروعة، وابن كريون[1] Creon - إنه رجل تقوم
يداه له بتنفيذ ما يفخر به. فليقع عليه اختيارنا، وليرافقه الحظ. لن
تستطيع الحمحمة الوحشية للخيول الشاخرة
أن تزحزحه مرتجفاً عن ذلك الباب. فإما بالموت سيدفع دَيْنه

(١) ملك طيبة، ابن مينويتيوس وشقيق چوكاستا زوجة لايوس.

الطبيعي لأرض وطنه، أو، يهزم رجلين وقلعة فوق ترسه،
سيحمل مغانمه إلى وطنه لِيُشَرِّف بيت أبيه.
هيّا، واذكر لنا ثرثرة البطل التالي، ولا تترك شيئاً.

الكوروس : أيها المدافعون عن أوطاننا!
إننا نصلي طالبات النجاح لقضيتنا،
والموت لأعدائنا.
فكما أنهم في زهوهم الجنوني
يهددون مدينتنا في صلف،
فلينظر زوس المنتقم، إليهم بغضب.

الجندي : وأما رابع بطل سحب زلم الباب التالي لأثينا أونكا [1]
فأقبل يضيح ليتخذ مكانه: إنه هيبوميدون Hippomedon، الفارع
الطول العظيم الجثة، صدِّقني عندما أقول، إنني لما أبصرتُ
ترسه الضخم المستدير، الشبيه بالجرن، ولاحظته وهو يطوح به،
ارتعدتُ. إذ لم يكن هذا من العمال الخاملين، الذين ينقشون
مثل تلك الصنعة على تروسهم، بل نقش شارته رسم توفون
Typhon وفمه يتنفس النار فيخرج الدخان الأسود متألقاً، حتى
ليكاد يكون لهباً [2]؛ وعليه لفات أجسام الأفاعي
تجري حول الحافة لتضم الغلاف الخارجي
وتثبته في هيكل الدائرة المُنْبَعج التجويف.

---

(١) لم تكن هذه الربة من آلهة الإغريق، وإنما كانت ربتهم المناظرة هي «أونكا Onca». وهذا الاسم فينيقي الأصل لربة كان أهل طيبة يشبهونها بأثينا. وكان لها معبد خارج أسوار طيبة بقرب هذا الباب.

(٢) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: «شقيق النار». والموضع الكلاسيكي لهذا الرمز المنقوش على المعدن أو المُطَعَّم به، هو بلا شك ترس أخيل الموصوف في الأنشودة الثامنة عشرة من الإلياذه.

فصاح صيحة الحرب، إذ تقمصه أريس؛ وغدا كأتباع باخوص[1]
Bacchus، نشوان بشهوة الحرب ـ تقدح عيناه بالفزع.
فكِّرْ مليّاً فيمن يحاول منازلة مثل هذا الرجل؛
وقد زها عند أبوابنا بالهزيمة المصحوبة بالذعر والفزع[2].

إتيوكليس : لدينا أولاً، أونكـا بالاس، المجـاورة لباب مـدينتنا، والتي تمقت غطرسة الرجال، وهذه ستُرْبِكُ تلك الأفعى الباردة.
وهي تسعى إلى جحرها وصغارها. وثانياً هوبربيوس Hyperbius،
المقدام ابن أرينوبس Oenops. وهذا رجل كفء لمواجهة ذلك الرجل.
إنه راغب، منذ لحظة اختياره، في الوقوف على مدى
دوره إزاء ما يتطلبه الموقف،
أما جسمه وروحه وأسلحته، فكلها مؤهلة لمثل هذه المنازلة. وقد
فعل هيرميس حسناً في الاختيار بين هذين؛
فهذا الرجل عدو لمن سيواجهه،
وترى منقوشاً على ترسيهما صور الآلهة التي
سيضعان كُلّاً منها في مواجهة الآخر،
وهي كذلك متعادية ـ فعلى ترس أحدهما توفون يتنفس اللهب،
بينما يجلس الأب زوس لا يتحرك فوق ترس هوبربيوس، وقد التهبت صاعقة النار في يده. وأعتقد أنه ما من رجل رأى زوس مهزوماً. هذه هي الآلهة المناصرة لهما؛ وهكذا نكون نحن مع الجانب الظافر، وهم مع الخاسر، إذ أن قوة توفون في المعارك

---

(١) هو ديونيسوس، إله الخمر.

(٢) يبدو أن هناك استعارة في كلمة هزيمة. والمعنى هو أن الزهو العريض الذي يزهو به هيبوميدون، يكاد يجعل الهزيمة حقيقة واقعة.

تقل كثيراً عن قوة زوس. وإذا كنا نأمل، مع الاختيار الموفق بين
هذين الرجلين، أن النصر
سيتجاوب مع رمزيهما، إذن فسيعرف هويربيوس
يد زوس المنقذة، زوس الذي يحمل هوبربيوس ترسه.

الكوروس : أومن بأن خصم زوس، ذلك الذي يحمل صورة توفون فوق ترسه
توفون المولود من الأرض، والمكروه،
وهذه صورة يمقتها كل من: القوى غير المنظورة،
والجنس البشري، والآلهة الخالدين ـ
ستضرب رأسه التراب أمام أبوابنا.

الجندي : عسى أن يتحقق هذا! وبعد ذلك سأتحدث عن الرجل الخامس،
الواقف عند الباب البورّاياني Borraean، بجانب قبر أمفيون[1]
Amphion، بن زوس. إنه يُقسم بالرمح الذي في يده،
الذي يُقَدِّره، حسب اعتقاده، أكثر من الإله أو من عينيه ـ أنه
سيدمر مدينة كادموس حتى، بالرغم من زوس. هذه هي طريقة
كلامه ـ ذلك الجرو المتورد الخدَّين، ابن المرأة المتوحشة الجوّابة
للتلال،
إنه رجل نصف غلام. ولماذا، فإنه الآن فقط، يرسل فوق خديه
خصلات غضة من الشعر الأجعد ومع ذلك فإنه تقدمه ليدل على
كبرياء ليست أنثوية كاسمه[2]
ولكنه، مع ذلك، متوحش ذو عينين مخيفتين. إنه يقف عند بابنا،
ليس بغير ثرثرة، وترسه ذو الإطار البرنزي، مستدير الشكل،

---

(١) ابن زوس وأنيتوبي وشقيق توأم لزيثوس. وُلد فوق جبل كيثايرون حيث تُرك ليتولاه الرعاة.

(٢) كناية عن الاسم Parthenopaeus . فكلمة Parthenos معناها « فتاة عذراء ». وكان هذا ابن الفتاة أتالانتا Atalanta .

يحمي كل جسمه، ويرسل الإهانة إلى مدينتنا: والصورة المتألقة
المنقوشة صورة سفنكس[1] Sphinx، آكلة لحوم البشر، مثبتة
بمهارة على الترس،
بحيث تتحرك حول محور، وتحمل أسفلها رجلاً، من شعبنا
الكادمي ـ وهذا مما يؤخذ على هذا المحارب ويُلقي عليه كامل
ثقل أسلحتنا. وأظنه لم يأت، ليقاتل بالتجزئة في هذه الحرب،
وإنما ليحقق رحلته الطويلة ـ وهو من أركاديا، بارثينوبايوس. هذا
رجلك، وهو غريب، وَجَدَ في أرجوس
المأوى والتنشئة النبيلة، والآن، لكي يسدد دينه يقذف على هذه
الأسوار بتهديدات، أرجو أن تحبطها السماء.

إتيوكليس : عسى أن ينالوا، هم وتجديفاتهم، وشارات غرورهم جميعاً
عنف غضبهم، على يد السماء!
وأن تكون نهايتهم مثلهم، مدمرة وشريرة.
أما لمواجهة هذا أيضاً، ذلك الأركادي الذي تصفه فلدينا رجل:
غير مزهو، وإنما تتطلع يده إلى العمل ـ إنه أكتور[2] Actor،
شقيق البطل الذي اخترناه قبله. لن يدع أكتور هذا الفيض من
الأقوال غير المدعمة بالأعمال، يتدفق
ليروي الأعشاب الضارة، ولن يدع عدّواً على ترسه صورة ذلك
الوحش المقيت، يمر داخل أبوابنا. ستلوم السفنكس حاملها،
عندما تجد نفسها تحت أسوارنا محطمة ومطروقة بحيث يصير

---

(١) مخلوقة خرافية هي ابنة توفون وإخيدنا. كان الإغريق يصورونها منذ العصور الأولى وكذلك المصريون، كوحش مجنح له رأس وصدر امرأة، وجسم أسد.

(٢) ابن مورميدون وباسيديكي، ووالد يوروتيون وفثيا وفيلوميلا. وهو الذي طهّر بيرسيوس من الخطية التي ارتكبها حين قتل فوكوس.

خارجها في داخلها[1] لعل كل لفظ من كلامي يتحقق بعطف السماء.

الكوروس : لقد ضُربتُ إلى وسط قلبي في الصميم، وتصلَّبَ شعري رعباً،
عندما سمعت عبارات الزهو
التي تفوَّه بها هؤلاء الرجال المتمشدقين الزنادقة. عسى الآلهة،
إذا كانت آلهة، أن تحطم مثل أولئك الرجال في القتال.

الجندي : أما السادس فهو جندي يتحاشى الفخر،
إنه عراف يقاتل بشجاعة. إنه أمفياراوس[2] القوي.
يقف عند الباب الهومولوياني Homoloean، يكيل الشتائم،
لتوديوس العظيم، فيصيح قائلاً: «إنه قاتل ومحفِّز على الشغب العام،
علَّمَ أرجوس طرق الشر، أكثر من جميع من عداه؛
إنه أعظم كاهن في سفك الدماء، وموقظ لأرواح الانتقام،
ومستشار أدراستوس في هذه الحرب الشعواء.
بعد ذلك يرفع بصره إلى السماء وينادي عالياً على من جعله مولده شقيقك، فينادي پولونيكيس، أي «الباحث عن النزاع»، مقيماً مرتين على ذلك الاسم المشئوم[3] ويتكلم هكذا: «لا شك في أن مثل هذا العمل يسرّ الآلهة، وهو ممجَّد في كل من سماعه وتركه

---

(١) كانوا ينقشون صورة السفنكس نقشاً بارزاً. واللفظ الإغريقي معناه «مطروق إلى الخارج» من داخل الترس. أما في القتال فتصبح هذه العملية عكسية، فتطرُق رماح الكادميين المعدن البارز وتجعله يتجه إلى الداخل.

(٢) ابن أويكليس وهويبزمنيسترا. وهب القدرة على التنبؤ كما لعب دوراً خطيراً في الصيد الكالودوني وحملة تجارة سفينة الأرجو.

(٣) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو «مقيم مرتين على الاسم في نهايته» فكلمة Poly - neices معناها «نزاع كثير».

ميـراثاً للصغـار ـ أن تجلب جيشاً أجنبيـاً ليهاجم ويـدمر
مـدينـة آبائك، ويضع في التراب آلهة مملكتك!
هل من الصواب أن تردم الينبوع الذي غذَّى حياتك؟
عندما تجعل أرضك أسيرة سيفك
لأنك غيور، فكيف يعمل ذلك على نجاح قضيتك؟
أما عني، فإن أرض هذه المملكة هي التي سأغنيها؛
سيقوم قبري ووحيي على أرض أجنبية.
إذن، هيّا بنا نقاتل، لأنني أرى الموت وليس العار»
هكـذا تكلم العراف، وأمسـك ترسه بغير حـراك، ذلك التـرس
البرنزي الذي لم يُنقش على سرته أية علامة؛
لأنه لا يهتم بأن يبدو أشجع شخص، بل ليحصد هكـذا أخاديـد
عقله الخصبة، التي تنشأ عنها النصائح السليمة، وأشير بأن ترسل
ندّه محارباً يكون حكيماً وشجاعاً؛
فالرجل الذي يحترم الآلهة، هو مَن يُخشى جانبه.

إتيوكليس : حسناً، عسى المرء أن يلعن الفرصة التي تجمع رجلاً برجل،
التَّقيّ بغير التقيّ، والطيب بالشرير. لا شيء أسوأ في أي مشروع
من صحبة السوء؛
وليس محصولها نعمة؛ لأنه عنـدما تحـرث الحماقـة، فلن يكون
محصولها غير الموت. قد ينضم الربان الطيِّب إلى سفينة
حيث ينوي بحّارتها المجرمون الشرّ،
فينال نفس مصير أولئك الرجال الذين يمقت الرب نوعهم؛
أو في المـدينة، يقـع رجل طيب وسط الأشـرار الذين يـظلمـون
الأغراب، وينسون الآلهة ـ إنه كذلك رغم براءته، يقـع في نفس
الشرك المُعَدِّ لهم، ويُرَوَّض ويُخْضَع بسوط السماء غير المحابي.
هكـذا الحال مـع أمفياراوس، ذلـك الرجـل المحتشم الشجاع،

المستقيم والورع، والعراف القويّ، المتحالف
ضد رأيه مع المجدفين المتغطرسين.
في رحلة بعيدة سيثبت أنها أطول من أن يعود منها أي إنسان ـ
فإنه إذا شاء زوس، سيُجَرُّ معهم إلى أسفل الأرض.

الحقيقة أنني أعتقد أنه لن يستطيع أن يهاجم الأبواب، ليس بسبب اليأس أو الجبن، وإنما لأنه يعرف تماماً أي مصير ينتظر قتاله، إذا كان لكلمة أبولو أن تثر، ولطريق الرب أن يلتزم السكون، وإلا فقُل الصدق. ورغم هذا سنعادله برجل؛ هو لاسثينيس Lasthenes القويّ، ذلك البواب العديم الكرم،
المتصف بحكمة الشيوخ وعضلات الشباب، وعين يقظة كقدمه الخفيفة الحركة؛ وذراع رمح سريعة الانقضاض على الموضع العاري بجانب ترس العدو.
ومع ذلك ـ فالنصر بين البشر هدية السماء.

الكوروس : أيها الآلهة، اسمعوا صلاتنا،
وامنحونا ما نطلبه بعدل:
امنحوا مدينتنا النصر
وحوّلوا خطر السيف
إلى أولئك الذين يغزون أرضنا،
وهم لا يزالون خارج تحصيناتنا،
عسى زوس أن يضربهم
بصاعقة ويقتلهم!

الجندي : وسأخبرك الآن بالرجل السابع، الذي عُهد إليه بالباب السابع ـ
إنه شقيقك بولونيكيس، الذي يطلب الحظ لنفسه، ويطلب لك

اللعنات والدمار، ويصلي طالباً أنه،
وهو واقف على الأسوار، بصفته القاهر،
وينشد على أرضنا صيحات النصر الوحشية،
أن يتمكن من قتالك، وبعد أن يجندلك ، يموت إلى جانبك؛
أو إذا عشتَ (يصيح هكذا) وهو الأمر الذي يجلب العار عليه
أن ينتقم منك انتقاماً مماثلاً بالمنفى
فينفيك، كما نُفي هو. هكذا يصيح،
منادياً الآلهة الخاصة بالأقارب والوطن
لكي تشهد عليه وتبجل صلاته هذه ـ
الزاخرة بالنزاع والعنف المناسبين لاسمه!
والترس الذي صنعه جديداً، كامل الاستدارة؛
نُقشت عليه شارة مزدوجة، مصممة ببراعة:
محارب كامل التسلح، من الذهب المطروق؛
وتقوده سيدة تمشي أمامه في تواضع.
يقول إن اسمها «العدالة» كما يستدل من الكتابة؛
«سأرجع هذا الرجل من المنفى
سيمتلك مدينة، وفي بيت أبيه
يروح ويجيء كما يشاء».
هذه هي الأدوات التي يحملونها معهم. ولك الآن أن تقرر مَن سترسل. وسأحمل الرسالة ـ فهذا هو واجبي؛ ولكنك ربان مدينتنا: وعليك اختيار الرجل.

إتيوكليس : أيها البيت الذي تسوقه الآلهة إلى الجنون، الذي تمقته الآلهة إلى هذه الدرجة،
أيا بيت الدموع غير المنتهية، بيتنا، بيت أوديب!

إنها لعنته تلك التي تثمر فينا نحن أبناءه.
ومع ذلك، فليس هناك متسع من الوقت للدموع أو للأنين، خوفاً من أن يأتي هذا الألم بميزة أكثر سحقاً لنا.
فسرعان ما سنعرف، عن بولونيكيس، الذي هو اسم على مُسَمًّى - عن الحقيقة الكامنة في حلته الحربية،
وعما إذا كان سيستطيع أن ينتصر
ويحضر من المنفى بحروف من الذهب المشغول
تتألق فوق ترسه، متصلة بالجنون.
إذا كانت ابنة زوس العذراء، العدالة، سبق أن ابتسمت لأعماله وأفكاره، فقد ينال العودة.
ولكن ليس عندما أفلتَ من ظلمة الرحم،
ولا وهو طفل، ولا عندما بلغ طور الرجولة لأول مرة، ولا عندما صار شعر لحيته كثًّا، سواء بالكلام أو بالمظهر،
يمكن أن تعلن عنه «العدالة»، الآن، وهذا مؤكد، على الأقل، أكثر من جميع ما عداه،
عندما تقاسي مدينته العنف على يده،
أن تقف العدالة إلى جانبه، فهل ستنضمُّ هي إلى شخص متلهف إلى العنف بهذه الكيفية، فإن العدالة إن فعلتْ سُمِّيتْ كاذبة.

سأذهب بهذه الثقة لمواجهته - أنا نفسي.
ومن له حق أقوى مني؟ رئيس ضد رئيس
سأكون ندًّا له، أخاً في مواجهة أخ، وعدُوًّا أمام عدو.
[إلى أحد الخدم] اجْرِ وأحضر لي دروع(١) الركبة والساق

(١) تبعاً لما يقوله توكير في هذه الطبعة، يلبس المحارب الهوميري دروعه أولاً، حيث أن دروع الجسم تعوق الانحناء. وهكذا يتضح أن الأبطال الستة كانوا مرتدين الدروع فوق منصة=

لتحميني من الرماح والحجارة .

الجندي : كلاّ، أيها السيد المحبوب، ابن أوديب!
لماذا تقارن خلقك المحمود بتجديفات أخيك؟
يكفي أن يحارب الكادميون يداً بيد
مع رجال أرجوس، فالدم المسفوك هكذا يمكن ترضيته
ولكن دمكما واحد: فمثل قتل الأخ هذا، لن يستطيع
الزمن أن يُطهِّر من التلوث به.
وإذا لم يكن هناك مفر من تحمُّل ذلك المصير
فلنتحمله خالياً من العار؛
فماذا غير هذا يمكن تمجيده بين الموتى؟
غير أن المصير المقرون بعدم الشرف، يهدم آخر
آمالك ويمنعه من الكلام .

الكوروس : علامَ عوَّلتَ، يا بني؟
لا تجعل العاطفة المتأججة
والتلهف إلى القتال يذهبان بك بعيداً .
هذه الضرورة التي تشعر بها، شرٌّ من الشرور ـ
اتركه قبل أن يستفحل أمره .

إتيوكليس : على هذه الصورة يريد الرب هذا العمل
المنتقل بسرعة إلى الرأس هكذا،
إذن، فلندع ريح المصير، ومدَّ الجحيم، وكراهية فويبوس[1]

= المسرح، بينما لم يكن إتيوكليس هكذا. هذه مسألة مهمة إذ تبين أن قرار إتيوكليس في الذهاب لمواجهة أخيه، مفاجأة للرسول، بينما الكوروس، مهما اعتبره أحد الأبطال، لا بد أن يفترض أنه غيَّرَ رأيه .

(١) انظر الفقرة الثانية من نشيد الكوروس، التالي .

تذهب بعشيرة لايوس إلى الدمار، إلى آخر رجل فيهم.

الكوروس : إنك مسوق بتأثير لهفة وحشية
إلى وصمة دم دينية؛ ستكون ثمرتها مُرَّة،
لأن اللحم الذي تمزقه، لحم رجل،
وليس الدم شرعياً .

إتيوكليس : نعم، لقد اختارتني لعنة أبي الشريرة، لهذه الوصمة الدينية،
وتطاردني بعينين جافتين عديمتي الرحمة،
مؤكِّدة لي أنه من الخير التعجيل بالموت وليس إرجاؤه.

الكوروس : امتنع عن الإصغاء إليها! فما إن يستقر رخاؤك،
حتى لا يمكن أن توصف بعد ذلك بالجبن، ألا ينزاح طيف ذلك البيت، ذو العباءة السوداء عندما تتقبل الآلهة التقدمات من يدك؟

إتيوكليس : إنني لعلى يقين من أن الآلهة، قد كفَّتْ عن التفكير فينا.
والتقدمة التي تريدها منا هي أن نموت .
إذن، فلماذا نهرب من نهايتنا المحددة لنا؟

الكوروس : تنازل عن رأيك الآن، بينما الوقت لا يزال متسعاً. فحتى الآن، قد
تتغير روح عداوة الآلهة، بعد ذلك الوقت الطويل،
وتحبوك بمصير أكثر اعتدالاً ؛
رغم ثورانها الآن، كما كانت من قبل.

إتيوكليس : أشعلت ثورة أوديب غضب الآلهة هذا، ما أَصْدَقَ شبح أحلامي في التنبؤ!
ذلك الشبح الذي يأتي كل ليلة لتوزيع ميراثنا.

الكوروس : فليحثك كلام امرأة على التنازل عن رأيك، حتى ولو كان على الرغم منك.

إتيوكليس : قولي ما تشائين، وأتمّي قولكِ، فلا أريد خطبة طويلة.

الكوروس : اذهب حيثما شئتَ، إلا إلى الباب السابع، أرجوك.

إتيوكليس : لقد عقدتُ النية على هذا، وليس بوسع جميع كلامكِ أن يثبط الآن من عزيمتي.

الكوروس : يحظى الانتصار المنطوي على عدم الشجاعة، برضى الآلهة[1].

إتيوكليس : ليس هذا شعاراً يقبله رجل مسلح.

الكوروس : هل أنت على استعداد لسلب دم أخيك؟

إتيوكليس : لا مفر من الهلاك إذا ما أرسلته الآلهة.

[يخرج إتيوكليس]

الكوروس : إنني لأرتجف من تلك الثورة التي تجلب الدمار على عشيرة بأكملها،

واهاً، واهاً لذلك الإله المخالف لغيره من الآلهة،

المعصوم من التنبؤ بالشر،

أما وقد أثارت لعنة الأب الإيرينوس[2] Erinyes،

فإني أراها الآن تنفّذ صلاة الغضب

التي نطق بها أوديب في أثناء محنته؛

إنها هذه الكراهية التي نراها

تسوق ابني أوديب إلى أن يُهلك كل منهما الآخر.

---

(١) أُوجز هذا السطر كثيراً، ولو أُطنب فيه لصار معناه: «إن مجرد الانتصار، حتى ولو كان انتصار الجبان، ليدل على موافقة الآلهة، فماذا أكثر من هذا يمكن أن يحظى انتصارك بقبول الآلهة، عندما يكون رفضك أن تقاتل بولونيكيس ليس وليد الجبن، وإنما هو نتيجة للنزعة الدينية».

(٢) ربات الانتقام. ويسمون أيضاً اليومينيديس. هن بنات جيا من دماء أورانوس.

ويُقَسِّم الغريب ميراثهما،
فإن خالوبوس Chalybus القادم من سكوثيا البعيدة ليكون موزِّعاً فظًّا لممتلكاتهما، هو الصُلْب القاسي القلب؛ ذلك الصلب الذي شَكَّلَ القالب، وعيَّنَ لهما الأرض ـ بقدر ما يستطيع الموتى أن يمتلكوا؛
غير أنه لا نصيب لهم في هذه السهول الممتدة.

عندما يموت الناس بأيدي أقاربهم،
عندما يقتل الأخ أخاه،
ويشرب تراب الأرض
الدم القرمزي الذي يَسْوَدُّ ويجف،
فمن ذا الذي يستطيع وقتئذٍ أن يقوم بالتطهير؟
من ذا الذي يمكنه أن يغسل ذلك الدم؟
واهاً لك، أيها البيت ذو الآلام المذنبة،
قديمها وحديثها، مختلطة معاً؛

إنني أُشير إلى خطيئة اقتُرفت منذ زمن بعيد ـ
فجلبت العقاب السريع وقتذاك،
ولكنها رغم هذا لا تزال قائمة حتى الجيل الثالث ـ
عندما عصى لايوس أبولو،
الذي حذَّره ثلاث مرات بالوحي الكثير،
من محرابه البوثيّ القائم في سرة الدنيا،
أنه إذا أنقذ مدينته،
فسيموت بغير ذرية.

فلما سيطر عليه نزقُ الحب
أنجب لنفسه، ولهلاكه،

أوديب قاتل الأب،
الذي بَذَرَ الحبوب في الحقل المُحرَّم،
رحم أمه الذي نما فيه،
فقاسى المحصول الدموي لفعلته؛
إذ جاء بهما روح الجنون معاً؛
وسُلب كل منهما إدراكه.

فأقبلت المتاعب تترى كالبحر يرسل أمواجه إلى الأمام متلاحقة،
فتتكسر لجة، وترفع التالية لها، فتتكوم ثلاث لجات معاً،
وتثور أمواجه حول هيكل مدينتنا؛
ولا يزيد سُمْك حاجزنا، الفاصل بين الحياة والموت عن سُمْك حائط؛
لذا أخشى على طيبة وعلى أسرة ملوكها،
لئلا تُطحن معاً جميعاً.

عندما تصدر لعنة من وحي قديم
وتقع تماماً، فإنها تستقر ثقيلة الوطء؛
لأن قُوَى الدمار نشيطة، ولن تمر دون أثر.
وعندما يزدهر الناس، الذين يعيشون بالخبز،
ويصيرون عظماء،
عندئذ، لكي يخففوا حمل السفينة،
يدفعون الغرامة من أعماق مخزنها.

أيُّ رجل نال تكريماً
من الآلهة أو من مواطنيه في الميدان الزاخر،
كما كَرَّموا أوديب
يوم خلَّصَ مملكتنا

من ذلك الشيطان الذي كان يأكل لحوم البشر؟

ولكن ذلك الرجل التعيس، عندما أدرك زواجه المشؤوم،
تعذَّبَ وثار، في جنون قلبه،
وباليد التي قتلت أباه، ضاعف آلامه: فأتلف عينيه
اللتين لم تطيقا النظر إلى أولاده.

وعندما ضنَّ عليه ولداه بمكانه في وطنه،
صب عليهما في ساعة هياجه، وبلسان مرير،
واأسفاه! صبَّ عليهما اللعنات،
أنهما يقتسمان ميراثهما في الوقت المناسب
بالعنف وبالسيف المقسَّم.
إنني لأرتجف خوفاً من أن تكون،
الإيرينوس السريعة الأقدام تُنَفِّذ لعنته في هذه اللحظة.

[يدخل رسول]

الرسول : الشجاعةَ، الشجاعةَ، أيها الأطفال المرتجفون عند رُكَب أمهاتكم!
إن مدينتنا طيبة بمأمن من الرق! لقد تَمَخَّضَ زهو أولئك الرجال المتغطرسين،
عن لا شيء. لقد وصلت طيبة إلى الهدوء بعد العاصفة.
لم يحدث تسرُّب في الموجات الهادمة، وأسوارنا سليمة؛
إذ صدَّ رجالنا الموثوق بهم، الأعداء. فوقفوا كالمتاريس أمام الأبواب. وكل شيء على ما يرام - في معظم الجهات - عند الستة الأبواب، أما الباب السابع فإن الرب أبولو، قائد السبعة[1]

---

(١) هناك عدة ارتباطات لأبولو بالعدد سبعة. ويقترح توكير أن «قائد السبعة» هنا، ربما كان رتبة في الأسطول الأثيني». وبذا نجد الشاعر يستمر في استخدام المجاز البحريّ.

المرهوب، قد وقف بنفسه، ونقل خطيئة لايوس القديمة إلى حيز التنفيذ الملائم، على عشيرة أوديب.

الكوروس : ماذا حدث؟ أتنتظر مدينتنا فزعاً جديداً؟

الرسول : المدينة آمنة. أما إبنا أوديب ـ

الكوروس : ماذا عنهما؟ لقد حيّرتني. أخشى أن أسمع ـ

الرسول : هيّا الآن، والتزمي الهدوء واصغي إليّ. إبنا أوديب

الكوروس : يا للشقاء! لا أستطيع التخمين بما هو أسوأ.

الرسول : كلاهما متعادلان تماماً.

الكوروس : هل في النهاية المريرة؟ إنك لتخبرني بما يُحزن.

الرسول : مات الأخوان كلاهما. قتل كل منهما الآخر.

الكوروس : كان كل منهما مثل أخيه في اللهفة على القتل.

الرسول : يشبه كل منهما الآخر في المصير الذي قادهما كليهما، ذلك المصير الذي يبيد عشيرتهما المنكودة الطالع.

إذن، تمدنا هذه الحادثة، بمادة لكل من الفرح والدموع :
تزدهر مدينتنا، ولكن زعيميها وقائديها
قد اقتسما هكذا بالصلب السكوثي المطروق، مبلغ ميراثهما.
والأرض التي يمتلكانها هي ما يحصل عليه كل منهما لقبره ـ
أينما ذهبا.
تحملهما الريح المشئومة، ريح لعنة والدهما الحزين. وهكذا أُنقذت طيبة، إلا أن ملكيها الشقيقين سقطا؛ وتشربت الأرض دماءهما التي سفكتها أيديهما.

[يخرج الرسول]

الكوروس : أيا زوس القويّ، ويا أيها الآلهة الحارسون لمدينتنا،
والمنقذون الحقيقيون لأسوار كادموس هذه!
هل لي أن أبتهج وأصيح فَرَحاً
بأن طيبة قد أفلتت دون أذى؟
أو هل أبكي من أجل قائدينا في الحرب ـ
مأسوفاً عليهما، ومشئومين، وبغير ولد ـ
اللذين كإسميهما[1]، والمفعمين بالحقد والعداوة،
قد هلكا بواسطة هدفهما الآثم؟

الكوروس : أيا لعنة العشيرة، أي لعنة أوديب، القاتمة العنيدة!
إن برداً مخيفاً ينزل على قلبي:
والأغنية التي أنشدتها في نظرتي المرتبكة،
عندما سمعت عن أناس ينزفون الدم ويموتون ميتة تعيسة،
أكانت أنشودة الدفن ـ بغير شك طالع نحس، أن ننشد مثل هذه
الأنشودة في وقت القتال؟

الكوروس الثاني : ليس الأمر هكذا، بل هي اللعنة التي نطق بها والدهما
أصابت هدفها بغير تأجيل؛
والسبب في كل هذا هو عصيان لايوس.
وما من قلق على المدينة
يستطيع درء ما تنبأ به العرافون.
أيهذا الذي ينبغي لنا أن نبكيه،
هل فعلتَ ذلك الشيء العسير التصديق؟

---

(١) يشير إلى إتيوكليس الذي معنى اسمه «المجد الحقيقي» واسم بولونيكيس الذي ينصبّ معناه على الصفة في صيغة الجمع ويعني «مفعم بالعداوة». غير أن التمييز بينهما في اللغة العربية شاق عسير.

أهذه هي الحقيقة الواقعة، وليست شائعة؟

[يُرَى موكب قادم ومعه جثتا إتيوكليس وپولونيكيس]

انظروا! هذا المنظر يتكلم بوضوح، ولسنا بحاجة إلى رسول.
بوسعنا أن نرى النهايتين القاتلتين المتبادلتين
لشخصين انضما إلى مصير واحد يكسر قلوبنا .
ماذا هناك غير الحزن، وها هو ابن الحزن،
يعود أخيراً إلى بيته الشرعيّ؟
هيّا، يا صديقاتي، أحضرن تأوُّهاتكن لريح مواتية، لضربة باليد على الرأس من أجل ارتطام المجذاف بالماء ـ وهذا هو الطقس المألوف ليرسل السفينة المقدسة[1] ذات الأشرعة السوداء، إلى أخيرون، ولا يرسل أكاليل من الأزهار
عسى أپولو ألا يطأ الأرض،
التي ترحب بالجميع على حد سواء،
حيث لا تضيء شمسُ الظلامَ

[توضع الجثتان على الأرض. تدخل أنتيجوني وإيسميني]

انظروا! ها هما أنتيجوني وإيسميني[2]، هنا ؛
أمامهما واجب مرير، أن تحزنا على شقيقيهما.
أعرفُ أن أحزان صدريهما الجميلين،

---

(١) يفكر الكوروس في السفينة التي تُحمل فيها الأرواح عبر نهر الموت، فيناقض بينها وبين «السفينة المقدسة» التي تقلع كل سنة من أثينا إلى ديلوس Delos في مهمة رسمية لتقديم صلاة الشكر لأبولو من أجل انتصار ثيسيوس على المينوطور. ومعنى ديلوس «المنظور بوضوح»، فكُرِّست تلك الجزيرة لأبولو، ولم يسمح بدخولها لغير المُطَهَّرين دينياً.

(٢) هذه السطور الاثنا عشر التي تقدم هاتين الشقيقتين، زائفة (انظر المقدمة) وأنشودة الحِداد التي خصصت لهما لتنشداها على التعاقب، قد تكون مكتوبة للكوروس. وإن نهاية هذه المسرحية كلها، منذ دخول الرسول، زائفة.

ستخرج بكل إخلاص،
كاملةً ومعها النحيب الملائم.
ولكن قبل أن تنطقا به، يقضي علينا واجبنا بأن نبكي بصوت مرتفع، بترتيلة شيطان المصير وننشد ترنيمة انتصار الموت البغيضة.

آهٍ، يا هاتان الأكثر تعاسةً من شقيقيكما
مِنْ بين كل مَنْ يربطن أثوابهن على صدورهن[1]!
إنني أبكي وأنتحب، ليس بالتظاهر
وإنما بإخلاص، ومن القلب يخرج بكائي الحاد.

الكوروس الأول : وا أسفاه، أيها الرجلان الضالّان،
يا من لم تستطع عزيزتاكما أن تحثكما،
واللذين لم تتعبكما الشرور!
وبكل شجاعتكما المؤسفة،
ظهر أن ما خرّبتماه هو بيت أبيكما.

الكوروس الثاني : يؤسفنا حقاً، أن اللذين خرّبا بيتهما
حظيا لنفسيهما بموت مؤسف.

الكوروس الأول : وا أسفاه! [إلى پولونيكيس]، أنت، يا من هدمتَ الأسوار ـ
أسوار نفس وطنك! وأنت يا من [إلى إتيوكليس] حصلتَ على تاج ملك ـ
لضرر نفسك.
[إلى كليهما] والآن قد سوّيتما نزاعكما بالسيف.

الكوروس الثاني : لقد قامت إيرينوس أبيكما أوديب بتنفيذ اللعنة بدقة.

الكوروس الأول: انظروا، أين ضُربا ـ كلاهما على الجانب الأيسر.

(١) ربما دل هذا التعبير على سيدات ثريات أو من ذوات المركز الاجتماعي.

الكوروس الثاني : مضرويتان حقيقةً ، هاتان الجثتان اللتان نمتا من لحم واحد!

الكوروس الأول: لم يكونا في وعيهما!

الكوروس الثاني : للأسف كانا ملعونين،
مقدراً لهما الموت المتبادَل!

الكوروس الأول : كانت ضربة القضاء التي قاسياها قاتلة لكل من البيت والحياة، يعضدها غضبهما العنيد ـ

الكوروس الثاني : وبقضاء عديم المحاباة ،
نزلت عليهما لعنة أبيهما.

الكوروس الأول : ينتشر صوت النحيب في كافة أنحاء أرضنا؛ فأبراج المدينة حزينة؛ والتربة حزينة على الرجلين اللذين كانت تحبهما.
وتنتظر جميع طيبة، غير المطالب بها، وَرَثةً جدداً ـ
طيبة التي ماتا من أجلها ـ

الكوروس الثاني : من أجلها ذهب نزاعهما إلى غايته القاتلة.

الكوروس الأول : لقد اقتسما ميراثهما بقلوب تواقة، غيورين من نصيبهما العادل، ولا لوم على قاضيهما[1]
من جانب أولئك الذين يُحبّونهما ـ

الكوروس الثاني : ما من شكر قُدِّم لأريس .

الكوروس الأول : جاءت بهما النصال الحديدية إلى حيث يرقدان؛
وسرعان ماستُقَسّم لهما النصال الحديدية أرض أبيهما.
وقد يتساءل المرء ـ أية أرض؟ وكيف قسمت؟
ـ ستكون نصيب كل منهما لقبره.

---

(١) أي الصلب ـ بحسب اللعنة.

الكوروس الثاني : بينما نودعهما
يمزق النحيب العالي قلوبنا؛
فإن بكاءنا تلقائي، وأحزاننا خاصة بنا.
لا فرح في آلام أفكارنا؛
وتنهمر دموعنا من قلوب تذوي
عند البكاء على هذين الأميرين.

الكوروس الأول : يا لهما من رجلين تعيسين! بوسعنا أن نسجل لهما أنهما زوّدا
مواطنيهما كما زوّدا الأجانب من كل رتبة
بوليمة موت فخمة مدمرة.

الكوروس الثاني : كان مصيراً شاقاً ذلك الذي لاقته أمهما ـ أكثر مما لاقت
جميع النساء اللواتي يُسَمَّيْنَ أمهاتٍ لأولاد. أخذت ابنها وزوجها لها؛
وهذان هما الولدان اللذان أنجبتهما، وهذه هي نهايتهما.
اليدان اللتان نمتا من نفس البذرة
حطمت حياة كل منهما.

الكوروس الأول : هذان اللذان نَمَوا من نفس البذرة زُرعا الآن معاً على
الأرض، ومعهما عشيرتهما.
اقتسما حياتهما بحَدّ العداوة،
وبلغ نزاعهما غايته بالغيرة الجنونية.

الكوروس الثاني : لقد انتهى عداؤهما الآن، واختلطت حياتهما حيث تتشرب
الأرض بِرْكة من الدماء؛
وهما الآن، بحق، من دَم واحد.
كان حاسماً وجافاً في المنازعات،
ذلك الغريب القادم من البحر، الذي يقفز من داخل النار ـ الحديد
المشحوذ من حدٍّ واحد؛

ومُقَسِّماً فظّاً وقاسياً للممتلكات.
أهو أريس الذي يحقق لعنة الأب؟

الكـوروس الأول : يـا لهمـا من نفسين مسكينتين، نـالتـا نصيبهمـا ـ
مقيـاس الإنسان ـ الذي يمنحه الرب؛
ولكن سيكون تحت جسميهما كمية من الثرى عديمة القرار.

الكوروس الثاني : آه، لقد توّجتما عشيرتكما بأكاليل عديدة الأحزان!
وفي آخر النهار يكون النصر للّعنات، التي تصرخ بانتصارها الحاد
على الخراب الشامل لذلك البيت المدحور.
هنـاك تذكـار الدمـار عند البـاب الذي اقتتـلا أمامه؛
فجندلهمـا كليهما، مصيرُهما
قبل أن يكُفَّ كل منهما يده.

[تنتقل أنتيجوني وإسميني الآن إلى وسط منصة المسرح لتبكيـا على الجثتين]

أنتيجوني : كما أعطيتَ جراحاً أُصبتَ بجراح أيضاً.

إسميني : وكما قَتَلْتَ قُتِلْتَ أيضاً.

أنتيجوني : بالرمح قَتَلْتَ ـ

إسميني : وبالرمح متَّ ـ

أنتيجوني : مؤسف في هجومك

إسميني : ومؤسف في آلامك.

أنتيجوني : فليرتفع البكاء ـ

إسميني : ولتسقط الدموع ـ

أنتيجوني : عليك يا من مِتَّ.

إسميني : عليك يا من قَتَلْتَ.

أنتيجوني : قلبي هائج بالتنهدات.

إسميني : روحي تئن داخل جسمي.

أنتيجوني : وا شقيقاه، الذي أبكيه ـ

إسميني : واشقيقاه، المأسوف عليه غاية الأسف ـ

أنتيجوني : قتلك أخوك.

إسميني : قتلت أخاك.

أنتيجوني : هذا حزن مزدوج، أُعَبِّر عنه ـ

إسميني : هذا حزن مزدوج، أراه ـ

أنتيجوني : حزنٌ إلى جانب حزن!

إسميني : حزنٌ أخٌ لحزن!

الكوروس : أيها القَدَر، ذو الهبات القاسية، والمحزنة،
أيها الظل العظيم الأوديب،
أيتها الإيرينوس القاتمة، ما أشدَّ قوَّتكِ!

أنتيجوني : هذا منظر محزن وفظيع.

إسميني : هكذا أرحب به من منفاه.

أنتيجوني : وعندما قَتَلَ عجز عن نَيْل وطنه.

إسميني : وعندما أنقذ وطنه، فَقَدَ حياته.

أنتيجوني : فَقَدَ حياته.

إسميني : وأخذ حياة أخيه.

أنتيجوني : واهاً لكما، أيها الابنان المتهوران!

إسميني : واهاً لكِ، أيتها النهاية الميئوس منها!

أنتيجوني : نفس الاسم المحزن لكليهما.

إسميني : نفس الدموع لألم مثلث الوقع.

الكوروس : أيها القَدَر، ذو الهبات القاسية، والمحزنة،
أيها الظل العظيم لأوديب،
أيتها الإيرينوس القاتمة، ما أشدَّ قُوّتكِ!

أنتيجوني : تعرف الآن أنك أذنبت ـ

إسميني : علمتَ في نفس اللحظة ـ

أنتيجوني : عندما رجعتَ إلى طيبة.

إسميني : عندما اخترتَ أن تقاتل أخاك.

أنتيجوني : أفظِعْ بها قصة!

إسميني : أفظِعْ به منظر!

أنتيجوني : وأأسفاه، لهذه الآلام!

إسميني : وأأسفاه، للظلم الذي وقع ـ

أنتيجوني : على البيت الملكي وعلى طيبة ـ

إسميني : وعليَّ أكثر منهما.

أنتيجوني : وأأسفاه، لوقوع هذه الحماقات والمحن!

إسميني : وأأسفاه، لمن عُذِّبا أكثر من جميع البشر ـ

أنتيجوني : اللذان في حماقتهما ـ

إسميني : كانا كمن به مسٌّ من الجن .

أنتيجوني : أيَّ مكان نجد لندفنهما فيه؟

إسميني : حيث ينالان أعظم التمجيد.

أنتيجوني : واأسفاه، واأسفاه!
فإذا رقدا بجانب أبيهما أتعباه.

[يدخل رسول]

الرسول : كُلِّفتُ بأن أعلن آراء وقرارات من هم نواب الشعب في هذه المدينة الكادمية . لقد تقرر، اعترافاً بإخلاص إتيوكليس لمدينته، أنه يُدفن
في تربة وطنه؛ لأنه من أجل قضيته اختار أن يتحدى الأعداء، مضحياً في ذلك بحياته؛ وبذا يكون بريئاً أمام معابد آلهة أبيه، فمات في موضع الشرف الذي يليق بالشبان أن يموتوا فيه هذه هي رسالتي بخصوصه. أما بخصوص أخيه بولونيكيس الراقد هنا، فإن جسمه سيُلقي بغير دفن لتمزقه الكلاب ـ ذلك الذي كان سيدمر هذه المدينة الكادمية، لو لم يقف أحد الآلهة في طريقه برمح أخيه. ولذلك، فسيقاسي الآلام، حتى في موته من أجل التلوث الذي أحدثته جريمته ضد آلهة والده،
الذين أهانهم ـ هذا الرجل ـ هاجماً بقوة أجنبية على مدينتنا ليدمرها. فجزاؤه
الخزي، ويكون قبره الوحيد، بطون الطيور الشريدة؛ ولن تكوِّم فرقة من العبيد التراب فوق جثته،
ولن تُنشَد أية تراتيل جنائزية تكريماً له، ولن يقيم أقرب أقربائه أية طقوس جنائزية.
هذا مصيره الذي قررته له السلطة.

أنتيجوني : وأنا أرد على سلطتك القائمة في طيبة:
إذا لم ينضم إليَّ أي فرد آخر في دفنه، فسأدفنه أنا، وأتحمل أية أخطار قد تنتج عن دفن شقيقي. كما أنني لا أخجل من أن أعصى الدولة هكذا وأتحداها:

هناك نداء آخر، من اللحم الواحد، الذي صنعنا كلينا ـ لحم الأم الحزينة، ولحم الأب المنحوس الطالع ـ لن يُهْمَل. وعلى ذلك فإن قلبي يقف بسرور الأخت المخلصة إلى جانبه في محنته، يقف الأحياء بجانب الموتى.

لن يمزق ذئب خاوي البطن لحم أخي ـ
ولن أدع إنساناً يقرر ذلك! ورغم أنني امرأة، فسأدبر له قبراً، وأحفر الأرض وأحمله في القماش الرفيع لهذا الثوب الثمين، وأدفنه بيدي؛ وما من قرار سيوقفني. لن أخاف، وإنما سأجد السبيل.

الرسول : أحذركِ، لا يتطرقَنَّ إلى ذهنكِ أن بمقدوركِ أن تتحدِّي الحكومة.

أنتيجوني : أحذركَ ألّا تعلنني ـ إنك تضيع وقتك سدى.

الرسول : يبدي الشعب الحديث التحرر، معاملة قبيحة.

أنتيجوني : إذن، فلتكن قبيحة. لن يُحْرَمَ أخي قبره.

الرسول : أتكرِّمين بالدفن عدُوّاً للشعب؟

أنتيجوني : لقد حدَّدَتِ الآلهة منذ زمن بعيد أية أمجاد تكون من حقه.

الرسول : هذا إذا لم يكن قد أغرق بلاده، منذ ذلك الوقت في ذعر قاتل.

أنتيجوني : لقد ظُلم. لم يفعل أكثر من أن ردَّ على ظُلم بظلم.

الرسول : وقد هاجمنا جميعاً لأن رجلاً واحداً ظلمه.

أنتيجوني : النـزاع، من بين سائـر الآلهة، أطـولهـا جـدالاً.
كفى خـطابـات طويلة. سأدفنه.

الرسول : افعلي ما يحلو لكِ، ولكنني حذَّرتكِ.

[يخرج الرسول]

الكوروس : يا للأسف، يا للأسف!
أيتهـا الإيرينـوس الفخورة الـظافرة، يـا أرواح الشرّ،
محـطِّمـات الأُسر، اللاتي قطعن
جذور وأغصان أسرة أوديب!
ماذا سيحدث؟ إلى أي جانب أنحاز؟
أيّ حَلٍّ يمكنني العثور عليه؟ كيف أطيق ألا أبكيك؟
وألا أتبعـك حتى قبرك؟
ولكنني خائفة ؛
إنني أبتعد عن غضب المواطنين.
ستجد كثيراً من النائحين، يا إتيوكليس ؛
فهل سيرحل هو، هذا الروح المسكين، من غير نواح،
ولن يرتل عليه أحد سوى شقيقته؟ من ذا الذي يوافق على هذا؟

الكـوروس الأول : فلتفعل الحكـومـة، أو لا تفعـل، كمـا تشـاء. سنتـبع نحن
يولونيكيس إلى قبره، ونشترك في دفنه.
فهذا الحزن يخص كل عشيرة كادموس ؛
وما تعتبره الحكومة صواباً
يتغير بتغير الزمن.

الكوروس الثاني : وسنذهب نحن مع إتيوكليس ؛ حيث أن العدالـة والحكومـة
تتكلمان هنا بصوت واحد. لأنه هو قبل الجميع
الذي، بعد الآلهة المباركين وزوس القويّ،

بصفته مرشداً لمدينتنا الكادمية، قد أنقذنا من الانقلاب
ومن أن تبتلعنا موجة الغزاة الأجانب.

[تُحمل الجثتان، واحدة إلى اليسار، والأخرى
إلى اليمين. يتبع نصف الكوروس جثة،
والنصف الآخر الجثة الثانية].

مسـرحية

المتضرعات (أو) الضارعات
(أو)
المستجيرات

مسرحية

المتضرعات (أو) الضارعات
(أو)
المستجيرات

مسرحية «المتضرعات» أو «المستجيرات»

ΙΚΕΤΙΔΕΣ

مقدمة

كانت إيو هي ابنة إناخوس، ملك أرجوس كاهنة هيرا، وإذ أكلت الغيرة قلب هيرا بسبب حب زوجها للكاهنة فقد شوهت هيرا عقل ضحيتها وجسدها بأن أصابتها بلوثة جنون ثم مسختها عجلة وجعلتها تجوب الأرض والبحر معاً إلى أن وصلت أخيراً، أرض نهر النيل حيث استعادت أيو شكلها البشري باللمسة الخفية التي لعشيقها زوس ثم حملت منه إيبافوس الذي أنجب ليبيا والتي منها ولد كل من بيلوس وأجينور. . . ولكن شجاراً دب بين أيجوبتوس وداناوس، ولدي بيلوس، فقد أراد أولاد أيجوبتوس الخمسين تحت رباط الزواج الملزم الاستحواذ على بنات داناوس الخمسين. . ولكن إذ كرهت العذارى ذلك الإكراه الذي لجأ إليه الأزواج فقد آثرن الهرب مع أبيهن إلى أرجوس، وطن أمهن الأول. وهناك لجأن إلى بيلاسجوس، ملك تلك البلاد، وطالبنه بحق الحماية واللجوء. .

كان تردد الملك في تأييد المستجيرات في حق اللجوء، ثم انتصار ذلك الحق بعد أخذ أصوات شعب أرجوس، ثم وصول المغازلين في أعقابهن بعد أن سبقهم رسولهم مطالباً بتسليم العذارى ثم فشله في تحقيق مرامه رغم تهديده بالحرب. . . كل هذه الأمور تشكل المضمون الدرامي للمسرحية. .

وتنتهي أحداث المسرحية على أيدي المصريين والداناثيات. . وإذ وجد داناوس نفسه مجبراً على الإذعان لمطالب أبناء أخيه، فإنه اشترط على بناته

ضرورة قتل أزواجهن في ليلة الزواج فأطعنه جميعاً باستثناء هـويبرمنسـترا ا نكثت بعهدها الرائع ولم تقتل لونكيـوس بناءً على حبهـا له. . وعنـدما قـد، هويبرمنسترا للمحاكمة راحت الربـة أفروديت تـدافع عنهـا على أساس أن ـ الرجل والمرأة يقدسه حب السماء للأرض.

وتاريخ هذه المسرحية لا يمكن تحديده بدقـة ولما كـانت أحداثهـا تا كلها قبل ظهور الفرس فإنها تعتبر إذن وبلا جدال أقدم دراما مسرحية وصلتنا الأدب الأوروبي.

المتضرعات
(أو) المستجيرات
أشخاص المسرحية

كوروس من بنات داناوس الخمسين
داناوس Danaus : أحد نسل زوس وأيو.
بيلاسجوس Pelasgus : ملك أرجوس.
رسول المصريين.
كوروس ثان من الخادمات القائمات على خدمة بنات داناوس.
جنود وخدم آخرون

المنظر : قرب شاطيء البيلوبونيز Peloponnese ؛ مرعى به كومة معشوشبة يقوم عليها عـدد من المذابـح وتماثيـل الآلهة، ومنهم زوس[1]، وأبولو[2]، وبوسايديون[3]، وهرميس[4]. وتُرى في الخلفية البعيدة أسوار وقلاع أرجوس Argos . تتجمع بنـات داناوس[5] Danaus قرب التماثيل.

الزمن : قبل التاريخ

[تدخل مجموعة من العـذارى بعد أن هــربن من مصــر ونــزلن بشــواطيء أرجوس بصحبة أبيهن]

الكوروس : عسـى زوس ، إلّـه المتضـرعين جميعــاً، أن ينـظر إلينــا بعين العطف.
جئنا بالسفينة من كثبان الغبار

(١) كبير الآلهة .
(٢) إله الشمس .
(٣) إله البحر.
(٤) رسول الآلهة.
(٥) ابن بيلوس وشقيق تـوأم لايجوبتـوس. أنجب خمسين ابنة من عـدة زوجات ووعد بأن ليزفهن إلى أبناء شقيقه ايجوبتوس الخمسين .

القائمة عند المصب الخارجي لنهر النيل،
وإن تلك الأرض التي غادرناها لعزيزة على زوس،
مشتركةً مع المراعي السورية، ومع ذلكك فقد أتينا
غير موصومات بلعنة جريمة دم،
وغير مطرودات بحكم مدينة؛ بل منفيات باختيارنا،
أملاً في الهروب من شهوة الرجال،
من الزواج البشع المحرَّم بأبناء أيجويتوس[1] Aegyptos.

يقود والدنا داناوس قضيتنا
ويقودنا في كل حركة نعتزمها.
رأى بتخيُّره بين الشرور، أن من الخير
أن نطلب النجاة بطريق البحر
إلى أرض أرجوس. فهنا
بدأت عشيرتنا التي اكتمل نموها الآن،
وتنسب منشئها من ذلك الحيوان المعذَّب،
وعمل نَفَسُ زوس ذاته ولمْسته على مجيئنا.

إلى أي أرض أكثر رحمةً من أرجوس يمكننا أن نذهب؛ متسلحين بهذه، وهي أسلحة المتضرعين، الأغصان الملفوفة بالصوف؟
أيتها المدينة! ويا تربة هذه الأرض، والمياه المتألقة! أيا آلهة الهواء، والأرواح الساكنة في حجرات الأرض المظلمة، المبجلة بالطقوس الكئيبة!
والثالث في صلاتي، هو زوس المخلِّص،
الذي تقود يده دفة الاستقامة،

---

(١) ملك القطر المصري، ابن بيلوس شقيق داناوس. والد خمسين إبناً تزوجوا جميعاً من بنات داناوس الخمسين، وقتلوا بواسطتهن في ليلة العرس ولم يَنج إلا واحد فقط.

استقبلوا جماعة النساء المتضرعات هؤلاء، دعوا الشفقة ترحب بنا
من أرجوس كالريح الرقيقة!

أما الكبرياء الذكرية لأبناء أيجوبتوس العنيفين -
فقبل أن يطئوا هذا الشاطيء الكثير المستنقعات،
اقذفهم، ومعهم سفينتهم المطارِدة!
إلى البحر الشاسع! حيث تلتقي
بالعاصفة الصرصر العاتية،
وبالرعد، والبرق، والريح، ومطر المحيط الوحشي،
فليموتوا، قبل أن يضعوا أيديهم علينا.
نحن بنات عمهم، ليدخلوا فراشنا رغماً منا،
الذي يُحَرِّمه عليهم الحق!

والآن، من وراء البحر
أتضرع إلى حامينا
الطفل الذي رعى وسط الأزهار،
العِجْل الذي خلفه[1] زوس.
من البقرة، أم عشيرتنا،
التي صارت حبلى بتنفس زوس وعناقه؛
ومن ثَم أُعطي اسمه الحقيقي،
وتمت حياته كما تُنُبيء،
عندما ولدت أمه إپافوس[2] Epaphus «طفل اللمسة».

الذي أتوسل إليه الآن

---

(١) انظر المقدمة لمعرفة كل قصة إيو.

(٢) ابن زوس وإيو، ولد على ضفاف النيل بعد جولات إيو الطويلة. صار ملكاً على مصر وأسس مدينة ممفيس.

هنا في الحقول التي رعتها
إيو[١]، أمنا الأولى؛
والآن، إذ أروي ما قاسته وقتذاك،
أقدم دليلاً على ما نطالب به اليوم؛
وسرعان ما ستتبعه أدلة أخرى،
ستظهر رغم عدم البحث عنها؛
لأن الحقيقة ستُعرف عندما يطول الزمن.

إذا تصادف وجود أي فرد من مواطني هذا الشاطيء،
قريباً منا، واستمع إلى بكاء الطيور.
ظن، عندما تقع أنشودة تضرعنا الحزينة،
على أذنه، أنه يسمع
صوت زوجة تيريوس[٢] Tereus، دوليان Daulian الباكية،
تلك العندليب التي صادها الصقر،
والتي تبكي تحت أوراق الشجر الخضراء،
حزناً على حياتها منفية من وطنها.
وتروي بالأناشيد قصة موت ابنها؛
كيف هلك بيدها هي نفسها،
فريسة العاطفة الوحشية التي اجتاحت أمه.

لذا تأثرتُ وبكيتُ بالمراثي الأيونية،
وأتلفتُ بالحزن نعومة
الخدود التي أنضجها[٣] النيل

---

(١) إبنة إناخوس. أحبها زوس وحوّلها إلى عجلة ليحميها من غضب هيرا.
(٢) إبن أريس وملك فوكيس. زوّجه بانديون ملك أيتكا ابنة بروكني فأنجبت له ابناً اسمه إيتوس ولكنه ملّ منها فقطع لسانها وخبأها في البلدة وتزوج أختها فيلوميلا.
(٣) لما كانت بنات داناوس مصريات، كُنَّ سُمْر البشرة.

وقلباً غير ماهر في الدموع.
أقطف أزهار الألم المرير،
وأرعى قطيع أهوالي.
فهلّا يهبُّ أحد لنجدتنا،
نحن اللاجئات من أرض نائية؟

اسمعونا، يا آلهة الزواج، ودعوا العدل ينتصر؛
ولا تُمكِّنوا الشباب الوحشي من أن ينال
شهوته الشريرة؛ ولتُقمع
الكبرياء بواسطة كراهيتكم لها؛
أتِموا لنا الزيجات الصحيحة.
فحتى من يفرون من القتال في المعارك
لهم مذبح يلجئون إليه من الهلاك،
حيث احترام الآلهة يجعلهم في أمان.

قيل بحق،
«إن رغبة زوس القوية عسيرة الصيد»(١)
تضيء جميع الأشياء أمامه بوضوح،
ولو أنه يخفيها في ظلام دامس
عن عيون البشر الهالكين.
وبإيماءة من زوس
يتقرر تنفيذ كل شيء،
فيتم الحادث «منتصباً على قدميه».
لأن طريق قلبه الراغب

(١) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو «ليس من السهل اقتفاء أثر ما يريده زوس بشدة»، أي أن أغراضه غريبة غامضة.

يمتد مظلماً ومعقَّداً، ويحير البصر والفكر.
يقذف زوس بالبشر من آمالهم العالية
إلى هلاكهم؛
ولا يوجد إله خالد
يستطيع أن يشهر في وجهه قوة الألوهية غير المتطلبة جهداً،
إذ أن زوس يعاقب غروره في لحظة،
رغم أنه متوَّج في عبادة البشر.
وهكذا فلينظر زوس إلى غطرسة البشر، ويلاحظ كيف أن اشتهاء
لحمنا يجعل الرجل العجوز صغيراً،
ويزهر برغبة منحرفة،
بينما تحثه الرغبة الجامحة بغير هوادة،
وعندما يتبع الشرّ الغرور، يتبعه الألم بدوره.
كنت أنشد مثل هذه الأناشيد، غير المنظومة ببراعة
وغير المتناسقة النغمات،
وصوتي الذي حبسته العَبَرات، تارة حادّ وطوراً عميق،
هي أناشيد مليئة بالنحيب كأنها المراثي الطقسية
فأحتفل بموتي بالأنّات الحية.
أصرخ طالبةً الرحمة من هذه المرتفعات الآبِيّة[1]
(عفواً، أرضَ هيلاس عن لغتي الفظة)
ثم أعود فأمزق من جديد.
خماري التورياني[2] Tyrian، إلى أسمال تمجُّ العين رؤيتها.

---

(١) «Apian»، اسم قديم بمعنى أرجوسيّ، أي نسبة إلى أرجوس. وأصله غامض غير معروف.

(٢) اللفظ الإغريقي هو «Sidonian» «غير أن» «Tyrian» أنسب لأنها تعني شيئاً تألفه الأذن.

وعنـدما يسيـر كل شيء على مـا يرام، عنـدما يكفُّ المـوت
عن التهديد،
يتدفق الوفاء بالنذور للآلهة.
غير أنني مرتبكة بالخطر والضائقة.
إلى أين تقودني هذه العاصفة؟
أصرخ طالبة الرحمة من هذه المرتفعات الآبيّة
(عفواً، أرضَ هيلاس عن لغتي الفظة)؛
ثم أعود فأمزق من جديد
خماري التورياني إلى أسمال تمجُّ العين رؤيتها.

بعيداً ذهبت مجاذيف سفينتنا
وهيكلها المسدود بالشمع لكي يمنع تسرُّب البحر إليها
فجاءت بنا بريح مواتية؛
ولم تؤذنا أية عاصفة، وإني لشاكرة.
إذ انتهت رحلتي إلى اليابسة؛
عسى زوس، الذي يبصر كل شيء، أن يقودها حسبما نرغب
ويمنحنا، نحن ذرية عروسه المقدسة إيو،
أن نفلت من عناق الرجال،
ونحتفظ بعذراويتنـا مصونة غير مقهورة.

وعسى أرتيميس[1]، ابنة زوس، المحبة للعفة،
التي أحبطت شهوة أوريون[2] Orion إلى أوبيس Opis،
أن ترغب في عفافي بتقدير رحيم؛

(١) هي ديانا عند الرومان. كانت ابنة زوس وليتو وشقيقة توأم لأبولو، كما كانت تحظى بمرتبة رفيعة بين آلهة أوليمبوس.

(٢) عملاق قوي وصياد رائع الجمال. تقابل مع بلايوني وبناتها فهددهن بهتك أعراضهن مما دفعهن إلى الفرار منه.

فلتأتِ بكل قُوّتها،
عذراء لنجدة عذراء،
وتدحر هذه الشهوة التي تلاحقنا،
حتى أننا، نحن ذرية عروسه المقدسة إيو،
نفلت من عناق الرجال،
ونحتفظ بعذراويتنا مصونة غير مقهورة.

وإلا، فإلى البيت الذي تمقته الشمس،
إلى زوس العالم السفلي، ملك الموتى،
الذي يرحب بضيوف لا يُحصَوْن عَدّاً،
سنأتي بأغصان تضرعنا؛
لأننا سنُشنَق ونموت بأنشوطة المشنقة،
إذا لم تستمع إلى تضرع آلهة أوليمبوس[1].
للأسف أن غضب الآلهة،
يبحث عنكِ، يا إيو، ليعاقبكِ،
فإني أعرف غيرة ساكني السماء في شئون الزواج:
فمن الريح التي تهب غاضبة، تخرج العاصفة.

ثم إن زوس يجلس دون القيام بدفاع عادل،
عندما يرى لأول مرة
ابن البقرة، الذي وُلد منه هو نفسه،
فيُحوِّل عينيه بعيداً عن ابنه،
عندما نتضرع إليه،
فهو يسمع صراخنا بقربه، مهما كان يجلس بعيداً.

---

(١) جبل في تساليا كانت تعيش على قمته آلهة السموات، ويقوم فوق أعلى ذؤاباته قصر زوس، تجاوره من جميع الجهات المنازل التي بناها هيفايستوس للآلهة الآخرين.

للأسف أن غضب الآلهة،
يبحث عنكِ، يا إيو، ليعاقبكِ،
فـإني أعرف غيرة ساكني السماء في شئون الزواج:
فمن الريح التي تهب غاضبة، تخرج العاصفة.

[في تلك الأثناء يكون داناوس قد دخل آتياً
من جهة الشاطيء]

داناوس : أي بنـاتي، يجب أن نتذرع بـالحكمة، فبينمـا كنا نبحـر إلى هنا
وجدتن أباكن رباناً حكيماً،
وعجوزاً وموضع ثقة؛
والآن سأعني بأمركن فوق اليابسة
وأتولى حراستكن، على شرط أن تحتفظن بما أقوله مكتوباً
في قلوبكن.

[ينظر نحو الأفق ويشير ناحية أرجوس]

أرى الغبار يرتفع، معلناً في صمت عن قدوم جيش لم تُسمع بعدُ
قعقعـة عجلاتـه ومحـاورهـا؛ وأرى كتلة من الـرجـال بـالتـروس
والرماح؛ وكذلك خيولهم،
وعرباتهم المقوسة. لا شك في أن حكام هذه المملكة،
قد علموا بمجيئنا، فأقبلوا ليرونا بأنفسهم.
وليروا ما إذا كان هذا المجيء الوحشي ينطوي على نية سيئة،
أو أنـه بسبب غضب وحشي. وفي كلتا الحـالين، يا بنـاتي،
من الخير أن تجلسن متضرعات لهذه الآلهة ذات الأعياد(١).

---

(١) الآلهـة التي ذُكرت على أنهـا تظهـر للعين فـوق خشبـة المسـرح، هي: زوس وأبـولـو وبوسايدون وهرميس، وكلها آلهة ذات علاقة «بالألعاب» العظمى، أي بالأعياد الدينيـة التي يُحتفل بها بألعاب القوى.

هنا فوق هذه الرابيـة. فالمـذبح أقـوى من الحصن، وإنه لتُـرس منيـع، هيّا، بسـرعة، أحضـرن أغصـانكن الملفـوفـة بـالصـوف الأبيض. رموز زوس الرحيم،
أمسكن بها في أيديكن اليسرى، في وضع الاحتفال؛
وأجبْن على أسئلة رجال أرجوس هؤلاء بالطريقة
التي يخاطَب بها الأغرابُ الحديثو المجيء ،
بألفاظ تستدر الدموع والشفقة من أجل حاجتكن؛
قُلْن بصراحة إنكن أتيتن إلى هنا هاربات، وإن أيديكنّ
بريئة من الدم. وتذكّرن، قبل كل شيء:
ألا تستخدمن أية جرأة أو تفكّك في كلامكن أو ملامحكن؛
فلتكن الملامح متواضعة ومحتشمة، والعين ثابتة.
لا تتلعثمن أو تتردَّدْن في كلامكن.
فـإن هؤلاء قـوم ذوو طبـاع حـادة. فتـذكّـرن، إذن ـ
أن تـظهـرن بالخضوع! فكلكن غريبات، ولاجئات عاجزات؛
ولا محل للألفاظ الجريئة لدى الجانب الأضعف.

الكوروس : أبتاه! إننا حكيمات جداً، لدرجة الترحيب بتحذيرك الحكيم.
وليكن زوس شاهداً علينا، زوس أبو عشيرتنا!

داناوس : إذن، فـلا تضيعن الـوقت، واجعلن تضـرعكن إلى الآلهـة أمـراً أكيداً.

الكوروس : هأنذا على استعداد، ولأتخذْ مجلسي هنا إلى جانبك .
أي زوس، اعطف على حالتنا، لا تسمح بموتنا!

داناوس : عسى أن ينظر زوس إلينا بعين الصداقة حقاً .
فإذا كان زوس في جانبنا، غدت عاقبة كل شيء سعيدة.
هنا أبولو، نجل زوس، نادينه.

الكوروس : إننا ننادي أشعة الشمس المنقذة، وننادي أبولو
المقدس والطاهر - فإذا نُفي مرة من السماء، وهو إله:
فإنه سيحترم في البشر تلك المحنة التي عرفها.

داناوس : آمين! عساه يقف إلى جانبنا، مدافعاً عن قضيتنا!

الكوروس : ومَن غيره من هذه الآلهة أناديه الآن؟

داناوس : انظرن، هأنذا أرى رمح إله البرزخ[1]، الثلاثي الشعاب.

الكوروس : لقد بارك رحلتنا بحراً، والآن، عساه يرحب بمجيئنا فوق اليابسة.

داناوس : كذلك هنا هرميس، في صورته الجريكيانية Grecian .

الكوروس : إنه يُستقبَل استقبالاً حسناً، عسى أن يقود إلينا الحظ السعيد.

داناوس : بالاختصار، نادين جميع الآلهة الذين يكرمهم هذا المذبح الفرد؛
وكسرب من اليمامات المستكينات خوفاً من الصقور
اطلبن الحماية من أقاربكن الأعداء
الذين يلوثون عشيرتنا. فهل يأكل الطائر لحم الطائر
ويظل طاهراً؟ وهل يضاجع رجل امرأة
رغماً منها ورغماً من رغبة أبيها، ويكون طاهراً؟
فحتى بعد الموت، لن يفلت مثل هذا العمل، في هاديس[2]
Hades ، من العقاب؛ فيقولون إن هناك أيضاً، بين الموتى زوساً
آخر يصدر الحكم الأخير على جرائم البشر.
كنَّ حازمات إذن؛ وجاوبن قائد أولئك القوم
حتى تُكلَّل مسألتكن بالنجاح اليوم.

---

(١) إله البرزخ هو بوسايدون.

(٢) ابن كرونوس وريا، وشقيق زوس وبوسايدون وهيرا. كان ينظر إليه كإله يحكم عالم الأموات مجرداً من الشفقة نحو سائر المخلوقات. هو عنوان الخوف والبغضاء عند البشر.

[في أثناء ذلك، يكون الملك بيلاسجوس
قد دخل مع بعض الحرس]

الملك : إننا نحييكن. من أية مملكة جئتن؟ فملابسكن غريبة علينا - إنها ثياب بربرية، ناعمة ورفيعة النسج ليست كالتي تلبسها المرأة في أرجوس أو في هيلاس.
وكيف تجاسرتن على المجيء هكذا إلى شواطئنا غير خائفات،
بغير استدعاء ولا ضمان، وبدون صديق ولا مرشد؟
إن هذا مدعاة للعجب. حقاً، إن الأغصان، التي هي شارة المتضرع،
موضوعة إلى جوانبكن أمام هذه الآلهة ذات الأعياد.
يمكننا تفسير هذه العلامة وحدها، أما ما بقي،
فالتخمين يولد تخميناً آخر، وهكذا إلى ما لا نهاية،
إن لم يكن هناك صوت يجيبنا بالحقيقة المؤكدة.

الكوروس : سيدي، إن حدسك فيما يختص بملابسنا لهو عين الحقيقة. وأنت - هل أنت أحد مواطني هذه المدينة؟ أو هل لا بد لي أن أحدثك كرسول[1] مبعوث، أو كملك هذا البلد؟

الملك : تحدثي إليّ بكل ثقة. أنا بيلاسجوس[2]،
ابن پالايختون Palaechthon المولود من الأرض،
وحاكم هذه البقاع،
والعشيرة التي تزرع هذه الأرض، تسمى بعدلٍ عشيرة

---

(١) ابن تريوپاس وسويس، استقبل ديميتير في بيته عندما جاءت إلى أرجوس تبحث عن بيرسيفوني، فأخبرتها أخته خروسانثيس عن خطف بلوتو لأختها كان بيلاسجوس والد لاريسنا.

(٢) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو «يحمل عصا مقدسة»، أي يحمل شارة الرسول الموفد.

البيـلاسجيين، نسبـةً لي أنـا ملكهم، كمـا أنني أحكم جميـع
المملكة.
الممتدة غرباً، والتي يجري خلالها نهـر هالياكمون Haliacmon.
وأحدد من ممتلكاتي جميع المنطقـة البيرهـايبية Perrhaebian، وهي
الأرض الممتـدة وراء جبـل بنـدوس Pindus، قـرب خـاءونيس
Chaones، وسلسلة الجبال الدودونية، حيث تلتقي اليابسة بالبحر
وتنتهي عندها إمبراطوريتي: إنني أحكم جميـع الأراضي
الممتدة من هناك إلى هنا.
وإن الأرض الآيـة نفسها؛ هـذا السهل المستـوي، سمي بـاسم
آيبس Apis، الذي اشتهر في العصور القديمة بمهارتـه في شفاء
الأمراض.
إنه ابن أبولو، أستاذ العلاجات والتنبؤات،
الذي عبر الماء من ناوباكتوس Naupactus، وطهَّرَ هذه الأرض
من الوحوش التي تفترس البشر ـ تلك المخلوقات التي،
لما كانت الأرض قد تدنست
بجرائم القتل القديمة، قد قامت بتربيتها، كما تفعل زوجـة الأب
القـاسية ـ وتتـألف من أسـراب الأفـاعي المتـوحشـة التي تقـاسم
الإنسان ميراثه .
عالجَ آيبس هذه الأوبئة بـالعقاقيـر الشافيـة وبالطقوس المطهـرة،
فرضيتْ أرضنا كل الرضى، وكافأته على ذلك بذكر اسمه في أيام
الصلاة.

لقد تكلمتُ. والآن فلتقرر إحداكن عشيرتها،
بوضوح، وبإيجاز. إذ تمقت أرجوس الحديث المطول.

الكوروس : إذن، باختصار، وبوضوح؛ إننا من الدم الأرجوسي.
البقرة التي أخصبها زوس ـ نحن من نسلها.

اصغَ إليَّ: سيحمل كلامي برهاناً على كل ما قلتُه.

الملك : أيتها السيدات، إنني أجد قصتكن هذه بعيدة
على التصديق. كيف يكون
قوم مثلكن من أهل أرجوس؟[١] إنكن أكثر شبهاً
بالليبيات ـ وبكل تأكيد لستُنَّ من نساء مملكتنا.
قد يُنبت النيل مثل هذا النبات، وفي وجوهكن،
حيث يُشَكِّل الصانع الذكر ملامح السيدات، يوجد
طابع قبرص الحي. كما أسمع أن هناك
نساء مثلكن، من البدو، يمتطين ظهور الإبل
كما نركب نحن صهوات الخيول؛ ونسير بها في
سهولة وسط الأراضي
المجاورة لإثيوبيا. ولو تسلحتُنَّ بالقسيّ
لخمنتُ بأنكن أولئك الأمازونات[٢] Amazones الذائعات
الشهرة،
اللواتي يعشن بغير رجال ويأكلن لحوم البشر.
ولكن أخبرنني بجلاء
كيف تنحدرن من أرجوس، نشأةً ودماً؟

الكوروس : أيروي القوم هنا قصة تقول إن إيو كانت هنا، ذات مرة

---

(١) يبدو أن سؤال الملك هذا كان لا بد أن يكون «كيف يمكن أن تنحدرن من البقرة؟» إذ أنه يبدو غريباً علينا، وربما كان كذلك للأغارقة أيضاً. بيد أنه لا يوجد دليل على أنه وُجد هكذا في هذه الفقرة.

(٢) شعب من النساء المحاربات قطعت أثداءهن اليمنى منذ ولادتهن لتصبح لهن الحرية في استخدام الحراب. كان من أعمال هرقل الإثني عشر أن يحصل على زنار ملكتهن هيبولتيا التي وُفق في قتلها.

أمينة مفاتيح معبد هيرا[1] Hera؟

الملك : كانت كذلك، ما في هذا شك، هذه قصة معروفة تماماً.

الكوروس : وهل يضيفون إليها أن زوس أصيب بحبها؟

الملك : نعم، وعلمت هيرا بذلك الحب فأكلتها الغيرة.

الكوروس : وماذا كانت نتيجة ذلك الحب الملكي؟

الملك : بقرة، كانت امرأة حوّلتها الربة الأرجوسية.

الكوروس : وزوس ـ ألم ينزل ليبحث عنها؟

الملك : .هكذا يقولون، متخذاً صورة ثور ليناسبها.

الكوروس : وماذا فعلت هيرا إذن، هل كانت مصممة كعادتها؟

الملك : وضعت حارساً يرى كل شيء ليراقب تلك البقرة .

الكوروس : ومَن كان ذلك الراعي لحيوان واحد، والمبصر كل شيء؟

الملك : إنه أرجوس، المولود من الأرض، والذي قتله هرميس.

الكوروس : وماذا غير هذا
فعلته هيرا ضد تلك البقرة المنحوسة الطالع؟

الملك : أرسلت إليها ذبابة مما يعذب الماشية ويحرمها الراحة.

الكوروس : نعم، وسيعرفها سكان منطقة النيل باسم أويستروس Oestrus.

الملك : ماذا؟ وهل ساقتها مسافة بعيدة حتى نهر النيل؟

الكوروس : نعم، وكل إجاباتك تتفق وما أهدف إليه في الأسئلة.

---

(١) زوجة زوس.

الملك : إذن فقد وصلتْ إلى كانوبوس Canopus، وحتى إلى ممفيس Memphis؟

الكوروس : نعم، وهناك لمسها زوس بيده فأنجبت طفلاً.

الملك : وأي رجل هذا الذي يفخر بنسبه على أنه العجل ابن بقرة زوس؟

الكوروس : هو إبافوس، الذي سُمي بهذا الاسم المناسب للمسة زوس.

الملك : وأية أطفال وُلدت لإبافوس؟

الكوروس : ابنة، اسمها ليبيا، تحصد المحاصيل في أضخم الأراضي.

الملك : وأي طفل ستذكرين اسمه بعد ذلك؟

الكوروس : بيلوس Belus[1]،
الذي كان له ولدان، وكان والد أبي الواقف هنا.

الملك : أخبريني، وماذا تطلقين على حكمته؟

الكوروس : داناوس،
وله أخ له خمسون ابناً.

الملك : إذن، فلا تضنّي عليَّ بذكر اسم هذا أيضاً.

الكوروس : أيجوبتوس.
وبما أنك الآن تعرف قصة عشيرتنا الطويلة،
أرجوك أن تعمل كبطل لهذه الجماعة الأرجوسية.

الملك : بكل تأكيد، يبدو أنكن، منذ أقدم الأيام تنتمين إلى أرجوس.
ولكن كيف كانت لكن الجرأة والإرادة على أن تتركن
وطن أبيكن؟ أية ضربة للقَدَر نزلتْ بكن؟

---

(١) ابن بوسايدون وليبوا، ووالد أيجوبتوس وداناوس وكيفيوس وفينيوس.

الكوروس : يا ملك البيلاسجيين، إن مساويء البشر تتزيّى بعدة ألوان؛
لن تجد في جناح متاعبنا ريشتين متماثلتين.
من كان يفكر في أننا نلجأ إلى هذا الفرار المفاجيء، ونتجه إلى
أرجوس، المرتبطة بنا برباط الدم القديم،
مسوقاتٍ باستنكارنا للاعتداء غير المقدس في مصر؟

الملك : وإذ كنتن متضرعات إلى هذه الآلهة، وتحملن أغصاناً مقطوعة حديثاً
وملفوفة بالصوف الأبيض، فأي معروف تطلبن مني ؟

الكوروس : ألّا نكون زوجات أبناء أيجوبتوس.

الملك : ولماذا؟ أتَمْقُتْنَهُمْ؟ أم تعتبرن من الخطأ الزواج بهم.

الكوروس : وهل تشتري أية فتاة سيداً[1] لها من بين أسرتها؟

الملك : الزواج بين الأسرة الواحدة يمدها بمزيد من القوة.

الكوروس : نعم، وإذا حدثت مشاكل، غدا الطلاق في غاية السهولة.

الملك : وكيف لي إذن، أن أبجل حق تضرعكن عليّ؟

الكوروس : إذا ما أتوا يطلبوننا، فلا تسلمنا إليهم.

الملك : وهل أخوض من أجل ذلك حرباً خطرة؟
إنكن تطلبن مني شيئاً فوق طاقتي.

الكوروس : ستنصر العدالة من يحاربون من أجلها.

---

(١) أي ببائنتها. والمعنى هنا مفسر بوضوح في السطرين التاليين له. فإن اتحاد فرعين من أسرة واحدة يعمل على تقوية تلك الأسرة بضم الميراثين معاً، بينما يصير موقف الزوجة أضعف عندما لا يكون لها أسرة مستقلة تؤيدها في أي نزاع يقوم بينها وبين زوجها أو بين أسرته.

الملك : نعم، حقيقة -
لو كنتُ طَرَفاً في هذه القضية منذ البداية.

الكوروس : بجِّلْ هذه الآلهة، الذين هم دفة مدينتك المتوجون هكذا.

الملك : أرى هذا المكان ظليلاً بالأغصان، ويهتز.

الكوروس : إن زوس إله المتضرعين، فظيع في غضبه.
يا ابن الايخثون، يا ملك البلاسجيين،
اصغَ إليَّ بقلب ودود؛
انظر نحوي، أنا المنفية المتضرعة،
أجري في هذا الاتجاه وذاك،
كعِجْلةٍ يطاردها ذئب فوق الصخور الشديدة الانحدار،
وبينما تثق في مساعدة الراعي، تخور لتعلن له عما يؤلمها.

الملك : أرى جميع آلهة الأعياد هؤلاء
تومىء بالموافقة من تحت ظلال هذه الأوراق المقطوفة حديثاً.
وبما أن الدم يربطكن بمدينتنا، فعسى ألا تسبب قضيتكن هذه
لنا أي ضرر، ولا تجرّ علينا حرباً من أي مصدر خفيّ
فتفاجئنا على غير استعداد. فهذا ما لا نسعى إليه.

الكوروس : عسى ثيميس[1] Themis، صديقة المتضرعين، وابنة زوس،
الذي يعطي كل فرد ما يستحقه،
أن تجعل هروبنا عديم الضرر: فالقديم في المعرفة، يتعلم من
الحديث الولادة:

---

(١) ابنة أورانوس وجيا. هي رمز للقانون والنظام والعدالة. تزوجها زوس وأجلسها بجواره على عرشه كي ينتفع بمشورتها.

إذا احترمتَ المتضرع كانت الضحية التي تقدمها خيرَ ما يقدمه
المرء الطاهر الحياة
على مذابح الآلهة المجيدة [١] .

الملك : إنكن لم تجلسن عند وطيس بيتي، وإذا وقفت حكومة أرجوس عرضة للجريمة هنا[٢] فلا بد أن يعالج هذا الأمر شعب أرجوس مجتمعاً. لذا، لن أتعهد بشيء حتى أعرض المسألة كلها على مجلس مواطنيَّ.

الكوروس : أنت الحكومة[٣]، وأنت الشعب .
أنت الحاكم المطلق السلطة، إنك تدير
شئون المذبح الذي هو وطيس مملكتك،
دون أن تخشى صوت أي فرد. وبمجرد إشارة منك أنت، يا ملك
العرش الواحد، تبتُّ في جميع القرارات: لذا، فأنت بعيد عن
كل مؤاخذة.

الملك : تقع المؤاخذة على أعدائي، ومع ذلك فلست أعرف كيف يتسنى لي مساعدتكن دون أذى؛ ومن ناحية أخرى، إن تجاهلُ مثل هذا التوسل ليدل على القلب غير الماجد .
ماذا بوسعي أن أفعل؟ أين أسير؟ أخاف أن أعمل، أو لا أعمل.
إذن فلأترك الأمور تجري في أعنتها.

الكوروس : احذر عين السماء الساهرة.
التي تتطلع إلى أحزان البشر، وتبصرهم
عندما يجلسون بغير ما فائدة عند وطيس جارهم،

---

(١) هذه العبارة وضعها توكير Tucker لتحل محل كلمات ضائعة وغير معروفة.
(٢) أي عرضة للجريمة في حالة عدم قيامها بالالتزامات التي يفرضها عليها حق المتضرع.
(٣) هذه العبارة رد على قول الملك «ليس هذا بيتي».

وقد رفض أن يُسدي إليهم الترضية الشرعية.
وإن غضب زوس من أجل احتقار المتضرع
سيظل باقياً ولا يلين
بدموع من يقع عليه ذلك الغضب.

الملك : إذا كانت قوانين مملكتكن تجعل من أبناء أيجـوپتوس سادة لكن
عندما يطالبون باعتبارهم أقرباء من الدرجة الثانية؛
فمن ذلك الذي يستطيع أن يعترضن على طلبهم هذا؟
وبحسب نفس قوانينكن تجب محاكمتكن،
طالما لم يثبت أن ليس لأولئك الرجال حقٌ عليكن.

الكوروس : حق أو لا حق، لن أكون زوجةً لرجلٍ ما، بالعنف.
سأواصل فراري من هذا الاعتداء القاسي المتعجرف
وأمد فراري إلى حيث تمتد النجوم فوق الأرض.
إذن، فلتختر العدل لحليفك، وأعط
الحكم المقدس الذي ترضاه الآلهة.

الملك : ليس الحكم بالأمر الهيِّن، لا تختاريني قاضياً.
سبق أن قلتُ لكِ، على الرغم من أنني الملك المطلق السلطة،
إنني لا أستطيع التصرف في قضيتكِ بغير شعبي،
حتى إذا باءت بمكروه، لا يقول لي الشعب قط :
«لقد خربتَ أرجوس من أجل خاطر الغرباء».

الكوروس : إن زوس العظيم، الذي هو جَدُّهم وجدُّنا،
يقيم ميزانه الدقيق الإتزان ،
وينظر إلى كلا الجانبين، ويعطي بحق،
الشر نظير الشر، والبركات للصالحين.
وبما أن الجميع متزنون الآن بغير محاباة،

فلماذا تخاف إقامة العدل في قضيتي؟

الملك : من أجل سلامتنا جميعاً، لا بد لي من التفكير العميق؛ ومن عين فاحصة تبحث كما يبحث الغواصين في قاع المحيط،
ببصيرة واضحة غير شاردة، حتى تنال هذه المعضلة نهاية سعيدة غير ضارة، أولاً، لأرجوس ولنفسي، حتى لا يقوم الحرب والنهب ونُصابَ بضربتهما جزاء عملنا؛ وحتى لا نُسلِّمكن
أيتها المتضرعات عند مذابح آلهتنا،
وحتى لا نثير الانتقام، تلك الروح المدمرة، إلى هلاك أنفسنا.
تلك الروح التي لا تطلق فريستها حتى في الموت.

الكوروس : فكِّر! وصادقنا
بعدل، وبحسب الدين؛
لا تخُن اللاجئات
اللواتي طردهن الرجال الذين لا إله لهم، من وطنهن!
لا تسمح بأن أُجَرَّ أمام عينيك
من محراب الآلهة الكثيرة هذا،
أيها الملك، المطلق السلطة في أرجوس!
اعرف نية هؤلاء الرجال
نحو الغرور الشرير،
واحذر غضب زوس.
لا تجعل المتضرع إليك
يساق كما يساق الحصان باللجام
تحدياً للعدالة،
من أمام التماثيل المقدسة.
والأيدي الممسكة بنعومة ردائي، الثمينة.
واعلم أن قرارك، سواء أكان في صالحنا أو ضدنا،

سيبقى لأولادك ولبيتك،
مهما كان تصرفك إزاءنا طيباً أو سيئاً،
فهكذا سيُقَدَّر لهم.
فكِّرْ جيداً: هذه هي عدالة زوس،
ولا بد أن تسري.

الملك : لقد فكرتُ جيداً، وهذه هي الصخرة التي تواجهني الآن:
فسواء أكانت على هذا النحو أو ذاك، فلا بد أن تقودني إلى الحرب.
تشبه هذه الحقيقة هيكل سفينة أمسكت بها حبال
الروافع[1] فثبتت في مكانها تماماً؛
لست أرى الرسوّ في الميناء، في أي مكان.
وعندما تُلقَى البضائع الثمينة في البحر خلال العاصفة،
فقد تأتي بضائع أكثر بفضل زوس، الواهب زيادة الثروة،
وعوضاً عن تلك، يملأ بالبضائع سفينة أخرى أكبر من السابقة.
وهكذا، عندما تنطلق سهام اللسان في الوقت غير المناسب فإن كلمة قد تشفي أثر كلمة أخرى، وتهديء بفعل السحر، النفس المهانة.
أما إذا مُنِحتْ إراقة الدم بسفك دماء الأقارب، وجبت التضحية، بالصلاة وسقوط الكثير من الضحايا لكثير من الآلهة، درءًا لنزول اللعنة.
الحقيقة، أنني دخلتُ في هذا النزاع من أجل خرابي،
ولكن عند التنبؤ بالخراب - أختار الجهل بالشيء
بدلاً من معرفته؛ عسى أن يُثبت الحظ السعيد أنني مخطيء!

---

(١) يبدو أنهم، عند بناء السفن، كانوا يثبّتون الألواح حول الهيكل بالحبال، كي يسهل تسميرها.

الكوروس : لقد قلتُ الكثير لأستدر عطفك، دون جدوى، فاسمع مني كلمة أخيرة.

الملك : تكلمي إذا شئتِ، هأنذا أصغي باهتمام.

الكوروس : لدينا أشرطة وأحزمة نربطها حول ثيابنا.

الملك : وماذا عن هذه؟ أليست كلها من ملابس النساء المناسبة؟

الكوروس : أقول لك، إنها تزودنا بوسيلة رائعة ـ

الملك : هيّا، الآن، وافصحي، ماذا تقصدين؟

الكوروس : إن لم تتعهد لنا جميعاً بإخلاص ـ

الملك : حسناً، وماذا عن أحزمتكن؟ هي وسيلة رائعة في أي غرض؟

الكوروس : لتملأ هذه التماثيل بالزينات[1] البشعة.

الملك : إنكِ تتكلمين بالألغاز. أخبريني بوضوح عما تقصدين.

الكوروس : أن نشنق أنفسنا في الحال فوق هذه المحاريب المقدسة.

الملك : تشنقن... ! إن هذه الكلمة لتقع على قلبي
موقع السوط المُلْهِب[2].

الكوروس : لقد فتحتَ عينيك الآن، إذ جعلتُك ترى الحقيقة.

الملك : نعم، أرى المتاعب المحيِّرة في كل مكان؛
تتراكم عليَّ المصائب كنهر وقت الفيضان.
لقد زُجَّ بي في بحر عميق خطر،

---

(١) أي بألواح النذور.

(٢) ليست المشكلة التي واجهت الملك هي نتيجة الإشفاق على الفتيات الدانائيات وإنما ذعراً مما قد يجره عليه وعلى شعبه ذلك التدنيس.

حيث يقبع الدمار، ولا أُبصر أمامي مرفأ آمناً.
فإذا لم أضمن لكن المساعدة التي تطلبنها،
فإنكن تهددنني بتدنيس أرضي، فوق ما أتصور،
وإذا تحدَّيتُ أبناء عمكن أيجوبتوس، واتخذتُ
موقفي أمام أسوارنا وحاربت في هذا الأمر،
ألا تكون النهاية ثمناً مريراً أدفعه،
أن يبلل الرجال الأرض بدمائهم من أجل النساء؟
ومع ذلك، فإن زوس يحمي المتضرع، وينبغي لي أن أخاف
غضبه، الذي يجب أن يخشاه المرء قبل كل شيء آخر.

اذهب بسرعة، أيها العجوز داناوس، واحمل في ذراعيك أغصان
التضرع، كتلك التي تحملها بناتك،
وضعها على مذابح آلهة أرجوس،
حتى يرى جميع مواطنينا الدليل على هذا التضرع؛
واحذر أن تتفوه عني بأي كلام -
إذ يحب جميع المواطنين أن يجدوا عيباً في الحكومة.
فقد يَرَى بعضهم هذه الأدلة ويتحرك
عطفاً، وسخطاً على أولئك الرجال المتغطرسين،
ويزيد إقبال أرجوس على منح المساعدة لقضيتك.
وإذ أن الضعف يوقظ الكرم في كل قلب.

داناوس : إن ما نُقدِّره أعظم من كل شيء، هو أننا وجدنا صديقاً يعطف علينا
ويخاف الآلهة.
ارسلْ معي بعض رجالك الأرجوسيين كي يرافقوني ويرشدوني،
حتى اجد مذابح آلهتكم
بجانب المعابد في المدينة أو على حصون أسواركم،
وحتى أستطيع المرور في شوارعكم آمناً - لأن ثيابي

وشخصي كليهما يشيان بي ويدلان على أني أجنبي؛
إذ يُخرج النيل قوماً يختلفون عن قوم إناخوس[1] Inachos فالحذر خير شيء، وربما جرَّ التهور السريع إلى الخوف، وكثيراً ما قتل الرجال أصدقاءهم، قبل ذلك، جهلاً.

الملك : هذه نصيحة سليمة. اذهبوا معه، أيها الرجال، وقودوه إلى محاريب المدينة ومعابد الآلهة.
ـ وحذار أن تتلكئوا في جوانب الطرقات لتتحدثوا عن هذا البحّار، الذي تطوفون به حول المعابد كمتضرع.

[ينصرف داناواس متجهاً نحو أرجوس،
يرافقه بعضٌ من حرس الملك]

الكوروس : لقد انصرف والدنا حسب أمرك. وماذا نفعل نحن؟ بم تأمرنا وتشجعنا عليه؟

الملك : اتركن أغصانكن هنا، تعبيراً عن حاجتكن أمام الآلهة[2].

الكوروس : انظر، ها نحن نطيع أمرك[3].

الملك : اذهبن الآن إلى هذه الغابة المستوية.

الكوروس : وكيف نجد الحماية في غابة مفتوحة أمام الجميع؟

الملك : لن أطرحكن فريسة للطيور الجارحة.

الكوروس : وماذا إذن؟ أنترك فريسة لرجال أشد قسوة من الأفاعي القاتلة؟

---

(١) أول ملك لأرجوس. ووالد إيو.
(٢) أي لتدل على أنكن لم تهجرن مكانكن كمتضرعات، وإنما تتحركن فقط إلى مكان الموسيقى استعداداً للأنشودة التالية.
(٣) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: «ها نحن نتركها، طاعةً لحركاتك وكلامك».

الملك : لقد أبديتُ لكن ألفاظاً رقيقة، فيجب أن تنطوي ألفاظكن على الاحترام.

الكوروس : أيدهشك أن يولد الفزع عدم اللياقة؟

الملك : يجب أن يتغلب احترام الملك، على الهلع.

الكوروس : إذن، فلتبتهج، أيها الملك، وساعدنا بكل من الأقوال والأفعال.

الملك : تأكدن من أن أباكن لن يهجركن مدة طويلة.
وفي أثناء ذلك، سأذهب وأجمع كل شعبي،
حتى أجعل أرجوس صديقة لكن؛ كما أخبر
والدكن بخير ما يقوله. انتظرن هنا، وتوسلن
إلى آلهة مملكتنا أن تمنحكن جميع ما تصبو إليه قلوبكن.
سأذهب، إذن، لأصرِّف الأمور كما قلت؛
فعسى أن يصحب الإغراءُ والنجاحُ ألفاظي!

[يخرج بيلاسجوس وحرسه]

الكوروس : أي زوس، يا ملك الملوك، والأعظم بركةً بين المباركين
وصاحب السلطة العليا بين ذوي السلطات الملكية،
الكائن في المسكن الخالد المبارك،
اسمعنا، وامنح الإغراء والنجاح.
استأصل غطرسة الرجال التي تمقتها بعدل؛
أغْرِقِ الفوريّة[1] Fury المطارِدة؛
مع جميع مجذفيها ذوي البشرة السمراء،
عميقاً في الحوض العاصف للبحر الأرجواني.

وانظر بعين العطف على عشيرتنا القديمة

(١) ربة من ربات الانتقام وعددهن ثلاث هن أليكتو وتيسيفوني وميجارا.

وعلى جنسنا، متذكراً
القصة القديمة الرقيقة
قصة محبوبتك، أمّنا جميعاً.
كن حافلاً بالذاكرة، أنت يا من وضعتَ يدك
على إيو! أي زوس، إننا ندّعي بك
موجِداً لنا، ووالدنا، كما ندّعي بأن أرجوس وطن قديم لنا.
تركتُ مصر وأتيتُ
إلى هذه المراعي التي كانت تقف فيها أمنا منذ زمن بعيد،
وحيث كانت ترعى بين الأزهار تحت عينٍ مراقِبة.
لقد هربت إيو من هنا.
معذبة بلدغة ذبابة الماشية حتى درجة الجنون،
وارتحلتْ بين كثير من قبائل الرجال
حتى، شقّت طريقاً عبر أمواج البحر
بين أوروبا وآسيا،
فرأت القارتين المتجاورتين على كلتا يديها .

ثم هربتْ من هناك خلال أرض آسيا ،
واجتازت مراعي الأغنام الفروجية، من أحد طرفيها إلى طرفها الآخر؛
حتى بلغت مدينة تيوثراس Teuthras بين الموسيانيين Mysians،
وصعدت أودية لوديا Lydia ؛
ثم بين التلال الكيليكية Cilician والبامفوليه Pamphylian
وظلتْ تعدو قُدُماً، إلى أرض أفروديتي[1] ،
الزاخرة بالقمح، والشهيرة
بالأنهار الدائمة، والتربة الخصبة العميقة.

(١) هي فينوس عند الرومان، يقال إنها ولدت من زبد البحر الذي سقطت فيه الأعضاء المبتورة من جسد أورانوس. وهي ربة الإخصاب بسائر أنواعه .

ظلتْ إيو تطوف هائجةَ
أمام لدغة تلك المطارِدة المجنحة،
حتى وصلت إلى مصر الخصبة، حديقة زوس،
إلى أراضي المراعي التي يغذيها الثلج الذائب،
وتجتاحها دوامات الرياح،
إلى مياه النيل التي لا تمسها أية أمراض،
وهي لا تزال مصابة بالتعب والعار،
معذَّبة بالألم المدمر من منخس هيرا.

أما رجال ذلك العصر، سكان مصر،
فكانت قلوبهم ترتجف ذعراً، ويمتقع لونهم
عند رؤية ذلك المنظر غير الطبيعي، الذي لم يُسمع به.
رأوا مخلوقاً، بشريًّا ووحشيًا في نفس الوقت،
جزء منه بقرة، وجزء آخر امرأة،
ففقدوا النطق عند رؤية هذه العجيبة،
ثم ـ ثم، مَن ذلك الذي عزّاها،
وأشفق على محنة ترحالها الطويل
المعذَّبة بلدغة تلك الذبابة الدوارة، التي عذَّبت إيو؟

كان هو زوس، الحاكم بسلطة مطلقة لا نهائية.
فتنفس زوس بقوة رقيقة،
وأطلقَ عليها نَفَسَه الإلَهي، فجلب لها الراحة؛
وإذ شعرت بتلك الراحة، انهمرت دموعها
تعبِّر عن كامل حزنها وعارها.
وتسلمت في جسدها «حمل زوس»[1].
(ما أصدق قوله!) فولدت

(١) قد تكون هذه العبارة مثلاً سائراً يطلق على السفينة التي يحابيها الحظ السعيد.

طفلاً خالياً من العيوب.

كان ابنها طويل العمر وافر الرخاء.
ولذلك فإن أرض مصر، واهبة الحياة
تصرخ قائلة: «إن هذا لهو بحق ابن زوس.
فمن غير زوس يستطيع شفاء
الجنون الذي سببه مكر هيرا؟
إن هذا الشفاء لهو من عمل يد زوس؛
وما هذا الطفل إلا بذرة زوس.
قُلْ هكذا، يصل هدفك إلى عين الحقيقة.

أيّ واحد من الآلهة يمكنني أن أناديه بعقل
لكي يقوم، بحق واضح، بعمل[1] خاص به؟
يا ملك الآلهة، إنك أبونا؛
لقد زرعتْ يدك أصلنا.
فليلجأ قلبك إلى الذاكرة، أيها الصانع الأعظم،
يا زوس الكليّ البركة، يا مانح السعادة.

إنك لا تطيع أمراً أعلى وأنت متربع فوق عرشك؛
فليست سلطتك بالسلطة المتواضعة
التي يمنحها سيد أعلى،
إنك لا تنحني
لمشيئة أي إله متوَّج فوقك.
فمهما كان الغرض الذي يقصده عقلك الضخم.
فإن قوتك تسارع إلى نقله لحيّز التنفيذ والميلاد:

(١) لا شك في أن ذلك العمل هو إنقاذ الدانائيات.

أنت تتكلم، فينفذ كل شيء

[يعود داناوس]

داناوس : إنني لأحمل أخباراً مفرحة، يا بناتي! فإن أرجوس
بكامل مجلسها
قد أصدرت قراراً باتاً، في صالحنا.

الكوروس : مرحباً بك يا أبي، يا أعز الرسل جميعاً!
أخبرنا بهذا الشيء فقط ـ ما نص قرارهم؟
أي عمل قرّرَت الأصوات السائدة؟

داناوس : قرر أهل أرجوس ـ وبغير نزاع،
وإنما بصوت واحد جليّ، بعَثَ الشباب من جديد في قلبي العجوز؛
فقد كان الجو مليئاً بالأيدي اليمنى للمدينة كلها ـ
وهذا قرارهم: أن نقيم في أرجوس
كضيوف أحرار بمنأى عن الاعتداء، مضمونة سلامتنا
ضد الحقد البشري، فلا يحق لأي أجنبي أو أرجوسيّ
أن يمسنا. وإذا استخدم أعداؤنا القوة، فإن الرجل
الذي يكون مواطناً ولا يهرع إلى مساعدتنا
يفقد حقوقه المدنية ويُنفى.
حقاً، لقد تكلم الملك بيلاسجوس بفصاحة رائعة من أجلنا،
محذراً شعبه بقوله: «حذار في المستقبل
أن تثيروا كامل انتقام إله المتضرعين.
أمامكم حق مزدوج، لضيوف ومواطنين؛
فإذا نبذناهم، هدَّدَنا
دنس مزدوج، أشبه بشيطان لا يشبع

متعطش دائماً إلى الخراب.»
عند ذلك، لم يستطع الشعب الأرجوسي الانتظار،
فرفعوا أيديهم وأعطوا أصواتهم كما ذكرت.
أما الملك، فاستخدم كل وسائل الإغراء
لفن الخطابة: فكلل زوس النتيجة بالنجاح.

الكوروس : هيّا، الآن، لنتلو
صلاة من أجل شعب أرجوس،
حتى يكون الخير جزاء الإحسان الذي فعلوه من أجلنا.
عسى زوس، صديق الغرباء،
أن يتطلع ويتم نذور الشكر
التي يقدمها الغرباء لمضيفيهم،
كي تنال ألفاظنا النهاية المرجوة.

أيها الآلهة السماوية المولد، استمعوا الآن إلى صلاتي،
بينما أسكب تقدمات الصلاة هذه:
لا تسمحوا قط للّهب بأن تقفز وتلتهم
في هذه المدينة البيلاسجية،
ولا لأريس الشهواني، بأن يرفع صوته المحزن الصاخب
الذي يحصد حقول الإنسان التي زرعها الآخرون.
لأن أهل أرجوس أشفقوا علينا،
وأعطوا أصواتهم عطفاً،
لأنهم يحترمون متضرعي زوس،
هذا القطيع الحزين المستحق للعطف.
لم يعطوا أصواتهم مع الرجال،
محتقرين قضية النساء؛
وذلك بدافع خشيتهم لغضب زوس

الذي ينتقم ويُنفِّذ،

الذي ليس بوسع أي شخص أن يحاربه
والذي لا يجرؤ أي بيت أن يستقبل
زائراً محمَّلاً بالمصائب،
كطائر الشرّ المدنِّس للسقف.
أما أرجوس، فتحترم رباط الدم
والمتضرع الواقف أمام محراب زوس الطاهر؛
ولذا ستظل مذابحهم نظيفة،
وتقدماتهم مقبولة لدى الآلهة.

وهكذا من شفتيَّ المقدستين بهذه الأكاليل،
فلتتخذ الصلاة المتلهفة جناحاً،
لعل الطاعون لا يُجَرِّد أرجوس من رجالها،
ولا الحرب الأهلية أن تدنس أرضها
بالدم الأرجوسي المسفوك بيد مواطنيها.
ولتظل زهرة شبابها يانعة لا تُقطف؛
ولعل أريس، عاشق أفروديتي،
ومحطم الرجال، ألا يهلك خيرة شبابها.

ولتبارَك مقاعد مجلس شيوخهم
ذوي اللحي الموقرة،
ولتُحكَم مدينتهم خير حكم،
بينما يقدمون التبجيل اللائق لزوس،
وقبل كل شيء، لزوس إله الغرباء،
الذي يقيم الحق بالقانون الأزليّ.

نرجو لمحاصيل الأرض

أن تنبت وتعطي غلتها
وأن تبارك أرتيميس ذات السهام[1]
نساءهم عندما يلدن الأطفال.

عسى القتل والإبادة
ألا يأتيا قط لتمزيق أوصال هذه المدينة،
وألا يضعا سيفاً في يد أريس، والد الدموع،
ليطرد الرقص والموسيقى
بصرخة الحرب الأهلية.
وعسى المرض، ذلك الكابوس المحزن،
أن يستقر بعيداً عن بيوت أرجوس؛
وأن ينظر أبولو بعين العطف إلى جميع شبابها.

عسى زوس أن يخصب تربتها
لتُخرج ثمرتها المناسبة
وكل محصول في موسمه؛
وعسى القطعان التي ترعى في حقولها
تُنتج صغارها بكثرة؛
ويزدهر الشعب في كل شيء
ببركة الآلهة.
وعسى المغنون ينشدون أناشيد الصلاح عند مذابحهم، بينما يرتفع
من الشفاه الطاهرة، صوت الأفراح على أنغام الأوتار.

وعسى مجلسهم، الدائم طول الحياة،
أن يراقب ببصيرة ثاقبة ومداولة حكيمة،
مصالح الشعب، الذي تحكم قوته الدولة،

(١) كانوا يعتقدون أن سهام أرتيميس هي التي تقتل النساء عندما يلدن الأطفال.

وليمنحوا الأجانب في مدينتهم
التوسل الشرعي، ويحترموا المواثيق،
قبل استخدام السيف أو وقوع الضرر.

وعسى أن يحترموا دائماً
الآلهة المحافظة على دولتهم
بالطقوس التي تعلموها من آبائهم فوق أرضهم،
وهم يحملون أغصان الغار ويقدمون ذبائح الثيران .
هذا ثالث بند مكتوب،
بعد بند احترام الوالدين،
في قوانين العدالة التي يتحتم على الجميع احترامها.

داناوس : بناتي العزيزات، إنني أمجد صلاتكن الحكيمة الورعة.
والآن، اصغين إليَّ، ولا ترتعدن عندما تسمعن مني أنباء مفاجئة وغير مرغوب فيها. فمن من مكان تضرعي هذا، وهو مركز مراقبتي، أرى السفينة! وحبال الشراع، والحواجز الواقية[1] ـ ومي دون جدال سفينة مصرية؛
وإن حيزومها المزود بعيون لاستطلاع الطريق أمامها،
ليطيع الدفة القائدة المثبتة في كوثلها ـ إنها تجدُّ في السير نحونا نحن ضحاياها. أواه! أرى الآن رجالاً فوق ظهرها،
وأرى أطرافهم
سمراء تحت ملابسهم البيضاء. أما السفن الأخرى، فقد لاحت كلها أمام البصر، والأسطول برمته. وإذ اقتربت سفينة الطليعة، من اليابسة، طوت الشراع وسارت بالمجاذيف.

---

(١) نوع من الستائر المصنوعة من جلود الحيوان، يوضع على جوانب السفينة للوقاية من الطقس ومن الأعداء.

هيّـا إذن، يجب أن تعلمن في هـدوء وبحكمـة؛
واجهن مـا يـواجهكن؛ وثبِّتن عقولكن على هذه الآلهة.
سأذهب لأطلب النجدة - بحثاً عـن رجـال يـدافعون عن قضيتنـا ويحققون
غـرضنا. فقـد يحاول بعض رسـل أولئك الـرجال أو سفـرائهم،
القبض عليكن على أنكن مِلْكاً لهم -
ولكن، كلّا! لن يحدث هذا، لا تخشينهم.
ومع ذلك، فخير شيء - في حالة تأخُّر نجدتنا -
أن تتذكـرن الحماية الممنوحة هنا.
تشجَّعْنَ! فسيقيم الزمن ويوم الحساب
العدل، ويجازيان كل مذنب يتحدى الآلهة.

الكوروس : أبتـاه، إنني خائفـة! بأيـة سرعـة طـارت سفنهم لتلحق بنـا!
فلم تمض، بيننا وبينهم غير لحظة.
إنني مذعورة وأرتعد؛
هل هناك ميزة حقيقية
في الهروب هكذا من الوطن؟
أبتاه، لقد أغمي عليَّ من الهلع.

داناوس : ابنتي، لقد أصدر الأرجوسيون قرارهم الأكيد.
تشجعي، إذن، سيحاربون من أجلكن، إنني واثق من هذا.

الكوروس : إن أبناء أيجوبتوس مجانين بفعل الشهوة والتهور.
إنهم متعـطشـون للقتـال، وإنـك لتعلم حق العلم أنني أقـول الحقيقة.
وإن سفنهم لمتينة الأخشاب،
ومقدماتها المصنوعة من المعدن اللامع؛

مسددة نحونـا وأبصرتنـا ـ وخلفهم آلاف من الرجـال ذوي البشرة السمراء.

داناوس : وسيلتقـون بألـوف تواجههم، من الـرجـال الأقـويـاء المسلحين، النحاف الأبدان، ذوي العضلات المقساة في حرارة الظهيرة.

الكوروس : لا تتركني وحدي، يا أبتاه، إنني أجثو أمامك .
فليس للمرأة جرأة؛ وماذا بوسعها أن تصنع وحدها؟
وإن أولئك الرجال لا يعرفون العقل،
إنهم مجانين ومجدفون،
وما عادوا يهتمون بالمذابح
أكثر من اهتمامهم بالطيور التي تتغذى على فضلات الذبائح .

داناوس : من صالحكن، يا بناتي، إذا رحب أولئك الرجال بعـداوة الآلهة، كما يرحبون بعداوتكن.

الكوروس : أتظن أن الخوف من الآلهة، أو من الرماح الثلاثية الشعاب، أو من الصواعق، سيمنع أيديهم عنا؟ أقول لك، كلّا.
إنهم متغطرسون ومحبون للشهوة،
وسريعو استخدام قوة الجنون،
وعديمو الخوف ككلاب الصيد، وعلى استعداد
للسخرية من الآلهة حتى يصيبهم البَكَمُ.

داناوس : يقول المثل، قوة الذئاب ثلاثة أضعاف قوة كلاب الصيد؛
وما من ثمرة شوفان تضارع سنابل القمح .

الكوروس : إنهم في طباع الوحوش الضارية التي لا تعرف قـانونـاً؛
يجب أن ندافع عن أنفسنا ـ ليس أمامنا متسع من الوقت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

داناوس : يستغرق الأسطول وقتاً في الخروج إلى البحر،
كما يستغرق وقتاً آخر
في الرسو على اليابسة. فما من ربان، حتى ولو أنزل المرساة،
يجرؤ على الإسراع في ربط حبال الرسو على الشاطيء ـ كما
تحتاج السفينة إلى قيادة، ولا سيما نحو الغروب على شاطيء
عديم المرفأ. فغروب الشمس ونزول الليل يجعلان قائد الدفة
الماهر يتصبب عرقاً، كما لو كان بين شقي آلة التعذيب.
ما من قوة تستطيع تسهيل النزول إلى البر إلا بعد أن تستقر السفينة
آمنة في مرساها. كن حازمات إذن، وبعقول مثبتة على الآلهة،
واحصلن على معونتهم . سأترافع عنكن ـ
فبالصوت العجوز، والألفاظ الفتية، ستهتف أرجوس لرسولكن!

[يخرج داناوس]

الكوروس : أيتها الأرض الجبلية، التي يحمينا ملكها، ماذا سيحلّ بنا؟ إلى
أين نهرب؟ أي كهف مظلم يمكن أن يخفينا؟
أو نصعد إلى أعلى كالدخان الأسود،
قريباً من سحب زوس اللامعة،
أو نطير بغير جناح، غير منظورات.
ونختفي، ونضيع كالغبار!
بيد أن الفرار عديم الجدوى، ولن نستطيعه بعد الآن،
وقد أظلمّ قلبي وارتجف.
إنني الفريسة التي وقعت في يد مراقبة والدي[1]؛
إنني لأموت ذعراً.

---

(١) المراقبة من عمل الصياد، واللفظ الإغريقي الذي معناه «يمسك» قد يعني أيضاً «يتلف».

وأوثـر أن أُلقى حتفي في أنشوطـة حبل المشنقـة على أن أعـطي لحمي لزوج أمقته؛
فليمتلكني الموت بسرعة!

أتمنى لو أجد مقعداً في الجو الأزرق
حيث تحوّلني سحب المطر الجارفة، إلى ثلج.
إلى قمة ملساء لا تستطيع المعيز أنفسها أن تتسلقها،
مكان وراء مدى البصر، إلى أعلى،
صخرة غير واضحة تؤمها الكواسر،
لتشاهدني وأنا أقفز إلى الهوة السحيقة،
فراراً من زواج بالإكراه يرفضه قلبي!
عندئذ يصير لحمي الميت طعمة للكلاب المفترسة،
ولتسمين كواسر الوادي. بهذا أكون راضية!
إذ يخلّصني الموت من الآلام والدموع.
فليسدد الموت سهامه جيداً،
وليطالب بي قبل الفراش وقبل العناق.
إلى أين أهرب لأكون حرة؟
في الإفلات من رباط اللحم؟

أصـرخ بنداء يصـل إلى عنان السمـاء، تقدمـات تسمعها الآلهـة وتستجيب،
إلى صلوات الخلاص!
أي أبتاه زوس، انظر إلى هذا النضال،
فالعدل في عينيك:
لا تبتسم للعنف
أي سيد الأرض، الكليّ القوة،
كن رحيماً بنا، نحن المتضرعات.

إن أبناء أيجوبتوس يريدون صيدنا،
وينقضّون علينا بصرخات الحرب،
بكل الغطرسة الوحشية التي يعرفها الذكور المطارِدون،
ليأخذونا بالقوة!
أي زوس! أنت وحدك الممسك بقب الميزان؛
وبغيرك لا يحصل أي شيء على هدفه.

انظرن، انظرن، ها هوذا قرصان البحر آت!
لَمَ نزلتَ إلى الشاطيء؟ لماذا جئتَ؟

[يُقبل الرسول المصري بصحبة عدد
من الرجال المسلحين]

النجدة، النجدة! اهرعن إلى الآلهة للنجدة!
إنهم فاسقون متوحشون؛
أيها الملك بيلاسجوس، عاقبهم وأهلكهم!

[عندما يرى المصريون التماثيل،
يترددون في باديء الأمر]

الرسول : إلى ظهر السفينة، إلى ظهر السفينة، هيّا، الآن، إلى السفينة،
بأسرع ما تستطيع أقدامكن أن تحملكن.... وإذا لم تأتين،
فسننزع شعوركن ونغمد الخناجر في أجسامكن، حتى تجرين مضرجات بالدماء، الدماء، الدماء؛ ثم نقطع رؤوسكن.
هيّا، عسى الطاعون أن يأخذكن، أسرعن إلى السفينة!

الكوروس : أتمنى لو كان الطوفان الضخم لذلك البحر الملح قد أغرقكم أثناء مجيئكم، أنتم وسادتكم المتهورين وسفينتكم المصفحة بالنحاس؛ عندئذ كنا نعيش سعيدات دون معاكسة.
اترك العنف، أقول لك؛ واهجر طباع الجنون هذه؛ اخرج، من هذا المعبد! عُدْ إلى سفينتك، واحترم مدينة أرجوس.

عسى ألا أرى النيل ثانية،
ذلك النهر المخصب، المغذِّي
الدم الذي يقفز داخل العروق الداعرة لمصر!
إننا من الجنس الأرجوسي، من سلالة قديمة،
من أسرة ملكية منحدرة من ملكة.

الرسول : مهما تكلمتِ! فإنكن آتيات إلى ظهر السفينة، سواء رغبتنّ
هذا أو لم ترغبن فيه.

الكوروس : أيها الأرجوسيون! هبُّوا إلى نجدتنا، تعالوا بسرعة!

الرسول : هيّا، أنتن أنفسكن، هيّا؛ وإلا فستندمن
عندما أضع يدي عليكن وأجرّكن بالقوة.

الكوروس : عسى أن تُجَرَّ، أنت ويدا الوغد هاتان، فوق البحر الدائم التغ
وتجرفك الزوابع السورية إلى الشواطيء الرملية عند ة
ساربيدون[1] Sarpedon.

الرسول : نعم، اصرخن وولولن، وصحن إلى الآلهة؛ لن تلعبن لعبة البط
وذكور البط مع سفينة مصرية.
املأن الجو نباحاً، واصرخن بصوت أعلى؛
ألا يمكنكن الصراخ بطريقة أكثر استدراراً للشفقة؟

الكوروس :[وسط البكاء]: عسى البحر أن يبتلعك وأنت تدور حول رأس قبر
الحافل بالغابات!
وعسى النيل القويّ، الذي بعث بك إلى الشرور،
أن يسجل شرورك على أنها تضيع سدى!

---

(١) ابن زوس ويوروبا، شقيق مينوس ورادامانثوس الصغير.

الرسول : إن حيزوم سفينتنا متجه شطر البحر: فأعـود أقول لكن، هيَّـا إلى ظهرها، ولا تضيِّعن وقتاً أطول.
فالجرُّ من الشعر ليس بالأمر اللطيف.

الكوروس : أبتاه، أي أبتاه! إن ذلك الشيطان البشريّ،
أشبه بعنكبوت تراقب فريستها،
وتحيك نسيجها لتضعني بداخله.
إنه حلم؛ أي أمي الأرض، أيتها الأم الأرض،
ساعديني، وأبعدي عني هذا الحلم المزعج!
أيتها الأم الأرض، أيها الأب زوس!

الرسول : إني لا أخاف آلهتكِ هذه؛
لستُ مديناً لها بشيء ـ سواء في الميلاد أو في الحياة.

الكوروس : النجدة! قد جاء هذا الدودة البشرية، يطلبنا؛
ولما كان أفعى، فقد جرّني من قدمي.
أواه، أيها الوحش!
أغيثينا، أدركينا، أيتها الأم الأرض، الأم الأرض،
ساعديني، وأبعدي هذا الوحش المريع!
أيتها الأم الأرض، أيها الأب زوس!

الرسول : افعلن كما تؤمرن، إذن. اذهبن إلى ظهر السفينة، وإلا
وإلا لوّثتُ ومزقتُ ثيابكن الرقيقة فوق أبدانكن.

الكوروس : أيْ حكام أرجوس ورؤساءهـا! هيّـا إلى نجدتنـا، إنهم يحملوننا معهم!

الرسول : سرعان ما سيكون لديكن ما يكفي من الحكام. سيحكمكن أبناء أيجوبتوس!

لن تصرخن بعد ذلك كي تطلبن الحكام، لا تَخَفْن!

الكوروس : لقد هُزمنا!

[يمسك المصريون بالدانائيات ويبدءون في جرّهن نحو السفينة. وفجأة يظهر بيلاسجوس مع حرس مسلح. فتناديه الدانائيات وهو لا يزال على مسافة بعيدة].

أيها الملك! إنهم يجرّوننا من أمام المذابح !

الرسول : يلوح لي أنني سأضطر بعد كل هذا إلى جذبكن من شعوركن، حيث أنكن لا تكترثن لكلامي.

[يدخل الملك بيلاسجوس]

الملك : ماذا تفعل، يا هذا؟ أي نوع من الصلف هذا الذي يتحدى البيلاسجيين في أرضهم؟
أتظنون أنكم قد أتيتم إلى أرض نساء؟ إننا أغارقة ،
ويجب على الأجانب أن يُظهروا لنا احتراماً أعظم من هذا.
ستجدون أن مثل هذه الأخطاء لن تجديكم نفعاً.

الرسول : أخطاء؟ أيّ شيء فعلتُ دون أن يكون له ما يبرره؟

الملك : أولاً، لم تتعلم مسلك الأجانب.

الرسول : ألم أسلك سلوكاً حسناً؟ كيف ذلك؟
ألأني وجدتُ هنا ما ضاع مني؟

الملك : أتبحث عن محامين أرجوسيين ليقدموا قضيتك؟

الرسول : إن محاميَّ هو هرميس العظيم ـ إلّه اللقيا السعيدة.

الملك : أتطلب مساعدة الآلهة ـ وتنتهك حرمة معبدها؟

الرسول : الآلهة التي أعبدها تقيم بجوار نهر النيل.

الملك : وآلهتنا لا شيء، ألا تقصد ذلك؟

الرسول : أحب أن أرى إذا كان أي فرد سيسلبني هؤلاء النسوة.

الملك : حذار أن تمسهن، وإلا ندمتَ في الحال.

الرسول : إن ألفاظك لا تعرف الترحيب بالغريب.

الملك : لا ترحيب لمن ينتهكون مذابح الآلهة.

الرسول : سأنقل هذا الكلام لأبناء أيجوبتوس.

الملك : لن يضيرني هذا.

الرسول : ولكن ـ لكي أقدم حساباً أكثر دقة، وواضحاً في جميع تفاصيله،
كما يجب على الرسول أن يفعل ـ أخبرني:
أرسلني سادتي لأحضر هؤلاء النسوة، بنات عمهم؛ فمَن أقول لهم
إنه أجبرني على العودة خالي اليدين؟
لن تتطلب هذه المسألة محاكم أو شهوداً؛
فالقاضي هو أريس، الذي يصدر حكمه في مثل هذه القضايا،
ليس بالغرامات المالية، وإنما بخسائر فادحة
من الرجال الصرعى، والأعضاء المتشنجة في الموت الدموي.

الملك : ولماذا أخبرك باسمي؟ ستسمعه في الوقت المناسب
وتعرفه، أنت وكل جماعتك. أما هؤلاء النسوة، فإذا أبدين
إرادتهن، بالمناقشة الشرعية، ونلتم رضاءهن بالذهاب معكم،
أخذتهن. ولكن هذه المدينة
قررت بإجماع الأصوات، في مجلس كامل، وبرأي واحد ثابت ألا
يسلموهن بالقوة إطلاقاً، وهذا القرار

سيسري إلى الأبد، ويظل ثابتاً لا يتزعزع.
ليس ما قلتُه منقوشاً على الشمع، ولا مكتوباً
على لفات من الرق: لقد سمعتَ اللسان الحر يتكلم
الحقيقة الواضحة. والآن، هيّا اغرب من أمام وجهي، في الحال.

الرسول : يبدو أننا سنخوض حرباً شعواء.
إذاً فعسى أن تنال قضية الذكور النصر والحكم.

الملك : ستجد رجال هذه البلاد ذكوراً أيضاً، ونشئوا على شراب أقوى من مشروب الشعير المخمر بالعسل.

[ينصرف الرسول ورجاله]

تشجعن، أيتها النسوة،
واذهبن الآن مع رفيقاتكن، كلكن،
إلى مدينتنا القوية الأسوار، المُحكمة الإقفال بالقلاع ووسائل الدفاع الحكيمة.

[في أثناء الحديث، تجتمع الخادمات المرافقات للدانائيات، فوق خشبة المسرح]

لدينا بيوت محجوزة
لإكرام الضيوف عموماً؛ وأنا نفسي لا أسكن
في مستوى وضيع. بوسعكن اختيار الحياة في أرجوس
مع آخرين في بيوت ضخمة، أو، إذا وجدتن من الأفضل،
الحياة في بيوت فردية، فأقمن بها بغير أجر، كما يناسبكن ويحلو
لكنَّ. أما عن حاميكن هنا، فاعتبرنني، أنا وجميع مواطنيَّ،
الذين رأيهم بهذه الصورة، مع كامل آثاره، حماة لكُنَّ.
فمن له الحق بعد ذلك في التعرض لكن؟

الكوروس : أي ملك بيلاسجيا، نطلب من الآلهة أن تجعل كل خير ينهمر
عليك، جزاء معروفك!
ونرجو التكرم بأن تُحضر إلينا هنا
أبانا داناوس، ذلك الروح الموثوق به،
ليفكر لنا ويقودنا بمشورته.
إنه هو، ولسنا نحن، الذي يقرر أولاً
أين يجب علينا أن نقيم، وأي مكان يستقبلنا بحنان،
فإن الناس سريعو الانتقاد
لمن يتكلمون بلهجة أجنبية.
عسى أن يتم كل شيء على ما يرام،
وأن تكون شهرتنا بين أهل أرجوس
خالية من كل لوم ووشاية.

[يخرج الملك بيلاسجوس وحرسه]

أيتها الخادمات، أتخذن أماكنكن، كل واحدة مع سيدتها التي
خصصها لها داناوس
كجزء من بائنتها، لتقوم بما يلزمها.

[تنتقل فتيات الكوروس ثانية من منصة المسرح إلى مكان الموسيقى حيث تتبعهن الخادمات. يدخل داناوس بصحبة رجال مسلحين].

داناوس : أي بناتي، قدمن صلاتكن، بالذبيحة والسكيبة، إلى مواطني
أرجوس، كما تقدمنها إلى الآلهة الأوليمبية!
إنهم، هم الذين أحرزوا النصر المبين في قضيتنا.
فقد استجاب أصدقاؤنا الذين يحكمون هذه المدينة، إلى ندائي
بحنق ضد أبناء عمكم. وعيَّنوا لي
هذا الحرس ذا الرماح، لضمان سلامتي وشرفي،

والمحافظة على حياتي من أية ضربة قاتلة خفيّة[1]
قد تلوث هذه الأرض بلعنة دائمة.
فبعد مثل هذا المعروف يحق للشكر
أن يتبوأ مكان الشرف في قلوبنا[2]
واكتبن هذا في الذاكرة - أضفن درساً آخر إلى الدروس الكثيرة:
يُظهر الزمن طباع الرفيق غير المعروف،
فكل رجل يحمل وشاية ضد الأجنبي،
على طرف لسانه؛ وقد تنشأ عن كلمة بسيطة واحدة، وصمة ثابتة.
لذا أوصيكن، وإنكن تتمتعن بنضرة الشباب وجماله اللذين
يضطران الرجالَ إلى أن يديروا عيونهم، بألا تجلبن العار عليَّ.
ليس من السهل حراسة البستان الكامل النضج.
وما موضع العجب في هذا؟ فإنه يثير حيل الرجال،
ويحوّلهم إلى نهمين جشعين،
ويغري اللصوص من ذوات الأجنحة وذوات الأربع،
بما لا يقل عن اللصوص البشرية.
فما يحدث هو أنه عندما تجد أفروديتي[3] باب البستان مفتوحاً
على مصراعيه، وبه أجسام حلوة ناضجة، فإنها تعلن عنها،
حتى إن كل من يمر من الرجال المشتاقين، يُلقي نظرات تذيب
القلب إلى مثل هذا الجمال العذراويّ.

---

(١) سينقلب داناوس نفسه قاتلاً، في المسرحية التالية.
(٢) المعنى الحرفي لهذه العبارة هو: «يجب أن نقدم لهم الشكر بموضع أكثر شرفاً في مؤخرة عقلنا». لأن المؤخرة مكان القيادة، وعلى ذلك تكون مقر الشرف في السفينة. هذا المثل سهل الفهم على الرجل الإغريقي ولكنه متعذر الترجمة.
(٣) هذا السطر محرَّف جداً. إنه تخمين تبوكير... وليس مُقْنعاً أكثر أو أقل من غيره من التخمينات الكثيرة الأخرى.

تذكرن هذا، إذن؛ ولا تجعلننا نقع فريسة لذلك
الذي جاهدنا في درئه حتى الآن براً وبحراً ؛
يلزمنا ألا نجلب العار على أنفسنا فنُشْمِتَ بنا أعداءنا.
قُدِّمَ إليكن بيتان، أحدهما قدّمه بيلاسجوس، والآخر قدمته
المدينة، مجاناً بغير أجر، وأنتن لمحظوظات في هذا.
ما عليكن إلا أن تتمسكن بالنصيحة التي أسديتها إليكن،
وَتُقَدِّرن العفة أكثر من تقديركن للحياة.

الكوروس : عسى الآلهة الأوليمبية أن تمنحنا الحظ السعيد فيما تبقّى
أما عن جمال عذراويتي، فلا تخف يا والدي.
فإذا كانت الآلهة لم تصمم خطة أخرى
فإن عقلي ثابت: لن أُغيِّر طريقي السابق.

هيّا، إذن، إلى أبواب أرجوس،
وننشد أناشيد المديح لآلهة المُلْك المباركة،
التي تملك المدينة، وتقيم
بجوار مجرى إراسينوس Erasinus القديم،
وأنتن، أيتها الخادمات، أنشدن معنا.

لتكن أنشودتنا عن أرجوس وعن البيلاسجيين ؛
ولنكُفَّ بعد ذلك عن أناشيد مصبات النيل المتدفقة،
وإنما عن الأنهار التي تصب مياهها الرقيقة
لتمنح هدية الأطفال إلى هذه الأرض العطشى،
وتجعل تربتها معتدلة بالرطوبة المخصبة.
فلتنظر أرتيميس العفيفة إلينا بعين العطف،
ولا يأتينا الزواج بإكراه أفروديتي ؛
وليذهب مثل هذا الجزاء لأعدائي!

الخادمات : ولكننا نمجد أفروديتي في أنشودتنا الطقسية،
ولم ننسها. إنها وهيرا،
أقرب في قوتهما إلى عرش زوس.
بيد أن هذه الربة المتنوعة الوظائف والرزينة،
لا تمجَّد إلا بأعظم الطقوس خشوعاً،
حيث، تنضمان إلى أمهما العزيزة،
فتأتي أولاً، ربة الرغبة، ثم ربة الإغراء الرقيق،
التي لا يُضَنُّ على سحرها بشيء قط ؛
ولربة الموسيقى وربات الحب، اللواتي يعملن بالهمس،
أدوارها التي حددتها لها أفروديتي.

الكوروس : ورغم هذا، فلا بد من خشية الثورة العنيدة لأولئك الرجال،
وقسوتهم المريرة، والحروب الطاحنة التي يهددون بها.
ولماذا ينجحون هكذا في المطاردة ،
فتهب عليهم ريح مواتية تعمل على إسراع رحلتهم؟

الخادمات : لا بد مما ليس منه بد. إن غرض زوس هو تكوين جبهة قوية لا يستطيع أحد أن يتخطاها.
سينال هذا الزواج غرضه
في سعادة تفوق ما عرفته النساء.

الكوروس : من الزواج بأبناء أيجوبتوس
عسى زوس القويّ أن يحميني.

الخادمات : قد يكون هذا خيراً، في الحقيقة؛
ولكن يبدو أنكِ تريدين تغيير ما لا يتغير.

الكوروس : ولماذا لا يتغير؟ إنك لا تعرفين المستقبل.

الخادمات : حقيقةً، من أنا حتى أُبصر

ما في عقل زوس البالغ العمق؟
ومع ذلك، فاكبتي عاطفتكِ في صلاتكِ.

الكوروس : أية حدود تقولين إنه يجب عليَّ أن أراعيها؟

الخادمات : نحو الآلهة ـ لا تكوني غير راغبة في الصلح.

الكوروس : عسى زوس، الذي يحكم العالم،
أن يحفظني من الخضوع القاسي لرجل أمقته؛
زوس، الذي خلّص إيو من عذابها؛
وأعادتها يده الشافية، بالقوة الرحيمة، إلى حالتها الأولى ـ
لعله يمنح قضية النساء النصر!
إنني لأقبلُ الجزء الأحسن من شطري الشر،
أكون راضية لو رجحت كفة الخير على كفة الشر،
إذا استعطتُ عن طريق صلاتي، إيجاد وسيلة للخلاص،
والحكم بالعدل،
بمشيئة السماء.

مسرحية
أجاممنون

(عن النص اللاتيني واليوناني)

تأليف: سنيكا الروماني وأيسخولوس الإغريقي

الجزء الأول

مأساة أجاممنون
لأيسخولوس

ملخص المسرحية

عندما هربت هيلينا Helena مع باريس Paris إلى طـروادة، أراد زوجها مينيـلاوس Menelaus وأخوه أجـاممنون، ولـدا أتـريـوس Atreus، والملكـان المتوجان في أرجوس Argos، أن ينتقما منـه لإغضابـه زوس، حارس حقـوق إكرام الضيوف. فظهرت علامة أمـام قصرهما، فسّرهـا لهما العـراف كالخـاس Calchas، بقوله: هذان النسران هما الملكان أنفسهمـا، والأرنب الحبلى التي يقبضان عليها بمخالبهما هي المدينة التي تضم ابن پرياموس Priamus وهيلين وثـروتهـا. غيـر أن أرتيميس Artemis، (آلهة الصيـد التي تحب المخلوقـات الوحشية ساكنة الحقول)، غضبت على أجاممنون لغروره الزائد. وعندما اجتمع كل جيشهما في أوليس Aulis للإبحار بسفنهما الألف، أثارت أرتيميس الـرياح المضادة، فتحطمت السفن وفَقَدَ البحارة روحهم المعنوية. تَحَدَّثَ العراف إلى أجاممنون بعبارات غامضة، قائلاً: «إذا رغبتَ في مصالحة تلك الربة لكي تنقذ الأسـطول، وجب عليـك أن تضحي بـابنتـك إيفيجينيـا Iphigenia». ففعـل أجاممنون ما أشار به العراف، وبـذا أبحر الإغـريق بسفنهم، وحاصـروا مدينـة طروادة مدة تسع سنين. ولكنهم لم يستولوا عليها، إذ قُدِّرَ لها ألا تسقط إلا في السنة العاشرة.

عندما غادر أجاممنون أرجوس، ترك خلفه في الـوطن ملكته كلوتايمنسترا Clytaemnestra، ابنـة ليـدا Leda، وأخت هيلينـا (رغم أن والـد هيلينـا هـو

توندايوس Tyndareus. وإذ تُركت وحيدة وذبحت ابنتها، أصغت إلى معسـول ألفاظ عاشق آخر هو أيجيستـوس Aegisthus ابن ثويستيس Thyestes، الـذي اضطجع مع زوجة أخيه أتريوس؛ فانتقم أتريوس من ثـويستيس بأن قتـل أبناءه الآخرين، وقدَّم لحمهم طعاماً لأبيهم في وليمة. فلما علم ثويستيس بحقيقة ما أكل، لعن ذرية أخيه.

لما أقبل العـام العاشر للحـرب، تآمـرت الملكة كلوتـايمنسترا مـع أيجيسثوس على حياة زوجها، فأمرت بالمـراقبة المستمـرة فوق سقف قصـرها في أرجـوس، لأن عدة إشارات نارية متعاقبة، ستوقد لإرسال الأنباء من طروادة عندما تسقط على يد أجاممنون. ومضت شهور مضنيـة والحارس يـراقب مجيء تلك الإشارات ـ وأخيـراً ، أضاءت الإشارات ليلاً، فـاحتفلت الملكة بتلك البشـرى، فأشعلت نيران المذابح في كافة أنحاء المدينة. غير أن كوروس الشيـوخ لم يعتمد تلك الأنباء، ولم تتبدَّد شكوكهم إلا عندما جاء رسول يعلن قدوم أجاممنون، الـذي نجت سفينته وحدها من العاصفة التي هبت في الليلة السابقة. وإذ رحبت الملكة بزوجها أجاممنون، طلب منها أن تحسن استقبال أسيرته كاسّاندرا Cassandra، ابنة بريـاموس. وبنـاء على طلب زوجته. وافق على أن يسيـر إلى قصره فـوق أقمشة غالية الثمن. وحاولت كاساندرا باعتبارها عرافة أن تقنع الشيوخ بالخطر المحدق بسيدهم. ورغم أنهـا كانت تعلم مـا ينتظرهـا من حتف، هي نفسها، دخلت القصـر. فيُسمـع صـراخ مـوت أجـاممنـون، وتُعـرض الجثتان. تبتهـج كلوتـايمنسترا بفعلتهـا ، وتتحدَّى الشيـوخ . يـدخـل أيجيستـوس ليعلن مقتـل أجاممنون جزاء جريمـة والده والـده أتريـوس . وعندمـا وصل الأمـر إلى تبادل الضربات بين الشيوخ وبين أيجيسثوس وحرسه ، أوقفتهم كلوتايمنسترا، ولكن بعد أن أعلنوا تحذيرهم بأن أوريستيس Orestes سيعود للانتقام لمقتل والده .

أشخاص المسرحية

حارس **Phulax (Watchman)**

كورس من شيوخ أرجوس **Choros (Chorus)**

كلوتايمنسترا (زوجة أجاممنون) **Clyaemnestra**

رسول **Kerux (herald)**

أجاممنون (ملك أرجوس) **Agamemnon**

كاساندرا (ابنة برياموس وأمة أجاممنون) **Cassandra**

أيجيسثوس (ابن ثوستيس وابن عم أجاممنون) **Aegisthus**

خدم وحشم وجنود

المنظر : أرجوس

الزمن : عصر الأبطال.

التاريخ : سنة ٤٥٨ ق. م. بمدينة ديونيسيا Dionysia .

[فوق سقف قصر أجاممنون في أرجوس]

الحارس : طالما صحتُ إلى الآلهة أن تخلصني من عملي الشاق هذا طوال مراقبتي في هذه السنة الطويلة، إذ أرقد فوق سطح قصر أبناء أتريوس Atreidae، متكئاً على ذراعي المثنية، كأنني كلب صيد. فتعلمتُ معرفة مجموعات نجوم الليل، نعم، تلك القوى المسيطرة المتألقة والبارزة في قبة السماء، جالبة الشتاء والصيف للبشر [مجموعات النجوم asteras، في أي وقت تخبو وفي أي وقت تشرق].

وهكذا، لا أزال إلى الآن أترقب ظهور لهب إشارة النار المتألقة الآتية بالأخبار من طروادة وأبناء الاستيلاء عليها. فهكذا تحكم عليَّ ملكتي، المرأة في القلب الدموي، والرجل في قوة الهدف.

وكلما أُعِدُّ فراشي هنا، قلقاً ومبلَّلاً بالندى، ولا تراودني الأحلام - إذ، بـدلاً من النـوم، يقف الخـوف إلى جـانبي دوامـاً، حتى لا أستطيع أن أقفل جفوني مستسلماً للكرى - وكلما أنوي أن أغني أو أنشـد بيتاً من الشعـر (وبـذا أصنـع تـريـاقـاً من الأغـاني أدرأ بـه النعاس)، عندئذ تبدأ دموعي بالانهمـار وأنا أنعي حـظي في بيتنا هـذا، حيث لا أومَـر بشيء مبهـج كمـا كـان يحـدث في الأيـام الماضية. ومع ذلك، فعسى أن يـأتي، الليلةَ، الخلاص السعيـد من عملي الشاق! لعل النار تومض بأبنائها المفرحة خلال ديجور الظلام!

[تومض إشارات النار فجأة]

مرحباً، أيها اللهب، الذي تُبدي في الليل ضوءاً كأنه ضوء النهار، يا بشير كثير من الرقصات الجماعية في أرجوس، شكراً، على هذا الحادث المفرح!
انتبه، يا هذا! انتبه، يا هذا!
هكذا أصيح عالياً بـالإشارة، لملكـة أجاممنـون، كي تنهض من فراشها وتسرع بإطلاق صيحة الفرح في أبهاء قصرها مُرَحِّبةً بكِ، أيتها النار. فلو كانت مدينة إيليوم **Ilium** قـد أُخذت حقـاً، كما تعلن هذه الآشارة النارية دون ما خطأ، وأُبدِي فرحتي، من جهتي، بـالرقص؛ لأنني أعتبـر حظ سيدي السعيـد حظي أنـا أيضاً، لقـد أدخلتِ السعادة[١] الجمة على قلبي، أيتها الإشارة النارية.
عسى أن يعود سيد البيت إلى وطنه. وعسى أن أمسك في يدي، يده المرحَّب بهـا. أما عن بقيـة الأمور فأُمسكُ لساني. إن ثـوراً

(١) النص الإغريقي يقول: ثلاث «شيشات» Tris Hex، وهي علامة الحظ السعيد.

ضخماً يقف فوق لساني[1] ـ ومع ذلك، فالبيت نفسه، عساه يتكلم. فبوسعه أن يروي قصة واضحة. وأما من ناحيتي، فلديَّ، باختياري، كلام لمن يعلمون. أما لمن لا يعلمون، فقد فَقَدْتُ ذاكرتي.

[ينزل من سلم داخلي. ويوقد الخدم النار في المذابح الموضوعة أمام القصر. يدخل كوروس من شيوخ أرجوس]

الكوروس : هذه، الآن، هي السنة العاشرة، منذ أن رحل خصم بريامـوس العتيد، الملك مينيلاوس، ومعه الملك أجاممنون، ابنا أتـريوس القويان، متحدين بشرف العرش والصولجان، وبنعمة زوس، من هذا البلد بأسلحة تتألف من ألف سفينة يقودها الأرجوسيون Argives، قوة محاربة تدافع عن قضيتهما.

دوت صيحة القتال عالية، تلك التي أطلقاها في حمأة غضبهما، كما تصرخ النسور حزينة في عزلتها، على أفراخها، فتندفع بقوة أجنحتها وتحلق عالياً فوق أعشاشها، لأنها أضاعت مجهودها عبثاً في حراسة عش أفراخها.

غير أن واحداً من القوى العليا ـ ربما كان هو أپولو Apollo أوبان Pan أو زوس ـ سمع صيحة النحيب الحادة التي أطلقتها تلك الطيور الصاخبة المقيمة مؤقتاً في مملكته، وأخيراً أرسل الانتقام ضد المعتدين، ولو أنه جاء متأخراً، وهكذا أرسل زوس، الذي قوّته فوق الجميع، زوس سيد المضيف والضيف، أرسل ولدي أتريوس ضد الإسكندر، حتى يوقع من أجل امرأة متعددة

(١) مَثَل غير معروف الأصل، يُضرب لوجوب الصمت. ويمكن مقارنة هذا المثل بما ورد في الشذرة ١٧٦، «يحرس لساني مفتاح».

الأزواج[1]، معارك عديدة، عنيفة وشاقة (عندما تُغرس الركبة في الثرى، ويرتعد الرمح في الهجوم، على الدانيين Danaans، وعلى الطرواديين سواء بسواء.

تقف القضية الآن حيث تقف ـ وتنتقل إلى حيّز الإنجاز في نهايتها المقررة. ليس بالتقدمات المحروقة في السرّ، وليس بالسكائب السرية، ولا بالدموع؛ يُهَدِّيء الإنسان غضب الضحايا غير المحترقة[2]، العنيد.

أما نحن، العاجزين عن تقديم أية معونة بسبب أبداننا المسنة، نحن الذين طُرحنا بعيداً عن ذلك المجهود العسكري، منذ زمن طويل. فبقينا هنا في الوطن، نعتمد على عكازاتنا بقوة كقوة الطفل. لأن قوة الشباب الوثابة داخل الصدر، أشبه بقوة العمر، وربما كان إله الحرب غير موجود في مكانه. كذلك الشيخوخة وقد ذبلت أوراقها، تسير في طريقها على أقدام ثلاثة، وتجول بحال ليست أفضل من حال جولان الطفل، حلماً يُرى بالنهار.

ماذا حدث يا ابنة تونداريوس، أيتها الملكة كلوتايمنسترا؟ أية أخبار لديكِ؟ بأية مخابرات، بل وبأية أنباء اقتنعتِ حتى بعثتِ رسلكِ يقدمون الأضاحي؟ فمذابح جميع الآلهة التي تعبدها مدينتنا، الآلهة العليا، آلهة العالم السفلي وآلهة السماء والسوق، تشتعل بنيران القرابين. ترتفع اللهب عالية كالسماء، تارة هنا وطوراً هناك، مستسلمة لإغراء اللُّبان المقدس الطريّ والعديم المكر، وكذلك زيت التضحية المجلوب من حجرات القصر الداخلية.

---

(١) مينيلاوس وباريس ودايفوبوس Deiphobus.

(٢) المعنى الحرفي لهذه الكلمة هو «عديمة النار» أو «التي لن تحترق». وهذا إشارة مقنَّعَة إلى تضحية أجاممنون بابنته إيفيجينيا، وغضب كلوتايمنسترا، أو إلى خرق باريس لقوانين الضيافة الذي أثار غضب زوس.

أخبرينا عن كل هذا، فربما استطعتِ وكان بمقدورِكِ أن تُظهري.
اشفِ نفوسنا الحائرة التي تتكهن الآن، تارة بالشر، ثم بالأمل، فتتألق بنور الضحايا الرقيق، وتطرد هموم الحزن الرابضة، التي تنهش قلبي.
لي القوة على إعلان نبوءة النصر المرسلة للملكين وهما في طريقهما - إذ لا يزال عمري[1]، الموهوب من لدن الآلهة، ينفث فيَّ اليقين، قوة الأغاني - كيف قاد هذان الملكان المتوَّجان الآخيين Achaeans، رؤوساء شباب هيلاس المتحدين. فسار ذلك الشباب بالرمح المنتقم والأسلحة ضد الأرض التيوكرية Teucrian، بالعلامة المشجعة التي ظهرت لملوك السفن - فقد حلَّقَ طائران ملكيان، أحدهما أسود الذيل، والآخر أبيضه، بجانب القصر مباشرة، فوق يد الرمح[2]، في موضع ظاهر، يلتهمان أرنباً حبلى بصغار لم تولد بعد، تحاول الهروب بآخر مجهود[3].
أنشدوا أغنية الويلات، أغنية الويلات، ولكن عسى أن يسود الخير!
ثم إن عراف الجيش الطيب، لما رأى أن ابنَى أتريوس

---

(١) المعنى الحرفي للعبارة الإغريقة «Sumphutos aiwv» هو «الحياة التي نمت معي» أو «مدى الحياة»، هنا، «الشيخوخة»، كما يفهمها العلماء. قارن تفسير مسز باربولد Mrs. Barbauld هكذا: «الحياة! لقد كنا معاً زمناً طويلاً»

(٢) أي اليد اليمنى.

(٣) فسَّرَ شارح الحواشي، وتبعه هيرمان Hermann وآخرون العبارة الإغريقية «laginan Gennan» على أنها أسلوب متكلَّف لكلمة «lagwon» التي يتفق فيها «blabenta» (قارن العبارة الإغريقية Pasa genna.... dwswn في مسرحية «نساء طروادة» سطر ٥٣١) ويصير معنى كلمة «phermata» تبعاً لهارتونج Hartung هو «ذرية أرنب، حمل رحمها، المعوَّقة عن طريقها الأخير» وتبعاً لهذه الترجمة، فإن معنى العبارة «loisthiwn dromwn» قد يصبح «طريقها الأخير» (نحو الولادة) أو حتى «مسابقاتها المقبلة».

المحاربين، قد انزعجا كلاهما، عرف أن مفترسَي الأرنب هما قائدا الحملة، وبذا فسر العلامة هكذا، فقال: «في الوقت المناسب، سيستولي المهاجمان هنا على مدينة برياموس، غير أن القَدَر سيستهلك جميع مخزون الشعب من الماشية، أمام أسوارها الشاهقة. ومع ذلك، فعسى ألا ينزل غضبُ حسدٍ من السماء على الجيش المتحصن، وهو القوة العاتية المتكتلة ضد طروادة، ويضرب قبل أن يبلغ هدفه! لأن أرتيميس المقدسة، غاضبة، بدافع شفقتها، على كلاب سيدها المجنحة، أن تفترس مثلُ تلك المخلوقة الجبانة، هي وصغارها قبل أن تلدها. لقد استاءت من وليمة النسرين».

أنشدوا أغنية الويلات، أغنية الويلات، ولكن عسى أن يسود الخير!

رغم أنكِ، أيتها الجميلة، تعطفين على الأشبال الغضة، صغار الأسود المتوحشة، وتهتمين بالصغار الرضيعة لكل مخلوق وحشي يجول في الحقل، اضمني أن تأتي النتيجة مطابقة لهذه العلامات المتنبئة بالخير، ولكنها مشوبة بالشر. وإني لأتوسل إلى بايان Paean[1]، الشافي، كيلا تثير العواصف المضادة التي تعوق أسطول الدانيين لمدة طويلة، وتمنعه الإبحار بحجة ضرورة تقديم ضحية أخرى، لا تعرف قانوناً، وغير مناسبة للوليمة، ومسبِّبة النزاع في الأسرة، وتذيب توقير الزوجة لزوجها، إذ يكمن غضب - فظيع، لا يمكن إيقافه، إنه حارس غادر، للبيت، لا يُنسى قط، غضب يُنزل الانتقام من أجل طفلة».

ذكَرَ كالخاس مثل أقوال المصير هذه المقتبسة من علامات التنبؤ التي كانت تظهر أثناء السير، مع كثير من طلائع الخير، ذكرها

(١) أبولو، الذي يتوسلون إليه كي يمنع أخته أرتيميس من إتمام الجزء السيء الطالع.

للبيت الملكي، وبهذه المناسبة.

أنشدوا أغنية الويلات، أغنية الويلات، ولكن عسى أن يسود الخير!

زوس، مهما كان، ـ إذا سرّه أن أتوسل إليه بهذا الاسم، فأنا أدعوه بهـ وإذ أزِنُ جميع الأشياء في الميزان، أستطيع التخمين، بأنه ما من أحد غير «زوس»، إذا أردتُ، في الحقيقة عينها، أن أطرح هذا العبء غير النافع عن قلبي. ذلك[1]، الذي كان قوياً في غابر الزمان، ومنتفخاً بالوقاحة عند كل شغب، ولن يُسمّى كما كان يُسمّى، وذلك[2]، الذي ظهر بعده، التقى مع من أسقطه، وذهب ومضى. ولكن الذي يفكر في قلبه من قبْلُ، ويعطي لقب النصر في صيحة الفوز لِـ «زوس»، ينال الحكمة كلها ـ زوس، الذي يقود البشر إلى طريق المعرفة، زوس، الذي قرّر كأمرٍ ثابت، أن «الحكمة تأتي بالآلام». ولكن، كما أن التعب، المذكِّر بالألم، يأتي إلى العقل في النوم؛ وكذلك تأتي الحكمة إلى البشر في أحقادهم. وأعتقد أن مع العسر تأتي نعمة القوى الإلهية، المتوجة فوق مقاعدها المرهوبة.

لذا، فإن قائد سفن الآخيين، الذي هو أكبر الاثنين ـ لا يعتبر أيَّ عراف مخطئاً، وينحني أمام تقلبات الحظ المضادة، عندما كان أهل آخايا Achaea، وهم عند الساحل المواجه لِـ «خالكيس»، في المنطقة التي يرتفع فيها مد أوليس، وينخفض جزرها، في أشدّ محنة بسبب الرياح المضادة ونقص المئونة، والنسمات التي تهب من ستريمون Strymon، فيجلب لهم الخمول المحزن والجوع وهبوط الروح المعنوية، في ثغر بالغ القسوة، يدفع الرجال على

(١) أورانوس Uranus.

(٢) كرونوس Cronus.

الإرتباك، ولا يُبقي على سفينة أو حبل بمضاعفة مدة بقائهم، بدأ يذوي بضياع زهرة أرجوس؛ وعندما أكّد العراف أن أرتيميس هي السبب، أعلن للرؤوساء علاجاً آخر، أشد إيلاماً من العاصفة المريرة، حتى ضرب ابنا أتريوس الأرض بعكازيهما، ولم يستطيعا حبس دموعهما.

عند ذلك تكلم الملك الأكبر وقال: «ما أشقّ قضائي ولا أستطيع له رفضاً، وما أشق أن يقضى بأن يتحتم عليَّ أن أذبح ابنتي، مجد بيتي، وألوث يد الأب، بجانب المذبح، بتيار دم عذراء. فأي هذين الطريقين لا يقترن بالسوء؟ كيف يتسنى لي أن أهرب من أسطولي وأخذل حلفائي في القتال؟ إنهم، لذلك، يطلبون بإلحاح ضحية لتهدئة الرياح ـ دم عذراء ـ وهذا من حقهم. عسى أن يكون كل شيء لخير نفع».

غير أنه عندما حمل نير الضرورة، بانحراف روح عديمة التقوى والقداسة والبركة، أخذ غرضه يميل نحو تنفيذ هذه الفعلة البشعة. يتشجع البشر بالوهم الحقير، المشير بالسوء، وأول أساس للنوائب، لذا شرع، يقسّي قلبه ليضحي بابنته كي يستطيع الانتصار في حرب شُنّت للانتقام من أجل امرأة، وذبيحة لسفر الأسطول!

لم يُبدِ القادة شفقة إزاء توسلاتها أو صراخها وهي تقول: «أبتاه»، ولم يهتموا بحياة عذراويتها. وبعد الصلاة، أمر أبوها رسله بالقبض عليها ملفوفة بأثوابها. فارتمت إلى الأمام، كما أمرهم بأن يرفعوها بقلوب قوية فوق المذبح، كما لو كانت جدياً، وأن يضعوا كمامةً قويةً على فمها الجميل كي تمنع النطق بصرخة صارت لعنة على بيته.

بعد ذلك، بينما تُسقط ثوبها الزعفراني على الأرض، ألقت على

كل من المضحين بها نظرة من عينيها متضرعة من أجل الرحمة، ويدت كما لو كانت في صورة تتوق إلى التكلم، فكثيراً ما كانت تغني حيث يجتمع الرجال في ضيافة والدهها وكرمه ، واعتادت، بصوتها العذراوي، أن تبجل صلاة والدها المحبوب وهو يطلب البركة عند السكيبة الثالثة (١) .

لم أشاهد ما حدث بعد ذلك، ولا أستطيع روايته. فقد أُنجز ما أمر به فن كالخاس. وأمالت العدالة ميزانها حتى تأتي الحكمة نظير ثمن من الآلام. غير أن ما بقي لتعرفه عندما يحدث، فاتركه حتى ذلك الوقت ـ إنه حَدَثٌ يصحبه الحزن على عجل. ومن الجلي أنه سيأتي عند مطلع الفجر. ومع ذلك، [تدخل كلوتايمنسترا]

ففيما يختص بما سيأتي بعد ذلك، فعسى أن تكون نتيجته سعيدة تماماً، كما هي رغبة حارسنا الوحيد هنا، المدافع عن الأرض الآبية Apian، الواقف أقرب ما يكون من سيدنا.

أتيتُ، يا كلوتايمنسترا، طاعةً لسلطانكِ الملكيّ؛ إذ يليق بي أن أقدم فروض الولاء لقرينة الأمير الملكي عندما يكون عرش سيدها خالياً. والآن، سواء أكانت الأخبار التي سمعتها سارة أو سيئة، فقدَّمتِ الذبائح بآمال تبشر بالفرح، فأنا أتوق إلى سماعها؛ ومع ذلك، فإن لزمتِ الصمت، فلن أشتكي.

كلوتايمنسترا: أما عن بشير الفرح، فكما يقول المثل، عسى أن يولد «الصباح» من أمه «الليل»! ستسمع أنباء مبهمة تفوق كل آمالك ـ فقد استولى الأرجوسيون على مدينة پرياموس!

---

(١) اعتاد الإغريق أن يقدموا السكائب في نهاية الوليمة، (١) لزوس وهيرا، أو للآلهة الأوليمبية عامة، (٢) للأبطال، (٣) لزوس المخلِّص؛ وبعد ذلك يأتي النشيد (Paean) الذي تبدأ بعده مناقشة الآراء (symposium) .

الكوروس : ماذا تقولين، يا هذه؟ لقد فاتني معنى ألفاظكِ، فتبدو لا يصدقها العقل.

كلوتايمنسترا: قلتُ إن طروادة في أيدي الآخيين. فهل معنى كلامي واضح؟

الكوروس : يتسلل الفرح فوق بدني، فيعطي إنذاراً بتحدي دموعي.

كلوتايمنسترا: نعم، إذ من القلب الوفيّ أن تناقشك عينك.

الكوروس : وما الدليل إذن؟ هل لديكِ برهان على هذا؟

كلوتايمنسترا: الحقيقة أن لديَّ البرهان، إلا إذا كان إلّهٌ ما، قد خدعني.

الكوروس : هل اهتممتِ برؤيا الأحلام المغرية؟

كلوتايمنسترا: لن أهتم بخيالات المخ النائم.

الكوروس : ولكن، أيمكن أن تكون إشاعة سارة قد أثارت آمالكِ؟

كلوتايمنسترا: حقيقةٌ، إنك لتعبث بفهمي كما لو كان فهم طفل.

الكوروس : ولكن، في أي وقت دُمِّرت المدينة؟

كلوتايمنسترا: أقول في الليلة التي ولدت تلك الشمس.

الكوروس : وأيّ رسول استطاع الوصول إلى هنا بمثل هذه السرعة؟

كلوتايمنسترا: أسرع هيفايستوس Hephaestus بإرسال لهبه الساطع من إيدا Ida. فتبعت الإشارة النارية إشارة نارية أخرى، إلى أن بلغتنا برسول من اللهب. انتقل اللهب من إيدا إلى الصخرة الهيرمية Hermaean[1] في لمنوس Lemnos؛ وتبعث اللهب القويّ فوق الجزيرة، ثم لهب ثالث من قمة آثوس Athos المقدسة لزوس؛ وطار اللهب عالياً حتى خيّم فوق أرض الوطن الأصلية، متنقلاً

(١) أي الصخرة التي كان يحبها هيرميس، رسول الآلهة.

بفرحه قُدُماً إلى الأمام بقوتـه. . . فأضـاء مشعل خشب الصنـوبر بنوره الذهبيّ كما لو كان شمساً[١] ثانية، حاملاً الرسالة إلى أبراج المـراقبة في مـاكيستوس Macistus. وإذ لم يتـأخـر، ولـم يغلبـه النعـاس في عدم اكتـراث، فلم يهمل دوره كـرسول. جـاء نـور الإشارة النارية من بعيد فوق مجرى يوريبوس Euripus، فـأعطى الإشارة إلى الحراس الواقفين فوق ميسابيون Messapion، فردوا عليه بدورهم بإشعال النار في كوم من الهشيم الـذابل، وأضـاءوا اللهب مرسلين الإشارة بسرعة. فاستجمع اللهب قوته عندئذٍ ولم يخبُ بحالٍ ما، بل كقمر ساطع قفز فوق سهل أسوپوس Asopus إلى قمة كيثايرون Cithaeron الصخرية، مثيراً رسـالة أخـرى من النار. ولـم يحتقر الحرس هناك الضوء المرسَـل من بعيد، وإنمـا أشعلوا لهباً أعلى مما أُمروا به. فانطلق النور عبر مياه جورجوپوس Gorgopus، وبلغ جبل أيجيپلا نكتوس Aegiplanctus ، وحـث قاعدة النار على عدم التلكؤ. فأشعل حرسها، عالياً، لهباً عظيماً، بقوة لا تخبو، مسرعين بإرساله قُدُماً حتى اجتاز الرأس الممتد إلى داخل البحر والمطل على الخليج السارونيكي Saronic، منطلقـاً حتى بلغ مركز المراقبة القريب من مدينتنـا فوق قمـة أراخنايـوس Arachnaeus، وقفز فوق سقف بيت أبناء أتريوس هذا، فهبـطت تلك النار من اللهب الإيداويّ. هكذا كان حاملو المشاعل، الذين رتَّبتُهم ـ بالتتابع، واحداً إلى آخر، مكملين الطريق، وظافر هـو الـذي جرى أولاً وأخيـراً[٢]. هذا هـو الدليـل الأكيـد والعـلامـة المقنعة، اللذان أعطيكهما، رسالة سيدي إليَّ من طروادة .

---

(١) النَّص الإغريقي مُشَوَّه هنا.

(٢) اعتُبر النور الذي أوقد فوق جبل إيدا هو البادىء أولاً والمنتهي أخيراً. أمـا الضوء الآتي من جبل أراخنايوس فاعتُبر البادىء أخيراً والمنتهي أولاً.

الكوروس : سيدتي، سأسرع بتقديم صلاة الشكر للسماء. ولكني أتوق إلى سماع التفاصيل، كي أرضي إعجابي بقصتك، إذن، فتفضلي بروايتها من جديد.

كلوتايمنسترا: طروادة اليومَ في أيدي الآخيين. وأعتقد أن صخباً من الأصوات يُدَوِّي في داخل المدينة، ولا تخْفُتُ جلبته. اسكب الخل والزيت في قارورة واحدة، تَقُلْ، إنهما كعدوين، يظلان في نزاع، وهكذا تُحَيِّي أصوات المهزومين والظافرين الأذن بوضوح، بقدر اختلاف حظيهما. . . . تنتحب أولئك المرتميات فوق جثث أوزاجهن وإخوتهن ، والأطفال المنكفئون على جثث آبائهم المسنين ، الذين أعطوهم الحياة . يبكي كل هؤلاء بشفاه لم تَعُدْ حرةً، موتَ أعزائهم، بينما هؤلاء، تجعلهم ليلة من الجهد المضني، بعد المعارك، جياعاً. فيفطرون من صيامهم بما تجود به المدينة؛ غير متبعين أيَّ نظام، بل كما يصادف كل رجل نصيبه وحظه. وهم الآن معسكرون في البيوت الطروادية المستولَى عليها، وقد خلصوا من صقيع السماء العارية ونداها، فينامون كأناس سعداء، طول الليل دون القيام بأي دور للحراسة.
والآن، إذا ابتعدَ الظافرون عن اقتراف أي إثم حيال آلهة المدينة ـ آلهة المدينة المهزومة ـ وحيال محاربيهم، فلن يؤسروا، هم بدورهم، بيد أنني أرجو فقط ، ألّا يستبد بالجنود دافع جنوني إذا سيطر عليهم الجشع، فيعتدوا على ما لا يجب أن يعتدوا عليه! إذ، لكي تتاح لهم العودة بسلام إلى وطنهم، يجب عليهم أن يقطعوا، في عودتهم، الطول الآخر من طريقهم المزدوج. ولكن، حتى إذا لم يسيء جيشنا إلى الآلهة، ووصل إلى الوطن، فإن آلام الموتى المريرة لا تزال متيقظة ـ فعسى ألا يصيبهم سوء حظ جديد. هذه هي أقوالي النسائية. ومع ذلك، فعسى أن يسود

الخير، ويعلو الحق واضحاً، وإذ اخترتُ هذا، فقد وقع اختياري على المتعة بكثير من النعم.

الكوروس : سيدتي، إنكِ لتتكلمين بمنطق الرجل الحازم، أما من ناحيتي، وقد أصغيتُ إلى براهينكِ الأكيدة، فسأتأهب للقيام بصلاة الشكر الواجبة للسماء، لأننا قد أحرزنا نجاحاً جازانا تماماً على ما بذلنا من جهد.

مرحى، أيها الملك زوس، وأنت، أيها الليل الرحيم، الذي وهبتنا مجداً عظيماً صار مِلْكاً لنا، أنت يا من ألقيت شركك المخرَّم على أسوار طروادة الشاهقة، حتى لا يستطيع الإفلات من تلك الشبكة المطوَّقة، عجوز ولا صبيّ، ولا من المصير قاهرِ الجميع. إن الذي أبجله هو زوس العظيم، سيد المضيف والضيف ـ ذلك الذي فعل هذا، وظل مدة طويلة مُحْنياً قوسه ضد الإسكندر، حتى لا تنزل صاعقته بعيداً عن الهدف، ولا تطير وراء النجوم، فتُقذَف دون جدوى.

إنهم يسمونها «ضربة زوس»؛ إنها يده التي يمكن اقتفاء أثرها هناك. فكما يقرر يفعل. وقد قال شخص ما، إن الآلهة لا تتنازل بالاهتمام بالبشر الذين يدوسون نعمة المقدسات المحصنة تحت أقدامهم. بيد أن الإنسان لم يتعلم الخوف من الرب!

الآن حصحص الحق، بأن الدمار عقوبة جريمة الاستهتار، عندما يزهو الإنسان بروح الصلف متجاوزاً حدَّه. وذلك لأن قصورهم تفيض بالخيرات الكثيرة، التي تطغى على أعظم خير يفعلونه. وليكن هناك جزء من الثروة لا يسبب محنة، حتى ينال من لديه قسط وافر من العقل السليم، ما يكفيه من الخيرات. فليس الغني حصناً للرجل المتمادي في ملذاته، فيطرد مذبح الحق القويّ من أمام ناظريه.

كلاّ، بل يسوقه قُدُماً، ذلك الإغراء المضلِّل وليد «الدمار» المدبر؛ وعندئذ لا ينفع فيه أي علاج. ليس شرّه مستوراً، بل يضيء ساطعاً بشعاع يجلب اللعنة. إنه شبيه بالمعدن الرديء يُختبر بالمحك، فإذا ما فُحص أبدى سواد معدنه (لأنه كطفل يطارد عصفوراً مجنحاً)، ويصمُ شعبه بوصمة لا تُمحَى ولا تزول. يصُمُّ جميع الآلهة آذانهم عن سماع صلاته ومن يتبع مثل هذه الأفعال تسحقه الآلهة في ضلاله.

هكذا كان باريس، الذي جاء إلى بيت أبناء أتريوس، وجلب العار على مائدة مضيفه الكريمة، بأن سرق زوجة متزوجة.

أما هي فتركت لقومها قعقعة التروس والرماح وأسلحة الأساطيل، وجلبت الدمار على إيليوم، بدلاً من أن تأتي لها ببائنة. فمرّت من الأبواب بأقدام سريعة ـ وتجاسرت على فعلة لا يُتجرأ عليها. بعد ذلك انتحب عالياً عرافو البيت صائحين: «واحسرتاه، واحسرتاه على البيت، البيت، وعلى أمرائه! واحسرتاه على فراش الزوج، وعلى طابع شكلها العزيز! انظروا، ها هو يجلس بعيداً في ألم حزنه الممضّ، صامتاً، مطعوناً في شرفه، ولكنه لا يعض بنان الندم. وفي شوقه إلى تلك التي أسرعت إلى ما وراء البحر، يبدو أن شبحاً ما، سيكون سيد البيت. وإن رشاقة التماثيل الجميلة الصورة لبغيضة إلى نفسه، فقد انصرف كل جمال من أمام شَرَهِ عينيه.

تأتي إليه الأحلام بخيالات محزنة لا تجلب له سوى الفرح العديم الفائدة. إذ، مهما رأى الإنسان من مسرة في الخيالات فسرعان ما تفلت من أمام بصره في ممرات النوم، وتصبح غير ذات نفع». هكذا الأحزان عند الوطيس وفي البيت، نعم، وأحزان أخرى تفوق هذه، وبقدر عظيم في كل بيت من بيوت جميع من رحلوا

معه من بلاد هيلاس، يُرى الحزن الذي يفـوق طاقـة الاحتمال، نعم، كثيرة هي الأشياء التي تنفـذ في القلب، إذ يعرف كـل فرد ممن أرسلهم، غير أنه عادتْ إلى بيت كل واحد منهم جرة رماد، وليس الرجال الأحياء.

يقايض آريس Ares على أجسام البشر بالذهب؛ فيحمل ميزانه في ميدان المنافسة بالرماح، ويرسل إلى من يحبونهم رماداً ثقيلاً، من إيليوم، آتياً من حـرقه الجثث، رمـاداً يبكونـه بالـدموع الغـزيرة، وبدلاً(١) من الرجال، يرسل إليهم قدوراً مليئـة بالـرماد. وهكـذا ينتحبون، معددين تارة مناقب ذلك الرجل بقولهم: «ما أبرعه في القتال!» وطوراً مناقب آخر قـائلين: «سقط نبيلاً في المذبحة» - بينما يتمتم بعضهم في سره «من أجل زوجة رجل آخر»؛ ويتسلل الحزن المليء بالامتعاض خلسة ضد ولدي أتريوس، بطلي ذلك النضال. غير أن أولئك الذين في زهرة شبابهم يـدفنون في أرض إيليوم حول أسـوار المدينـة بعيداً عن وطنهم - وقـد غطّت أرض العدو قاهريها.

يـالخطر صـوت الشعب المفعم بالغضب - فله نفس وظيفـة لعنـة الحتف العام. أنتظرُ في خوف وقلق لأسمع شيئاً يلفه الظلام، فلن تنسى السماء رجال الدم. وفي النهاية، ترسل أشباحُ الانتقام السود من ازدهر بطريق غير مستقيم، إلى عالم النسيان، وتُفنى ثروته في عكس مـا جُمعت من أجله. وما إن يـذهب وسط من صـاروا لا شيء، حتى لا يجـد بعد ذلـك أية مسـاعدة. فـالمجد المفـرط محوط بالأخطار؛ إذ أن القمة الشاهقة هي التي تصيبهـا صاعقـة

(١) هذه الفقرة التي تقارن فيها الحرب بتاجر الذهب، مليئة بالعبارات ذات المعنيين: فكلمة Palantouchos معناها «ميزان» و«كفّة الحرب»، وكلمة Purwthen تدل على التبر «المصفّى» وعلى «حرق» جثث القتلى، وكلمة baru معناها «ثقيل» و«محزن» وكلمة antenoros بمعنى «ثمن رجل» و«بدل الرجال» وكلمة lebetas معناها «جرار» و«قدور جنائزية».

السمـاء، وإني لأختار الـرخاء غيـر المشوب بـالحسد. عسى ألا أكون من مدمري المدن، وألا أقع في الأسر وأقضي حياتي تحت سلطة رجل آخر!

أحد الشيوخ: ما أسرع ما ذاع في جميع أنحاء المدينـة خبر سـارٌ، انتقل إليهـا بالإشارة النارية. ولكن، من يدري ما إذا كان ذلك الخبر حقيقياً، أم خداعاً من الآلهة؟

شيخ ثان : من ذلك المتصف بصفات الأطفال، أو المجرد من العقل، الذي يثير قلبَه بأخبار فجائية لمجرد إشارة نارية، وعندئذٍ يتولاه القنوط إذا ما ظهر عكس ما سمع؟

شيخ ثالث : إنه لأشبه بطبيعة المرأة التواقة أن نصغي إلى الأخبار السارّة قبل أن تنجلي الحقيقة.

شيخ رابع : لعقل المرأة، في التصديق، حدود تنفتح أمام الاعتـداء السريـع على الحقوق، غير أن الإشاعة التي تذيعها المرأة سريعة الزوال.

قائد الكوروس: سرعان ما سنعرف ما إذا كانت تلك الأضواء الملتهبة، وتلك الإشـارات الناريـة، حقيقةً أو هي أضغـاث أحـلام. فقـد خـدع المجيء المبهج لهذه الأضواء حواسنا. انظروا! هأنذا أرى رسولاً قادماً من عند الشاطيء البعيد، تظلله أغصان الزيتـون. يؤكد لي الغبار المتعطش، شقيق الـوحل[1]، أنـه لن يأمـرنا بـالمزيـد من الفرح، أو على عكس ذلك، بالحزن، ليس بالمظاهر الصامتة ولا بإرسال لهب في غابة جبل، وإنما بـالألفاظ الصـريحة الـواضحة - عسى أن يمنع الرب كل طالع مضاد للفرح! وليكن هناك مـزيد من الخير للخير الذي لاح من قبل!

(١) أي تحمل ثيابُه دليلاً من الغبار والطين. قارن هذا بوصف شكسبير للسير ولتر بلنت Sir Walter Blunt (في «هنـري الرابـع»)، إذ يقـول: «ملوث بغبـار كـل أرض بين هـولميـدون ومَقَرِّنا هذا».

شيخ آخر : إن كان هناك من يصلي بنية أخرى نحو الدولة، فليجْنِ ثمار غرضه الضالّ.

[يدخل رسول]

الرسول : مرحباً بكِ، يا أرض أرجوس، يا أرض آبائي! أتيتُ إليكِ في هذا اليوم السعيد من العام العاشر. كم من أمل أوعز إليَّ به تحطيم سفينتي، غير أن واحداً منها قد تمَّ، إذ ما تجاسرتُ قط، على أن أحلم بأن أموت في أرض أرجوس هذه وأنال فروض الدفن الغالية عندي أكثر من كل شيء. والآن، فلتنزل البركات على هذه الأرض، والبركات على ضوء الشمس، وليتبارك زوس الحاكم في الأعالي وأسمى سيد بوثيّ Pythe لهذه الأرض؛ ولعله لا يرسل علينا مزيداً من سهامه. لقد أظهرت ما يكفي من عدائك على ضفاف سكاماندر Scamander، أما الآن، أيها السيد أبولو، فاتَّخِذْ حالاً أخرى، وكن حافظنا وشافينا. كما أنني أُحَيِّي كافة الآلهة المجتمعين هنا، وكذلك حاميَ هيرميس Hermes رسولي المحبوب وأكثر الرسل جميعاً احتراماً وتبجيلاً، والأبطال[1] الذين ساعدونا في طريقنا، وأرجو أن يتفضلوا بإرجاع بقية الجيش التي أفلتت من الرمح. مرحباً بكِ، يا أبهاء ملوكنا، وسقوفنا المحبوبة، وأنتِ، أيتها المقاعد الجليلة القدر، وأنتم أيها الآلهة المواجهون للشمس[2]. وإذا كنتم في أي يوم من الأيام الماضية قد رحبتم بملككم، فقدموا له الآن ما يناسبه من الترحيب بعد غيبة تلك السنين الطويلة. لأنه حمل النور في الظلام وعاد إلى كل المجتمعين هنا بالسواء - ملكنا أجاممنون. قدِّموا له الترحيب الطيب، كما هو

(١) الأبطال هم الأرواح المؤلهة لقدامى الملوك وغيرهم من مشاهير الرجال. وقد وضعوا في «المستجيرات» سطر ٢٥ ضمن القوى السفلى (Chthonioi).

(٢) أي تماثيل الآلهة القائمة أمام القصر في مواجهة الشرق.

لائق وحق، لأنه استأصل طروادة من جذورها بمعول زوس المنتقم، الذي مزّق به أرضها. لقد هُدمت مذابح ومحاريب آلهتها، وبُدِّدت تماماً بذرة كل أرضها. وضع نيراً فظيعاً على عنق طروادة، وقد عاد إلى وطنه، الآن ، ملكُنا، أكبر أبناء أتريوس الرجل ذو الحظ السعيد الجدير بالشرف أكثر من جميع الرجال الأحياء. إذ لا يستطيع باريس ولا المدينة شريكته أن يفخرا، لأن العمل كان أعظم الآلام. وإذ ارتدى حلة النهب والسرقة أيضاً فقدْ فَقَدَ سرقته وجلب الدمار الشامل على بيت والده، وعلى جميع المكان الموجود به. لقد دفع أبناء أتريوس الصاع صاعين، عقاباً لهم على آثامهم.

الكوروس : فليأتك الفرح، يا رسول الجيش الآخي.

الرسول : ابتهج . ما عُدْتُ أرفض أن أموت، إذا سرَّ موتي الآلهة.

الكوروس : أكان الشوق إلى أرض آبائك هذه هو الذي أتعبك؟

الرسول : نعم، ولذا تمتليء عيناي بدموع الفرح.

الكوروس : إذن فقد كان مرضاً سارّاً ذلك الذي مرضتَ به.

الرسول : وكيف ذلك؟ فَسِّرْهُ لي، وأنا أفهم ما تقول.

الكوروس : أصابتك الرغبة إلى من يبادلونك الحُب.

الرسول : أتقصد أن أرضنا كانت تتوق إلى الجيش المشتاق؟

الكوروس : اشتاقت بدرجة عظيمة حتى إنني كثيراً ما تأوهتُ من روح دائم التفكير المظلم.

الرسول : ومن أين أتى ظلام الكآبة إلى روحك؟

الكوروس : منذ أن وجدتُ الصمت ترياقاً للأذى.

الرسول : وكيف ذلك؟ هل كنتَ خائفاً من أي إنسان في غياب ملوكنا؟

الكوروس : كنتُ في خوف عظيم، حتى إنني الآن، كما قلتَ، أجد لذة بالغة في الموت.

الرسول : نعم، خيرٌ، كل ما تم بخير. ومع ذلك، فبوسع المرء أن يقول عما حدث في تلك السنين الطويلة، إن جزءًا منها كان سارًا وجزءًا محزناً. ولكن، من ذا الذي يخلو من الآلام في جميع أيامه، سوى من كان إلّهاً؟ فإذا كان عليَّ أن أذكر مشقاتنا ومراكزنا الحقيرة، والمساحات الضئيلة والمراسي الضيقة ـ وماذا كان لدينا ولا نشكو منه. . . . وفضلاً عن هذه، كان على الشاطيء ما هو أمرّ وأدهى، إذ تحتم علينا أن نرقد بجانب أسوار العدو، وتحت وابل الأمطار المنهمرة من السماء وندى المراعي المتقاطر فوقنا فأحدث الدمار المستمر بملابسنا وملأ شعورنا بالديدان. أو إذا كان للمرء أن يتحدث عن برد الشتاء الذي يفوق كل احتمال عندما كان ثلج جبل إيدا يقتل الطيور، أو عن القيظ عندما يروح البحر في سبات عميق فوق فراشه العديم الأمواج وقت الظهيرة ـ ولكن ماذا نجني من وراء نعينا كل هذا؟ لقد انقضت متاعبنا، انقضت للموتى حتى إنهم ما عادوا يهتمون حتى بالعودة إلى الحياة ثانية. وما حاجة الأحياء بإحصاء عدد القتلى، وما فائدة التذمر من تكشيرات القدر؟ وإني لأعتبر من المناسب أن متاعبنا قد ودّعتنا وداعاً طويلاً. فمن ناحيتنا، نحن بقية جيش أرجوس، نعتبر المكسب ميزة، ولا ترجح الخسارة كفة الميزان، وإنه ليليق بنا، ونحن نسرع في عرض البر والبحر، أن نفخر بهذا في ضوء السماء: «أن محاربي أرجوس قد استولوا على طروادة أخيراً، وعلّقوا هذه الغنائم في محاريب من الأيام الخوالي». فمن يسمع قصة هذه الأفعال يجب عليه أن يثني على المدينة وعلى قادة جيشها. وأما فضل زوس، الذي ساعد في

إنجازها فينال جزاءه المناسب من الشكر. هأنذا قد رويت قصتي.

الكوروس : لقد برهن كلامك على خطئي. لستُ أنكر هذا، إذ صار للشيوخ شباب أن يتعلموا بحق. ولكن أكثر من تسرهم هذه الأنباء، هم أهل بيت كلوتايمنسترا، كما أنها تفرحني في الوقت ذاته.

[تدخل كلوتايمنسترا]

كلوتايمنسترا: أطلقتُ صيحة النصر في فرحي قبل ذلك عندما جاء أول رسول من اللهب بالليل، ينبيء بالاستيلاء على إيليوم، وبسقوطها. ثم لامني البعض وقالوا: «هل اقتنعتِ بنيران الإشارة حتى تعتقدي بأن طروادة قد نهبت الآن؟ حقاً، إنه ليليق بالمرأة أن تزهو في قلبها». بمثل هذه التعبيرات جعلوني أبدو كأنما قد شرد عقلي. ورغم هذا، ظللتُ أقدم الذبائح، وأطلق القوم صيحة الثناء المبهج، كما هي عادة النساء، في شتى أرجاء المدينة، بينما هدأت في معابد الآلهة، تلك اللهب العطرة المغذاة بالبهار.

إذن، فما حاجتك الآن أن تعيد على مسامعي تلك القصة بالتفصيل؟ سأسمع القصة كاملة من الملك نفسه، وذلك لكي أسرع، على خير وجه، لأستقبل سيدي الممجد عند عودته ـ فأيُّ فرح أحلى في عيني المرأة من أن تفتح الأبواب على مصاريعها في الوقت الذي نجّى الإله فيه زوجها ليعود من الحرب؟ ـ هذه رسالتي لسيدي: دعه يأتي بغاية السرعة إلى رغبة مملكته المولعة به، ليجد زوجته في بيته وفيَّةً له كما تركها، كأنها كلب حراسة في بيته، مخلصة له؛ عدوة لكل من يريدون به سوءًا، نعم، لم تتغير في أي شيء؛ لم تفضّ خاتم الوفاء في كل هذه المدة الطويلة. لستُ أعرف من مسرة رجل آخر، أو صوت الفضيحة أكثر مما يعرف البرنز الميت.

[تخرج]

الرسول : إن مثل هذا الفخر المليء حتى آخره بالصدق، ليناسب كلام الزوجة النبيلة.

الكوروس : هكذا تكلمتْ لتعليمك، بيد أن كلامها هذا يغرّ أولئك الذين بوسعهم أن يفسروا تفسيراً صحيحاً. ولكن، أخبرني، أيها الرسول ـ أريد أن أعرف عن مينيلاوس، سيد بلدنا العزيز ـ هل وصل سالماً إلى الوطن، وهل عاد معك!

الرسول : يستحيل أن أنقل أخباراً كاذبة وأضفي عليها مسحة البهجة، كي أسر من أحبهم، لمدة طويلة.

الكوروس : عسى أن يكون بمقدورك أن تقول أخباراً حقيقية وسارة! ليس إخفاء الحقيقة بالأمر الهيِّن إذا ما انفصل الصدق عن الخير.

الرسول : اكتُسح ذلك الأمير من أمام بصر الجيش الآخي ـ هو نفسه، وسفينته أيضاً. لست أنقل أخباراً غير حقيقية.

الكوروس : هل اختفى من إيليوم أمام بصر الجميع، أم هل اختطفته عاصفة عامة، من وسط الأسطول؟

الرسول : لقد أصبتَ الهدف كالقواس الماهر، ورويتَ بهذا قصة طويلة، في إيجاز.

الكوروس : هل أخبر عنه صوت المسافرين الآخرين، عموماً، على أنه حيّ أو ميت؟

الرسول : لا أحد يعرف شيئاً فيخبرنا عن هذا بوضوح ـ ما خلا الشمس وحدها، التي توجِد الحياة على الأرض.

الكوروس : إذن، فكيف تقول إن غضب السماء قد أثار عاصفة على الجيش البحريّ، ثم انقضت تلك العاصفة؟

الرسول : لا يليق أن نشوّه يوماً ذا طالع سعد برواية المكاره ـ ف
الواجب للآلهة يبعدها[1]. فعندما يروي رسول عابس الأ
لشعب أنباء كوارث هزيمة جيشه الماحقة ـ إنه جرح عام
الدولة، بينما خُصصت للموت ضحايا عديدة، من بيوت
بواسطة السوط ذي المقبضين الذي يحبه آريس، ذلك
المزدوج التسليح، والزوج الدموي ـ وعندما أقول إ
بويلات من مثل هذا النوع، فمن اللائق أن ينشد أنشودة
الإرينويس(الأرواح المنتقمة). أما إذا أتى المرء بأخبار ا
المفرحة، لمدينة تبتهج بسعادتها ـ فكيف يتسنى لي أ
الجميل بالقبيح عند ذكر نبأ العاصفة التي هبت على الآخ
أثارها غضب السماء؟ فقد أقسمت النار والبحر، وكانا ،
الوقت ألدَّ الأعداء، يمين التحالف، وبرهنا على ذلك
أسلحة الأرجوسيين التعساء. خرج المكروه ليلاً من
القاسية. فاصطدمت السفن واحدة بأخرى إبان الزوابع ا
تراقيا؛ وارتطمت بعنف بواسطة الإعصار الثائر واندفاع
المدرار. فاكتُسحت بعيداً عن الأنظار، جرفها الإعصار
للراعي الشرير[1]. وما إن انبثق ضوء الشمس الساطع ح
بحر إيجة مزهراً بجثث الرجال الآخيين وحطام السفن.
وسفينتنا، ولم يتصدع هيكلها، فقد حفظتها قوة إلهية
بشرية، خلسة أو بالوساطة؛ فوضعت يدها على دفتها، وش

(١) فقصص الخير خاصة بآلهة الأوليمبية. أما قصص الشرّ فخاصة بالإرينويس (ربات الانتقام) (سطر ٦٤٥). ويترجم البعض هذه الفقرة بمعنى أن التكريم الواج ينبغي أن يُبعد عن التلوث بذكر المكاره.

(٢) «الراعي الشرير» هو العاصفة التي تسوق السفن كالأغنام بعيداً عن طريقها.

المنقذ» Tuchē Swtēr أن يجلس على ظهر سفينتنا حتى لا تدخلها الموجة العاتية عند المرسى ولا ترتطم بشاطيء صخري. وبعد أن أفلتنا من الموت في اليمّ، وقلما قدّرنا حظنا، استغرقنا نفكر بقلق في سوء حظنا الأخير، وفي أسطولنا المنكوب الذي حطمته الأعاصير أيما تحطيم. ولو كان هناك الآن أي فرد منهم ينعم بأنفاس الحياة فإنما يتحدث عنا كمفقودين ـ ولِمَ لا يتحدثون هكذا؟ ـ بينما نتخيلهم نحن في حال مماثلة. ولكن، عسى أن ينجلي كل شيء على خير وجه! ـ أما عن مينيلاوس حقاً ـ فأول ما نتوقعه، قبل كل شيء، هو أن يعود! وعلى الأقل، إذا وجده شعاع ما، من أشعة الشمس، حيّاً وبصحة جيدة، بتدبير زوس الذي لم يصمم بعدُ على إهلاك قومنا. فهناك أملٌ ما، في أنه سيعود إلى وطنه ثانية. وإذ سمعتَ كل هذا، فتأكّدْ من أنك سمعتَ الحقيقة.

[يخرج]

الكوروس : من ذا الذي استطاع أن يطلق اسماً صحيحاً تماماً ـ فهل كانت قوةٌ ما غير مرئية هي التي أرشدت لسانه إلى التنبؤ الصواب بالمصير؟ ـ ذلك الذي أطلق على عروس الرمح ومصدر النزاع، اسم هيلينا؟ إذ هي، كما يدل اسمها تماماً، قد برهنت على أنها جحيم للسفن، وجحيم للرجال، وجحيم للمدينة، عندما خرجت من مخدعها الجميل ذي الرياش الثمينة، وركبت البحر أمام هبوب زفيروس Zephyrus وليد الأرض. وتبعها جيش عرمرم من القناصين المحاربين، يقتفي بالسفن أثر ضالته التي أرست سفينتها على ضفاف سيمويس Simoïs ذات الأشجار المورقة ـ في نضال ينتهي بالدم.

أنجز «الغضب» هدفه في إيليوم، فأتى إليها بزواج سُمِّي بحق

«جِداداً»[1]، وجازى، فيما بعد، عن إهانة لحقت بكرم الضيافة إلى زوس، شريك الوطيس، وعاقب أولئك الذين احتفلوا بإنشاد الأغاني، بصوت مرتفع، تكريماً للعروس. وكذلك أقارب العريس الذين أنشدوا ترنيمة الزواج في ذلك اليوم. أما مدينة بِرياموس، فقد تعلمت في شيخوختها، نغمة مغايرة، وأظنها تنتحب الآن بأنشودة عالية الصوت، وإن الشخص الكثير الأحزان والعويل ليصف باريس بـ «المتزوج بالشرّ»، ولذلك فإنها حملت عبء حياة مثقلة بالدمار، حياة البكاء الكثير بسبب مقتل أبنائها الفظيع.

هكذا ربّى رجل في بيته شبل أسد، حُرِمَ من لبن أمه وهو لا يزال محتاجاً إلى ثديها. كان من أول حياته رقيقاً، لطيفاً مع الأطفال، ومتعة للكبار. وكثيراً ما كانوا يحملونه في أيديهم كالطفل الرضيع، وعينه البراقة متجهة نحو يده، ذليلاً بدافع ضغط حاجة بطنه.

حتى إذا ما كبر وترعرع في كامل نموه، بمرور الزمن، أبدى طبيعته التي ورثها عن أبويه. ودون أن يؤمر، جازى عن تربيته، بإعداد وليمة من قتل القطعان المدمر، حتى تلوث البيت بالدم، ولم يستطع الساكنون فيه أن يسيطروا على آلامهم، وكانت المذبحة عظيمة وهائلة طولاً وعرضاً. فقد رُبِّيَ كاهن الخراب في ذلك البيت بأمر الله.

أعتقد أن روح الهدوء، غير المعكّر الصفو، جاءت أولاً إلى إيليوم، زينة ثروة جميلة، تُلقِي لحاظاً رقيقة من عينها، زهرة الحب التي تلدغ القلب. ثم انحرفت عن طريقها، فجعلت زواجها ينتهي بالعطف. فأسرعت إلى أبناء برياموس في حراسة زوس، حامي

---

(١) لكلمة Kedos معنى مزدوج: «تخالف زواج» و«حزن».

الجيش والضيف، تنفث الخراب بإقامتها وصحبتها، كانت شيطاناً
اقترن زواجها بالدموع.
صيغ قول مبجل، منذ القِدم، وذاع بين البشر: عندما يصل رغد
العيش إلى أوج نموه، ينجب ذرية ويموت وهو ليس عديم الولد،
وتخرج من حظه السعيد مِحَنٌ لا ينطفيء لها أوار تصيب نسله.
ولكني أتمسك بآرائي وأفكر على خلاف ما يفكر به غيري. إن
فعلة الظلم هي التي تنجب في المستقبل ظلماً أكثر، يشبه نسلها،
ولكن إذا ما استقام بيت كان حظ أبنائه مباركاً دائماً.

بيد أن الصلف Hubris القديم خليق بأن يلد أناساً أشراراً، إن
عاجلاً أو آجلاً، وفي ساعة الميلاد المقدرة، يولد صلف صغير،
وتلك الروح الصغيرة غير الممكن قهرها وغير المقدسة،
والاستهتار ـ وهذه لعنات سوداء تصيب الأسرة، أشبه بوالديها.
أما الاستقامة Dicta فتضيء في المساكن المظلمة بالدخان،
وتُعلي قدر من كان فاضلاً. تهرب الاستقامة من القصور المرصعة
بالذهب حيث أيدي الرجال ملوثة، وتشيح عنها بعينها، متخذة
طريقها إلى البيوت الطاهرة لأنها لا تعبد قوة الثروة الموصومة
بالزيف من جراء مدح الرجال، وتقود جميع الأشياء نحو هدفها
الصحيح.

[يدخل أجاممنون وكاساندرا في
عربة، مع كثير من الحاشية]

مرحباً بك يا مليكي، يافاتح طروادة، وسليل أتريوس! كيف أرحب
بك؟ كيف أقدم لك فروض الولاء، لا متخطياً ولا مقصراً عن
القدر الواجب من التبجيل؟ إذ يفضِّل كثير من البشر المظهَر على
الحقيقة، وبذا يحيدون عن الحق. فكل فرد على استعداد للتنهد،
مُبدياً الأنين على التعساء، رغم عدم وصول لدغة الحزن الحقيقي

إلى القلب، وينضمون إلى فرح الآخرين بعطف ظاهر وهم يرغمون وجوههم على الابتسام. غير أن الراعي المدرك لقطيعه لا تخدعه عيون أولئك الرجال، الذين بينما يدّعون إخلاص قلوبهم، يتملقونه بمحبة مشوبة بالماء[1].

عندما نظّمتَ، في الماضي، الجيوش في قضية هيلينا، صوَّرْتُك في عيني (ولا أُخفي هذا عنك) بأبشع الملامح، وخُيِّل إليَّ أنك لم تحسن قياد دفة عقلك بالسعي إلى بعث الشجاعة في الأموات عن طريق تضحياتك.

أما الآن، فمن أعماق قلبي، وبغير افتقار إلى محبة... فإن كدح من فازوا بالنجاح بهجة لهم. وبمرور الزمن، ستعلم على وجه التحقيق مَن مِن شعبك كان أميناً، ومن منهم كان غير لائق لحراسة الدولة.

أجاممنون : أُحَيِّي أرجوس أولاً، كما هو حق وواجب، والآلهة الساكنين فيها الذين ساعدوني في عودتي بالسلامة، وفي إنزال العدالة بمدينة بِرياموس. إذ دون الإصغاء إلى أية توسلات بكلام الفم[1]، ودون اختلاف الآراء، وضعوا أزلامهم في طاس الدم، مقررين دمار إيليوم بالقتل، ولكن الأمل وحده اقترب من طاس الخلاص الذي لم يملؤه أحد. ما برح الدخان حتى هذه الساعة يعلن عن سقوط المدينة. ولا زالت تيارات الدمار حية، وبينما يلفظ الرماد أنفاسه الأخيرة، ينفث دماً غزيراً من الثروة. وإزاء هذا النجاح، يتحتم علينا أن نقدم للآلهة ما يليق بهم في شكر واعتراف بالفضل، عالمين أننا قد طوقنا المدينة بنطاق من الانتقام، وفي قضية امرأة،

---

(١) الكناية هنا تشبيه بالخمر المخففة بالماء الكثير.

(٢) و «دون أن يسمعوا توسلاتٍ من اللسان» ـ كما لو كان الأغارقة والطرواديون يشنون الحرب بالكلام، أمام محكمة بشرية ـ وإنما ببصيرة إلٓهية تدرك الأقدار الحقيقية لهذه القضية

دمرها حيوان أرجوسيّ مفترس، هو نسل الحصان[1]، عبارة عن جماعة مسلحة بالتروس، ثبت في وقت اختفاء الپلباديس Pleiades. خيَّمَ الأسد المفترس فوق أسوارها العالية، ونهل كفايته من الدم الملكيّ.

أتقدم بهذه المقدمة المطولة للآلهة، أما فيما يختص بعواطفك - التي سمعتُها ولا تزال عالقة بذاكرتي - فأوافق عليها، وستجد منيْ حامياً، فقليل من الناس فُطروا على الإعجاب، دون حسد، بما ناله صديق من حظ طيب. أما سم الحقد فيستقر على القلب، ويضاعف عبء المصاب بهذا المرض: إذ تثقله مصائبه الخاصة، ويتذمر لرؤية رخاء غيره. ومن المعرفة - لأنني مُلِّمٌ تمام الإلمام بمرآة المرافقة - يمكنني أن أصف المدّعين بالوفاء الجمّ، لي، بأنهم ظل شبح[2]. فأوديسيوس Odysseus وحده، الذي أبحر ضد رغبته، اختُبر ذات مرة، فأثبت أنه زميل وفيٌّ وغيور. أقرر هذا عنه، سواء أكان على قيد الحياة أم في عداد الأموات.

أما عن الباقي، فيما يختص بالدولة والعبادة العامة، فسنُعيِّن مجالس عامة، ونتناقش في اجتماع كامل. فبما أن كل شيء يسير على ما يرام، يجب أن نأخذ المشورة حتى يدوم هكذا مدة طويلة، أما فيما يحتاج إلى علاج شافٍ، فسنحاول درء شر المرض باستخدام الكي أو المشرط.

والآن! سأحضر إلى أبهاء قصري، وإلى وطيس أسرتي، وأقدم

---

(١) الحصان الخشبي.

(٢) تعتبر هذه الترجمة Homilias Katoptron بمعنى أن المرافقة تكشف حقيقة أخلاق رفقاء الإنسان. وهناك ترجمة أخرى تعتبر Katoptron بمعنى ناقص - وفيها يناقض التشبيه الواقع - ويجعل eidwilon و Katoptron و dokountas، في تعارض.

التحية أولاً للآلهة، فقد أوصلوني إلى هناك، ثم أعادوني ثانية إلى وطني. عسى ذلك الظفر الذي رافقني، أن يظل معي إلى النهاية!

[ينزل من عربته، تدخل كلوتايمنسترا تتبعها خادمات يحملن طنافس أرجوانية]

كلوتايمنسترا: يا أعضاء مجلس أرجوس، أيها الشيوخ الحاضرون هنا، لن أخجل من الاعتراف في حضرتكم بشغفي بزوجي - إذ يموت الحياء في الإنسان مع طول الوقت.

يمكنني أن أحكي لكم، دون أن أتَعَلَّمَ من غيري، ما لقيته في حياتي الشاقة طوال غياب سيدي هذا وراء أسوار إيليوم. فأولاً. وقبل كل شيء، إنه شرٌّ مليء بالفزع للزوجة أن تمكث في بيتها مهملة ومنفصلة عن زوجها، تسمع باستمرار شائعات خبيثة متعددة النواحي، ويأتيها رسول وراء آخر، يحمل إليها أخباراً بالمحن، كل محنة أفظع من سابقتها، ويصيح بها أمام أفراد الأسرة. أما عن الجروح، فقد أصاب منها سيدي هذا الشيء الكثير، كما ظلت الشائعات تتوالى على بيتي، حتى إنه ما من شبكة أكثر منه ثقوباً. أو إذا كان قد مات، كما قالت التقارير الكثيرة، فلا بد أنه، والحق يقال، ذو ثلاثة أجسام - إنه جيروون Geryon ثان[1] - ويفخر بأنه حمل فوقه ثلاثة أغطية من الثرى [الغطاء المناسب منها هو العلوي، أما السفلي فلن أتحدث عنه] ميتة لكل شكل من الأشكال المتعددة، وكم من مرة، بمثل هذه القصص الخبيثة، حلَّ غيري حبل المشنقة المعلق عالياً، عن رقبتي، بعد أن التفَّ حولها بإحكام. والحقيقة، أنه بسبب هذا، لا يقف ولدنا

(١) جيرون هذا عملاق يُطلق عليه هنا «ذو الأجسام الثلاثة»، ولكنه يسمى عادة «ذو الثلاثة الرؤوس»، الذي طرد هرقلُ ثيرانَه عن إسبانيا.

أوريستيس Orestes هنا بجانبي، كما كان ينبغي له ـ ذلك الـذي ينحصر فيه حبي وحبك. كلاً، لا تظنَّنَّ هذا أمراً غريباً، لأنه في حماية وعناية حليفنـا الوفيّ ستـروفيوس الفـوكيّ Strophius of Phocis، الـذي حذّرني بـالأخطار مـرتين ـ الخطر المحـدق بك تحت أسـوار إيليوم، وخـطر احتمال قيـام الشعب بتمـرد، فيغيـر المجلس، كما جُبل الناس على أن يطئـوا بأقـدامهم من سقط. حقاً، ليس هذا العذر وليد الخداع.

أما عن نفسي، فقد جفَّ تماماً ينبوع دموعي المتدفق ـ ولم يبق فيه قطرة. فتقرَّحَت عيناي من كثرة البكاء أثناء سهر الليالي الـطوال، أنتظر إشارات النار المُعَدَّةَ لأجلك، غيـر أنها بقيت محتجبـة منذ ذلك الوقت. وكثيراً ما أيقظني طنين البعوض الخافت، من أحلام رأيت فيها مكاره تصيبك، تربو عدداً على ما يستطيع وقت النوم.

أمـا الآن، وقـد لاقيت كـل هـذا، تخلَّصَ قلبي من قلقـه، وإني لأرحب بسيدي هنا بصفته الكلب حارس القطيع، وحبل الصاري المنقـذ للسفينة، والعمـود الـراسـخ الأساس، الحـامـل للسقف السامق، والابن الوحيد، الذي يرجوه أبـوه، والأرض التي يراهـا مَن في البحر بعد فقدان كل أمـل في النجاة، والفجـر الذي هـو أجمل ما ينظر إليه الناس بعد العاصفة، والينبوع المتدفق، الذي يطفيء ظمأ المسافر ـ فما أحلى أن يتخلص المرء من كل متاعبه وقت الحاجة. هكذا، بحق، هو الترحيب الذي أعتبره جديراً به. ولكن، عسى أن يبتعـد «الحسد» نـائياً[1]، إذ كثيـرة هي المكاره التي تحمَّلناها من قبل.

والآن أرجوك، يا سيدي العزيز أن تنزل من عربتك هذه، ولكن لا

(١) تدعو كلوتايمنسترا حسد الآلهة بخطابها الفظ، بينما تتظاهر بأنها تسترحمهم.

تضـع قدمـك هذه على الأرض العـاديـة، يـا مليكي، تلك التي داست إيليوم [إلى خادماتها] لماذا هذا التلكؤ، أيتها النسوة، من كلفتكن بفـرش طريقـه بالـطنافس؟ أسـرعن! افـرشن طـريقه بالأرجوان، حتى تدخله العدالة بيتاً لم يأمل قط في أن يراه. وأما ما بقي فستأمر به يقظتي الساهـرة، كما يليق بـه ـ وعسى أن يسـ الإله ـ كما رُتِّب تماماً.

أجاممنون : أي بنت ليدا، يا حـارسة بيتي، إن قـولك ليتفق تمـاماً مـع طول غيبتي، إذ قد نمّقتِه بالطول المناسب. بيد أن الثناء اللائق ـ يجب بحق أن يصدر من شفاه أخرى. وأما فيمـا يختص بما بقي، فـلا تُدَلِّليني على طريقة النساء، ولا تتذللي إليَّ هكذا بالثناء العريض كما لو كنتُ أحد البرابرة[1]، ولا تُنزل الحسد إلى طريقي عنده تفرشينه بالطنافس. فالآلهة هم الأَوْلى بالإكرام هكذا، أمّا أن يد الإنسان الستائر الموشاة، فأعتقد أنه مـدعاة للرعب، وليس هـذ بغير سبب. آمركِ بـألا تبجليني كإلَـه، بل كـإنسان. فـالطنـافس والستـائـر ذات الـوشي الجميـل، والمخـالفـة تمـامـاً لصـوت «الإشاعة»، هي أعظم هديـة للسماء، إذا كـان لنا أن نفكـر بغير حماقة. لا نجرؤ على أن نعتبر أمراً سعيداً إلا إذا انتهت حياته في رخاء، وإذا تصرَّفت في كـل شيء كما أتصـرَّف الآن، فأنـا واثق تمام الثقة من أن تنتهي حياتي على هذا النحو.

كلوتايمنسترا : كلاَّ، لا تقُل هذا القول، لئلا تحبط مسعايَ.

أجاممنون : مسعاكِ! كوني على يقين من أنني لن أُضعف مسعايَ، أنا نفسي.

كلوتايمنسترا : لا بد أنك نذرت إلى السماء، أثناء خوفك، أن تفعل هكذا.

---

(١) يفسر البعض هذه العبارة هكذا: «ولا تتذلّلي إليَّ كما لو كنتُ أحد رؤسـاء البرابرة».

أجاممنون : قررتُ أن يكون هذا كلامي الأخير، إذا كان للمرء أن يتكلم، وأنا مقدِّر عاقبة كلامي كل التقدير.

كلوتايمنسترا: ماذا تظن أن يفعل برياموس لو أحرز النصر الذي أحرزتَه؟

أجاممنون : كان يضع قدمه فوق الطنافس الموشاة، أعتقد هذا حقيقةً.

كلوتايمنسترا: إذن فلا تَخَفْ من الشرور التي قد تصيب البشر.

أجاممنون : ومع ذلك، فإن صوت الشعب قوة عاتية.

كلوتايمنسترا: هذا حقيقي، ولكن مَن لا يُحسد فهو غير قابل للحسد.

أجاممنون : لا شك في أنه ليس من واجبات المرأة أن تولع بالمباريات.

كلوتايمنسترا: نعم، ولكن يليق بالظافر السعيد أن يُخضع النصر نفسه.

أجاممنون : ماذا؟ أهذا نوع النصر في القتال، الذي تُقَدِّرينه هذا التقدير؟

كلوتايمنسترا: يجب أن تخضع! ومع ذلك، فينبغي لك، أن ترضى، عن طيب خاطر، بأن تترك هذا النصر معي.

أجاممنون : حسناً، طالما أنكِ تصرين على أن تفعلي ما اعتزمتِ عليه، فأسرعي باستدعاء من يحلّ نعالي، التي تقوم، كالعبيد، بخدمة موطيء قدمي! عسى، وأنا أدوس فوق هذه الثياب الأرجوانية ألا أُضرب من بعيد بلحاظ أية عين سماوية غيورة، إنه لمن العار أيّ عار لقدمي أن تتلف أمتعة البيت بتبذير الثروة والأنسجة الثمينة القيّمة.

يكفي هذا من أجل ذلك. استقبلي هذه الفتاة الغريبة برفق في البيت. ينظر الرب من بعيد بعين العطف على السيد الرقيق، فلا أحد يحمل نير العبودية من تلقاء نفسه. ولكنها أروع زهرة في ذلك الكنز الثمين، قد تبعت ركبي، هدية جيشي.

وبما أنه يتحتم عليَّ أن أطيعك في هذا، فسادوس على ممر من الأرجوان وأنا أدخل إلى أبهاء قصري.

كلوتايمنسترا: لدينا البحر (ومن ذا الذي يمكنه أن ينزحه حتى يجف؟) ينتج صبغة من الأرجوان الكثير الثمين كالفضة، والطازج دائماً، فنصبغ به ثيابنا؛ وبفضل السماء، يوجد منه في بيتنا مخزون مناسب، فلا يعرف فقراً، كان بوسعي أن أكرس ثياباً كثيرة لكي توطأ تحت الأقدام لو طُلب مني ذلك في مقعد الوحي عندما كنتُ أدبر أمر افتداء حياتك. فطالما الجذر حيّ، فإنه يُخرج الأوراق ثانيةً في البيت، وينشر ظله الممدود أمام نجم الشِّعري Dogstar اللافح، وبما أنك قد أتيتَ الآن إلى بيتك ووطيسك، فقد برهنتَ على أن الدفء قد أتى في وقت الشتاء، نعم، وعندما يصنع زوس خمراً من العنب المُرّ[1]، ستكون في البيت عندئذٍ برودة عندما يخطر سيده الشرعيّ خلال أبهائه. [بينما يدخل أجاممنون القصر]. أي زوس، أي زوس، يا من تحقق صلاتي! لتكن عنايتك بما تقصد أن تحققه!

[تخرج]

الكوروس : لماذا يخلق هذا الرعب باستمرار عند أبواب نفسي المتنبئة؟ لماذا تنشد أغنيتي نغمات التنبؤ دون أن تؤمَر أو تُحَث؟ لماذا لا تستقر روح الاطمئنان على عرش صدري، وتطرد الخوف كأنه حلم متعذر التفسير؟ بيد أن الزمن قد جمع رمال الشاطيء فوق حبال السفن التي أُلقيت عليه عندما رحل الجيش المحمول بالسفن إلى إيليوم[2].

---

(١) أي عندما تُنضج حرارة الصيف العنب.

(٢) معنى الفقرة الإغريقية (التي لم تصحح تماماً بصفة مقبولة) هو أن وقتاً طويلاً قد مرَّ منذ أن =

لقد تأكدتُ من عودتهم إلى الوطن، بعينَي رأسي، ولا حاجة إلى شاهد آخر. ومع ذلك، فلا تزال نفسي تدندن في داخلي بعديد «الروح المنتقمة» غير الموسيقيّ، ولا تستطيع تماماً أن تظفر بالاطمئنان المعتاد إلى الأمل. لا يقلق صدري بغير سبب عندما يخفق قلبي داخل صدري المتنبيء خفقات ثائرة تتنبأ بتنفيذ نبوءة الشر. ولكني أرجو ألا يتحقق ما أتوقعه، وأن يثبت خطؤه.

الواقع أن الصحة لا تستقر راضية داخل حدودها المعينة، إذ يضغط المرض عليها من قريب، فصار جارَها بحائط مشترك[1].

وهكذا الحظ البشريّ، إذا استمر في مسيره في طريق مستقيم اصطدم فجأة بحاجز خفيّ من حواجز المصائب. ومع ذلك، فإذا ألقى الحذر من على ظهر السفينة، برمية حسنة التقدير، جزءًا من الثروة المجموعة، فلن يغرق ذلك البيت المشحون بالمحن، ولا يبتلع الهيكل[2]. حقيقةً، إن هدية سخية وعظيمة من زوس، ومن الحظوظ التي تنهال سنوياً، تثبت غائلة المجاعة.

غير أن دم الإنسان، إذا ما سُفك وأريق على الأرض بالقتل، في تيار قاتم، فمن ذا الذي يستطيع أن يسترجعه بتعويذة سحرية؟ فحتى ذلك[3] الذي يملك براعة الإنهاض من بين الموتى - ألم يُنْهِ زوس حياته تحذيراً لغيره؟ وإذا لم يأتِ قضاءٌ تأمر به الآلهة فيمنع

=احتجز غضب أرتيميس الأسطول الذي تحت إمرة أجاممنون، في أوليس، حتى إنه إذا صحّ تنبؤ كالخاس بالشر، فلا بد أنه قد تمّ منذ زمن بعيد.

(١) تجاهلت الصحة حدودها ولم تنفصل عن المرض إلا بخط فاصل رفيع. والفكرة الكامنة هنا هي أن العلاج لو استخدم في الوقت المناسب فقد ينقذ الجسد.

(٢) يُشَبَّه بيت أجاممنون المفعم بالنكبات، بسفينة مشحونة بأكثر مما تستطيع أن تحمل، فإذا لم يُخفَّف عنها جزء من حمولتها، غرقت. ولما كان هناك التباس بين الرمز والمدلول، قيل بجرأة إن domos «تُغرق هيكلها».

(٣) أيسكولابيوس Aesculapius الذي نسفته صاعقة زوس بسبب هذا الجرم.

قضاءً آخر من التغلُّب، سيطَرَ قلبي على لساني وأدلى بما يحس به من نبوءات[1]؛ ولكن الواقع أنه يتمتم في الظلام فقط، عاجزاً ومكتوف الأيدي عن فعل أي شيء في الوقت المناسب عندما تتأرجح ثورة النفس.

[تدخل كلوتايمنسترا]

كلوتايمنسترا: ادخلي، أنتِ أيضاً، يا كاساندرا[2]، إذ عطَفَ عليك زوس، فعيَّنك شريكة في الماء المقدس لبيت تستطيعين أن تعيشي فيه مع كثير من الإماء الأخريات، عند مذبح الإله الحارس لثروة هذا البيت. انزلي من العربة، ولا يركبَنَّ الصلف رأسكِ، فحتى ابن ألكميني Alcmenc[3]، كما يقول الناس، احتمل في قديم الزمان، أن يباع ويذوق خبز العبودية، فإذا نزل مثل هذا الحظ، كُرْهاً، على شخصٍ ما، فلديه سبب طيب للشكر على كون سادته من ذوي الثراء القديم، لأن الذين جَنَوْا محصولاً وفيراً من الممتلكات، فوق ما كانوا يأملون، قساة على عبدهم في كل شيء، وتبلغ بهم القسوة أن يتعدُّوا الحدود اللائقة. ولقد نلتِ منا معاملة، تبعاً لما تضمنه العادات.

الكوروس : إنكِ أنتِ التي كانت تتحدث إليها، وتحدَّثتْ في وضوح. وبما أنكِ تحت رحمة المصير، فخليق بكِ أن تطيعي، إذا كان لكِ ميْل إلى الطاعة، ولكن مثلكِ لا يطيع.

---

(١) يوقف الأمل الثائر زيادة التعبير عن التنبؤات، فبما أن القوى الإلهية تصطدم معاً أحياناً، فقد يكون بالإمكان منع مصير أجاممنون المنحوس بواسطة قضاء أعلى، يأمر بإنقاذه من عواقب سفكه دم إيفيجينيا .

(٢) احتفظتُ بصورة الاسم في كل من الإغريقية والعربية.

(٣) هو هرقل الذي بيع عبداً إلى أومفالي Omphalc ملكة ليديا Lydia بسبب قتله إيفيتوس Iphitus.

كلوتايمنسترا : حسناً، إذا لم يكن كلامها غريباً ولا مستهجناً، مثل كلام طائر الخطاف، وجب عليَّ أن أتكلم في حدود عقليتها وأجبرها على الطاعة.

الكوروس : اذهبي معها. فقد تركتْ لك أن تختاري خير ما هو متروك لكِ. افعلي ما تأمركِ به، واتركي مقعدكِ في العربة.

كليتمنسترا : ليس لديَّ متسع من الوقت - لاحظوا هذا - لأتلكأ في الخارج هنا مع هذه المرأة؛ لأن الضحايا واقفة الآن عند المذبح الرئيسي في انتظار الذبح - وهذا سرور لم نتوقع إطلاقاً أن نحصل عليه. أما أنتِ، فإذا كان لكِ أن تقومي بأي دور هناك، فلا تبطئي. ولكن. إذا عَجِزتِ عن الفهم، ولم تفهمي معنى كلامي، فبدلاً من الكلام، عبِّري بإشارة من يدكِ البربرية.

الكوروس : يلوح أن هذه الغريبة في حاجة إلى مترجم، على أن يكون مترجماً واضح الألفاظ. فهي تبدو كحيوان وحشيّ صيد حديثاً.

كلوتايمنسترا : كلّا، بل هي مجنونة وتصغي إلى حالتها الوحشية، لأنها قدمت إلى هنا من مدينة استُولي عليها حديثاً، ولا تعرف كيف تتحمل محنتها، حتى تنطق بالدم، كلّا! لن أضيع وقتاً في التحدث إليها عبثاً، فأُهان هكذا.

[تخرج]

الكوروس : وبما أنني أشفق عليها، فلن أغضب. أرجوكِ، أيتها البائسة، أن تتركي العربة؛ اخضعي للحاجة، وخذي عليكِ هذه النكتة الطريفة.

كاساندرا : يا ويلتي، ويلتي، ويلتي! وا أبولو، وا أبولو!

الكورووس : بحق اسم لوكسياس Loxias، لماذا هذا الصراخ، «بالويلات»؟ ما من إله يهتم بمن يعولون.

كاساندرا : يا ويلتي، ويلتي، ويلتي! وا أبولو، وا أبولو!

الكورووس : ها هي تصيح مرة ثانية بألفاظ طالع النحس، تنادي الآله الذي يبدو أنه لا يكون حاضراً في وقت العويل.

كاساندرا : أي أبولو، أي أبولو! يا إله الطرق[١]، ويا مهلكي! لأنك أهلكتني - وأهلكتني تماماً - هذه المرة الثانية[٢].

الكورووس : يُخيَّل إليَّ أنها تكاد تتنبأ بما يختص بمحنتها. لا تزال روح التنبؤ مقيمة حتى في روح الشخص المستعبَد.

كاساندرا : أي أبولو، أي أبولو! يا إله الطرق، ويا مهلكي! أيّ طريق هذا الذي أحضرتني إليه! إلى أيّ بيت جئتَ بي!

الكورووس : إلى بيت أبناء أتريوس. فإن كنتِ لا تعلمين هذا، فسأخبركِ به. ولن تقولي لي إنه كذب.

كاساندرا : كلاّ، كلاّ، بل إلى بيت تمقته السماء، بيت يعرف مقتل كثير من الأقارب، إنه مذبح (سلخانة) للبشر، وأسقفه تسبح في الدم.

الكورووسر : يُخيَّل إليَّ أن هذه الغريبة حادة حاسة الشّمّ كأنها كلب صيد، إنها في طريق يكشف عن الدم.

---

(١) ترى كاساندرا صورة أبولو، الحامي وقت الرحلات، بجانب الباب المؤدي إلى الطريق.

(٢) أخذت كلمة Apollwm هنا من appollumi بمعنى «يهلك» Nomen omen. أهلكها الرب في المرة الأولى إذ منحتها موهبة التنبؤ، دون ما فائدة (سطر ١٢٠٩ وما بعده). فصارت بها موضع السخرية في طروادة.

كاساندرا : نعم، هنا الدليل الذي أثق به! انظروا إلى أولئك الأطفال الـذين يبكون ذبحهم، ولحمهم المطهو الذي أكله أبوهم!

الكوروس : لقد بلغت شهرتكِ في قراءة المستقبل، آذاننا؛ ولكننا لا نطلب العرافين.

كاساندرا : أيها الإله، ما عساه يكون ذلك الذي تنوي هي فعله[1]؟ مـا هذه الكارثة الغريبة التي تنوي أن تفعلها هذه المرأة داخـل البيت، ما هذه الفظاعة الوحشية التي فوق ما يطيقه الحب، والتي لا يجدي فيها أي علاج؟ ويقف العون بعيداً عنها[2]!

الكوروس : تفـوق هذه التنبؤات فهمي، ولكنني أفهم تلك ـ فـالمدينـة كلهـا تدوي بها.

كاساندرا : واهاً لكِ، يا امرأة الصيـد، إذن فستُنَفِّذين هـذه الفعلة؟ زوجكِ، وشريك فـراشكِ، عنـدما رحّبتِ بـه في الحمام، هـل ستفعلينها ـ كيف لي أن أخبر بالنتيجة؟ نعم، سرعان ما ستتم. الآن ستمـد هذه اليد، وتمد الأخرى بعدها!

الكوروس : لم أفهم بعدُ، إذ بعد هذه الألغاز، تولتني الحيرة في هـذا الوحي الغامض.

كاساندرا : ها! ها! ما هذا الشبح؟ هل هي شرك الموت؟ كلّا، إنها الشـرك الذي يقاسمه فراشه، المشترك في جريمة القتل. فلتُطلق الجماعة القاتلة الخطرة، التي لا تشبع قط ضد البشر، صيحة الفرح لهذه الضحية الملعونة[3]!

الكوروس : أيّ روح انتقام هذه التي تأمرينها بأن ترفع صوتها عالياً فـوق هذا

---

(١) تلاعب بالاسم (medomai) Klutaimnestra .

(٢) مينيلاوس (قارن السطر ٦٧٤) أو أوريستيس.

(٣) المعنى الحرفي هو «التي تستحق الرجم»

البيت؟ لا يطربني قولكِ هذا. تعود قطرات دمي الشاحب أدراجها إلى قلبي في موجات كما لو كانت تتدفق من جرح مميت، تنحسر بعيداً تهبط الروح إلى أسفل، ويأتي الموت مسرعاً.

كاساندرا : هيّا، هيّا، انظروا إلى هناك انظروا إلى هناك! أبعدوا الثور عن رفيقته! لقد قبضتْ عليه في الثوب وتنطحه بطريقة ماكرة، بقرنها الأسود! يقع في حوض ماء! أخبركم بالمصير المسبَّب بالخداع في حمّام قاتل.

الكوروس : لا أستطيع أن أفخر بأنني قاض ماهر في التنبؤات، غير أنني أعتقد أن هذه تنذر بِشَرٍّ ما. أية كلمة طيبة تأتي إلى البشر من التنبؤات؟ فبمصطلحات الشّر تجعل فنونُها اللفظيةُ البشرَ يعرفون الخوف المُنشَد في نغمات تنبؤية.

كاساندرا : وا أسفاه، وا أسفاه، يا لحزن مصيري المنحوس الطالع! إنني أبكي من أجل عذابي المتوَّج للكأس. إلى أي مصير أحضرتني إلى هنا، أنا التعيسة؟ لا لشيء، إلا لأموت ـ ولن أموت وحدي. ماذا غير هذا؟

الكوروس : إنك لمضطربة النفس، وقد سيطر عليكِ إلهٌ ما، وتبكين قضاءكِ بنغمات وحشية كالعندليب البُنّيّة اللون، التي لا تكف إطلاقاً عن العويل (ويْلي!)، وتتأوه من شدة محنتها قائلة «إيتوس، إيتوس Itys، وتقضي طيلة أيامها في الحزن.

كاساندرا : يا لمصير العندليب المغردة! كستها الآلهة في صورة مجنحة ومنحتها حياة حلوة خالية من الدموع[1]. بيد أنه ينتظرني هلاك بسيف ذي حدين.

---

(١) تعول تلك العندليب (سطر ١١٤٤) دون أن تعي معنى عويلها.

الكوروس : من أين تـأتي آلام الحزن التنبؤية هذه، عـديمة الجـدوى، التي تهاجمكِ؟ ولماذا تلحنين هذه الأهوال بصيحات حـزينة ممـزوجة بالأصوات الحادة النفاذة؟ من أين تعرفين حدود طريق تنبؤكِ هذا المنبيء بطالع الشؤم؟

كاساندرا : يـا للعروس، عـروس باريس، المصحـوبة بهـلاك أقاربـه! لهفي عليك، يا سكاماندر، يا نهري الوطني! نشأتُ، أنا الفتاة التعيسة، على شاطئيك، في الأيام الخوالي، ورُبِّيت بعناية، أما الآن فأعتقد أنني سـرعان مـا سأنشـد نبوءاتي بجـانب كـوكـوتـوس Cocytus وضفاف أخيرون Acheron.

الكوروس : ما هذه الألفاظ التي تقولين، الألفـاظ الواضحـة كل الـوضوح ؟ التي لو سمعها طفل حديث الولادة لفهمها. لقد أصابني ألم قاتل، الآن، من جراء حظكِ القـاسي، فإنـك لتصيحين عاليـاً بشكواكِ المحزنة التي ينفطر قلبي لسماعها.

كاساندرا : يا للمحنة، محنة مدينتي المدمَّرة تماماً! وا أسفـاه على الضحايـا التي قدّمها والدي، والمواشي الراعية الكثيـرة التي ذُبحت لإنقاذ قلاعها! ومع ذلك فهي لم تُجْدِ فتيلاً في إنقـاذ المدينـة من الألم الذي ألمَّ بها، أمَّا أنا، وروحي متوقدة لهيفة، فسرعان ما سيتحتم عليَّ أن أسقط على الأرض.

الكوروس : يرن حديثك الحالي بنغمات الآلام السابقة. من المؤكد أن روحاً خبيثـةً مـا، تنقَضُّ عليـكِ بهجمـة ثقيلة، فتـدفعـكِ إلى الإنشـاد بـويلاتـكِ المحزنـةِ المشوبـة بالمـوت. ولكني عاجـز عن إدراك الغرض من كل هذا!

كاساندرا : انظروا، ما عادت تنبؤاتي، الآن، تظهر خلسةً من وراء قناع، كما لو كانت عروساً حديثة الزواج، ولكنها ستندفع عليَّ واضحة كأنها

ريح جديدة تهب ضد اتجاه الشمس، فتندفع ضد أشعتها في محنة أشد عنفاً من محنتي، كأنها لجة عاتية. ما عُدْتُ أخبركم بأية ألغاز. وهل لكم أن تشهدوا، لي، وأنا أسير خلف الأحداث من كثب، فأشمّ أثر الجريمة التي حدثت في الزمن الماضي. فمن هذا السقف لا تنفكّ جماعة الترتيل تنشد بالإجماع أنشودة غير متناسقة الأنغام، لأنها لا تبشر بخير.

وانظروا، بما أن الإرينويس الساهرات قد شربن من دم البشر لكي تقسو قلوبهن ويصرن أكثر جرأة، فإنهن يسكُنَّ هذا البيت، حتى ليصير من الصعب طردهن منه. وإذ يُقمْنَ داخل أبهائه، فإنهن ينشدن نشيدهن، عن الجريمة الأولى، وكل واحدة منهن تشمئز بدورها، من تلويث فراش الأخ، ولذا، فهن غاضبات أشد الغضب، ضد ذلك الذي لوثه(1). هل أخطأتُ المرمى، أو أنني كبنّاء ماهر، قد أصبتُ هدفي؟ أو هل أنا عرافة أتنبأ بالأكاذيب، وأثرثر من باب إلى آخر؟

اشهدوا، وأقسموا يميناً على أنني أعرف أعمال الإثم القديمة، في القصص، عن هذا البيت

الكوروس : كيف يمكن لقَسَم، مهما أُقْسِمَ بشرف، أن يُجْدي نفعاً في العلاج؟ ولكن يدهشني أمركِ، فرغم نشأتكِ وراء البحر، تتكلمين بأشياء حقيقية عن مدينة أجنبية، كما لو كنتِ موجودة بها.

كاساندرا : إنه العراف أبولو، الذي عيَّنني لأقوم بهذه الوظيفة.

الكوروس : أيمكن، وهو إله، أن يصاب بالرغبة؟

كاساندرا : خجلتُ قبل الآن، من أن أتكلم عن هذا .

---

(1) أي اعتداء ثويستيس على أيروبي Aerope زوجة أخيه أتريوس.

الكوروس : نعم، ننمو كلنا في الرخاء نُمُوّاً طيباً.

كاساندرا : ولكنه جاهد ليحظى بي، معبِّراً عن حبه الشديد لي.

الكوروس : وهل أتيتِ في الطريق القويم لطقوس رباط الزواج؟

كاساندرا : وَعَدْتُ لوكسياس بالقبول، ولكني خلفتُ وعدي.

الكوروس : وهل كنتِ عندئذٍ موهوبة ذلك الفن الذي أوحى إليكِ به هذا الإله؟

كاساندرا : تنبأتُ لقومي، في ذلك الوقت، عن جميع نوائبهم.

الكوروس : وكيف حدث إذن، أن نالكِ غضب لوكسياس؟

كاساندرا : منذ ذلك الخطأ، لم أستطع أن أحث أيَّ شخص بشيء ما.

الكوروس : ومع ذلك، فعلى الأقل، تبدو لنا التنبؤات التي تتكلمين بها حقيقة جداً.

كاساندرا : أواه، أواه! يا للألم الممضّ! عادت نوبات التنبؤ الحقيقي المفزعة تدور في رأسي وتجعلني أشرد من جراء هجومها المنبيء بالشرّ. أتلاحظون أولئك الجالسين هناك ـ أمام البيت ـ تلك المخلوقات الصغيرة الشبيهة بأشباح الأحلام؟ إنها تبدو كالأطفال، قتلهم ذووهم، وتمتليء أيديهم بلحم من لحومهم هم أنفسهم، إنهم واضحون تماماً أمام بصري، يمسكون أحشاءهم وأعضاءهم الداخلية (وهذه عبء ثقيل!) التي ذاقها أبوهم. من أجل هذا أقول لكم إن الانتقام قد دبّره أسد نذل، يتمرغ في فراشه، ويقوم حارساً في البيت (والويل لي!) ضد عودة سيدي إلى بيته ـ نعم، سيدي، إذ يجب عليَّ أن أحمل نير العبودية. لا يعرف قائد الأسطول ومدمر إيليوم، إلا القليل عن الأفعال التي ستتم في نهاية شريرة بواسطة تلك الكلبة المقيتة، التي لعق لسانها يده، والتي أصغت

بآذانها في غبطة وسرور، مثلما فعلتْ آتي Ate الخائنة. إن لها مثل هذه الجرأة ـ أن تقتل امرأة رجلاً.
باسم أيِّ وحش مقيت أسميها، كما تستحق؟ هل أسميها «أمفيسبابينا Amphisbaena»[(1)]؟ أو سكولاّ Scylla، ساكنة الصخور، ورعب الملاحين، التي تقف سدّاً شريراً، وتشن الحرب ضد سيدها في غير ما هوادة؟ وكيف تأتّى لهذه المرأة الجريئة كل الجرأة أن تُطلق صيحة النصر، الشبيهة بصيحة النصر عندما تحولت المعركة، وتظاهرت بالفرح بسلامة عودته! ومع ذلك، فالأمر سيان، سواء حظيتُ بالثقة أم لم أحظ بها. وما أهمية ذلك؟ فلا بد مما ليس منه بد. بسرعان ما ستقول عني، أنت نفسك، أيها الحاضر هنا، وأنت تأسف لي، إنني عرافة صادقة كل الصدق.

الكوروس : عرفتُ وليمة ثويستيس على لحم أولاده وأرتعد لها. إن الرعب ليتملكني وأنا أسمع الحقيقة، فلا شيء مختلق من الكذب وأُضفي عليه ثوب الحقيقة. ولكن حار أمري ولست أفهم شيئاً من الباقي الذي سمعتُه.

كاساندرا : أقول إنك سترى أجاممنون ميتاً.

الكوروس : خففي من حدة ألفاظك، أيتها الفتاة التعيسة، واستعملي ألفاظاً مناسبة للرحمة.

كاساندرا : كلاّ، فليس بوسع أي إله شافٍ أن يسيطر على ما أُخبر به.

الكوروس : كلاّ، إن كان لا بد من حدوثه؛ ولكن عسى ألاّ يسمح الإله!

(١) الأمفيسبابينا أفعى خرافية «تتحرك في كل من الاتجاهين» إلى الأمام وإلى الخلف. وقال تنيسون Tennyson «إنها أمفيسبابينا، تلدغ بكلا طرفيها» مكرراً بذلك وصف بليني Pliny .

كاساندرا : إنك إنما ترجو، ولكن عملهم القتل.

الكوروس : أيّ رجل هذا الذي دبر هذه الشرور؟

كاساندرا : لا شك في أنك لم تفهم معنى تنبؤاتي.

الكوروس : نعم، طالما أنا لا أفهم خطة من سيقوم بهذه الفعلة.

كاساندرا : ومع ذلك، أعرف جيداً كلام هيلاس.

الكوروس : وهكذا أيضاً تنبؤات الوحي البوثيّ Pythian؛ ورغم هذا فهي عسيرة الفهم.

كاساندرا : رحماك، رحماك! ما هذه النار! إنها تُقبل عليَّ! ويحي! ويحي! يا أبولو اللوكي[1] ويلي، ويلي! ستقتلني-هذه اللبؤة ذات القدمين، التي تضطجع مع ذئب في غياب الأسد النبيل، فما أشقاني. إنها تدبر خطة القتل، وتقسم اليمين على أنها ستقتلني أنا أيضاً في حمأة غضبها، بينما هي تشحذ سيفها ضد سيدها، لتنتقم منه بالقتل جزاءً على إحضاره إياي إلى هنا. إذن، فلماذا أحمل وسائل السخرية من نفسي، عصا الساحر هذه، وهذه التمائم التنبؤية التي أضعها حول رقبتي؟

[تكسر عصاها وتقذف بها، كما تقذف بأدوات التنبؤ الأخرى على الأرض، وتدوسها تحت قدمها]

لا أقلّ من أن أُحطم هذه قبل أن أموت أنا نفسي. إلى الدمار، يا هذه! وإذ تسقطين هكذا، فأنا أنتقم لنفسي منكِ. زيِّني بالهلاك شخصاً آخر بدلاً مني. انظروا. ها هو أبولو نفسه يجردني من ثوب التنبؤ ـ ذلك الذي نظر إليَّ وسخر مني في احتقار مرير، حتى في

(١) أي أبولو الساطع بصفته إلّه الفجر.

هذه الشجاعة، بواسطة الأصدقاء الذين تحوّلوا إلى أعداء، وكلّهم من رأيٍ واحد، بغير ما سبب ـ ووصفوني ـ كما لو كنتُ مشعوذة شاردة، بأنني «شحاذة» و «حقيرة» و «جائعة»، فتحملتُ كل هذا ـ والآن، إذ أهلكني ذلك العراف، وأنا كاهنته، أحضرني إلى طريق الموت هذا. وبدلاً من مذبح والدي، ينتظرني وَضَمٌ، أُقتل فوقه بضربة الضحية الدموية الساخنة. ولكن رغم هذا، فلن نموت دون أن تأخذ السماء بثأرنا؛ إذ سيأتي شخص آخر، ينتقم لنا بدوره، إنه سليل هذه الأسرة، الذي سيأتي ليقتل أمه أخذاً بثأر أبيه؛ إنه منفي شرير من بلده. سيأتي ليضع الحجر الأخير في هذا الصرح، صرح مظالم العشق في هذا البيت. فقد أقسم الآلهة يميناً مغلظة، أن تعود به جثة والده المقتول الممددة، إلى بلده. إذن، فلماذا أرفع عقيرتي بالبكاء الممزق؟ وبما أنني شاهدت مدينة إيليوم وهي تلقي ما أصابهامن مصير، بينما سيلقى فاتحُها، بحكم السماء، مثل هذه النهاية، فسأدخل وأقابل حتفي. سأجرؤ على أن أموت. أُحَيّي هذا الباب، بصفته باب الموت. وأرجو، إذ أتلقى الضربة القاتلة، أن ينحسر دم حياتي، بدون نضال، وأن أغمض عينيَّ هاتين، في موت سهل.

الكوروس : لهفي عليكِ، أيتها المرأة البالغة البؤس، والبالغة الحكمة! ما أطول كلمتكِ. ولكن. إذا كنتِ حقاً على يقين من معرفة موتكِ، فكيف يمكنكِ أن تدخلي بشجاعة وهدوء إلى المذبح كما يدخل الثور المُقَدَّر له أن يكون ذبيحة؟

كاساندرا : لا مفر، يا أصدقائي، لا، لا، لا مفرَّ إطلاقاً بعد ذلك[1].

---

(١) يفسر أوراتوس Auratus الكلمتين «Chronou plewn» بمعنى «أكثر مما للزمن» و «إلا من أجل الزمن».

الكوروس : ومع ذلك، فإن للأخير ميزة فيما يختص بالزمن .

كاساندرا : حان اليوم المحدَّد، لن أفيد من النضال كثيراً.

الكوزوس : حسناً، كوني مطمئنة من أنكِ تواجهين الآلام بروح باسلة.

كاساندرا : ما من شخص سعيد، يُمدَح هكذا.

الكوروس : ومع ذلك، فمن المؤكد أن الموت بنبل منحة للبشر.

كاساندرا : أسفي عليكَ، يا أبتاه، وعلى أولادك النبلاء!

[تتراجع إلى الخلف مذعورة]

الكوروس : ماذا يؤلمكِ؟ أي فزع يجعلكِ تتراجعين إلى الخلف؟

كاساندرا : خُسئاً، خسئاً!

الكوروس : لماذا تصيحين قائلة «خسئاً»؟ إلا إذا كان هناك فزعٌ ما في، روحكِ.

كاساندرا : تتصاعد من ذلك البيت أبخرة القتل، وتتقاطر منه الدماء.

الكوروس : ماذا تعنين؟ ليست هذه سوى رائحة الذبائح عند الوطيس.

كاساندرا : إنها أشبه بأبخرة المقابر.

الكوروس : ما من بخور سوري جيد، لذلك المنزل الذي تتكلمين عنه.

كاساندرا : كلاّ، بل سأدخل لأبكي، أيضاً في داخل القصر، على مصيري ومصير أجاممنون، كَفَى من الحياة! وا أسفاه، يا أصدقائي، لستُ أحجم بفزع عديم الفائدة، كما يحجم الطير عندما يتوجس خوفاً من شجيرة. هل تشهد لي بهذا، بعد أن أموت ـ عندما ستُقتل امرأة أخرى، من أجلي، وسيُصرع رجل آخر من أجل رجل ذي حظ عاثر في زواجه. أطالبك بهذه المنحة الآن، إذ حان أجَلي.

الكوروس : أرثى لكِ، أيتها المرأة المسكينة، من أجل موتكِ المُتَنَبَّأ به.

كاساندرا : ومع هذا، فلا أزال أتوق إلى الكلام مرة أخرى، ولكن ليس عن نفسي. أتوسل إلى الشمس، في حضور آخر أشعتها أن ينال أعدائي[1] على يد المنتقمين لي عقوبة الدم جزاء قتل عبدة وهي فريسة سهلة. واحسرتاه على حظ البشر! وعندما كانت في عزها، كان بوسع مجرد ظل أن يقلب كل شيء رأساً على عقب[2]؛ فإن كان ذا كوارث، فإن مرور إسفنجة مبتلة يمسح الرسم. وإني لأعتبر هذا الأخير أكثر استدراراً للعطف من ذاك.

[تدخل القصر]

الكوروس : جرت سُنَّةُ الجنس البشري كله ألا يقنع بالرخاء. فلا أحد من الأبهاء الملكية يرفع صوته محذِّراً، وينطق بالعبارة «لا تدخل بعد ذلك». كذلك منح المباركون أميرنا الاستيلاء على مدينة برياموس، وإذ كرَّمته السماء، عاد إلى وطنه. ومع ذلك، فإذا كان عليه أن يدفعْ غرامة الدم الذي أراقه آخرون قبله، وبموته من أجل الموتى، يحقق التكفير عن موت آخرين[3]، فأي رجل من البشر، إذا ما سمع هذا، يمكنه أن يفخر بأنه مولود بمصير عديم الأذى.

[تُسمع صرخة من الداخل]

---

(١) ما من تنقيح عُمل، حتى الآن، لهذه الفقرة المشوهة الغامضة، يمكن أن نعتمد عليه تماماً أو نقرظه. فقد تُرجم النص على أساس قراءة echthrous phoneusin Tous emous حيث phoneusin من عمل بوث Bothe، وأما الباقي فمنسوب إلى ج بيرسون J. Pearson.

(٢) غيَّر بعض الناشرين هذه الفقرة إلى skia tis an Preisthenes بمعنى «بوسع المرء أن يُشَبِّهها بظل» ففهموا كلمة «ظل» إما بمعناها الحرفي، أو بمعنى «رسم».

(٣) إذا كان لا بد لأجاممنون الآن من أن يدفع الثمن عن جريمة والده إذ قتل أولاد ثويستيس، ويكفِّر بموته عن قتله إيفيجينيا، فإنه إنما يجازي بذلك آخرين، بموتين آخرين (أي موت كلوتايمنسترا وأيجيسثوس).

أجاممنون : يا ويلتي! ضُربتُ عميقاً بضربة قاتلة!

الكوروس : الزموا الصمت! من هذا الذي يصرخ، جريحاً بضربة قاتلة؟

أجاممنون : ومرة أخرى، وامصيبتاه! ضُربتُ ضربة ثانية.

الكوروس : أعتقد أن الجريمة تمَّتْ ـ إذا كان لي أن أحكم من صراخ الملك. ولكن، هيَّا بنا نتشاور معاً عسى أن نوفق إلى خطة مأمونة العاقبة يمكننا اتخاذها.

**[يتداول أعضاء الكوروس معاً،
ويدلي كل منهم برأيه فيما يجب
عليهم أن يتبعوه]**

(١) هأنذا أخبركم برأيي: نادوا أهل المدينة ليُحضروا نجدة إلى هنا، إلى القصر.

(٢) في اعتقادي، أنه يجب علينا أن نقتحم القصر، ونتهمهما بالجريمة والسيف لا يزال يقطر دماً في أيديهما.

(٣) وأنا أوصي بأن نقوم بمثل هذا العمل، ونجمع الأصوات لاتخاذ خطةٍ ما. ليس هذا وقت التواني.

(٤) الأمر واضح جليّ. تدل فاتحة عملهما على أنهما يزمعان إقامة حكم الطغيان في المملكة.

(٥) نعم، لأننا نضيع الوقت بينما هما ينتفعان من ذلك الاسم الممجَّد «التواني» فلا يسمحان لأيديهما بأن تغفو.

(٦) لستُ أعرف أية خطة أقترح. فإن من دور الفاعل، أيضاً، أن يقترح الخطة.

(٧) وأنا من هذا الرأي أيضاً، إذ لا أعرف طريقة تُرجع الميت إلى الحياة بمجرد الكلام.

(٨) ما هذا! ألكي نطيل حياتنا، هل لنا أن نخضع لحكم مدنسي البيت هذين؟

(٩) كلا، لن نحتمله. فالموت خير منه، إذ أنه أخف احتمالاً من الطغيان.

(١٠) وهل يصح لنا أن نتكهن بموت مليكنا من مجرد دليل صراخه ؟

(١١) يجب أن نتحقق من الوقائع قبل أن نتمادى في حنقنا. فالحدس شيء يختلف تمام الإختلاف عن اليقين.

(١٢) إنني مؤيِّد من كل جانب بأن نتخذ ونوافق على هذه الخطة ـ أن نحصل أولاً على الدليل الأكيد عن حالة ابن أتريوس.

[تظهر جثتا أجاممنون وكاساندرا،
والملكة واقفة إلى جانبهما]

كلوتايمنسترا: سبق أن تكلمتُ، قبل الآن، بالشيء الكثير لخدمة غرضي، ولن أخجل الآن من أن أناقض ما صدر مني. إذ كيف يستطيع بغير ذلك من يدبر الكراهية ضد عدو مكروه يحمل شَبَه صديق، أن يستر شباك الهلاك العالية التي لا يمكن تخطيها؟ هذه هي أزمة الضغينة التي طالما فكرتُ فيها منذ القِدم، وها هي قد أتت الآن ـ رغم تأخرها الطويل، وهأنذا أقف حيث ضربتُ الضربة، وقد حققتُ غرضي. هكذا نفّذتُ الفعلة ـ ولن أنكرها. ألقيتُ حوله شبكة مُحكمة الإقفال، كما لو كنتُ سأصيد سرباً من السمك، ثروة قاتلة من الأثواب ـ حتى لا يمكنه الإفلات منها، ولا دفع القضاء المحتوم. ضربتُه مرتين، فارتخت أعضاؤه بصرختين. وما إن سقط حتى ناولتُه الضربة الثالثة لكي أبارك صلاتي لزوس الجهنميّ، مُخلِّص الأموات. وإذ سقط هكذا، لفظ حياته. وبينما هو يُخرج دفعات سريعة من الدم، ضربني بقطرات قاتمة

من السـائل الـدموي، بينمـا لم يقِـلَّ فـرحي عن فـرحـة الأرض المزروعة بمطر السماء المنعش وقت مولد براعم الأزهار.
وبما أن الأمر على هذا النحو، فافرحوا معي، يا شيوخ أرجوس، إذا لذَّ لكم أن تفرحوا؛ أما أنا نفسي، فأجد مجداً في هذه الفعلة.
وكان من المناسب أن أصب السكائب فوق الجثة، وقد تمت هذه الفعلة فيه جزاءً وفاقاً، نعم وبأكثر من الجـزاء الوفـاق. لقد مـلأ الكؤوس في بيته بكثير من الشرور اللعينة، وقد أتى الآن ليشرب، هو نفسه، الكأس حتى الثمالة.

الكوروس : إنّا لنعجب من لسانكِ، ما أجرأكِ على الكلام، إذ تَسَنَّى لـكِ أن تنطقي بمثل هذا الزهو ضد زوجك.

كلوتايمنسترا: إنكم لتنظرون إليَّ كما لو كنتُ امرأة عديمة العقـل. بيد أن قلبي لن تخور عزيمته، وإني لأقول لكم. أنتم يا من تعرفون ذلك حق المعرفة ـ وسواء اعتزمتم على مدحي أو توجيه اللوم إليَّ، فالأمـر سيان ـ ها هـو ذا أجاممنـون، زوجي، مقتول بعمـل يدي اليمنى هذه، وهو عمل حقيقي . هكذا مركز هذه القضيةَ.

الكوروس : أيتها المرأة، أيَّ عشب سام غذَّتْه الأرض قد ذُقْتِ، وأية جرعة من البحـر الجاري قـد شربْتهـا، حتى اتخَذْتِ لنفسـكِ هـذه الثـورة الجنـونية وسخط صـوت الشعب؟ لقد ألقيتِ بـه، وقتلته، ولـذا سيُلقى بكِ من البلاد، حمْلاً من البغضاء على شعبكِ.

كلوتايمنسترا: ستحكم عليَّ الآن بالنفي من البلاد، وبكراهية شعبي لي، وبا نة صوت الرأي العام، بينما أنت لا تتهم بشيء هذا الراقد هنا، مع أنه لم يهتم بمن هلكتْ أكثر من اهتمامه بهـلاك حيوان ـ رغم أن الأغنام كانت وفيرة في قطعانه ذات الجزات ـ فقد ضحَّى بـابنته، التي ولدتُها بأشق تعب، وذلك إرضاءً لرياح تراقيـا. أما كـان هو

الأَوْلى بأن تنفيه من بلده جزاء فعلته المدنَّسة؟ كلاّ! فعندما تُصدر حكمك عما فعلتْ، ستكون قاضياً قاسياً. حسناً، إنني أحذرك بهذا: هدِّدني كذا، واعلم بأنني على استعداد، مع تعادل الظروف، للسماح لك بتنفيذ الحكم عليَّ، إذا دحرتني بالقوة. أما إذا قَدَّرَ الإلّه بحدوث عكس ذلك، فستعلم الحزم بعد فوات أوان تَعَلُّم الدرس.

الكوروس : إنكِ لمتغطرسة الروح، وتتجلى الأنانية والاهتمام بالنفس في كلامكِ. ولقد أصابت جريمة الدم عقلكِ بلوثة، وعلى وجهكِ بقعة دم واضحة كل الوضوح لكي يراها الناس. ستكَفِّرين عن فعلتكِ، وأنت مجردة من الشرف، وقد هجركِ أصداؤكِ، ضربةً بضربة.

كليتمنسترا : ستسمع هذا أيضاً، ويؤيده قَسَمي بحق: أُقْسم بالعدالة التي أقمتها من أجل ابنتي، وبآتي Ate، وبالروح المنتقمة التي ضحيتُ لها بهذا الرجل، على أن الأمل لم يمهد لي أبهاء الخوف بعد، طالما تشتعل النار في وطيسي بواسطة أيجيسثوس المخْلص لي بقلبه كما أخلص لي في الأيام الماضية. هنا يرقد الرجل الذي أساء إليَّ، عاشق كُلٍّ من خروسايس Chryseis في إيليوم، وتلك الراقدة هنا، أسيرته وعرافته ومحظيته، رفيقة فراشه العرافة الوفية، كما أنها تعرف أُسِرَّة الملاحين أيضاً. لقد نال كل منهما حتفه كما يستحق. إنه يرقد هكذا، بينما ترقد هي هنا، أشبه ببجعة أنشدت آخر أحزانها في الموت، معشوقته هذه، ولكنها أحضرت إلى فراشي مزيداً من اللذة بالمتعة.

الكوروس : يا للأسف! عسى أن يأتي قضاءها، خالٍ من الآلام الزائدة، ومن فراش الألم لمدة طويلة، عسى أن يأتي سريعاً ويجلب لنا النوم

الأبـدي غير المنتهي، إذ مـات أعظم وأمجـد حارس لنـا، الذي تحمَّلَ كثيراً في قضية امرأة، وفَقَدَ حياته بيد امرأة.
أي هيلين العاشقة، يـا من تسبَّبتِ وحدكِ في هـلاك هذه الأرواح الكثيرة، بل والأكثر من الكثيرة تحت أسوار طروادة. والآن، قـد زيينتِ نفسكِ بتاجكِ الأخير، الذي ستبقى ذكراه عالقة بـالأذهان لمدة طويلة، بسبب الدم الذي لا يمكن غسله. الحقيقة أنه، في تلك الأيـام، كانت تعيش في هـذا البيت روح نضال، هي نقمـة أخضعتْ سيدها

كلوتايمنسترا : لا تُتعب نفسـك بمثل هـذه الأفكـار، ولا تـطلب لنفسـك قضـاء المـوت. كمـا أنـه لا يجب أن تصب على هيلينا جـام غضبـك وتعتبرها قاتلة الرجال، كأنها وحدهـا هي التي أهلكت الكثير من أرواح الدانيين وأحدثت آلاماً مريرة لا يُجدي فيها أي علاج.

الكوروس : أيهـا الشيطان النـازل على هذا البيت، وعلى وَلَـدَي تـانتـالـوس كليهما[1]، الذي سلطتَ حكماً، بأيدي النساء، يتفق وطبائعهم، حكماً مقيتاً إلى نفسي! ها هي جاثمـة فوق جثتـه كغراب بغيض تنشد أغنية انتصارها في صوت مزعج.
أي هيلين العاشقة، يـا من تسبَّبتِ وحدكِ في هـلاك هذه الأرواح الكثيرة، بل والأكثر من الكثيرة تحت أسوار طروادة. والآن، قـد زينتِ نفسـكِ بتاجـكِ الأخير، ذلـك الذي ستبقى ذكـراه عـالقـة بالأذهان لمدة طويلة، بسبب الدم الذي لا يمكن غسله. الحقيقة أنه، في تلك الأيام، كانت تعيش في هذا البيت روح نضال، هي نقمة أخضعت سيدها.

كلوتايمنسترا : هـأنتذا الآن تُعـدِّل بحق حكم شفتيـك، بـأن ذكـرت اسم ذلـك

---

(١) أجاممنون ومينيلاوس.

الشيطان الثلاثي الحلوق، شيطان هذه الأسرة. إذ تأتي منه حقيقة أن الدم المتراكم فوق الدم، قد رُبِّيَ في جوفهم. فقبل أن يندمل الجرح القديم، يراق دم جديد.

الكوروس : الحق إنكِ تخبرين عن شيطان عاتٍ مقيم في هذا البيت، وإنه لغاضب أشد الغضب وأثقله (يا للأسف، الأسف!) ـ إنها قصة شريرة عن قضاء لعين لا ينطفيء له أوار. وعن مصيبة أي مصيبة حلّت بإرادة زوس، مدبر كل شيء، وفاعل كل شيء! إذ، ماذا يحل بالبشر بغير مشيئة زوس؟ ماذا هنا يتم ولم تفعله السماء؟

واحسرتاه، واحسرتاه، يا مليكي، يا مليكي، كيف أبكيك؟ كيف أُعبِّر عما يشعر به قلبي من المحبة لك؟ كيف رقدتَ في نسيج العنكبوت هذا، ولفظتَ روحك في موت شرير! يا لهفي عليك، وأنت راقد على هذا الفراش الدنس، وقد ضُربتَ بالموت غدراً، بنصل ذي حدين، هوتْ به عليك يد زوجتك، أنت نفسك!

كلوتايمنسترا: أتؤكد الآن أن هذه الفعلة فعلتي؟ كلاّ، بل تَخَيَّل الآن أنني لستُ زوجة أجاممنون. فإذ اتخذتُ شبه زوجة هذه الجثة، ذلك العجوز الشرير شيطان أتريوس، الذي جازاه ذلك المولم الفظيع، بذبح ضحية كاملة النمو، انتقاماً لأولئك الأطفال المذبوحين.

الكوروس : من ذا الذي يشهد لكِ، بأنك بريئة من جريمة القتل هذه؟ لا أحد! ومع ذلك فإن شيطان والده قد يكون المحرض لكِ. تجدُّ «فوضى» دم الأقارب السوداء إلى حيث يمكنها الانتقام لدم الأطفال الذين قُدِّمَ لحمهم طعاماً بدل لحم المواشي.

واحسرتاه، واحسرتاه، يا مليكي، يا مليكي، كيف أبكيك؟ كيف أُعبِّر عما يشعر به قلبي من المحبة لك؟ كيف رقدتَ في نسيج العنكبوت هذا، ولفظتَ روحك، في موت شرير! يا لهفي عليك،

وأنت راقد على هذا الفراش الدنس ، وقد ضُربتَ بالموت غـدراً بنصل ذي حدَّين، هوتْ به عليك يد زوجتك، أنت نفسك!

كلوتايمنسترا: [كلَّا، لا أظنه قد لقي ميتة غير شريفة]. ألم يجلب، هو نفسـه، الخراب على بيته بالخيانة. وقتذاك؟ ومع ذلك، فكما لقي - جزاءً وفاقاً على فعلة تستحق ذلك - من أجل ما فعله بزهرتي الحلـوة ، تلك النبتة التي خـرجت منه، إيفيجينيـا المبكي على شبابهـا أحرّ بكاء، عسى ألا يشمخ بأنفه مزهُوّاً في أبهاء هاديس، إذ بـالموت الذي ناله بالسيف، قد دفع ثمن ما بدأه من قبل.

الكوروس : وإذ تجردتُ من أية بديهة حاضرة، فإنني أقف الآن حائراً مبهوتاً، لا أدري إلى أين أتجه، لأن البيت يترنح. أخاف ضـربة عـاصفة المـطر الدمـوي، التي تهز هـذا البيت. لم تعُـد هـذه العـاصفـة تتساقط قطرات. ومع ذلك، يشحذ «الحتف» العدالة على حجر شحذ آخر من أجل فعلة مصيبة أخرى.

أيتهـا الأرض، أيتها الأرض، ليتـكِ أخذتني إليـكِ قبل أن أعيش لأرى مليكي هذا، موضوعاً في ذلك القاع الحقير لحوض فـضـيّ الجوانب! من سيدفنـه؟ ومن سيبكيه؟ هـل سيقسو قلبـكِ فتفعلي هذا - أنتِ، يا من قتلتِ زوجكِ - أن تبكيه وتتوجي فعلتك الدنسة بجميـل غير مشكـور، تسـدينـه إلى روحـه تكفيـراً عن أفعـالـك الوحشية؟ ومن سيرثيه ويعدد مناقبه عند قبر البطل، ويحزن بقلب مخلص وفيّ ؟

كلوتايمنسترا: ليس من شأنك أن تهتم بهذا الأمر. لقـد سقط بأيـدينا، وسقط ميتاً، وسندفنه نحن تحت الثرى - ولكن لن يكون هناك عويل في هذا البيت، من أسرته. كلّا! ستقابل إيفيجينيـا ابنتُه أبـاها، كمـا ينبغي لهـا عند مخـاضة لأحـزان، السريعـة التدفق، وستـطوقـه بذراعيها وتُقبِّله.

الكوروس : يناسب التقريع بدوره التقريع ـ ومن الصعب تقرير نتيجة النض
فقد غُنِمَ الغانم، ويدفع القاتل ثمن جريمته. ورغم هذا، فط
زوس مقيم على عرشه، فمن يعمل شيئاً يلق مثله ـ لأن هذا أ
من ذا الذي يستطيع أن يطرد من ذلك البيت نواة هذه الل
رُبطت هذه الأسرة بالكوارث رباطاً وثيقاً.
أيتها الأرض، أيتها الأرض، ليتكِ أخذتني إليكِ قبل أن أع
لأرى مليكي هذا، موضوعاً في ذلك القاع الحقير لحوض ف
الجوانب! من الذي سيدفنه؟ ومن سيبكيه؟ هل سيقسو قل
فتفعلي هذا ـ أنتِ، يا من قتلتِ زوجكِ ـ أن تبكيه وتتوجي فع
الدنسة بجميل غير مشكور، تسدينه إلى روحه تكفيراً عن أفع
الوحشية؟ ومن سيرثيه ويعدد مناقبه عند قبر البطل، ويحزن بة
مخلص وفيّ ؟

كلوتايمنسترا : لقد تكلمتَ بالصواب عن هذا التصريف الإلهي. ورغم ه
فإنني راغبة في عمل ميثاق بقَسَم مع شيطان بيت بلايسثينيس(
أن أقنع بما تمّ من أفعال حتى الآن، وأن أتحمل عاقبة ت
الفعلة، وأنه يترك هذا المسكن من الآن ويُنزل كوارثه بة
آخرين، بقتل الأقارب. ويكفيني تماماً جزء يسير من الثروة،
تسنى لي أن أخلّص هذا القصر من بلوى القتل المتبادل.

[يدخل أيجيسثوس مع حرس مسأ

---

(١) من الجلي أن كلمة بلايسثينيداي Pleisthenidae هنا مرادفة لكلمة أتريداي، واشتق الاسم من بلايسثينيس Pleisthenes الذي يقول عنه بورفيري Porphyry في مؤلفه «الأسـ Questions إنه ابن أتريوس والوالد الحقيقي لأجاممنون ومينيلاوس، وإنه إذ مات صغيراً يعمل عملاً ماجداً، قام الجد بتربية هذين الولدين، ومن ثم أطلق عليهما «الأتريا Atreidae».

أيجيسثوس : مرحباً بنور يوم الجزاء! لقد حانت أخيراً هذه الساعة التي يمكنني أن أقول فيها إن الآلهة المنتقمة للبشر ، تنظر من أعلى إلى جرائم الأرض ـ الآن ، وهذا يفرحني ، أرى هـذا الرجـل راقداً هنـا في ثوب نسجته الأرواح المنتقمة ، وقد سَدَّدَ الثمن كاملاً عن الأفعال المدبرة بمكر، التي اقترفتها يد أبيه .

فلمـا نوزع أتـريوس، ملك هـذا البلد، ووالد هـذا الرجـل، في عرشه، طرد ثويستيس من المدينة ومن الـوطن؛ وكان ثـويستيس هذا (وأنا أتكلم صريحاً) والدي، وأخاه. وعندما رجـع ثويستيس التعيس متضرعاً إلى وطيس أخيه، حصل على الأمان لنفسـه، ألا يُقتـل ويلوث أرض وطنه بـدمه. غيـر أن أتريـوس، ذلك الـرجل الكافر، والد هذا الرجل المقتول، استقبله بترحيب بالغ أكثـر من العطف، بحجة أنه سيحتفل مبتهجاً بيوم يقيم فيه مأدبة يقدم فيها اللحم. فقدم لوالدي وليمة من لحم أولاده. قَطَعَ أصابـع الأيدي والأقدام . . . وجلس بعيداً[1]. ولما كان والدي خالي الذهن تماماً من حقيقة الأمر، أكل تلك الأجزاء التي لم يستطع تمييزها، والتي ثبت أنهـا صـارت وبـالاً على نسله. ومـا إن اكتشف تلك الفعلة الدنسة، حتى أطلق صـرخة عـظمى، وانسحب إلى الوراء وتقيـأ لحم المقتولين، وأصدر لعنة متعذرة الاحتمال على ذرية پيلوپس، وركل المائدة بقدمه ليؤيد اللعنـة، قائـلاً، «هكذا فليهلك جميـع نسل پلايسثينيس!» لهذا السبب، ترى هذا الرجل قد سقط هنا. إنني أنا الذي دبرت هذا القتل، وبعدل، لأنه طردني مـع والدي التعيس، أنا الولد الثالث، وكنت لا أزال يومئذٍ طفـلاً ملفوفـاً في الأقمطة. وإذ بلغتُ مبالغ الرجال، أعادتني العدالة ثـانية. ورغم

(١) قد يكون معنى هذا الفراغ: «ووضع فوقها الأجزاء الأخـرى. وإذ جلس والدي بعيـداً، أُعطِيَ هذه الصحفة نصيبه من الوليمة».

كوني منفياً، فقد وضعتُ يدي على عدوي، ودبرتُ كل وسيلة لهلاكه. وهكذا، حتى الموت نفسه صار لذيذاً عندي طالما قد رأيته بين يدي العدالة.

الكوروس : يا أيجيسثوس، إني لأعتبر الإهانة وسط عوادي الدهر غير مشرفة. تقول إنك دبرت مقتل هذا الرجل من تلقاء نفسك، وإنك وحدك المدبر لهذا القتل المحزن. وإني لأخبرك، بأنه في ساعة العدالة ـ وكن على يقين من هذا ـ لن تفلت، أنت نفسك، من لعنات الشعب، ومن الموت رجماً بأيديهم.

أيجيسثوس : أتتكلم هكذا، أنت يا من تجلس عند المجاذيف السفلى، بينما يدير الجالسون عند السطح العلوي دفة السفينة(1) وبما أنك عجوز، فستعلم مرارة التعلم في هذه السن، عندما يكون الدرس الملقن لك هو الحزم. فقيود الجوع وآلامه خير أدوية الحكمة لتعليم، حتى الكهول أنفسهم. ألك عينان وتفتقر إلى الفهم؟ لا ترفس المناخس لئلا تظل ترفس حتى تصيب قلبك.

الكوروس : يا لك من امرأة! تختفي داخل البيت وتنتظر عودة الرجال من الحرب، فبينما كنتَ تدنس فراش بطل، هل كنتَ تدبر جريمة القتل ضد رئيس محارب؟

أيجيسثوس : ستبرهن ألفاظك هذه أيضاً على أنها مصدر دموع. إن لسان أورفيوس لعلى نقيض لسانك تماماً. فقد شفى جميع الأشياء بلسانه المبهج، أما أنت، يا من أثرت غضبنا بنباحك الجنوني، فستكون وبالاً على نفسك. ستضطر إلى الظهور بمظهر أكثر استئناساً، إذا ما أُدِّبت بالقوة.

(1) أطلق على المجذفين في السطح السفلي، في السفينة ذات السطحين، اسم Thalamitai بينما يسمى مجذفو السطح العلوي Zeugitai .

الكورس : إنك لتتكلم كما لو كنت حقاً سيدي هنا في أرجوس، دبرت موت مليكنا، ولم تكن لك الجرأة على تنفيذ جريمة القتل هذه بيديك!

أيجيستوس : سبب هذا أن خداعه إلى الشرك لهو صراحةً دور المرأة؛ وكان يشتبه فيَّ كعدوه منذ القدم. ومع ذلك، فسأحاول بذهبه أن أبسط نفوذي على الشعب؛ وكل من تمرد فسأُخضعه بطوق ثقيل في عنقه ـ والحقيقة أنه لن يكون مُهْراً لجرّ العربات[1] حسن التغذية! كلّا! وإنما سيراه الجوع المقيت مع الظلام.

الكورس : إذن، ولماذا لم تقتله أنت نفسك، في دناءة روحك، بل تركتَ تنفيذ مقتله لامرأة هي جرثومة وآفة دولتها وآلهة مملكتها؟ عسى أن يكون أوريستيس لا يزال يرى النور، فيواتيه الحظ بالمجيء إلى وطنه ويقتل هذين الشخصين بانتصار كامل!

أيجيستوس : هذا حسن، طالما أنك مُصِرٌّ على أن تفعل وتتكلم هكذا، فسرعان ما ستتعلم درساً. هيّا إلى هنا! يا رجالي المسلّحين الموثوق بهم، ها هو عملكم قريب.

الكورس : هيّا، يا رفاق، ليستعد كل واحد منكم بسيفه، وليضع يده على نصابه.

أيجيستوس : كذلك يدي موضوعة على نصاب سيفي، ولن أتقهقر أمام الموت.

الكورس : قُلْتَ «الموت لنفسك». إننا لنرحب بهذا الفأل. نرحب باختبار الحظ.

كلوتايمنسترا: كلّا، يا حبيبي، دعنا لا نفعل شروراً بعد ذلك. فحتى هؤلاء كثيرون فلا يمكننا أن نحصدهم، إنهم حصاد حقير. لدينا ما

(١) لا يوضع لحصان جر العربات طوق وإنما يربط إلى العربة تحت النير بجانب «العريش».

يكفي من النوائب، فلنكُفَّ عن سفك الدماء. أيها الشيو
الأجلاء. انصرفوا إلى بيوتكم، واخضعوا، في الوقت المناسب
للمصير قبل أن يصيبكم الأذى. كان لا بد من فعل ما فعلناه. أم
إذا ظهرت أية متاعب، فسنواجهها رغم أن يد القضاء نزلت علي
ثقيلة، فتركتنا مضروبين هكذا. هذه نصيحة امرأة، لو راق أي فر
أن يعمل بها.

أيجيسثوس : ولكني لا أطيق أن يسلط هؤلاء الرجال ألسنتهم بالكلام ضدي
ويسخرون مني هكذا، مُعَرِّضين حظهم إلى الاختبار! إنهم
يرفضون قبول النصح الحكيم ويهينون سيدهم!

الكوروس : ليس من عادة رجال أرجوس أن يجبنوا في مواجهة رجل نذل
خسيس.

أيجيسثوس : رويدكم! سأنتقم منكم في الأيام المقبلة.

لكوروس : لن يتم هذا إذا أرشد القضاء أوريستيس في العودة إلى وطنه.

أيجيسثوس : أعرف، من تلقاء نفسي، أن المنفيين يعللون نفوسهم بالآمال.

الكوروس : استمر في صلفك وتدنيسك للعدالة، طالما كان في مقدورك أن
تفعل هذا.

أيجيسثوس : أعرف أنك سوف تُكَفِّر لي عن جنونك الوقح.

الكوروس : ثرثر بشجاعتك كما يفعل الديك بجانب دجاجته.

كلوتايمنسترا : لا تهتم بنباحهم عديم الجدوى. سأكون أنا وأنت سادة هذا
البيت، ونحكم فيه بالطريقة الصحيحة.

[يخرج الجميع]

الجزء الثاني

مأساة أجاممنون

لسنيكا

(عن النص اللاتيني)

ملخص المسرحية

لم ينته ثأر الـدم بين أتريـوس وثويستيس بـالانتقام الفـظيع الـذي أنزلـه أتريوس بـأخيه. ومـع ذلك، فقـد حكم القدر على ثـويستيس بأن يعيش حتى تنجب لـه ابنته ولـداً، هو أيجيسثـوس، الذي يتحتم عليـه أن يقتـل أتريوس، ويجلب الخراب والموت على أجاممنون، الأتريديس Atrides العظيم.

أنتهت الحرب الطروادية، وأُعلِنَ اقتراب مجيء الملك الظافر، جالباً معه أسراه وكنوزه، إلى وطنـه أرجوس. غيـر أنه لم يحلم بنـوع ذلك الـوطن الذي سيعود إليه. إذ حقدت كلوتايمنسترا Clytemnestra على أجاممنون، لأنه ذبـح ابنتها إيفيجينيا ضحية، في أوليس، ليسترضي الرياح. وامتلأت كلوتايمنسترا غيرةً لأنه أحضر معه كاساندرا منافسةً لها. كما نفرت منه أيضاً لغيابه الطويـل عنها. بيد أن أكثر نفورها كان بسبب زواجها الآثم بـأيجيسثوس، فتحيـك خطةً لقتـل زوجها عند عودته، فتنال بذلك، الانتقام والأمان من غضبه.

أشخاص المسرحية

أجاممنون Agamemnon : ملك أرجوس وقائد جميع الإغريق في الحرب ضد طروادة .

شبح ثويستيس Thyestes : عاد إلى الأرض ليحث ابنه على الانتقام الذي وُلد ليقوم به .

أيجيسثوس Aegisthus : ابن ثويستيس بزواج محرَّم بابنته، وعاشق كلوتايمنسترا .

كليتمنسترا Clytemnestra : زوجة أجاممنون. تآمرت مع إيجيسثوس على قتل زوجها أثناء غيابه في طروادة.

كوروس من سيدات أرجوس .

يوروباتيس Eurybates: رسول أجاممنون .

كاسّاندرا Cassandra : ابنة بريام، أسيرة أجاممنون .

إلكترا Electra : ابنة أجاممنون وكلوتايمنسترا .

ستروفيوس Strophius : ملك فوكيس .

أوريستيس Orestes : ابن أجاممنون (شخصية صامتة Persona muta) .

بولاديس Pylades : ابن ستروفيوس (شخصية صامتة) .

جماعة من الأسيرات الطرواديات .

المنظر : جـزء منـه داخـل قصـر أجـاممنـون في أرجـوس، أو مـوكينـاي Mycenae، وجـزء آخـر خـارج القصـر، يـوم عـودة الملك من طروادة بعد غيبة طويلة قضاها هناك. يبدأ في فترة الظلام السابقة للفجر مباشرة.

شبح ثويستيس: تركتُ مناطق ديس Dis الجهنميَّ المظلمة، وأتيتُ مُرسلاً من حفرة تارتاروس العميقة، يخامـرني الشك في أي العـالمين أمقتُ أكثر - يهرب ثويستيس من العالم السفلي ويفر من العلوي. انظروا، إن روحي ترتجف، وأعضائي تضطرب خوفـاً؛ أرى بيت أبي، كلا، بل وأكثر منه بيت أخي. إنه المقر القديم لذرية بيلوبس Pelops. اعتاد البيلاسجيون Pelasgians أن يتوجوا ملوكهـم هنا، تبـوأ هذا العرش ملوك تدير أيديهم المزهوة الصولجان، هنا قاعة مشاوراتهم - هنا يولمون[1].

كم أتوق إلى أن أدير ظهري. أليس من الأفضل أن أذهب، حتى إلى البـرك المـظلمـة، أليس من الأفضـل أن أنـظر إلى حـارس ستوكس Styx وهو يهز رقبته الثلاثية الجذوع، ذات العرف البني؟

---

(١) يتذكر وليمته البشعة في نفس ذلك المكان.

حيث يوجد شخص[١] رُبط جسمه إلى عجلة سريعة الدوران فيلف حول نفسه، حيث يُسْخَرُ من العمل الشاق[٢] إلى قمة التل، عندما تتدحرج الصخرة هابطة إلى أسفل؛ حيث ينهش طائر جشع الكبد[٣] الدائم التجدد؛ حيث الرجل العجوز[٤] الذي برّح به الظمأ وسط المياه، يحاول الإمساك بالأمواج الهاربة، بشفتين مخدوعتين، وقد حُكم عليه بأن يدفع الثمن غالياً عن وليمة[٥] الآلهة. ولكن، ما أصغر ذنبه بالنسبة إلى ذنبي؟ هيّا نأخذ في الاعتبار كل الذين يدينهم القاضي الكريتي[٦] ذو وعاء الأزلام الدائم الدوران، على أفعالهم المنافية للدين؛ كل هؤلاء سأهزمهم بجرائمي، أنا ثويستيس. غير أن أخي سيهزمني، إذ دفنتُ ممتلئاً بأولادي الثلاثة، آكلاً لحمي نفسه.

لم يدنس الحظ Fortuna الأب[٧] بهذا فقط، بل تجاسر على جريمة أعظم من التي اقتُرفتْ، فجعله يسعى إلى عناق ابنته المحرَّم. فتجرعتُ كأس أمره دون خوف وحتى الثمالة، بيد أنها كانت فعلة لا يقرها الدين تلك التي فعلتُها. وعلى ذلك. فحتى يمتد سلطان الأب على كل ذريته، أجبر القَدَر[٨]·Fata ابنتي على أن تلد لي ابناً جديراً بأن يسميني أباً. اختلطت الطبيعة، والتبسَ

(١) إكسيون Ixion.

(٢) عمل سيسوفوس Sisyphus.

(٣) كبد تيتيوس Tityus.

(٤) تانتالوس Tantalus .

(٥) كان قد قتله أبوه تانتالوس وقدم جسده طعاماً في وليمة للآلهة.

(٦) مينوس.

(٧) أي ثويستيس.

(٨) أي أن ثويستيس عملَ بإرشاد وحي قرر أنه يستطيع الانتقام بهذه الوسيلة من ذرية أتريوس.

عليَّ الأمر بين الأب والجد، فياله من عمل وحشيّ! وبين الزوج والأب، وبين الأحفاد والأبناء، وبين الليل والنهار.
غير أن وعد النبوءة الغامضة تمَّ لي في النهاية، رغم مجيئه متأخراً، وبعد مماتي، وقد أهلكتني المصائب، حتى اقترب ملك الملوك، وقائد القواد أجاممنون، الذي تبعتْ رايتَه ألفُ سفينة مخرتْ عباب المياه الطروادية بأشرعتها، حتى سقطت طروادة بعد عشرة أدوار من فويبوس Phoebus، فاقترب ذلك الملك الآن ـ ليُسْلم رقبته إلى قوة زوجته. الآن، الآن، سيسبح هذا البيت في دم غير دمي[1]؛ أرى السيوف والفؤوس والرماح، ورأس ملك يُفصل بضربة فأس ثقيلة، الجرائم قريبة الآن، والقتل والدم ـ تُمَدُّ الولائم. لقد أتى فاعل مولدك، يا أيجيسثوس[2]. لماذا تستمد النصيحة من نفسك، لماذا تُقَلِّب الأمر مرات ومرات، عما إذا كانت هذه الفعلة ستكون لك؟ فكِّرْ في أمك، ستكون لك أيضاً.
ولكن، لماذا يمتد ليل الصيف إلى مدى الشتاء؟ أو ماذا يمسك النجوم الغاربة في السماء حتى الآن؟ هل نؤخر فويبوس؟

[يتأهب للانصراف]

أعِدِ النهار إلى العالم الآن.

[يختفي الشبح]

الكوروس : أيها الحظ، يا من تمنح عطية العرش السامية بيد ساخرة، وتُجلس المتمادين في الفرح في حالة خطرة تكتنفها الشكوك. لم تحظ الصوالجة قط بالسلام الهادىء، أو بامتلاك أكيد؛ بل يثقلها همٌّ فوق همّ، فيهبط بها، وتغيظ نفوسها العواصف المتجددة

---

(١) لن يكون فرعه من الأسرة هو الذي سيقاسي الآلام في هذه المرة.
(٢) هذه السطور والسطور الباقية من هذه الفقرة موجهة إلى أيجيسثوس، كما لو كان حاضراً.

باستمرار. ما هكذا يثور البحر على رمال السواحل الليبية الخادعة، أو يرسل الموجة فوق الموجة، ما هكذا تموج مياه يوكسيني Euxine من أدنى أعماقها قوية على القطب الثلجي حيث يتبع بوتيس Boötes عربته المضيئة دون أن ينغمر في الأمواج الزرقاء[1]، كما يتقلب الحظ على أقدار الملوك المقلوبة. يتوق الملوك إلى أن يُخاف جانبهم، ويخافون من أن يُخاف ذلك الجانب؛ ولا يعطيهم الليل الرحيم ملجأ آمناً، ولا يريح الليل، هازم الهموم صدورهم.

أيُّ قصر لم يحدث فيه جريمة إثر جريمة[2] في تتابع سريع؟ أيُّ قصر لم تكدر صفوه الأسلحة غير التقية؟ فالقانون والخجل وروابط الزواج المقدسة، تهرب جميعاً من البلاطات. وتجدُّ بيلونا Bellona في مطاردة اليد الملوثة بالدماء. وتلك الإيرينوس التي تضايق المزهو، متعقبة البيوت البالغة السموّ، فتُنزلها من عليائها في أية ساعة.

فرغم عدم نشاط الأسلحة، وخمول الخيانة، تتداعى الممالك العظمى تحت ثقلها، ويسقط الحظ تحت عبء نفسه. والأشرعة المنتفخة بالرياح المواتية، تخشى هبوب الأعاصير عليها بقوة؛ ويضرب أوستير Auster المطير القلعة الشامخة برأسها وسط الغيوم. والغابة التي تنشر الظل الكثيف حولها، ترى أشجار البلوط العتيقة مُقتَلَعة؟ والتلال العالية هي التي تصيبها الصواعق؛ والأجسام الضخمة أكثر تعرضاً للمرض. وبينما ترعى القطعان العادية فوق المراعي الممتدة، يصيب الموت أعلى رأس مرتفع. مهما رفع الحظ عالياً، فلن يرفع إلا ليخفض إلى الحضيض. تنعم

(١) أي أن مجموعات النجوم الشمالية لا تغرب قط وراء البحر.
(٢) أي يقوم بها أحد أفراد البيت الملكي ضد فرد آخر.

المملكـة المتواضعـة بحياة أطـول، إذن فليسعد القـانـع بـالحظ العادي ويصل إلى الشاطيء في نسيم الأمان. وإذ يخشى أن يعهد بسفينته إلى البحر الواسع، يبقى قـريباً من البـر بالمجـاذيف غير الطموحة.

كلوتايمنسترا : لمـاذا تسعين إلى النصيحة الآمنـة، أيتها الـروح الخاملة؟ لمـاذا تترددين؟ لقد أغلق الطريق الأفضل. فما إن تستطيعي المحـافظة على فراشكِ العفيف وصولجانكِ المترمـل بإيمـان زوجة طـاهر، حتى تضيـع الطرق الـطيبة، وفعـل الصـواب والشـرف والتقـوى والإيمان، هباءً، ـ وما إن ينصرف الاحتشام مرةً، حتى لا يعـرف بعدها عودة. أرخي الأعنة، وانحنى إلى الأمام، وأثيري كل ظلم قُـدُماً ، فبالجريمة يظل الطريق إلى الجريمة مأموناً. دبّري الآن في قلبـكِ، خداعـات المرأة، ـ مـا تجاسـرتْ عليه أيـة زوجة خـائنة جُـرِّدتْ من صوابهـا، وما تجـرأتْ عليه يـدا زوجة الأب، أو مـا تجـاسـرت على فعلة تلك الفتـاة[1] المتـأججـة القلب بـالحب المحـرَّم، التي هربت من المـملكـة الفازية (Phasica regna) Phasian في تلك السفينة التسالية، يجرؤ عليه السيف، وتتجاسر عليه العاطفة القوية؛ وإلا فاهـربي من موكينـاي مع شـريككِ في جريمتكِ، متسللةً في سفينـة. ولكن، لماذا تتكلمين بجبن على التسلل خلسة، وعن المنفي، وعن الفرار؟ فعلتْ شقيقتكِ[2] مثل هذه الأمور، أما أنتِ فتناسبكِ جريمة أعظم.

المربية : يا ملكة الإغريق وابنة ليدا الشهيرة، فيم تفكرين في صمت، وأية فكرة جنونية جمحتْ في خيالكِ فتديريها بروح قلقة؟ فرغم أنك لا

(١) ميديا Medea.

(٢) أو هيلينا Helen .

تنطقين بكلمة واحدة، فإن وجهكِ ليشي بجميع آلامكِ المبرحة. مهما كانت تلك الآلام، فامنحي نفسكِ وقتاً وفُسحة؛ فأي عقل لا يستطيع، فإن التمهُّل كثيراً ما يعمل على شفائه.

كلوتايمنسترا: إن العاطفة الجامحة لتعذبني بقوة لا تحتمل التأخير. تحرق اللُّهُب نخاعي وقلبي. فالخوف[1] الممزوج بالألم يوخز بالمنخس، وينبض صدري غيرةً[2]، ويدفع الحب الوضيع نيره على عقلي ويأمرني بالتداعي. ووسط مثل هذه النيران التي تقلب روحي، لا يزال الخجل يناضل[3] وهو متعب حقاً ومهزوم ومنهوك تماماً. يسوقني طوفان جارف، فكما تكون هنا ريح، يكون المدّ هناك يتناول الأعماق بالتعذيب، فتقف الأمواج حيرى لا تدري لأي خصم تستسلم. ولذلك تركتُ الدفة من يدي ـ سأذهب حيث يحملني الغضب والألم والأمل، فقد أسلمتُ سفينتي إلى رحمة الأمواج. فإذا ما عجز العقل، فمن الخير اتباع الحظ.

المربية : من يتبع الحظ فهو أعمى ومتهور.

كلوتايمنسترا : وإذا كان الحظ في أسوأ أدواره، فلماذا تخافين الأخطار؟

المربية : جريمتكِ آمنة وخفية، لو تركتِها هكذا.

كلوتايمنسترا : كل جريمة للبيت الملكيّ، ظاهرة أمام الأنظار.

المربية : أتندمين على جريمتكِ القديمة، وتدبرين الجديدة؟

كلوتايمنسترا : لا شك في أنه من الحماقة أن أقف وسط الطريق في الجريمة.

---

(١) من انتقام أجاممنون .

(٢) من كاساندرا.

(٣) أي ضد الشهوة.

المربية : مَن يكدس الجريمة فوق الجريمة هكذا، يعمل على زيادة ضخامة ما يرهبه[1].

كلوتايمنسترا : غالباً ما تحل السكين والنصال محل العقاقير.

المربية : لا يبدأ المرء بتجربة العقاقير المتهورة.

كلوتايمنسترا : وسط الشرور، يجب الإمساك بالطرق المباشرة.

المربية : ولكن فليُرجعكِ رباط الزواج المقدس.

كلوتايمنسترا : هل أظل أفكر في الزواج بعد أن ترملتُ عشر سنوات؟

المربية : يجب أن تتذكري أولادكِ منه.

كلوتايمنسترا : أتـذكر نيـران زواج ابنتي[2]، وزوج ابنتي، أخيل؛ لقـد أبدى[3] للأم ثقة خالصة.

المربية : خلّصت أسطولنا الساكن من التأخر، وأيقظت البحـر الخامـل من سباته العميق.

كلوتايمنسترا : يا للعار! ويا للألم! أنا، ابنة توندراوس Tyndarus، ذات سلسلة النسب السماوي، أتحمل تضحية من أجل الأسـطول الإغريقي! إنني لأستعيد في ذاكرتي، ثانيةً، طقوس زواج ابنتي، التي جعلها جـديرة ببيت بلويس Pelops، عنـدما وقف الأب أمـام المذابـح والصلاة على شفته. فما أنسب هذا الأمر لطقوس الزواج! ارتجف كالخاس لفظاعة وحيه، ولتراجع النيران. يا لك من بيت يكـدس الجريمة فوق الجريمة! اشترينا الريـاح بالـدم، والحرب بـالقتل!

---

(١) أي العقوبة.

(٢) إيفيجينيا Iphidenia .

(٣) أجاممنون.

ولكن أخبريني، هل نشرت ألف سفينة أشرعتها معاً، بهذه الوسيلة؟ لم يكن إلّهاً صديقاً ذلك الذي خلّص الأسطول، كلّا! ساقت أوليس السفن غير التقية، من الميناء، فإذا بدأ على هذا النحو، لم يشن الحرب بسعادة أكثر. وإذ أصيب بحب أسيرة، ولم يتأثر بالرجاء، احتفظ بابنة العجوز[١] كاهن أبولو السمونثيّ Smynthean Apollo ثم ها هو الآن مجنون بالعاطفة المتأججة نحو فتاة مقدسة[٢]. لم يستطع أخيل، غير المتأثر بالتهديدات، أن يثنيه عن عزمه، ولا ذلك[٣] الذي يرى وحده أسرار الكون (عني وعن عرّافي الأكيد النبوءة، وعن الفتيات الإماء عديمات القيمة)[٤]، ولا الشعب المصاب بالطاعون، ولا كومات الحريق المشتعلة. يضعف وسط نضال الموت لبلاد الإغريق وهي تسقط، تلك التي لم يهزمها عدو قط، أما الحب فلديه وقت له، يبحث عن معشوقات جديدات؛ ولئلا يخلو فراشه المترمل من معشوقة بربرية، اشتهى الفتاة اللورنيسية[٥] Lyrnessian، غنيمة أخيل، ولم يخجل من أن يأخذها، وينتزعها من حضن سيدها - هو، عدو باريس! أما الآن، وقد جُرح من جديد، فتثور عاطفته إلى الفتاة الفروجية[٦] Phrygian ذات الوحي، وبعد غزو طروادة، وبعد سقوط إيليوم، يعود إلى بيته زوج أسيرة، وزوج ابنة بريام! والآن، شدّي عزمكِ، يا روحي، فليس ما تتأهبين له بالنضال

---

(١) خروسيس Chryses، والد خروسايس Chryseïs .

(٢) كاساندرا، معشوقته الثانية.

(٣) كالخاس Calchas .

(٤) أي أن أجاممنون صدّقه عندما طلب موت إيفيجينيا، ولم يصدقه عندما طلب إعادة بريسايس Briseis.

(٥) بريسايس.

(٦) كاساندرا.

التافه. يجب إحباط الجريمة[1]. وإذ تتلكئين، فأي يوم تنتظرين؟ أحتى تمسك الزوجات الفروجيات صولجان ؛ لموس منا؟ هل تمنعكِ ابنتا بيتكِ العذراوان، وأوريستيس، الذي هو صورة والده؟ إن الشرور التي تهددهم، هي نفسها التي يجب أن تحثك على الإقدام. إن عاصفة من المصائب تخيم فوقهم من كثب. لماذا ترددين أيتها المرأة الحقيرة؟ ها هي قريبة هنا، زوجة أب مجنونة لأولادكِ. يمكن أن يتم هذا الأمر عن طريق جانبكِ إن لم يكن من طريق آخر، فليغيّب السيف، اقتلي اثنين، امزجي دمه بدمكِ، وأهلكي زوجكِ في موتك؛ ليس للموت ألم إذا ما قاسمكِ إياه من تقصدين موته.

المربية : اكبحي جماح نفسكِ، أيتها الملكة، وأوقفي غضبكِ المتهور، وفكّري فيما تنوين الإقدام عليه، فإن قاهر آسيا الوحشية قريب من هنا، ذلك المنتقم لأوروبا، يجرّ بيرجاما Pergama الأسيرة ظافراً، وقد أخضع الفروجيين منذ مدة طويلة.

ها أنتِذا تحاولين الآن أن تقاتليه بالخداع وبالتسلّل، ذلك الذي لم يؤذه أخيل بسيفه الوحشيّ، رغم أنه سلح يده الوقحة في غضبه العابس، ولا أجاكس[2] ثائراً يعتزم القتل، ولا هكتور، المتراس الوحيد ضد الأغارقة المحاربين، ولا سهام باريس الأكيدة المرمى، ولاممنون Memnon الأسمر البشرة، ولا كسانثوس Xanthus الذي يدحرج الجثث والأسلحة مختلطة معاً إلى أسفل، ولا سيمويس Simoïs الذي تجري أمواجه الحمراء بالدماء، ولا كوكنوس

(١) أي يجب أن أنتقم من أجاممنون قبل أن ينتقم مني.

(٢) أي أجاكس بن تيلامون Telamon، وليس أجاكس بن أويليوس Oileus المسمى «أجاكس الأصغر Ajax The Less».

Cycnus، الابن الثلجيّ(١) لرب المحيط ، ولا ريسوس Rhesus المقدام مع جيشه التراقيّ، ولا الأمازونة Amazon بجعبتها الملونة، تلك التي تمسك ببلطة القتال في يدها وبالترس الهلاليّ! إنك تستعدين لقتله وهو عائد إلى وطنه، ولتدنيس مذابحكِ بقتل محرَّم! فهل تترك بلاد الإغريق الظافرة مثل هذه الفعلة بغير انتقام؟ ضعي نصب عينيكِ الخيول والأسلحة، والبحر يعج بالسفن، والأرض تفيض بتيارات جارية من الدماء، وجميع مصائر بيت داردانوس Dardanus المهزوم والمستولي عليه، كل هذه تتكاتف ضد الأغارقة(٢). اضبطي عواطفكِ الثائرة، وأعدِّي بنفسك سبل الطمأنينة والسلام لروحكِ.

[تخرج]

[يدخل أيجيستوس]

أيجستوس (في مناجاة): هذه حقاً هي الساعة التي طالما كنتُ أرهبها في قلبي وفي روحي، ساعة مصيري. لماذا تخافين، يا روحي، أن تواجهيها؟ لماذا تُلقين بسلاحِك عند أول معركة؟ تأكدي من أن الآلهة العديمة الرحمة تُعِدّ لكِ الهلاك والحتف المخوف. إذن، فوطدي حياتك لمواجهة كافة العقوبات، ورحِّبْ بكل من الحسام واللهب بصدر جريء، يا أيجستوس، فليس الموت عقوبةً لمن وُلد على هذا النحو.

[إلى كلوتايمنسترا]

أيا شريكتي في خطري، يا ابنة ليدا، سيجازيكِ عن الدم بالدم، ذلك المحارب الجبان والسيد المقدام. ولكن، لماذا تعلو الصفرة

---

(١) تحوَّل إلى بجعة بيضاء كالثلج.
(٢) أي أن الانتقام لموت أجاممنون سيكون بنفس فظاعة الانتقام لفعلة هيلين.

وجنتيكِ المرتجفتين، ولماذا تبدو عينكِ معتمة ذابلة، في وجهكِ الفاتر الهمة ؟

كلوتايمنسترا : إن حبي زوجي ليهزمني ويجعلني أُحجم. فلنعد إلى حيث كان من الخير ألا نخرج البتة. وحتى الآن، هيّا بنا نسعى ثانية إلى الطهارة والوفاء، فلن يفوت قط أوان السير في طريق الاستقامة. ومن يندم هكذا على ذنبه، فهو قريب جداً من البراءة.

أيجيسثوس : أين وُلدتِ، أيتها المجنونة؟ أتعتقدين أو تأملين في أن يكون أجاممنون لا يزال وفيّاً لإيمان زواجه؟ فرغم أنه لم يكن في قلبكِ شيء يثير المخاوف العظمى، فإن حظه المتغطرس وغير المعتدل والمتضخم أكثر مما يجب، ليزيد في كبريائه. عندما كانت طروادة لا تزال تقاوم، كان فظاً مع حلفائه، فماذا تظنين طروادة[1] قد أضافت إلى روح شرسة بطبيعتها؟ كان ملكَ موكيناي، وسيعود طاغيتها؛ -يغري العز الكبرياء إلى ما وراء حدودها. بأية عظمة يأتي ذلك الجمع الصاخب من المعشوقات! بيد أن هناك واحدة من بين هذا الجمع تسيطر على الملك، إنها كاهنة[2] الإله كاشف المصائر[3]. أترضين وتحتملين شريكة في فراش زوجك؟ لكنها سترفض، إن أعظم ويلات الزوجة أن تحكم المعشوقة علناً كملكة في بيت زوجها. لا يحتمل الشركة كلٌّ من العرش والفراش.

كلوتايمنسترا : لماذا تسوقني قُدُماً، يا أيجيسثوس، وتُلهب غضبي بعد أن خمد؟ هب أن الظافر أباح لنفسه بعض الحرية إزاء فتاة أسيرة؛ فلا يجدر بالزوجة ولا بالمعشوقة أن تهتم بذلك. هناك قانون للعروش

(١) أي سقوط طروادة.

(٢) كاساندرا.

(٣) أبولو.

كلوتايمنسترا : تعود بقية عفافي السابق إلى الحياة، فَلِمَ تصيح ضدها؟ لماذا تقدم لي النصيحة الكاذبة بألفاظ الخداع؟ هل أهجر ملك الملوك وأتزوجك؟ أتتزوج سيدة سامية المولد رجلاً منبوذاً؟

أيجيسثوس : ولماذا أبدو لكِ أقل من ابن أتريوس، أنا ابن ثويستيس؟

كلوتايمسترا : إذا لم يكن هذا كافياً، فقُل حفيده أيضاً.

أيجيسثوس : كان فويبوس مصدر ولادتي، فلن أجد عاراً قط في مولدي.

كلوتايمنسترا : أتدعو فويبوس مصدر ولادة نشأت عن زنى محرَّم، ذلك الذي قاد خيوله إلى الخلف فأحدث الليل فجأة، وطردتَه أنت[1] من السماء؟ لماذا تدنس الآلهة؟ أيها المدرَّب على سرقة فراش الزواج بالخداع، يا من لا نعرفك إلا باسم رجل الحب غير الشرعيّ، انصرف في الحال، وأبعدْ عار بيتنا من أمام بصري، فإن هذا البيت ينتظر ملكه وسيده.

أيجيسثوس : ليس المنفى جديداً عليَّ، وقد تعودتُ الويلات. فلو أمرتِ، أيتها الملكة، فلن أهرب فقط من الوطن أو من أرجوس، بل إنني على استعداد، تلبيةً لأمركِ، لأن أغمد السيف في قلبي، مثقلاً بالحزن.

كلوتايمنسترا(بصوت منخفض) : ومع ذلك، فهل أسمح ، أنا ابنة توندناريوس القاسية، بحدوث ذلك؟

[إلى أيجيسثوس]

من يذنب مع غيره، فهو مدين للجريمة بالوفاء. تعال معي كي نضع خططنا بنظام ونحن في هذه الحال ذات الشئون القاتمة المهدَّدة.

[يخرجان]

(١) أي بيتك. حجبت الشمس وجهها في الظلام أثناء وليمة ثويستيس البشعة، كيلا ترى.

الكوروس : أنشدن، أيتها الفتيات الذائعات الصيت، متغنيات بفويبوس! لك، يا فويبوس، يتوج حشد المحتفلين بالعيد الرؤوس، لك، تهز فتاة أرجوس غصن الغار، وترسل خصلات شعرها العذراء بطريقة عادية؛ وأنت، يا من تشرب من مياه إيراسينوس Erasinus الباردة، ومن تنهل من يوروتاس Eurotas ، ومن ترتوي من إسمينوس Ismenus، الذي ينساب هادئاً بين شاطئيه الناضري الخضرة؛ وأنت أيضاً، ولو أنك غريب في طيبة، تعال وانضم إلى كورسنا، الذي حذّرته مانتو Manto ابنة تايريسياس Tiresias، قارئة الأقدار، أن يعبد الآلهة بالطقوس المناسبة، ذرية لاتونا Latona.

أرخِ قوسك، إذ عاد السلام، يا فويبوس، يا قاهر الجميع، وألق عن كاهلك جعبتك المليئة بالسهام السريعة، ولترسل قيثارتك أنغامها عندما تضربها أصابعك الطائرة. لن أجعلها تعزف ألحاناً عالية حادة الدرجة، بل أنغاماً بسيطة كالتي اعتدتَ أن تلحن على أوتار أخفّ، عندما تشرف الموزية Muse العالمة على رياضتك. ومن حقك أيضاً، أن ترسل مثل تلك الأنغام التي أنشدتها عندما شاهد الآلهة التيتان Titans وقد هزمهم الرعد؛ عندما وُضعت الجبال فوق الجبال العالية فكونت ممراً، للعمالقة الفظاظ، عندما وقف بيليون Pelion فوق أوسّا Ossa الموضوع تحته، واتزن أوليمبوس Olympus المكسو بالسحب فوق كليهما.

كذلك أنتِ، كوني قريبة، يا من كزوجة وأخت تشتركين في سلطان الصولجان، يا جونو Juno الملكية! نحن فرقتكِ المختارة، نعبدكِ في موكيناي. إنكِ الحامية الوحيدة لأرجوس، التي تناديكِ بالصلاة الحارة، أنتِ يا من تمسكين في يدكِ بالحرب والسلم تقبّلي الآن أغصان الغار التي يقدمها أجاممنون، أيتها الربة الظافرة، ترسل إليكِ القيثارة ذات الصندوق الخشبي، العديدة

الأوتار، أنغامها المهيبة. لك تمس الفتيات الماهرات الأوتـار في أنغـام مهدئـة؛ لك تهـز الأمهات الإغـريقيات[1] مشعـل النذور، وتسقط عنـد محـاريبـك خليلة الثـور البيضــاء، التي لم تعـرف المحراث، والتي لم يجرح النير رقبتها على الإطلاق.

وأنتِ، يا ابنة المرعد العظيم، يا الاس Pallas الماجدة، التي كثيراً ما هاجمتِ القلاع الداردانيـة Dardanian برمحـكِ، لك، تـركع أمهات الكوروس المجتمعات، صغيرات وكبيرات، وعند مجيئك يفتح الكاهن أبواب المعبد على مصاريعها. إليـكِ يتقدم الجمـع المتـوَّج بالأكـاليـل المضفـورة؛ إليـكِ يقـدم الشيـوخ الهـرمـون والمنهوكو القوى شكاواهم المسمـوعة، ويشكـرونكِ، ويصبيـون سكائب الخمر بيد مرتعشة.

وأنتِ أيضاً يا تريڤيا Trivia[2]، نعبدك بقلوب الاهتمام وبصلوات مألوفة. تأمرين مسقط رأسك ديلوس Delos بـأن تقف ثابتـة، يا لوكينا[3] Lucina؛ كانت عندئذٍ جزيرة طافية Cyclada تتأرجح هنا وهناك حسب رغبة الرياح، فصارت الآن أرضاً ثابتة راسخة الجذر، تصد الرياح وتستعمل مرسى للسفن رغم أنها اعتادت فيما مضى أن تتبعهـا. وإذ انتصرتِ، أخـذتِ تُحصين عدد الجثث التي بكتهـا أمها[4] ابنة تانتالوس، التي تقف الآن على قمة سيپولوس Sipylus الشامخة، تمثـالاً بـاكيـاً، وإلى هذا اليـوم يذرف الـرخام العتيق

(١) matris Gyraiae .

(٢) ديانا Diana.

(٣) ديانا.

(٤) نيوبي Niobe.

دموعاً جديدة. يعبد كل من الفتاة والرجل الربّين التوأمين[1] في حماس.

وأنتَ، قبل جميع الآخرين، أيها الأب والحاكم، رب الرعد، يا من يرتجف القطبان البعيدان لمجرد إيماءتك، يا جوبيتر Juppiter، يا مصدر جنسنا، تقبّلْ هدايانا بعطف، وبعناية الأب، فكِّرْ باهتمام في ذريتك الوفية.

ولكن انظرن، ها هو جندي يسرع بخطى واسعة، يُقبل بسرعة إلى هنا تبدو عليه أمارات الأنباء المفرحة وتتجلى بوضوح، (إذ يحمل رمحهُ إكليلاً من الغار فوق سنه الحديدية) ها هو يوروباتيس خادم الملك الدائم الوفاء، قد جاء إلى هنا.

[يدخل يوروباتيس حاملاً رمحاً متوجاً بإكليل من أغصان الغار]

يوروباتيس : أيا محاريب ومذابح الآلهة السماوية، ويا آلهة أسرة آبائي، بعد أن تعبتُ من طول تجوالاتي، وقلما أصدِّقُ عينيَّ، أقدم احترامي بخضوع. [للشعب] قدموا نذوركم الآن إلى الآلهة السامية، فإن فخر ومجد أرض أرجوس، يعود إلى بيته أخيراً، يرجع أجاممنون منتصراً.

[تدخل كلوتايمنسترا في الوقت المناسب لتسمع آخر ألفاظ الرسول]

كلوتايمنسترا : إنها لأنباء مباركة هذه التي طرقت آذاني، ولكن لماذا يتأخر زوجي الذي ظللتُ أنتظره مدة عشر سنوات طوال؟ أهو في البحر أو في البر؟

---

(١) فويبوس وفويبي Phoebe (ديانا) .

يوروباتيس : وطيء شاطيء وطنه الذي طالما اشتاق إليه، سليماً مُعافًى، وأكثر مجداً، وشهيراً بالثناء.

كلوتايمنسترا: فلنرحب بهذا اليوم بطقوس مقدسة، محظوظين أخيراً، فرغم رحمة الآلهة فقد أبطأت في منح طلبنا. ولكن، أخبرني: هل شقيق زوجي على قيد الحياة، وأين شقيقتي[1]، أخبرني؟

يوروباتيس : أرجو وأتوسل إلى الآلهة أن يكون خيراً مما نأمل لهما، إذ يُحرِّم عليَّ حظ البحر المحوط بالشكوك، أن أتكلم عن ثقة وتأكيد. فعندما التقى أسطولنا المتناثر في بحر مائج، قلما كانت أية سفينة تستطيع أن تبصر سفينة شقيقه. وحتى أتريديس نفسه، وهو سائر فوق المحيط المترامي الأطراف، خسر في البحر أكثر مما خسر في الحرب، وعاد كرجل مدحور رغم انتصاره، وليس معه سوى عدد قليل من السفن المحطمة من أسطوله القوي.

كلوتايمنسترا: أخبرني، أية مصيبة ابتلعت سفني، أو أي مكروه حدث في البحر فشتّت الرؤساء.

يوروباتيس : يا لها من قصة مريرة الرواية، تلك التي تطلبينها، هأنتِذا تأمرينني بأن أخلط الرسالة المنحوسة بالبشرى السارة. يحجم عقلي المريض عن الكلام، ويرتجف عند التفكير في مثل تلك الكارثة.

كلوتايمنسترا: استمر في روايتك، فمن يمتنع عن معرفة مصائبه فإنما يزيد في مخاوفه. والمتاعب التي يُرَى نصفها، أكثر عذاباً.

يوروباتيس : عندما سقطت بيرجاموم Pergamum كلها تحت النار الدوريانية Dorica face، قسمت المغانم، وبسرعة ولهفة سعى الجميع إلى البحر. وعندئذ أراح المحارب جنبه من ثقل السيف المتعب،

---

(١) هيلين.

ووُضعت التروس دون ما اكتراث بطول الكواثل العالية؛ وناسب المجذاف يدي المحارب. ومن فرط سرعتهم ولهفتهم، بدا كل تلكؤ كما لو كان دهراً. ثم لما لمعت إشارة العودة فوق السفينة الملكية، ونبّه صوت البوق العالي المجذفين الفرحين، قاد حيزوم سفينة الملك المُذَهَّب وحدد الممر، وفتح الطريق أمام ألف سفينة تتبعه.

تسلل في أول الرحلة نسيم رقيق إلى أشرعتنا فساق سفننا قُدُماً، وقلما تحركت الأمواج الهادئة وخرّت تحت نسمة زفيروس العليلة، وانعكست على صفحة البحر صورة عظمة الأسطول، وحَجَبَ التعب أسفله. ما أحلى النظر إلى شواطيء طروادة العارية الجرداء، وما ألذّ مشاهدة صحاري سيجيوم Sigeum. امتلأ الشبان سرعة لثني المجاذيف بضربات متناسقة معاً، وطفقوا يساعدون الرياح بالأيدي، ويحركون أذرعهم الصلبة في حركات إيقاعية. فاضطربت المياه المشقوقة وأزّت جوانب السفن وسط الأمواج، واندفع البحر الأزرق في رشاش قويّ. وعندما جاءت نسمة جديدة وملأت الأشرعة المنتفخة، رقد المحاربون بجانب مجاذيفهم وعهدوا بالسفينة إلى الريح، ومدوا أجسامهم بطول المقاعد، إما ليراقبوا الأرض البعيدة الهاربة عندما تتقهقر السفن، أو ليستعيدوا ذكريات حروبهم ـ هدَّدَ هكتور Hector الباسل، وأسلمت العربة[1] وجثته المفدية إلى كومة الحريق، وذرَّ جوف الهرقيانيّ Herceus Iovis بدم ملكيّ[2]. وكذلك أخذت السمكة

---

(١) أي عربة أخيل Achilles التي جرّت جثة هكتور.

(٢) قُتل برياموس عند مذبح جوف الهرقيانيّ (أي حامي الفناء Zeus Erkeios) في فناء قصره.

التـورهينية[1] Tyrrhenus Piscis تلعب في المـاء الرقـراق جيئـة وذهاباً، وتقفز فوق البحر المائج بظهـر مقوس، وتقـوم بحركـات رياضية حول السفينة، فتندفع تارة في دوائر، وتسبـح تارة أخـرى بجانب السفينة. تسير مرحة إلى الأمام أحياناً، وتتبع السفينة أحياناً أخرى، وسرعان ما مسَّ السرب حيزوم السفينـة القاعـدة، وشرع يسبح حول السفن الألف مرات ومرات.

في تلك الأثناء كان الشاطيء كله قد اختفى، وغابت السهول عن الأبصار، وبدت قمم جبل إيدا Ida بـاهتة. وبعـد ذلك، كـان ما تستطيع العين الحديدة أن تراه هو دخان إيليوم يلوح من بُعد كبقعة دكناء ليس غير. وكان التيتان قد أراح أعناق خيوله المكدودة، من النيـر، ثم خفضت النجوم أشعتهـا، وانحدر النهـار إلى أسفـل. وتألقت سحابة دقيقة في كتلة مظلمة، ولاحـت كبقعـة تلوث أشعة الشمس الغاربة اللامعة. وجعلنا غروب الشمس المتعـدد الألوان نشك في البحر[2].

أنشأ الليل الحديث يبرقش النجوم، وارتخت الأشرعة إذ هجرتهـا الريح. ثم إذا بصخب عميق ينـزل من قمم الجبل، فكـان أسوأ تهـديداً. وانبعث من الشـاطيء الفسيح والقُنن الصخـرية صـوت أنين. وإذ ألهبت الريح الصـاعدة الأمـواج، أخذت هـذه اللجج تصعد عالياً ـ وعندما اختفى القمر فجـأة، واحتجبت النجوم عن الأنظار، ورُفع البحر وذهبت السماء، صار الليل مزدوجاً، وغشى الضباب الكثيف دياجير الظلام، وانسحب جميع الضوء، فارتبك

(١) أطلق على الدلفين هذا الاسم تخليداً لذكرى قراصنة تورهيني Tyrrhene الذين حوّلهم بـاكخوص Bacchus في غضبـه، إلى دلافنة. انـظر «أوديبوس Oedipus، سـطر ٤٤٩ ومـا بعده».

(٢) هذه إحدى علامات الطقس العديدة.

البحر واكفهر الجو. وفي الحال هبت الرياح من كل اتجاه، وهتكت عباب البحر فانقلب من أعمق أعماقه إلى أعلى، واشتبكت الريح الغربية مع الشرقية في نضال، والجنوبية مع الشمالية. تستخدم كلٌّ منها أسلحتها الخاصة في هجوم مميت. فأثارت البحر من أعماقه بينما انقضّت دوامة هوائية على اللجج فملأتها بالزَّبَد. وأرسل أكويلو الاستروموني Strymonius Aquilo الثلوج العميقة في نوبات حلزونية، وأثار أوستير الليبيّ Libycus Auster رمال سورتيس Syrtes الساحلية[1] فلم تعد تقاوم النضال مع أوستير: وهبت نوتوس Notus مثقلة بالغيوم، فملأت الأمواج بالمطر، بينما هاجم يوروس Eurus الفجر وزلزل الممالك النباتية Nabataea regna والخلجان الشرقية. وماذا فعل كوروس Corus المتوحش إذ أخرج رأسه من المحيط؟ مزق السماء كلها من أسسها حتى ليخيل إليك أن الآلهة أنفسها تسقط من السماء المتهتكة، ولف الدنيا فضاء أسود. ناضل الطوفان مع الريح وزحزحت الريح الطوفان إلى الخلف. ولم يعُد البحر يحتوي نفسه، واختلط المطر والأمواج مع المياه. وحتى نوبات الفرج هذه، عجزت عن القيام بهدفها المروع، أن ترى، على الأقل، وتعرف الكارثة التي تهلكها. نزل الظلام ثقيلاً على عينيها، وخيَّمَ الليل الجهنميّ لستوكس Styx الفظيع. بيد أن النيران انفجرت خارجة، وتألق وميض البرق المخيف من السحب الممزقة، وما أعظم لذة هذا الوميض المفزع لأولئك البحارة المساكين، إذ طالما كانوا يُصَلُّون مبتهلين من أجل هذا النور.

ساعد الأسطول ذاته على تحطيم نفسه، إذ اصطدم الحيزوم

(١) كثبان قليلة الاتفاع من الرمال فوق شاطيء أفريقيا الشمالي. .

بـالحيزوم، والجـانب بالجـانب. فهذه سفينـة ازدردتها الأعمـاق وسحبتها إلى الحضيض، ثم لفظتها وتقيأتهـا ثانيـة وأعادتهـا إلى البحر، إلى فوق. وتلك سفينة غاصت بفعل ثقلها، وأدارت أخرى جانبها المهشم إلى الأمـواج، وسفينة غيـر هذه ابتلعتهـا الموجـة العاشرة[١]. وهناك سفينة طافية مضعضعة، جُرِّدت من كل زينتها، فما عاد فيها أشرعة ولا مجاذيف، ولا سارية مستقيمة تحمل سوق الأشرعة العالية، وإنما صارت حطاماً عتيقاً تتقاذفـه الأمواج فـوق البحر الإيكاري Icarian. لم يُجْدِ العقل ولا المران فتيلاً وقتذاك، واستسلمت المهـارة إلى الكارثـة الدهيـاء. وإذ قبض الفزع على أعضـاء البحارة، وقفـوا مشدوهين وهجـروا أعمـالهم: فسقـطت المجاذيف من أيديهم. ودفع الخوف الفظيع أولئك المساكين إلى الصلاة، وطفق الطرواديـون Troes والأغارقـة Danai يتضرعـون طالبين نفس الشيء من الآلهة. ماذا بوسع القَدَر القريب أن يفعل؟ حسد يوروس Pyrrhus أباه، وحسد أولوسيس Ulysses أجاكس، وحسـد أتريـديس الأصغـر Atrides minor هكتـور، كمـا حسـد أجاممنون برياموس؛ واعتُبر كل من رقد مقتولاً في طروادة مباركاً، وكـذلك كـل من نال المـوت بفعل الأسلحـة، وكـل من حـرسـه المجد، وكل من ضمته الأرض التي غزاها. «فهل يحمل[٢] البحر والموج كل من لم يجرؤ على فعل شيء نبيل؟ وهل يغمـر مصير الجبان بواسل الرجال؟ أيجب أن يهزم الموت؟ فأيًّا كنتَ، من آلهة السماء، ولم تُشْفِ غليلكَ متاعبُنا المريرة، فلتقنع ألوهيتك أخيراً، فحتى طروادة نفسها قد بكت على مصائبنا. أما إذا كانت كراهيتك

(١) كانوا يعتقدون أن كل موجة عاشرة أشد الأمواج عُتُوّاً وأفظعها تدميراً.

(٢) أي بسلام. فالمقابلة هنا بين القوم الجبناء الذين اجتازوا البحر بسلام، وبين الشجعـان الذين قُدِّر لهم أن يموتوا فيه، ويُلقوا بأرواحهم إلى غير رجعة.

عنيـدة، ولذّ لـك أن ترسـل الجنس الإغريقي إلى حتفـه، فلماذا تُهلك معنا أولئك[1] الذين هلكنا من أجلهم؟ هدِّيء البحر الثائر: يحمل هذا الأسطول أغارقة، ولكنه يحمل طرواديين أيضـاً. «لم يستطيعوا الكلام بعد ذلك، إذ اغتصب البحر ألفاظهم.

ولكن انظرن! كارثة فوق كـارثة! تسلحتْ بـالاس بصاعقـة جوف الغـاضب، تحاول التهـديد قـدر طاقتهـا، ليس بالـرمـح، وليس بالترس، ولا بثورة الجورجـونة Gorgon[2]، وإنمـا ببرق والـدها وبـالزوابـع الجديـدة التي تهب في كـافـة أجـواز الجـو. حـافظ أجاكس[3] وحده على استمرار النضال غير خائف من العـوادي. أمـا ذلك الـذي قصَّرَ الشـراع بحبل الصـاري المشـدود، فتسلح بـالبرق العنيف. سـددت صاعقـة أخرى، فقـذفتها بـالاس بكـل قوتها، ساحبة يدها إلى الخلف محاكية والدها. فنفذت الصاعقة خلال أجاكس وخلال سفينته ومعهمـا جزء من السفينـة، وحملت أجاكس. بعد ذلك لم يتحرك، بل ارتفع كصخـرة عاليـة محترقـاً باللهب من البحر الملحي، وشق البحر الثائر بصدره مندفعاً خلال السيـول ومتشبثاً بيـديه بسفينتـه المحطمـة، ساحبـاً اللهب معه، وأضاء ساطعاً وسط ظلام البحر، وأنار كل الأمواج. وأخيـراً بلغ صخـرة فصاح في غضب جنـوني: «ما ألـذَّ أن تهزم كـل شيء، الطوفان واللهب، وتدحر السماء وبالاس والصـاعقة والبحـر. لم أهـرب فزعـاً من إلّه الحـرب، وقاومتُ بـذراعي وحدهـا كُلاًّ من

(١) أي أن الطرواديين الذين أُرسلت العاصفة على الإغريق بسببهم، تبعاً للمفروض هنا.

(٢) أخذت مينرفا Minerva رأس الجورجونة المفزع من بيرسيوس، ووضعته في صرة ترسها (الأيجيس: Aegis)

(٣) أي أجاكس «الأصغر minor» ابن أويليوس Oileus: يذكِّرنا هـذا المنظر بأنيانة فـرجيل (الكتاب الأول، سطر ٤١ وما بعده).

هكتــور ومــارس Mars، ولم تضــطرني سهــام فــويبــوس إلى الانسحاب. هزمتُ مثل هؤلاء المحاربين مع جنودهم الفروجيين Phryges؛ ـ فهل أتخاذل أمامك؟ تقذف سلاحاً آخر بيد ضعيفة. ماذا لو قذف هو نفسه ـ ؟»[1] وعندما تمادى جنونه وكاد يقول أكثر من ذلك، رفع الأب نبتونوس Neptunus رمحه الثلاثي الشعـاب من أعماق لجحه، وضرب الصخرة فكسـرها، وفي أثنـاء سقوط أجاكس حمل معه الصخرة، وإنـه ليرقـد الآن وقد غلبتـه الأرض والنار والأمواج.

أمـا نحن البحارة الـذين تحطمت سفنهم فقـد تحدّانـا دمار أشـد سوءًا. هناك بقعة من الماء الضحل الخادع مليئة بالصخور الخشنة حيث يُخفي كافيريوس Caphereus الغادر قاعدته الصخرية تحت الأمواج المتحركة في دوامة، وقد ثار البحر وأزبد فوق الصخور، وماج الطوفان هناك مستمرّاً في جَزْره ومده. ظهر رأس أرض داخل البحر، كثير الهوات السحيقة، يطل على البحر من كِلَا جانبيـه. وبوسعك أن تتعرف هناك على شواطئك البيلوبية Pelopis oras. أما البرزخ Isthmus الممتد خلفه مقوساً بأرضه الضيقـة، فيمنع البحـر الأيـوني Ionia maria أن ينضم إلى أمـواج فـريكســـوس Phrixus. وهناك أيضاً لمنـوس Lemnos الشهيـرة بـالجـريمـة[2] وكالخيدون Calchedon وأوليس Aulis التي عوقت الأسطول مدة طويلة. أمسك والد بالاميديس Palamedes هذه القمة، ورفع بيده اللعينة إشارة ضوئية من تلك الذروة العالية، وبمشعل خداع أغرى الأسطول على الذهـاب فوق تلك الصخـور. عُلِّقتْ هناك السفن

---

(١) من الجلي أن أجاكس كان سيكمل كلامه بقوله: «صاعقته، وعندئذٍ لن أخاف».

(٢) أي بالنساء اللواتي قتلن جميع أزواجهن ما عدا هويسيبولي Hypsipyle. التي أنقذت أباها ثواس Thoas.

بعـد أن أمسكت بها الصخـور المسننة، فـانكسر بعضهـا إرباً في المياه الضحلة، وحُمل مقدم إحدى السفن بعيـداً، بينما اشتبـك جـزء منها بـالصخر، واصـطدمت سفينة بـأخـرى وهي تنسحب، فتحطمت كلتاهمـا وتَحَطَّمْنـا نحن. عندئـذٍ خافت السفن البقـاء بجـوار اليابسـة، واختارت البحـار. وقبيل الفجـر، هـدأت ثـورة العاصفة، وإذ تم التكفيـر من أجل إيليـوم، عاد فـويبوس وأظهـر لنهارُ المحزن ما أحدثه الليل من دمار.

كلوتايمنسترا: هل أحزنُ أو أفرحُ لعودة سيـدي؟ إنه ليفـرحني أن أراه ثانيـة في بيته، ولكني مضطرة إلى الحزن على الخسارة الفادحة التي منيت بها مملكتنا، وأخيراً، أيها الأب مزلزل السماء العالية الرنين، أعد إلى الأغـارقـة آلهتهم القـانعـة، ودعْ كـل رأس يتـوَّج بـأكـاليـل الاحتفال، دع ناي تقـديم الذبـائح يـرسل أنغـاماً حلوة، وتسقط الذبيحة البيضاء عند المذابح العظمى.

ولكن انظر، ههنا جمع حزين من النساء الطرواديات شعورهن غير مربوطة، بينما تتقدمهن جميعاً، بخطى مزهـوة، كاهنـة فويبـوس المجنونة، تهز غصن الغار جالب الوحي.

[تدخل جماعة من النساء الطرواديات بقيادة كاساندرا].

كوروس النساء الطرواديات: يا للأسف ما أشد إغراء لعنةٍ خُصصت للبشر، ألا وهي حب الحياة المقيت، رغم أن الملاذ من ويلاتهم مفتوح على مصراعيه، ويدعو الموتُ التعساء بيد سخية، ملاذاً هادئاً للراحة الأبـدية. لا يعكر صفو الهدوء فيه خوف ولا عاصفة الحظ الثائر، ولا صاعقـة المرعد القاسي Flamma Tonantis. لا يخاف الهدوء العميق أية مؤامرة للمواطنين، ولا غضب الظافر المهدِّد، ولا أيَّ بحر مـائج تثيره الرياح العاصفـة، ولا صفوفَ القتـال الوحشي، ولا سحـابةً

دكناء تثيرها حوافر خيول فرقة بـربريـة، ولا أُمَماً تسقط بسقـوط مدنها التام؛ وبينما تدمر الهُب المعادية الأسـوار، لا تندلـع نيران حرب شعواء جامحة، سيشق طريقه وسط كـل هذه العـوائق من يتجرأ، غير هياب، على ازدراء الآلهة المتقلبة التي تستطيع التطلع إلى أخيـرون Acheron المظلم، وإلى ستـوكس المخيف، ومن تواتيه الجرأة الكافية لإنهاء حيـاته. سيكـون نِدّاً معـادلاً للملوك، ونِدّاً معادلاً للآلهة السامية. مـا أتعـس ألا نعرف كيف نموت!

شاهدنـا سقوط مملكتنـا ليلة الموت تلك، عنـدما دَمَّـرتِ، أيتها النيران الدورية Dorici ignes بيوت داردانيا Dardania. لم تُهزَم في حرب، ولا بأسلحة؛ ولم تسقط بسهام هرقل كمـا حدث في الزمن الماضي، ولم يتغلب عليها ابن بيليوس Peleus وثيتيس[1]، Thetis ولا من يعـزه بيليديس Pelides الصنـديد، عنـدمـا أضـاء بـأسلحة مستعـارة، وساق أبنـاء طروادة هـاربين، إذ ظنوه أخيـل Achilles falsus ؛ ولا عنـدما أبـدَى غضبـه[2] بسبب حـزنـه[3]، والنساء الطرواديات يلاحظنه من فوق الأسوار، خائفات من هجومه السريع. لم تفقد وسط محنها، مجدَها المتوَّج، مجد احتمـالها الغزو في شجاعة، وقاومت مدة عشر سنوات طوال، وقُدِّر لها أن تهلك بخيانة[4] ليلة واحدة.

رأينا تلك الهدية المرموقة، الهائلة الحجم، وسحبنا هدية الإغريق المميتة بأيدينا الـواثقة، وكثيـراً ما تعثَّـرَ ذلك العمـلاق ذو الأقدام الصاخبة على عتبة الباب، حاملاً بـداخله، الـرؤسـاء والحرب.

---

(١) باتروكليس Patroclus .

(٢) أي على موت باتروكلوس.

(٣) أي بخدعة الحصان الخشبي.

(٤) أي ضد أجاممنو ن.

كان بوسعنا أن نرد عليهم خدعتهم، فنجعل البيلاسجيين Pelasgi يسقطون بنفس خدعتهم؟ وكثيراً ما صلصلت تروسهم المحشورة، وطرقت آذاننا تمتمة خافتة، عندما غمغم پورّوس، قلما أستسلم إلى رغبة أوليسيس الكثير الحيل.

لم يتخوف الشباب الطروادي أن يلمس الحبال القاتلة(1). قاد أستواناكس Astyanax جماعات من نفس سنهً. وهناك خُطبت هي(2) إلى كومة الحريق التسالية. قادت هي الفتيات وقاد هو الفتيان، وجاءت الأمهات بتقدمات النذور إلى الآلهة مسرورات. وتقدَّم الآباء إلى المحاريب مسرورين؛ وكل واحد لا يبدو إلا في منظر واحد في كافة أنحاء المدينة، وما لم نره منذ جنازة هكتور، هو أن هيكوبا Hecuba كانت مبتهجة. وعندئذٍ، أيها الحزن التعيس، علامَ ستبكي أولاً وأخيراً؟ أعلى الأسوار المبنية بأيادٍ إلّهية فدمرتها أيدينا؟ أعلى معابد هُدمت فوق آلهتها؟ يفتقر الزمن إلى أن يبكي على مثل هذه الشرور - هناك، أيها الأب، العظيم، تبكي النساء الطرواديات. رأيتُ؛ رأيتُ سيف پورّوس في عنق الرجل العجوز، وقلما ابتلَّ بدمه القليل.

كاساندرا : كفكفن دموعكن التي تطلبنها طول الوقت، أيتها النساء الطرواديات، فإذا حزنتن، أنتن أنفسكن، على موتاكن بالأنين والنحيب، فإن خسائري ترفض كل إسهام. إذن، فأوقفن حزنكن على مصائبي. فأنا وحدي كافية من أجل نوائب بيتي.

الكوروس : ما أحلى أن نخلط الدموع بالدموع، وإن الأحزان لأشدُّ إيلاماً إذا ما جرحت في عزلة، بيد أنه يلذ للمرء أن يبكي، وسط الجماعة،

(1) يمكن مقارنة كل وصف جاء بهذه الفقرة بالوصف الذي أورده فرجيل في إنياذته وخصوصاً، بالكتاب الثاني سطر ٢٣٩.

(2) بولوكسينا.

أحزان صديقه؛ كما أنـه لا ينفع، مهمـا كنتِ قويـة وباسلة وذات مـران على المصائب أن تبكي مثـل هذه البـلاوَى العـظمى. لن تستطيع العندليب[1] الحزينة التي ترسل أناشيدها من فوق غصن الـربيع، ولا يستطيع صوت مـزمار إيتـوس Itys بأنغـامه الـدائمة التغير، ولا العصفورة[2] الجاثمة فـوق الحصون البستونية Tectis Bistonis تكرر قصة آثام سيدها القاسي الخفيةِ، لن يستطيـع كل هؤلاء بجميـع نحيبهن العـاطفي أن يبكين بيتـكِ. ولـو أنشـد كوكنوس[3] Cycnus الناصع البياض بنفسه نشيـد احتضاره وسط البجعتين البيضـاوين إسيتـر Ister وتـانـايس Tanais، ولـو بكت الطيور المـائية Alcyones على فقيـدها كيكس Ceyx بين ثنيـات الأمـواج الخـفيفـة، فرغم عـدم ثقتهن، وثقن مـرة أخـرى، في جرأة، بالمحيط الهادىء، وتمتعن بصغارهن في شوق فوق عش مـزعزع، ولـو جـرحت الجمـاعـة الحـزينـة التي تتبـع الـرجـال المخنثين[4] Molles Viros، أذرعها مع ذراعيكِ، تلك الجماعـة التي أثارت نغماتُ الناي الجنونَ فيهـا فطفقن يضـربن صدورهن للأم المتوجة بالحصن[5]، كي يبكين على أتيس Attis الفروجية

ـ ليس لدموعنا مقياس، يا كاساندرا، إذ فاقت آلامنا كل قياس.

ولكن لماذا تنزعين الخصلات المقدسة من رأسكِ؟ في اعتقـادي

---

(١) الذي تحولت إليه فيلوميلا Philomela.

(٢) الخطاف (hirundo) الذي تحولت بروكني Procne إلى صورته.

(٣) يقصد بكوكنوس هنا «ذكر البجع»، وليس ابن نبتونوس الـذي قتله أخيل ثم تحـول إلى بجعة

(٤) كهنه كوبيلي Cybele.

(٥) كوبيلي.

أنه يجب على الأرواح التعيسة أن تبجل الآلهة.

كاساندرا : وإذ تغلبت محناتها على كل خوف، فلن أصالح آلهة السماء بـأية صلاة، ولا يجب عليهم أن يثوروا لأنهم آذوني هنا. وقد أفنت ربة الحظ نفسُها جميعَ قواها. أيُّ وطن بقي لي؟ وأي أب؟ وأية أخت الآن؟ شربت المذابحُ(١) والمقابرُ(٢) من دمي. ماذا بقي من جمع الإخوة السعيد ذاك؟ ذهبـوا جميعاً! لم يُتـرك في القصر الخـاوي سوى الشيوخ الحزانى؛ وفي جميع تلك الغـرف العديـدة، يرون جميع النساءما عدا الإسبرطية Lacaenam المتـرملة. فتلك التي كانت أمًّا لعدد كبير من الملوك، ملكة الفروجيين، هيكوبا، الوفية للنيران الجنائزية المبرهنة على قوانين القَدَر الجديدة، قد تقمصت صـورتها الـوحشية(٣)، تنبـح بجنون حـول أسوارهـا المحطمـة، وعاشت بعد طروادة وبعد ابنها، وزوجها ونفسها!

الكوروس : سكنت عروس فويبـوس فجأة، فـانتشرت الصفـرة على خديهـا، وسيطرت الرجفة المستمرة على جميع هيكلها. وانتصبت شعورها متوترة، وارتفعت خصلاتها الناعمة فـزعاً، وعـلا وجيب قلبها في تمتمة خافتة، وزاغت لحاظها حيرى، وبدت عيناها غائرتين نحو محجريهما. وسرعان ما حملقتا دون حـراك. وها هي الآن تـرفع رأسهـا في الهواء أعلى ممـا اعتادت من قبـل، وتمشي بخطوات العظمة؛ وتحاول الآن أن تفك قيود شفتيها المناضلتين، وتحاول الآن عبثاً أن تضمها فوق ألفاظها، إنها كاهنة مجنونة إذ تناضل ضد الإله.

---

(١) قُتل كـل من أخيها بوليتيس Polites، وأبيها برياموس عنـد مذبح جوف الهرقياني. انظر الأنياذة، الكتاب الثاني: سطر: ٥٢٦ وما بعده.

(٢) قُتلت بولوكسينا على قبر أخيل.

(٣) أي تحولت إلى كلبة.

كاساندرا : لماذا توخزينني، يا مرتفعات پارناسوس Parnassus المقدسة، بمناخس الإثارة من جديد، لماذا تجردينني من حواسي؟ ابتعدي! أيْ فويبوس، لم أُعُد مِلْكاً لك بعد الآن؛ أطفِيء اللهُب المتغلغلة عميقاً في داخل صدري. من أجل مَن أتجول أنا الآن مجنونة؟ ومن أجل مَن أهذي في جنون؟ الآن، وقد سقطت طروادة ـ ماذا بقي لي، أنا العرافة الزائفة؟

أين أنا؟ هرب النور اللطيف، وأعمت الظلمة الكثيفة عينيّ، وإذ دَفَنَ الدجى السماء، فقد اختفت. ولكن انظرن، ها هو النهار يتألق بشمس مزدوجة، وترفع أرجوس مرتين، قصرين توأمين! أرى غابات إيدا، هناك يجلس الراعي قاضياً للمصائر وسط الربات القويات. ـ اخشوه، أيها الملوك، إنني أحذركم، خافوا ابن الحب المسروق[1]، سيقلب ذلك اللقيط الريفي بيتكم. ماذا تقصد هذه المرأة المعتوهة بالسيف المسلول في يدها؟ عن أي بطل تبحث بيدها اليمنى؟ إنها إسبرطية في زيها[2]، ولكنها تحمل بلطة أمازونية[3] ـ وما هذا المنظر الآخر الذي يستخدم عينيّ؟ هذا ملك الوحوش ذو العنق الفخور، قد سقط بمخلب وضيع، إنه أسد أفريقي[4] لحقته عضات قاتلة من لبؤته الجريئة. ـ لماذا تنادونني، يا أشباح أقاربي، أنا الباقية الوحيدة على قيد الحياة من بيتي؟ أتبعك يا والدي، يا شاهد العيان على دفن طروادة، وأنت يا أخي، يا معين الفروجيين، وفزع الإغريق، لست أراك في العظمة

(١) لا توجد بين هذه الألفاظ وبين العبارات السابقة أية علاقة منطقية، وإنما هي تلميح غامض إلى أيجيسثوس.

(٢) كُشف أمام بصيرتها عن الفعلة التي تنوي كلوتايمنسترا أن تقوم بها.

(٣) Ferrum Amazonium.

(٤) Marmaricus leo.

التي كانت لك في سابق العهد، أو بيديك ساخنتين من إحراق السفن، وإنما ممزَّق الأعضاء، وقد جرحت السيور الغائرة عميقاً، ذراعيك؛ أتبعك، يا ترويلوس Troilus، الذي التقيت في عهد مبكر مع أخيل، ليس وجهك معروفاً يا دايفوبوس[1] Deiphobus، هدية زوجتك الجديدة[2]، «ما ألذ السير بجانب البرك الستوجية Stygios lacus ؛ وما أحلى رؤية كلب تارتاروس Tartarus المتوحش، وممالك ديس Regna Ditis الجشع! اليوم سيحمل قارب فليجيثون Phlegethon المظلم أرواحاً ملكية[3]، مهزومة وهازمة. أيها الأشباح، أتوسل إليكم؛ كما أن توسلي إليك، أيها المجرى الذي يحلف به الآلهة، لن يكون بأقل من توسلي السابق: اكشفوا، لمدة قصيرة، غطاء ذلك العالم المظلم، كي ينظر جمع الفروجيين ذوي الظلال، إلى موكيناي. انظروا، أيها الأرواح المسكينة، ها هي الأقدار Fata تستدير عائدة على أعقابها.

تجدُّ الشقيقات القذرات، في السير قُدُماً، شاهرات سياطهن الدموية، ويحملن في أيديهن اليسرى مشاعل نصف موقدة، وقد انتفخت أوداجهن الشاحبة، وتحيط بخواصرهن الجوفاء ثياب الموت القاتمة؛ يرددن صيحات الليل المخيفة، وترقد عظام جسم ضخم قد تعفنت لمدة طويلة في مستنقع موحل[4]. وانظرن! ذلك

(١) انظر إنياذة فرجيل، الكتاب السادس، سطر ٤٩٤ وما بعد.

(٢) أي هيلين.

(٣) أي روحها وروح أجاممنون.

(٤) إذا كان سنيكا قد كتب السطور ٧٦٦ - ٧٦٨، فإما أن كانت في ذهنه إشارة معينة غير معروفة لنا، وإما أنه قصد مجرد إضافة تفاصيل بشعة إلى الصورة.

الرجل العجوز الفاني[1]، ينسى ظمأه فلا يعود يمد يديه إلى المياه الساخرة، حزنا على الميت[2] القادم. أما الأب داردانوس Dardanus فيبتهج ويسير قُدُماً بخطى ملكية.

الكوروس : الآن، قد أنهك جنونها الشارد نفسه، وتسقط كما يسقط الثور أمام المذبح بركبتين جاثمتين، فيتلقى ضربة سيئة النية، على رقبته. هيّا بنا نرفع جسدها. ولكن انظرن! ها هو أجاممنون يُقبِل متوِّجاً رأسه لآلهته بأكاليل النصر من أغصان الغار؛ وذهبت زوجته بفرح لكي تقابله، ثم تعود موحدة خطواتها مع خطاه في تناسق.

[يدخل أجاممنون، بعد أن قابلته ورحبت به زوجته التي تدخل معه، وتستمر في سيرها فتدخل القصر وحدها]

أجاممنون : وأخيراً، عدتُ سالماً إلى بيت أبي. مرحباً. بكِ، أيتها الأرض العزيزة! قدَّمتُ إليكِ الغنائم أمم بربرية كثيرة، وإليكِ خضعت طروادة آسيا المزهوة، التي طالما باركتها السماء. ـ لماذا يُغمى على الكاهنة[3] هناك فتسقط مترنحة برأس مرتخٍ؟ ارفعوها، أيها العبيد. ها هي ترى النور ثانية بنظرة واهنة.

[إلى كاساندرا]:

استيقظي إلى الحياة! ها هو ملاذنا من ويلاتنا، الذي طالما اشتقنا إليه؛ هذا يوم عيد.

كاساندرا : وكذلك كان يوم عيد[4]، في طروادة أيضاً.

---

(١) تانتالوس.

(٢) أي موت أجاممنون، ابن حفيد تانتالوس.

(٣) أي كاساندرا.

(٤) انظر أنياذة فرجيل، أنشودة ٢ ، سطر ٢٤٩ .

أجاممنون : هيّا بنا نركع أمام المذبح .

كاساندرا : أمام المذبح سقط والدي

أجاممنون : هيّا، بنا نصلي معاً إلى جوف .

كاساندرا : جوف الهرقياني؟[1]

أجاممنون : أتظنين أنكِ تنظرين إلى إيليوم؟

كاساندرا : وإلى بِرياموس أيضاً .

أجاممنون : ليس هنا طروادة .

كاساندرا : أينما توجد هيلين[2]، أظنه طروادة .

أجاممنون : لا تخافي أية سيدة، رغم كونكِ عبدة .

كاساندرا : الحرية قريبة مني .

أجاممنون : عيشي، في أمان .

كاساندرا : الموت أمان لي .

أجاممنون : ما من شيء تخافينه .

كاساندرا : ولكن الكثير لك .

أجاممنون : ماذا يخاف الظافر؟

كاساندرا : ما لا يخافه .

---

(١) قُتل بِرياموس عند مذبح جوف الهرقياني، (انظر الإنياذة: الكتاب الثاني، سطر ٥١٢ وما بعده) .

(٢) أي امرأة شريرة زانية مثل هيلين. لم تكن هيلين في بلاد الإغريق وقتذاك. ومن الجليّ أن الكلام هنا يشير إلى كلوتمنسترا .

أجاممنون : أسندوها، أيها العبيد الأمناء، حتى تنفض عنها الإلّه[1]، لئلا تُحدث ضرراً ما في جنونها الوحشيّ. ولكني سأعبدكِ، أيها الأب، يا من تقذف بالرعد المخيف، وتسوق الغيوم، يا من تحكم النجوم والبلاد، يا من يحمل إليك الظافرون غنائمهم في النصر، وأنتِ يا أخت سيدكِ القويّ، جونو الأرجولية Argolica Iuno. سأعبدكما مبتهجاً بقطعان النذور، وبهدايا[2] بلاد العرب، وبتقدمات المتوسل من الأمعاء.

[يخرج، ويدخل القصر]

كوروس نساء أرجوس : أي أرجوس، المُشَرَّفة بمواطنيكِ النبلاء، أي أرجوس العزيزة لدى زوجة الأب رغم غضبها[3]، تَبَنَّيْتِ أبناء دائمي القوة، وجعلتِ عدد الآلهة الفرديّ زوجيّاً[4]. نال بطلكِ بأعماله الاثني عشر حق اختياره للسماء. إنه هرقل العظيم، الذي من أجله[5] كُسِرَ قانون العالم، فضاعف جوبيتر ساعات الليل الندية، وأمر فويبوس بأن يسوق عربته المسرعة ببطء، وأمر فرقتك بالعودة بأقدام متمهلة، أي فويبوس الشاحب، أدار النجم خطواته إلى الخلف، ذلك

(١) المعتقد أن كاساندرا كانت لا تزال تحت نفوذ أبولو.

(٢) (Arabumque donis) أي البخور.

(٣) أي لدى جونو التي يثيرها باستمرار أبناء معشوقات جوف.

(٤) شرح فارنابيوس Varnabius هذه الحقيقة الغريبة هكذا: أضاف تأليه هرقل (الذي وافقت عليه جونو أخيراً)، إلهاً إلى عدد الآلهة؛ ليس عدد الآلهة العظام الذين كانوا اثني عشر، وإنما عدد آلهة الدرجة الثانية (diis Communibus)، الذين كانوا ثلاثة: مارس، وبيلونا Bellona وفيكتوريا ـ فجعل عددهم أربعة، أي زوجياً بعد أن كان فردياً.

(٥) أي من أجل ولادته. انظر مسرحية «جنون هرقل» Hercules Furens السطور ٢٤ و١١٥٨.

النجم الذي يتغير من اسم إلى آخر(١)، وعجب من أن يطلق علي هيسبيروس Hesperus اسم «نجم المساء». استيقظت أورو Aurora عند ساعة الفجر المعتادة، ولكنها عادت على أعقابها فوضعت رأسها وعنقها على صدر زوجها(٢) العجوز. أحس شرو الشمس وغروبها بمولد هرقل، فإن بطلاً بهذه القوة لا يمكن أ يولد في ليلة واحدة. من أجلك، أيها الغلام، المقدَّر لك أ ترتقي السماء، وقفت الدنيا الدوارة وسكنت.

أحس بقوتك أسد نيميا Nemea، الذي في سرعة البرق، وقـ سحقته ذراعاك العاتيتان، كما أحس بك الظبي الباراسي -Cerva que Parrhasis المتلف(٣) للحقول الأركادية Arcadiiagri. وخا الثور المتوحش خواراً عالياً، تاركاً حقول كريت. وتغلَّبَ علي الهودرا Hydra، الخصبة الموت، وأمر بإتلاف كل عنق يولد مر جديد من عنق سابق؛(٤) وكذلك سحق الإخوة الثلاث الملتصقين(٥)، الثلاثة الوحوش ذوي الجسم الواحد. فقفز فوقه بهراوته الساحقة. وأعطى القطيع الغربيّ إلى الشرق، غنيم جيريون الثلاثي الأشكال. وساق القطيع التراقي(٦) الذي كا

---

(١) أي أنه يسمى أحياناً لوكيفير Lucifer ، وأحياناً أخرى هيسبيروس، تبعاً لما إذا كان نج صباح أو مساء .

(٢) تيثونوس Tithonus.

(٣) الخنزير الإيرومانثي Erymanthian.

(٤) كان من طبيعة الهودرا، أنه كلما قُطع منها رأس، نبت مكانه اثنان.

(٥) geminosque fratres إشارة إلى الرجل المتوحش جيريون Geryon، إذ أن لفظة eminos هنا ترادف trigeminos.

(٦) Threicium gregem خيول ديوميديس Diomedes، طاغية تراقيا Thrace، التي تتغذى عل لحوم البشر.

يطعمه ذلك الطاغية، ليس بعشب سترومون Strymonii gramine، ولا على ضفاف هيبروس[1] Hebrus وإنما لقسوته كان يطعم خيوله المتوحشة دماء الأغراب - وكان دم سائقها[2] آخر ما خضب أشداقها باللون الأحمر. أبصرت هيبولوتي Hippolyte الغنيمة[3] تُخطَف من حول صدرها، وسقط الطائر الاستومفالي Stymphalis من السحابة الممزقة في السماء العالية. وانكمشت من يديه الشجرة المحملة بالثمار الذهبية، إذ لم تتعود مثل ذلك القطف، وقفز الغصن في الهواء إذ جُرِّد من حمله. لم يسمع الحارس[4] البارد الذي لا ينام صوت المعدن المصلصل إلا عندما كان ألكيديس Alcides المحمَّل بالأحمال الثقيلة يهم بمغادرة الغابة التي جُرِّدت من جميع ذهبها الأسمر. وإذ سُحب كلب الجحيم إلى العالم العلوي بقيود مثلثة، سكت ولم ينبح، مبتعداً عن ألوان الضوء الذي لم يتعوده. سقط البيت[5] الراقد تحت قيادتك، بيت داردانوس، وقاسى مرة أخرى[6]، فعل السهام المخوفة الجانب؛ وبقيادتك سقطت طروادة في أيامٍ عددها كعدد السنين التي مكثتها.

كاساندرا (وحدها على منصة المسرح)[7]

تتم فعلة عظمى بالداخل مساوية لعشر سنوات من الحرب. أواه!

---

(١) Fuminis Hebrive .

(٢) أي أن هرقل قدَّمَ ديوميديس لخيوله لكي تلتهمه.

(٣) الزنار الذهبي الشهير.

(٤) التنين المخصص لحراسة التفاح الذهبي.

(٥) في عهد لاوميدون Laomedon.

(٦) ساعدت سهام هرقل، في أيدي فيلوكتيتيس Philoctetes على سقوط طروادة، في سقطتها الأخيرة إبان حكم برياموس.

(٧) إما أنها وقفت في المكان الذي يمكنها منه أن ترى داخل القصر وتصف ما يدور

مـا هـذا ؟ ارتفعي ، يـا نفسي ، وخـذي جائزة جنـونـكِ ـ نحن قـاهرون، قهـرنا الفـروجيين! هذا حسن! قـامت طروادة ثـانيـة! جررتَ معك موكيناي، يا أبتاه أثناء سقطتك ؛ وتخاذل قاهرك! لم يسبق قط أن قَـدَّمَ جنون عقلي المتنبيء منـظراً واضحـاً، كهـذا لعيني ؛ أراه، وأرى نفسي في وسطه، أتأمل فيه، وليس هو صورة مشكوكاً فيها تخدع بصري، دعني أمعن النظر فيه حتى اكتفي.

تُمَدُّ وليمة داخل البيت الملكي، يجتمع حـولها الضيـوف، وإنها لأشبـه بـآخـر وليمـة للفـروجيين. تتـألق المقـاعـد بـالأرجـوان الطروادي[1]، ويحتسي الضيوف خمرهم من كؤوس أساراكـوس Assaracus القديمة الذهبية. انظرن، إنه يرقد، هو نفسه[2]، مرتدياً ثياباً موشاة فوق سرير مرتفع، وقد لبس فوق جسمه غنائم بريامـوس الجديرة بالفخر. تأمره زوجته بأن يخلع عنه أثواب عدوه ويرتدي بدلاً منها عباءة نسجتها يداها المولعتان ـ إني لأرتجف وترتعد نفسي لهذا المنظر! هل يقتل رجل منفي[3] ملكاً؟ أيقتل الزاني الزوج؟ أتت الساعة الخطرة، سترى نهـايةُ الـوليمة دم السيـد، وسيسقط الدم في الخمر. تسلمـه العباءة القـاتلة التي ارتداهـا، إلى حتفه مقيداً بغدر، ترفض الثنيات الواسعة المُحكمـة الإغلاق، خـروج يديه، وتكفِّن رأسه. تطعن يُمنى نصف الـرجل المرتعشة جنبه، ولكنها لم تطعن عميقـاً؛ ويقف وسط الضربـة كرجـل مذهـول، ولكنه، كخنزير، بريّ كث الشعر، يناضل وسط الغابـة لتخليص نفسه رغم إحاطة الشبكة به، فيُحكم بنضالـه القيود حـول نفسه،

= بالداخل. أو أنها رأت ذلك بقوة موهبة الكشف عن بصيرتها.

(١) Ostro Iliaco .

(٢) أجاممنون.

(٣) أيجيسثوس.

ويثور دون جدوى، ـ يناضل كي يُبعد عنه الثنيات التي تغشي بصره والملتفة حوله من كل جانب. ورغم قيوده المحكمة، فإنه يحاول الهجوم على عدوه. الآن تخطف تونداريس[1] Tyndaris بلطة ذات حدين في ثورة جنونية، وكما يحدد الكاهن بعينه أعناق الثيران عند المذبح قبل أن يضرب، هكذا أيضاً، تارةً هنا وطوراً هناك، تسدد يدها الآثمة الضربة. لقد ناله[2]! وتمت الفعلة! يتدلى الرأس الذي يكاد يكون مفصولاً، معلقاً بجزء بسيط؛ ويتدفق الدم هنا فوق الجذع العديم الرأس، وترقد هناك شفتاه المتأوهتان. ومع ذلك، فهما لا يكفّان حتى الآن، إنه يهاجم الرجل الخالي من الحياة، ويظل يُقطّع الجثة، أما هي فتساعده في طعناته. يشبه كل منهما قريبه في الجريمة ـ فهو ابن ثويستيس، وهي شقيقة هيلين. انظرن! يقف تيتان بعد انتهاء عمل يومه، متردداً، أيجري في طريقه أم في طريق ثويستيس[3].

[يبقى بجانب المذبح]

[تدخل إلكترا تقود أخاها الصغير أوريستيس]

إلكترا : اهرب، أيها المنتقم الوحيد لموت والدنا، اهرب وانجُ من أيدي أعدائنا اللئام. تحطم بيتنا من أساساته، وسقطت مملكتنا.

ولكن من ذلك الغريب القادم هناك يسوق عربته بسرعة؟ تعال يا أخي، سأخبئك تحت ثوبي. لماذا تبتعد، أيها القلب الغبي؟ أتخاف الأغراب؟ إن وطننا هو الذي يجب أن نخافه. كُفَّ عن رجفة خوفك، الآن، يا أوريستيس، إنني أرى حماية صديق موثوقاً بها.

[يدخل ستروفيوس في عربة، يصحبه ابنه بولاديس]

---

(١) أي كلوتايمنسترا، ابنة تونداريوس Tyndareus .

(٢) أي الجرح. استعير هذا التركيب (habet) من مباريات التجالد.

(٣) أي إلى الخلف كما حدث في مناسبة وليمة ثويستيس على أبنائه، هو نفسه.

ستروفيوس : أنا ستروفيوس، غادرتُ فوكيس وسأعود الآن إلى وطني بعد أن مجدتني سعفة النخل الإليانية Elea palma. وسبب مجيئي إلى هنا، هو أنني أريد أن أهنيء صديقي الذي سقطت إيليوم مدحورة بيده وسحقتها عشر سنوات من الحرب.

[يلاحظ اكتئاب إلكترا]

ولكن، من هذه الواقفة هناك تروي وجهها الحزين بالدموع، وترتجف خوفاً وقد غمرها الحزن؟ أعرف فيها واحدة من البيت الملكيّ. إلكترا! أيّ سبب للحزن يمكن أن يكون في هذا البيت الفرح؟

إلكترا : يرقد والدي مقتولاً بجريمة أُمي، وإنهما ليبحثان عن الابن ليشارك أباه ميتته، وقد تبوأ أيجيستوس العرش بالحب الآثم.

ستروفيوس : يا للأسف! ما من سعادة يطول مقامها.

إلكترا : أستحلفك بذكرى والدي، وبصولجانه المعروف لجميع العالم، وبالآلهة المتقلبة[1]؛ أن تأخذ هذا الصبي، أوريستيس، وأن تخبيء السرقة المقدسة.

ستروفيوس : رغم أن أجاممنون المقتول يحذرني أن آخذ الحيطة، فسأواجه الخطر، وبكل سرور سأسرقك، يا أوريستيس. ينشد الحظ الحسن الثقة، وتقتضيها المحنة.

[يأخذ أوريستيس في العربة].

خذ هذا التاج[2] الذي ربحتُه في الألعاب، وزيِّنْ به رأسك،

---

(١) الذين قد يجلبون السقوط السريع عليك أيضاً.

(٢) إكليل من أغصان الزيتون.

وأمسك غصن الظافر هذا[1] في يدك اليسرى لتقي وجهك بفرعه العظيم، وعسى أن تمنحك هذه السعفة، التي هي هدية جوف البيسائيّ Pisaei Iovis، ستاراً في الحال، وفألاً حسناً. أما أنتَ يا بولاديس، الواقف كرفيق لترشد عربة والدك، فتعلَّمْ الثقة اقتداء بأبيك. والآن، يا خيولي، التي شاهدتْ سرعتَها كلُّ بلاد الإغريق[2]، اهربي من هذا المكان الغادر في فرار مباشر.

[يخرجون في سرعة عظيمة]

إلكترا [تنظر خلفه] : انصرفَ، وذهبَ، واختفت عربته بسرعة طائشة من أمام بصري . والآن، سأنتظر أعدائي وقد خلوتُ من الهموم، وسأُعرِّض نفسي للموت طائعة مختارة.

[ترى كلوتايمنسترا مقبلة]

ها هنا قاهرة سيدها القاتلة، ودلائل القتل على ثوبها الملطخ بالدم. ولا تزال يداها مضرجتين بدمٍ حديث الإهراق، وتتجلى علامات الجريمة في ملامحها الوحشية. سأذهب إلى المذبح. دعيني أنضم إلى مناديل رأسكِ[3] يا كاساندرا، إذ أخشى مصيراً مماثلاً لمصيركِ

[تدخل كلوتايمنسترا]

كلوتايمنسترا : يا عدوة أُمكِ، ويأيتها البنت العاقّة المتمردة، بأية عادة تسعين، وأنتِ فتاة، إلى المجتمعات العامة؟

إلكترا : لأنني فتاة، تركتُ بيت الزُّناة.

---

(١) من سعف النخل.

(٢) في الألعاب الأوليمبية.

(٣) أي دعيني أنضم إلى تلك التي وضعت المناديل المقدسة على رأسها، واتخذت من ذبح الآلهة ملاذاً يحميها.

كلوتايمنسترا : ومن يُصدِّقكِ، أيتها الفتاة؟

إلكترا : ابنتكِ؟[1]

كلوتايمنسترا : كوني أكثر رقةً مع أمكِ.

إلكترا : وهل تُعلِّمينني الصلاح؟

كلوتايمنسترا : إن لكِ روح الرجال، ذات قلب منتفخ؛ غير أن المحن روّضته، وستتعلمين القيام بدور المرأة.

إلكترا : إذا قُيِّضَ لي ألا أخطيء، فالسيف يناسب المرأة.

كلوتايمنسترا : وهل تظنين، أيتها المجنونة، أنكِ نِدٌّ لنا؟

إلكترا : لكما؟ أيُّ أجاممنون آخر ذلك الذي لكِ؟ تكلمي بصفتكِ أرملة؛ فقد فارق سيدكِ الحياة.

كلوتايمنسترا : بصفتي ملكة، سأوقف لسان البنت العاقّة غير الخاضع لزمام، وأما الآن، فأخبريني بسرعة، أين ابني، أين أخوكِ.

إلكترا : هو بعيد عن موكيناي.

كلوتايمنسترا : أعيدي إليَّ ابني الآن.

إلكترا : وأعيدي إليَّ أبي.

كلوتايمنسترا : أين يختبيء؟

إلكترا : في أمان وسلام، حيث لا يخاف ملكاً حديث الصنع، هذا يكفي لأم مستقيمة.

كلوتايمنسترا : ولكنه قليل جداً لأُم غاضبة. ستموتين في هذا اليوم.

---

(١) أي لا أحد، بكل تأكيد، إذ أنني ابنتكِ.

إلكترا : فليكن هكذا بيدكِ هذه. سأترك المذبح إذا سرَّكِ أن تغمدي السيف في رقبتي. إنني أُقدِّم لكِ رقبتي، أو إذا أردتِ، كما يذبح الناس الشاة، فاقطعي عنقي، فعنقي المحنيّ ينتظر ضربتكِ. الجريمة جاهزة، فيُمناك ملطخة وملوثة بقتل زوج، ويطهرها دمي هذا.

[يدخل أيجيسثوس]

كلوتايمنسترا : أنا شريكي بالتساوي في أخطاري وفي عرشي. إن ابنتي تهين أمها في غير ما احترام، وتحافظ على بقاء أخيها مختبئاً .

أيجيسثوس : أيها البنت المجنونة، أمسكي لسانكِ الشرير عن الكلام، وكُفِّي عن النطق بألفاظ لا تروق أذني أُمكِ.

إلكترا : أيُصدر تعليماتٍ، فاعل الجريمة الشنعاء، ذلك المولود بالإجرام، والذي لا يستطيع أبواه أنفسهما أن يذكرا اسمه، ابن شقيقته، وحفيد أبيه؟

كلوتايمنسترا : لماذا تتوانى، يا أيجيسثوس، في ضرب رأسها الشرير بالسيف؟ دعها تقدم أخاها، في الحال، أو حياتها.

أيجيسثوس : ستقضي حياتها محبوسة في جب صخري مظلم، وستذوق كل صنوف التعذيب، وربما سترضى بأن تعيد ذلك الذي خبأته. فإذ تغدو عديمة الموارد، تتضور جوعاً، ومريضة في الجب، ومحبوسة في القاذورات، ومترملة قبل أن تتزوج، ومنفية، يحتقرها الجميع، ومحرومة من نور النهار، عندئذٍ ستخضع لقضائها، ولو بعد فوات الأوان.

إلكترا : امنحني الموت.

أيجيسثوس : لا يجب أن تحتجي ضد ما أمنحه، الطاغية غير الماهر هـو الذي يعاقب بالموت.

إلكترا : وهل هناك أسوأ من الموت؟

أيجيسثوس : نعم، الحياة، إذا استغرقت مدة طويلة في المـوت. أبعدوا هـذه الفتاة غير الـطبيعية، أيهـا العبيد، احملوهـا بعيداً عن مـوكيناي، واربطوها بالسلاسل في أقصى أركان المملكة، محبوسة في زنزانة حالكة الظلام، كي تؤدب حوائط السجن الفتاة الصعبة المراس.
[تُجَرُّ إلكترا بعيداً]

كلوتايمنسترا [تشير إلى كاساندرا] : أما تلك العروس الأسيرة ، معشوقة الفراش الملكي ، فستعـاقب بالمـوت . جُروهـا كي تتبـع الـزوج الـذي سلبتني إياه .

كاساندرا : كـلاّ، لا تجرّوني، بـل سأتقـدم مسيركم، أُسـرعُ لأكون أول من يحمـل الأخبار لقـومي الفـروجيين ـ عن البحـر المكسـو بحـطام السفن، وعن اغتصاب موكيناي، وعن قائد الألف قائد [كي يلقى مصيـراً مساويـاً لويـلات طروادة] مقتـولاً بهديـة امرأة ـ بـالزنى، بـالخديعـة. خذوني بعيـداً، لن أتـراجـع، بـل، على العكس، سأشكركم الآن، الآن؛ يلذُّ لي أن أعيش بعد طروادة، إنه حلو.

كلوتايمنسترا : ستموتين، أيتها المخلوقة المجنونة.

كاساندرا : سوف يأتيكِ جنون، أنتِ أيضاً[1].

---

(١) تشير إلى جنون أوريستيس الذي سوف يقتـل كُلًّا من أيجيسثـوس وكلوتايمنسترا ، فيما بعد .

ملحق

تحليل مقارن

بين

أجاممنون أيسخولوس

و

أجاممنون سنيكا

الدراما الأغريقية

أجاممنون أيسخولوس

المقدمة: ينذب حارس واقف على سقف القصر في أرجوس، حظه، لما يلاقيه من مشقة في عمله المنعزل. ويتمنى مجيء الوقت الذي تضيء فيه نار الإشارة من بعيد خلال ظلام الليل، كي يعرف بهذه الإشارة أن طروادة سقطت، وأن أجاممنون في طريقه عائداً إلى وطنه. وفجأة يرى الضوء الذي طالما انتظره، فيقفز صائحاً صيحات الفرح، ويسرع كي ينقل الخبر إلى الملكة. وفي الوقت نفسه تبدر منه إشارات قاتمة لما كان يجري بداخل القصر، وما يجب عندئذٍ أن يحوطه الكتمان.

نشيد دخول الكوروس: ينشد كوروس مكون من اثني عشر عجوزاً «أرجوسياً أنشودة الحرب الطروادية. فيصفون علامات التنبؤ المفرحة التي خرج بها الإغريق في خملتهم الانتقامية. ويبالغون، بنوع خاص، في التنديد بالحظ العسير الذي أجبر أجاممنون على أن يضحي بابنته، ويُفلتُ من ألسنتهم ذِكْرُ أحد البواعث التي أدت إلى مقتل الملك نفسه.

الحلقة الأولى: تظهر كلوتايمنسترا في موكب فخم من حاملي المشاعل، وقد جعلت المدينة كلها تبدو في حلل الفرح، بينما يحترق بخور القرابين فوق جميع المذابح. يسأل الكوروس عن معنى كل ذلك هل وصلتها أنباء من طروادة ؟ فتجيب الملكة بأنه قد بَلَغَتْها أخبار في تلك الليلة نفسها ، وتصف أخيراً ، كيف أضاءت إشارة النيران . وهكذا أخذت الأخبار تقفز من مرتفع إلى

آخر على طول الطريق من طروادة إلى أرجوس .

«هذه برهان أكيد وعلامة أخبركم بها الآن، إذ أرى سيدي قد أرسلها لي من طروادة». وتبدي أملها في ألا يفعل الظافرون شيئاً يُغضب الآلهة، وهم في غمرة فرحهم، لئلا يعوق ذلك عودتهم سالمين: «عسى أن يسود الخير، رغم جميع الصُّدف المحوطة بالشكوك إذ نلتُ الفرح العظيم».

حجبت كلوتايمنسترا، بهذه الألفاظ، تلك الرغبات الحقيقية التي كان يتوق إليها قلبها الغادر، وتبين في الوقت ذاته، المبدأ الذي بموجبه سيصيب القدر الإغريق.

تعمُّ الفرحة أفراد الكوروس عندما يسمعون الأخبار التي أذاعتها كلوتايمنسترا، ويتأهبون للتغني بمدح الآلهة، أثناء انصراف الملكة وموكبها.

أنشودة الكوروس الأولى: يتغنى الكوروس بمدح زوس Zeus، الذي أرسل علامات غضبه بسبب المطالب التي تكتنفها الشكوك، حتى. «أن الآلهة لا تهتم بالبشر الذين يطئون نعمة الأشياء المقدسة تحت أقدامهم».

يصف الكورس جريمة پاريس Paris المخجلة، وفاجعة مينيلاوس Menelaus الذي اعتُدي عليه، واستجابة كافة الأغارقة لصيحته عندما طلب الانتقام. غير أن الكوروس، بعد كل هذا، يشك في صدق هذه الأنباء المفرحة ـ فإذا برسول يدخل حاملاً أنباء جديدة.

الحلقة الثانية: يصف الرسول للكوروس قصة سقوط طروادة، بأكملها، عقاباً على جريرة پاريس والأمّة التي قبلته عندها. وفي الوقت عينه لا ينسى ما أصاب الإغريق من آلام. . . تدخل كلوتايمنسترا، يُحفِّزها ضميرها الآثم. فتأمر الرسول بأن يخبر أجاممنون بالإسراع إلى وطنه، ويحمل إليه احتجاجها على ولائها المطلق له: «التي لم تكسر ختماً واحداً له، طوال هذا الوقت الطويل».

يردُّ الرسول على أسئلة الكوروس، فيصف العاصفة العاتية التي حطمت

الأسطول الإغريقي في رحلة العودة إلى الوطن .

أنشودة الكوروس الثانية: ينشد الكوروس أغنية يصف فيها هيلين بـأنها لعنة على الطرواديين: «السبب المقيت للنضال المقترن بسفك الدماء». والآن «عقوبة الفعلة المُخلّة بالشرف التي حدثت لصداقة الآلهة، ولزوس».

دفعتها طروادة، التي تُشَبَّهُ بالرجل الذي يُرَبِّي شبل أسد عديم الأذى وهو في غضاضة الإهاب، حتى إذا ما كبر وبلغ جرمه الكامل، «أبدى طبيعة آبائه»، وجلب الدمار على البيت الذي آواه .

الحلقة الثالثة: يُرَى أجاممنون مقبلاً في عربتـه، يتبعه جيش من جنـوده وأسراه، فيرحب به الكوروس ملمحاً بإشارة خفية إلى أن الأمور، في أرجوس، ليست على ما يرام، يتقدم أجاممنون بشكر الآلهة على نجاحه وسلامة عودته، ويَعد بالتحقيق في شئون الوطن، عندما يحين الوقت المناسب.

تدخل كلوتايمنسترا، «تسترسل في كلام طويل، مرحبة بأجاممنون أعظم تـرحيب، وتصف له مـا قاسته من أحزان لـطول غيبته وسط الأخـطار، وتعلن وفاءها المطلق له. وتفسر غياب أوريستيس بأنها عهدت به إلى ستروفيوس ملك فوكيس ليعنى به خلال تلك الأوقات العصيبة. وتختم كلامهـا بصلاة غـامضة. «أي زوس، أتمم لي، جميع ما أطلب في صلاتي؛ ولتهتمّ بالعناية بمـا ترغب في أن تعمله».

بعد أن يشير أجاممنون إلى كاساندرا، إشارة مـوجزة، ويصف المعـاملة الطيبة التي لاقتها، يدخل إلى القصر، بصحبة كلوتايمنسترا .

أنشودة الكوروس الثالثة: على الرغم من أن الكوروس يرى بعينيه أن كل شيء على ما يرام مع أجاممنون، وأنه عاد سالمـاً إلى وطنه، يمتليء إحسـاساً بتنبؤات محزنة عن شَرٍّ مقيم لا يستطيع له درءًا.

أنشودة الخاتمة: تعود كلوتايمنسترا فتأمر كاساندرا، التي كانت لا تزال

واقفة في عربتها، بأن تنضم إلى بقية العبيد المجتمعين عند المذبح، غير أن كاساندرا تقف دون حراك، ولا تهتم بكلام الملكة، التي تنصرف وهي تقول.

«لستُ احتمل عار الكلام أكثر من هذا».

عند ذلك تنزل كاساندرا من عربتها، وتنخرط في نحيب وحشيٍّ يقطع القلوب، وتتنبأ للكوروس بواسطة بصيرتها الغريبة، التي تعلم الغيب، عن موت أجاممنون على يدي كلوتايمنسترا وأيجيسثوس، كما تتنبأ عن الطريقة التي تمت بها تلك الميتة... وتتنبأ أيضاً بالانتقام المقدَّر لأوريستيس بأن يُنزله بالقاتلين. أما مصيرها هي فواضح، وتعلنه وهي تجتاز الباب داخلةً إلى القصر.

ما هي إلاَّ لحظة حتى يسمع الكوروس صرخة موت أجاممنون، وأنه «ضُرِبَ ضربة قاتلة». فتخور عزائم أفراد الكوروس. ويتباحثون بالإجماع على أفضل ما يجب عليهم فعله. وفي تلك اللحظة تأتي كلوتايمنسترا، بالثياب المخضبة بالدماء، يتبعها حرس من الجنود، آتية من القصر... تُرَى جثتا أجاممنون وكاساندرا في داخل القصر، من خلال الباب. تعترف الملكة، وهي مغتبطة، بمقتل زوجها. يولول الكوروس بالنحيب على أجاممنون، ويتنبأ بأن الانتقام سوف ينزل بكليتمنسترا، بيد أنها تحتقر نبوءتهم المهدِّدة. وفي النهاية، يدخل أيجيسثوس، فيعلن أنه الرأس المدبر لهذا القتل انتقاماً لوالده ثويستيس، من أتريوس والد أجاممنون، الذي ألحق الظلم المرير بثويستيس. فيلعنه الكوروس ويُذَكِّره بأن أوريستيس لا يزال على قيد الحياة، وأنه سوف يأخذ بثأر والده.

تراجيديات سنيكا

أجاممنون سنيكا

المقدمة: بينما كان شبح ثويستيس آتياً من المناطق السفلى، أخذ يتلو بواعث هذه المسرحية: كيف أساء أتريوس، والد أجاممنون، معاملته إلى أقصى حدّ، وكيف وعده وحي أبولو Apollo بأن ينتقم له ابنه أيجيسثوس الذي أنجبته له ابنته في جماع محرّم. يعلن ذلك الشبح، أن قد آن أوان أيجيسثوس على القيام بالدور المقدّر له.

نشيد دخول الكوروس: يشكو كوروس مؤلف من نساء أرجوس، من تقلبات الحظ، ويوصي باستخدام الوسيلة الذهبية، كأفضل وسيلة إزاء ذلك.

الحلقة الأولى: لما أدركت كلوتايمنسترا عظيم ذنبها، وخافت أن يعاقبها زوجها عند عودته عقاباً صارماً، على حياتها في الزنى مع أيجيسثوس، عقدت النية على مضاعفة الجريمة بجريمة أخرى، فتقتل أجاممنون بمجرد عودته إلى وطنه. ثم أجبرها على هذا العمل، سلوكه في مسألة ابنتها إيفيجينيا، وعدم وفائه لها أثناء غيابه الطويل. فتحاول المربية، عبثاً، طوال هذا المنظر، أن تثنيها عن عزمها.

إما أن تذعن كلوتايمنسترا لنصيحة مربيتها فترجع عن غرضها، وإما أن تتظاهر باعتزام التراجع لتختبر أيجيسثوس، الذي يدخل في تلك الآونة. وأخيراً ينسحب المتآمران ليدبرا خطة الجريمة التي اعتزما أن يقترفاها.

أنشودة الكوروس الأولى: يتغنى الكوروس بمدح أبولو من أجل النصر في طروادة، كما يتغنى بمدح جونو Juno ومينيرڤا Minerva، وجوف Jove. وفي النهاية يرحب الكوروس بقدوم الرسول يوروباتيس Eurybates ،

الحلقة الثانية: يعلن يوروباتيس قدوم أجاممنون إلى كلوتايمنسترا. ويصف العاصفة الفظيعة التي هبت على الإغريق أثناء رحلة عودتهم إلى الوطن. وتبعاً لأمر الملكة، تُعَدُّ الذبائح لتقدَّم إلى الآلهة، كما تُعَدُّ مأدبة لأجاممنون الظافر. وأخيراً، تُرَى الأسيرات الطرواديات قادمات، وعلى رأسهن كاساندرا.

أنشودة الكوروس الثانية: ينشد كوروس الأسيرات الطرواديات قصة مصير طروادة وسقوطها، بينما تنتاب كاساندرا نـوبات تنبؤيـة، فتفضي بنبوءة القضـاء المحلق فوق أجاممنون.

الحلقة الثالثة: يظهـر أجاممنـون ويقابـل كاسـاندرا فتحـذره من القضاء المعلن فوق رأسه، ولكنه لا يصدقها.

أنشودة الكوروس الثالثة: يتغنى كوروس نساء أرجوس، بمناسبة سقوط طروادة، بمدح هرقل Hercules، الذي احتاج القدر إلى سهامه لتدمير طروادة.

الخاتمة: إما أن تقف كاساندرا حيث تستـطيع أن تـرى ما يجـري داخل القصر، وإما أن تتكلم بقوة التنبوء فتفضي بمقتل أجاممنـون الذي يحـدث في الداخل.

تحث إلكتـرا أوريستيس على الفرار قبـل أن يقتله أيجيسثوس ووالـدته. ولحسن الحظ يأتي ستروفيوس في عربتـه، عائـداً لتوه بعـد فوزه في الألعـاب الأوليمبية. فتعهد إليه إلكترا بأخيها. أما هي فتحتمي بالمذبح.

بعـد أن تتحدى إلكتـرا أمها وأيجيسثـوس، وتهددهمـا تُجَـرُّ إلى السجن والتعذيـب. وتقاد كاساندرا إلى القتل.

مسرحية
حاملات القرابين

ملخص المسرحية

بعد أن قتلت الملكة كلوتايمنسترا زوجها أجاممنون ، اعتلت هي ومعشوقها أيجيسثوس عرش أرجوس Argos . بيد أن روح سيدها المقتول كانت غاضبة ، فأرسلت إليها حلماً مفزعاً ليزعج روحها في نومها . رأت الملكة ، فيما يرى النائم ، أنها ولدت أفعى وأرضعتها كما لو كانت طفلاً . غير أن تلك المخلوقة المهلكة كانت ترضع مع لبن الأم دماً متخثراً من ثديها . فاستيقظت من نومها وهي تصرخ ملتاعة . ولما فسر عرافو البيت هذه الرؤيا بأنها علامة على غضب القوى السفلى ، أمرت الملكة ابنتها إلكترا وخادماتها بأن يحملن القرابين إلى قبر أجاممنون ، عسى أن تصالح روحه الغاضبة .

كانت الأميرة إلكترا تعيش في القصر ، ولكنها ما كانت تعامل أكثر من معاملة الإماء . وقبل مقتل أجاممنون ، أرسل شقيقها الأمير أوريستيس ليقيم مع عمه ستروفيوس Strophius في مملكة فوكيس Phocis البعيدة ، حيث كبر وترعرع وبلغ مبالغ الرجولة . وفي نفس ذلك اليوم الذي أرادت فيه والدته أن تدرأ عنها شر طالع ذلك الحلم ، صحب أوريستيس ابن عمه بولاديس وذهب إلى أرجوس ليثأر لمقتل والده .

وضع أوريستيس خصلة من شعره فوق قبر أجاممنون . فلما أبصرتها إلكترا تأكدت بأنها تقدمة للموتى لم يقدمها أحد سوى أخيها ، أما أوريستيس فتعرف على أخته بثياب الحداد التي كانت ترتديها . بيد أنها لم تتأكد منه إلَّا

بعد أن ترى أدلة أخرى معززة بالعلامات أو بالتذكارات .

أعلن أوريستيس أن الآلهة أوفدته لغرض الانتقام . فقد أمره الرب أبولو Apollo[1] نفسه ، بعد أن هدده بأنه إذا لم يطع أمره فسيبعث إليه بإرينويس[2] Erinyes والده (ربات الانتقام) لتهاجمه ، ويطرد ملعوناً من مساكن البشر ومن مذابح الآلهة ، إلى أن يهلك سقيم العقل والجسم .

اجتمع الأخ وأخته عند قبر أبيهما . يساعدهما كوروس صديق يعرض عليهما معونته في قضيتهما العادلة . فتنكر أوريستيس وبولاديس في زي السياح الفوكيين ، وذهبا إلى كلوتايمنسترا ، فرحبت بهما وأكرمتهما بعد أن أخبراها بأن ابنها قد مات . فأرسلت الملكة مربية أوريستيس العجوز لتستدعي أيجيسثوس من الخارج بأن يأتي إليها مع حرسه الخاص . فأوعز إليها الكوروس بتحريف رسالتها بأن تطلب منه الحضور في غير ما حراسة . فلما جاء قتل وقتلت كلوتايمنسترا بعده مباشرة ، وقد أصم ابنها أذنيه عن توسلاتها لكي يرحمها .

قدم أوريستيس الثوب الملوث بالدماء ، الذي « تعثر » فيه والده عند مصرعه ، كدليل على عدالة فعلته . بيد أن عقله بدأ يشرد ، إذ ظهرت أمام بصره إرينويس أمه ، دون أن يراها أحد غيره . ولذا اندفع خارجاً مبتعداً عن مسرح القتل .

---

(١) أحد آلهة الإغريق الكبار. وهو رب الشمس والتنبؤ والشعر والموسيقى. ورب الشفاء والطهارة. ومؤسس المدن والمستعمرات. وإله الشباب الفتيّ .

(٢) هن ربات الانتقام، وبنات جيا (الأرض) من دماء أورانوس (السماء) وعددهن ثلاث أليكتو وتيسيتيفوني وميجايرا. يصورن كعذارى مجنحات لهن شعور من الثعابين، تحيط بأجسادهن الأفعوانات ويحملن المشاعل والسياط والمناجل ويتدثرن دائماً بملابس الصيادين ويعاقبن بقسوة من يكسر ويحطم العلاقات العائلية الطبيعية وقوانين الضيافة والقتل والكبرياء الزائدة عن الحد.

شخصيات المسرحية

أوريستيس	**Orestes**
كوروس من الإماء	
إلكترا	**Electra**
خادم	
كلوتايمنسترا	**Clytaemnestra**
بولاديس	**Pylades**
مربية	
أيجيسثوس	**Aegisthus**

المنظر ـ أرجوس .

الزمن ـ عصر الأبطال .

التاريخ ـ سنة ٤٥٨ ق. م . بمدينة ديونيسيا .

شخصيات المسرحية

أوريستيس	**Orestes**
كوروس من الإماء	
إلكترا	**Electra**
خادم	
كلوتايمنسترا	**Clytaemnestra**
بولاديس	**Pylades**
مربية	
أيجيسثوس	**Aegisthus**

المنظر - أرجوس .

الزمن - عصر الأبطال .

التاريخ - سنة ٤٥٨ ق. م . بمدينة ديونيسيا .

.

(المنظر: قبر أجاممنون. يدخل أوريستيس وپولاديس)

أوريستيس : أي هيـرميس العالم السفلي . أنت يـا من تحـرس القـوى التي لوالدك[1] . كن مخلصي وحليفي ؛ أتوسل إليـك الآن إذ أتيت إلى هـذه الأرض وأنا عـائد من منفـاي إلى الوطن . إنني أبكي على هـذا القبر المكـوم لكي يسمعني والـدي ، ويعيـرني أذنـاً صاغية . . . .

(هأنذا أحضر) خصلة شعر لإناخوس[2] Inachus ، في مقـابل تغذيتي ، وها هي خصلة أخرى علامة على حزني .

هذا لأنني لم أكن موجـوداً، يا أبي، لأبكي على مـوتك ، كمـا أنني لم أمد يدي إلى جثتك لتحمل وتدفن .

ما هذا الذي أرى ؟ هل لي أن أعـزو هذا إلى مـا حدث ؟ أهـو

(١) كانوا يتوسلون إلى هيرميس بصفته: (أولاً) أحد آلهة العالم السفلي لأنه «مرشد الأرواح» والرسول بين آلهة السماء وآلهة الجحيم وبذا يستطيع أن ينقل توسـلات أوريستيس إلى حكام الموتى وإلى روح والده؛ (ثانياً) مشرفاً على القوى التي عهد بها إليه والده زوس المخلص .

(٢) قدم أوريستيس خصلة من شعره لتكريم إناخوس، رب النهر الذي يجري في أرجوس، لأن الأنهار كانت تعبد على أنها واهبة الحياة.

حـزن جديـد حلَّ ببيتنـا ؟ أو هل أنـا مصيب في حدسي بـأنهن يحملن هـذه القـرابين تكـريمـاً لـوالـدي ، لمصـالحـة القـوى السفلى ؟ لا يمكن أن يكون إلَّا لهذا الغرض ؛ إذ أعتقد أن هذه حقـاً شقيقتي إلكترا ، التي تتقـدم هناك ظـاهـرة من بين سـائـر الباقيات ، في ثيـاب الحداد المـريرة . أي زوس ، امنحني أن أنتقم لموت والدي ، وأعرف مساعدتك بنعمتك !

فلنقف مفترقين ، يا بولاديس ، حتى أستطيع أن أعلم يقيناً خبر جماعة النساء المتضرعات هذه .

[يخرج أوريستيس وبولاديس]

[تدخل إلكترامع نسوة يحملن القرابين]

الكوروس : لمـا أرسلت من القصـر ، جئت أحمـل القـرابين بمصـاحبـة الضربات النازلة على يدي في جدية وسرعة . وها هـو ذا خدي يحمل طابع الجروح الدامية حيث حفرت أظفاري شقوقاً جديدة ـ ومع ذلك، فـطوال حياتي قلبي مفعم بـالأحزان . رن صـوت التمزيق عالياً على نغم اللطمات المحزنة وهي تمزق صديريتي المصنوعة من التيل المنسوج حيث يغطي صدري ثوب مضروب بسبب الحظ ، الغريب على كل ضحك .

بينا أنا كذلك إذ بصوت مجلجل أوقف كل شعرة على طـرفها . فقد أطلقت القوة الموحية التي تتنبأ لهذا البيت عن طريق الأحلام بصوت الغضب أثناء النوم ، أطلقت صرخـة فزع وسط سكـون الليل البهيم ، ارتفعت من أبعد حجرة في الداخل، فوقعت ثقيلة على مقصـورة النساء[1] ، وقـام مفسرو الأحـلام الشبيهـو بهـذا

(١) وضعت لغة هذه الفقرة بحيث تتضمن غرضين :

(أ) لتدل على فقرة تكهنية من جانب الكاهنة الموحى إليها في دلفي Delphi. =

الحلم ، ففسروا مشيئة السماء المرتبطة بعهد ؛ فقرروا أن من تحت الأرض يشكون في غضب مرير ، وأنهم غاضبون ضد القتلة .

ولكي تدرأ شر هذه البركة غير المباركة (وا أماه الأرض!) أرسلتني تلك التي لا آلهة لها . غير أنني أخاف أن أنطق بالألفاظ التي أمرتني بأن أقولها ، إذ أي تكفير هنا للدم إذا ما أريق على الأرض ؟ أواه، يا وطيس الحزن الشديد ! أواه ، أيها البيت الواقع في الدمار! تلف البيت الآن ظلمة لا تنيرها الشمس ، ويمقتها البشر ، إذ قتل سيد هذا البيت .

ليس بمكنة أي فرد أن يتخيل رهبة عظمتك ، ولا أحد يستطيع مقاومتها ، ولا بمقدور أي مخلوق أن يلطف من حدتها، تلك التي اخترقت آذان الجميع وقلوبهم، قد أطلقت الآن . بيد أن البشر يحسون بالخوف . لأن النجاح - يبدو في عيون الناس إلّهاً بل وأكثر من إلّه . ولكن ميزان العدالة المتزن ساهر على المراقبة : فيسقط بسرعة على بعض الذين لا يزالون واقفين في الضوء ؛ وأحياناً تنتظر الأحزان المتلكئة في شفق جوار الحياة ؛ ويلف البعض ليل واهن .

وإذ شربت الأرض المغذية، كفايتها من الدم ، بقيت الدماء المنتقمة متخثرة ولن تذوب . تجتاح الكارثة روح الرجل المذنب وتشرد ذهنه حتى ليغرق في البؤس التام والكامل .

لا علاج لمن يعتدي على مخدع العروس . فرغم سريان جميع

= (ب) لتبين طبيعة حلم كلوتايمنسترا المفزع، بينما توضح الفرق بين الغرضين بعض التعبيرات المحدودة. فاستعمل «فويبوس Phoebus» للدلالة على وحي تنبؤي يهاجم كلوتايمنسترا في هيئة كابوس.

المجاري في تيار واحد لتطهير الدم من يد ملوثة ، فإنها تسرع في طريقها بغير فائدة .

أما أنا ، فبما أن الآلهة أحاطت مدينتي بمصير محتوم (إذ ساقوني بعد بيت أبي إلى مصير الرق) ـ يهدف ، ضد إرادتي ، إلى قهر عداوتي المريرة ويستسلم إلى نصح سادتي ـ سواء أكان ذلك النصح عادلاً أو غير عادل . ومع ذلك ، فمن وراء خماري . وقد تجمد قلبي من الحزن الدفين ، أبكي أفعال سيدي الخبيثة .

إلكترا : أيتها العذراوات اللواتي تأمرن ، بعدل ، بهموم هذه الأسرة ؛ بما أنكن حاضرات هنا للإشراف عليّ في طقوس التضرع هذه ، فاسدين إلى نصيحتكن فيما يختص بهذا الأمر : ماذا أقول وأنا أسكب تقدمات الحزن هذه ؟ كيف لي أن أجد ألفاظاً مباركة ، وكيف أنطق بالصلاة إلى أبي ؟ هل أقول إنني أحضرت هذه القرابين إلى زوج محبوب ، من زوجة محبة ـ من تلك التي هي والدتي ؟ لست أملك الدليل الأكيد على هذا ، ولا أعرف الألفاظ التي يجب أن أقولها وأنا أصب هذه السكيبة على قبر والدي . أو هل أقول الكلام ، الذي اعتاد الرجال أن يقولوه . « حتى يعود بالخير على من أرسل هذه القرابين الجنائزية ـ وهي ، في الحقيقة هدية تعادل شرهم ؟[1] .

أو هل أتقدم ، في سكون وعدم احترام، بنفس الطريقة التي هلك بها والدي ، لأسكبها على الأرض لتشربها ، ثم أعود

(١) استعيض عن كلمة «خيرهم» باللفظ «شرهم». والسؤال هنا تهكمي، إذ من الطبيعي أن يرد الإغريق على الشر بالشر.

أدراجي ، كمن تحمل فضلات الطقوس ، فأطوح بالآنية بعينين مبتعدتين ؟

هيا ، يا صديقاتي ، وكن الزميلات الناصحات لي ، إذ نشترك جميعاً في العداوة التي نكنها في داخل البيت . لا تكتمن النصح في قلوبكن خوفاً من أي فرد ، فإن ساعة المصير تنتظر كلاً من الحر ومن صار عبداً بقوة غيره ، على حد سواء . فإذا كانت لديكن وسيلة أفضل فتكلمن !

الكوروس : احتراماً لقبر والدك، كما لو كان مذبحاً، سأنطق بما يساور أفكاري الداخلية، طالما قد أمرتني بذلك .

إلكترا : تكلمي كما لو كان عندك احترام لقبر والدي .

الكوروس : تكلمي بألفاظ مليئة بالخير للقلوب المخلصة ، وأنت تسكبين .

إلكترا : وأذكر اسم مَنْ مِن بين هؤلاء القريبين مني ؟

الكوروس : اسمك أولاً ـ ثم اسم كل من يمقت أيجيسثوس .

إلكترا : إذن فهل أقول هذه الصلاة لنفسي ثم لك أيضاً؟

الكوروس : الأمر هو موكول إليك. فاستخدمي حكمك . هيا قرري بنفسك .

إلكترا : من غيرنا، إذن، لأضيفه إلى جماعتنا؟

الكوروس : لا تنسي أوريستيس، رغم كونه لا يزال بعيداً عن وطنه .

إلكترا : حسناً قلت ! لقد نصحتني خير نصح .

الكوروس : والآن من أجل القتلة المذنبين ، بفكر منتبه ـ

إلكترا : بم أصلي ؟ علميني ، اذكري لي الصيغة .

الكوروس : أن ينزل عليهما شخص ما ، إله أو إنسان ـ

إلكترا : أتقصدين أن ينزل حكماً أو منتقماً ؟

الكوروس : قولي في عبارات بسيطة: « من يأخذ روحاً نظير روح ».

إلكترا : وهل هذا شيء عادل يحق لي أن أطلبه من السماء ؟

الكوروس : عادل؟ وكيف لا يكون عادلاً؟ أن تجازي العدو شراً بشر!

إلكترا : أيها الرسول الأعظم بين العالم العلوي والعالم السفلي ، يا هيرميس العالم السفلي ، هيا إلى معونتي، واستدع لي الأرواح التي تحت الأرض كي تصغي إلى صلاتي ؛ الأرواح التي تسهر على مراقبة منزل والدي . نعم ، والأرض نفسها ، التي ولدت جميع الأشياء ، وإذ قامت بتغذيتهم وتربيتهم ، فهي تنال الزيادة في مقابل ذلك . وهل وأنا أصب هذه القرابين المطهرة للموتى ، أتوسل إلى والدي ، فأقول صلاتي هكذا : « رحماك بي ، أنا وعزيزي أوريستيس ! كيف نكون سادة في أملاكنا ؟ إذ نحن مشردون الآن كما لو كانت قد باعتنا بالمقايضة ، تلك التي ولدتنا، تلك التي اشترت بنا أيجيسثوس رفيقها ، ذلك الذي كان زميلها في قتلك . أما عن نفسي فلست خيراً من عبدة، وأما عن أوريستيس ، فهو منبوذ مطرود من أملاكه ، بينما ينعمان في شجاعة ووقاحة زهوهما ، بما ربحته بكدك . وهل لأوريستيس أن يعود إلى الوطن ـ وبحظ سعيد ! هذه هي صلاتي لك، فاستمع إليها ، يا ولدي . وأما لنفسي ، فامنحني أن أبرهن في قلبي على عفة أكثر ، أكثر بكثير من والدتي ، وعلى أكثر براءة .

أرجو بهذه التوسلات عن أنفسنا. أما من أجل أعدائنا، أن يظهر من يثأر لك، يا والدي، وأن يقتل قاتليك جزاءً وفاقاً. (هكذا أتوقف في صلاتي للخير ، من أجل الذين ينطقون بها للشر) . ولكن، كن لنا جالب النعم إلى العالم العلوي بمعونة الآلهة

والأرض والعدالة المتوجة بالنصر .

[تصب السكائب]

هذه هي صلاتي ، وأصب فوقها هـذه السكائب. ومن واجبكن أن تتوجنها بزهور النحيب، رافعات أصواتكن بأنشودة للموتى .

الكوروس : اذرفي دموعك منتحبة من أجل سيدنا الصريع . ولتصحب هـذه الوقاية من الشر ـ وهذا يعني أن تبعد عن الأخيار التلوث المقيت للقرابين المسكوبة[1] .

اصغ إليَّ ، اصغ إليَّ ، يا سيدي العظيم ! بروحك التي يلفها الظلام[2] .

الويل، الويل، الويل! يا لرجـل قوي بـرمح ينقـذ هذا البيت ، رجل ماهر في فنون الحرب ، يشهر القوس في معمعان المعركة السكـوثية Scythian ، ويستخـدم سيفه ذا المقبض في اشتبـاك قريب !

[بعد آخر عبارات الكوروس ، تكتشف إلكترا خصلة الشعر]

إلكترا : ها قد تسلم والدي السكائب التي شربتها الأرض . ولكن ، ها هي أخبار محيرة ! اشتركن معي فيها .

الكوروس : تكلمي ـ ومع ذلك، فإن قلبي يرقص خوفاً.

إلكترا : أرى خصلة شعر هنا ، تقدمة قصت لأجل القبر.

---

(١) هناك قراءة أخرى. . . «سيدنا الصريع على هذا الحاجز المانع للشر والخير (أي القبر)، لتمنع التلوث اللعين إذ قد صبت السكائب الآن».

(٢) أو قـد يعني اللفظ اليونـاني «ضعيف» أو «عاجـز» لإيجـاد فـرق بين روح الميت وروح الحي .

الكوروس : خصلة من يمكن أن تكون هذه ـ أهي لرجل ما، أو لفتاة مشدودة الزنار؟

إلكترا : هذا سهل التخمين ـ فبوسع أي فرد أن يخمن.

الكوروس : وكيف إذن؟ فلتتعلم شيخوختي من شبابك.

إلكترا : ما من أحد يمكن أن يقصها غير ـ نفسي .

الكوروس : نعم، إذ الأعداء هم الأولى بأن يقدموا مثل هذه التقدمة المحزنة من شعرهم .

إلكترا : وزيادة على ذلك، فلو نظرنا إليها، فهي تشبه تماماً . . .

الكوروس : خصلات شعر مَنْ ؟ هذا ما أرجو معرفته .

إلكترا : شعرنا ـ نعم ، تشبهه جداً ، إذا ما نظرنا إليها .

الكوروس : أيمكن أن يكون أوريستيس هو الذي قدمها هنا سراً ؟

إلكترا : تشبه هذه الخصلة خصلات شعره المتموجة، أكثر من أي شعر آخر .

الكوروس : ولكن كيف تجاسر على المجيء إلى هنا ؟

إلكترا : لا بد أنه أرسل خصلته بعد أن قصها ليكرم بها والده .

الكوروس : إن في ألفاظك لسبباً أعظم للدموع ، إذا لم يطأ بقدمه هذه الأرض بعد ذلك.

إلكترا : إن موجة من المرارة لتجتاح قلبي أيضاً ، وقد ضربت كما لو طعنت بسيف فاخترق جسمي مرة ومرة . تنحدر من عيني قطرات ظمأى، من فيضان عاصف . تنحدر من تلقاء نفسها لا يمنعها مانع عند مرأى هذه الخصلات . إذ ، كيف لي أن أتوقع العثور على شخص آخر، رجل من المدينة ـ تلك القاتلة، والدتي، التي اتخذت لنفسها إزاء أولادها روحاً لا آلهة لها ، تلك التي منحت بغير حق اسم الأم . أما من جهتي ، فكيف لي أن أرضى

بهذا الحق على الفور - فهل كانت تزين رأس ذلك الأعز على نفسي ، في العالم كله ، أوريستيس ؟ كلا ، فالأمل إنما يتملقني .

ويحي ! آه لو كانت ذات صوت رقيق كأنها رسول يخبرني ، حتى لا تتقاذفني الهواجس - بل تأمرني في وضوح بأن أطرح هذه الخصلة بعيداً لو كانت مقطوعة من رأس ممقوت ؛ أو إذا كانت لقريب لي ، فلتشاركني حزني ، فإن تزيين هذا القبر جزية لوالدي .

يبدو أن السماء التي تتوسل إليها تعرف أية تيارات تدفعنا كالرجال في البحر . ومع ذلك ، فلو قدر لنا النجاة ، فمن بذرة صغيرة قد تنمو مادة عاتية .

انظرن ! ما هذا ؟ هنا أثر - دليل ثان - أثر أقدام ، كل منها مطابق للآخر - وتشبه آثار أقدامي ! لأن هنا نوعين من آثار الأقدام . آثار أقدامه ، وآثار أقدام رفيق له . تتفق الأعقاب والأمشاط في نسبها مع آثار أقدامي . إنني أقاسي عذاباً وذهني في دوامة .

[يدخل أوريستيس]

أوريستيس : أعلني إلى السماء استجابة طلباتك وصلواتك ، وصلي لكي يحالفك النجاح في المستقبل .

إلكترا : كيف هذا؟ من أين نلت النجاح بنعمة السماء!

أوريستيس : لقد أبصرت من ظللت مدة طويلة تطلبين رؤيته .

إلكترا : ومن مِن الرجال تعرف أنني كنت أطلب؟

أوريستيس : أعرف أنك تحبين أوريستيس حباً جماً .

إلكترا : وأين ، إذن ، وجدت استجابة صلاتي؟

أوريستيس هأنذا . لا تبحثي عن صديق أقرب مني .

إلكترا : كلا، ومن المؤكد، يا سيدي، أنك تنصب لي شركاً ما.

أوريستيس : إذا كان الأمر كذلك، فأنا أحيك المكائد لنفسي .

إلكترا : كلا، بل إنك تتوق إلى السخية من مصائبي .

أوريستيس : لو سخرت من مصائبك حقاً ، فإنما أنا أسخر من مصائبي أيضاً .

إلكترا : إذن فهل أنا أخاطبك كما لو كنت أوريستيس حقاً؟

أوريستيس : كلا، فحتى إن رأيت في نفس شخصه، فأنت بطيئة المعرفة. ومع ذلك، فمنذ أن رأيت خصلة الحداد المقصوصة هذه، وفحصت آثار الأقدام ، اتخذت أفكارك أجنحة السرعة لتدرك أنني هو من ترين. أعيدي خصلة الشعر إلى الموضع الذي قصت منه ـ خصلة شعر شقيقك . ولاحظي كيف تتفق وشعر رأسي. ثم انظري قطعة المنسوج هذه التي نسجتها يداك، ذات الخطوط المستعرضة والمزخرفة بصور الحيوانات. تمالكي نفسك! لا يذهلنك الفرح! لأني أعلم أن أقرب أقربائنا أعداء لكلينا.

إلكترا : أواه، يا أعظم محبوب من بيت والدك، وأمل ذلك البيت في البذرة المنقذة، والمشتاق إليه بالدموع. ثق بجرأتك تحظ ثانية ببيت والدك. إن وجودك المحبوب لينال أربعة أجزاء من حبي : إذ يجب عليَّ أن أدعوك أباً، ولك الحب الذي كان يجب أن أكنه لأمي ـ تلك التي أمقتها بحق أكثر من كل من سواها ـ والمحبة التي كنت أحملها لأختي، التي راحت ضحية ذبيحة معدومة الرحمة ، وكأخ كنت الحائز على ثقتي، والفائز باحترامي دائماً ؛ أنت وحدك. هل لـ «القوة» و «العدالة» و «زوس» الثالث[1]

(١) زوس الثالث، لأن العدد الكلي القوة في الأسرار الدينية هو العدد ثلاثة. زوس الثالث هو زوس المخلص.

السامي فوق الجميع ، أن يعيروك مساعدتهم !

أوريستيس : أي زوس، أي زوس، انـظر إلى قضيتنا! انـظر إلى ذرية يتمت لأب نسر هلك وسط فتحات شبكة ـ نعم في حبائل ـ أفعى جبارة عاتية . إنهم يتموا تمام اليتم، وقبض عليهم قحط الجوع، لأنهم لم يبلغـوا بعد في نمـوهم مبلغ القوة الكـاملة التي تمكنهـم من إحضـار بغيـة أبيهم إلى العش . فهكـذا تـراني، أنـا وإلكتـرا المسكينة، هنا ـ طفلين فقدا أباهما، طريدين من بيتنا، على حد سواء . فإذا أهلكت هذه الذرية التي لأب قدم لك الذبائح ، وقام بأسمى فروض العبادة ، فمن يد من مثل يده تتسلم طاعة الولائم الفاخرة ؟ إذا أهلكت نسـل ذلك النسـر ، فلا تـرسل منـذ الآن علامات تصدقها البشرية ؛ وإذا ذبلت هذه الذرية الملكية، فلن تفيد مذابحك في أيام ذبائح الثيران. تبـن هـذه الذريـة ، ترفع بيتاً من دركات الحضيض إلى أسمى درجات الرفعـة والسؤدد ، رغم كونه يبدو الآن مندثراً تمام الاندثار .

الكوروس : أيها الطفلان، يا منقذا وطيس أبيكما، لا تتكلمـا بصوت عـال هكذا ، يا هذان الطفلان العزيزان ، لئلا يسمعكما شخص ما ، ولمجرد الرغبة في الكلام ، ينقل كل حديثكما لسيدينا، عساني أراهما، يوماً ما ميتين وسط دخان اللهب القاتم !

أوريستيس : من المؤكد أن الوحي العظيم القوة ، وحي لوكسياس Loxias ، لن يتخلى عني ؛ إذ كلفني بالمضي في هذا الخطر إلى النهاية ، وقد أعلن في صوت جهوري ؛ عقاباً تتجمد لهـوله دمـاء قلبي الدافئة ؛ إن لم أنتقم لوالدي من الآثمين ، وأمـرني، أنا الثـائر لفقد أملاكي[1] ، بأن أقتلهما كما قتلا . وقرر أنني إن لـم أفعل

(١) ترجمت هذه الفقرة ليكون معناها «الشديد القسوة بالعقوبات التي لا يمكن دفعها نقوداً» .

ذلك سددت الـدين بحياتي وبكثيـر من الآلات المحزنـة . لأن
تكلم مبيناً للبشر غضب القوى الخبيثة بعالم ما تحت الأرض ،
وذاكـراً أوبئة طـاعونيـة وقروحـاً جذاميـة تعلو فوق لحم النـاس
بمخـالب وحشية فتـأكل مـادته الأوليـة ، وكيف يتدفق من هـذ
المـرض زغب أبيض[1]. كمـا ذكـر هجمـات أخـرى لـلأرواح
المنتقمة ، على أن تنحدر من دم الأب إلى ذريته ، لأن صاعقة
قـوى الجحيم الداجيـة ، الذين أثـارتهم الضحايـا المقتولـة من
جنس الأقارب تطلب الثأر، وتخرج المخاوف التي لا أساس لها
والجنون، من الليل فتعذب وتربك الإنسان الذي يرى بوضوح ،
ولو أنه يحرك حاجبيه في الظلام[2] ، حتى يغدو جسمه مشـوه
بفعل السياط النحاسية ، ويطارد حتى ولو كان منفياً عن وطنه .
قرر الإله ألا يسمح لمذنب كهذا بأن يشترك في طاس الوليمة ولا
في الشراب المبهج ، ويحول غضب والده بينه وبين المذبح ،
رغم كـونه[3] غيـر مرئي ؛ كمـا لا يستقبله أي إنسـان أو يعيش
معه . وأخيراً بعـد أن يحتقره الجميـع ولا يجد صـديقاً، يهلك
بميتة شنيعة تذيب جسمه تماماً .

أيجب ألا أثق في أي وحي من هذا النوع ؟ كلا ، فحتى إذا كنت
لا أثق فيه فإن الفعلة لا بد أن تتم ؛ إذ تتآمر عدة بواعث لغرض
واحد . فعلاوة على تكليف الرب هذا ، وحـزني الشديـد على

= أي العقوبات التي تتطلب موت المذنبين الذين لا يستطيعون تقديم فدية نقدية وهكذا تكون تلميحاً للمصطلح Wer-gild الدال على التكفير عن الدم في حالة قتل الإنسان، وهو المصطلح الذي كان معروفاً في العصور الهوميرية .

(١) يعلو الزغب القروح، وليست المعابد هي التي تتحول بيضاء .

(٢) لا يستطيع أن ينام خوفاً من إيرنوس قريبه المقتول الذي لم يثأر له .

(٣) أي الغضب.

والـدي، وألم الفقر ـ حتى إن مـواطني الذين هم أشهـر البشـر جميعـاً ، الذين استـولوا على طـروادة بروح جـريئة لا يجب أن يكونوا رهن إشارة جماعة من النساء ، لأنه في قرارة نفسـه ليس سوى امرأة، وإن لم يكن كذلك فسرعان ما يضع نفسـه موضـع الاختبار .

الكوروس : أيتهـا الأقـدار الجبـارة، امنحن، عن طـريق قـوة زوس، إتمـام السداد، حتى إذا ما دارت العدالة، فإنها تصيح بصوت جهوري وهي تحصل الدين ، وتنطق كلمة بغضاء رداً على كلمة بغضاء ، وتدفع ضربة قاتلة في مقابل ضربـة قاتلة أخـرى . ويقول الأمـر العجـوز، ثـلاث مـرات : « من يفعـل فسيفعـل معـه بنفس مـا فعل » .

أوريستيس : أي أبتاه، يا والدي التعيس ، بأيـة كلمة، أو بـأي فعل يمكنني الـطيران إليـك من بعيد حيث يحمـل لـك مكـان راحتـك نـوراً يتعارض مع ظلامك ؟ ومع ذلك ، فإن بكاءً جنائزياً يخلد ذكرى الأتريداي[1] Atreidae الذين كانوا يملكون هذا البيت من قبل ، لأحد الطقوس المبهجة .

الكوروس : يا بني، لا يرتاح ضمير الموتى بفك النار الجائعة؛ ولكنه، فيما بعـد، يتهم من أقلقه. للرجـل الميت مرثـاتـه لإظهـار الـرجـل المذنب . فالبكـاء ذو السبب العادل من أجـل الآباء ومن أجـل الوالدين، إذا ما ارتفع عالياً وقوياً ، أدار البحث في كل جهة .

إلكترا : إذن، فاسمع يا والدي، إذ نبكي بدورنا بـدموع غـزيرة. إنهمـا طفلاك كلاهما، اللذان يبكيانك بمرثاة فوق قبرك. لقد لجئا إلى

---

(١) ابنا أتيريوس، أجاممنون ومينيلاوس.

مدفنك كمتوسلين وكمنفيين . ماذا يوجد هنا من الخير ، وماذا يخلو من السوء ؟ أليس من العبث أن نناضل ضد القدر ؟

الكوروس : ومع ذلك، فإذا شاءت السماء حولت بكاءنا إلى أصوات ذات نغمة أكثر بهجة . وبدلاً من المرثاة فوق القبر، سترحب أنشودة نصر في داخل الأبهاء بجمع شمل الصديق[١] .

أوريستيس : آه يا والدي، لو كنت قتلت تحت أسوار إيليوم Illium مجروحاً برمح لوكياني Lycian! إذن، لتركت شهرة عظيمة لأولادك في أبهائهم ، ولأثرت إعجاب الناس بحياتهم في مسيرهم ، ولوجدت قبراً في أرض وراء البحر، مرتفعاً عالياً بالتراب المكوم - ولما تركت عبئاً ثقيلاً ينوء بحمله بيتك .

الكوروس : ولرحب بك زملاؤك الذين نالوا شرف القتل ، بصفتك حاكماً بالغ العظمة ، ومبرزاً تحت الأرض ، ووزيراً للأقوى ؛ للآلهة التي تحكم هناك في العالم السفلي[٢] ، إذ كنت في حياتك ملكاً عليهم ، على أولئك الذين يحكمون بالموت[٣] ويمسكون العصا التي يطيعها الجميع .

إلكترا : كلا ، ما كنت أريدك أن تسقط ، يا أبي ، تحت أسوار طروادة ويكون قبرك بجانب نهر سكاماندر[٤] Scamander ، وسط الأقوام الآخرين الذين ماتوا بالرمح . بل أفضل أن يقتل قاتلاك

---

(١) المعنى الحرفي هو: «مختلط حديثاً». ولما كانت الصداقة تعقد عنه بدئها بكأس محبة، فهكذا سترحب بأوريستيس كصديق، بعد غيبته الطويلة.

(٢) بلوتو Pluto وبروسيربيني Proserpine .

(٣) كان ملكاً على أولئك الأمراء الذين كان لهم الحق في تقرير الحياة أو الموت لرعاياهم.

(٤) كان سكاماندر ابن أوقيانوس وتيثوس، ورب النهر طرود Troad الذي كان يحمل اسمه. كان « كسانثوس » لقباً للنهر وللإله، كما كان والد تيوكير، أول ملوك الطرواديين.

بيـد أقـاربهمـا مثلمـا قتـلاك ، حتى يعلم أي شخص في بـلاد بعيدة ، لا يعرف شيئاً عن همومنا الحالية، بمصير الموت الذي أصابهما .

الكوروس : إن أمنيتك، يا بنيتي لأفضل من الذهب، من هذه الوجهة ، لأن هذا يفوق الثـروة العظيمـة الطيبـة، نعم ، بل والنعمـة العليا[١] أيضاً ، إذ من السهل التمني . ولكن الآن ـ بما أن صوت هـذه الضربة المزدوجة[٢] قد وصل إلى الوطن ـ فإن لقضيتنا أنصارها تحت الأرض ، بينما أيدي الطرف الآخر ـ رغم كون السلطة لـه ـ أولئـك الأوغاد ـ فـإنها أيـد دنسة . إن الأولاد هم الـذين لهم النصر في هذا اليوم !

أوريستيس : اخترق هذا الأرض ، ووصل إلى أذنك[٣] كما لو كـان سهماً . أي زوس ، يا من ترسل من العالم السفلي ، للأفعال التهـورية الشريرة التي تقترفها أيدي البشر، ترسل لها عقابهـا الذي طـال تأخره ـ ورغم هذا ، فإنه سيتم من أجل خاطر أب[٤] .

الكوروس : عسى أن يـكون من نصيبي أن أرفع عقيرتي بصرخة انتصار على ذلك الرجل عندما يطعن ، وعلى تلك المرأة عندما تهلك ! لماذا

---

(١) سكان الشمال قوم خرافيون يقيمون فيما وراء الريح الشمالية، تخيلهم الناس يعيشون مدة أطول، كما كانوا أغنى من غيرهم من البشر.

(٢) «صوت الضربة المزدوجة»: تشير هـذه العبارة إلى أن التـوسل إلى الميت، وحثـه على الانتقام، وضرب الرأس والصدر، وضرب الأرض الشبيه بـالتوسـل للموتى ، كـل هذه يقصـد بها إثـارة القوى السفلى، فـالضربـة «مزدوجـة» لأن القائمين بهـا هم الـطفـلان والكوروس.

(٣) أذن أجاممنون.

(٤) يعبر بهذا عن صلاته غير المنطوقة، وهي «أقتل أمي».

أجهد نفسي لكتمان ما يجول أمام روحي ؟ يضرب الغضب ضربات حادة فوق قمة قلبي في حقد وكراهية .

إلكترا : ومتى سينزل زوس الجبار يده عليهما ـ ويلي ! ـ ويشق رأسيهما إربا ؟ ليكن للأرض نصيب منهما ! وبعد الظلم ، أطلب العدل بحق . اسمعي ، أيتها الأرض ، وأنتم أيها القوى السفلى المبجلة !

الكوروس : كلا ، فإنها القاعدة الأبدية التي تجعل الدم المراق على الأرض يطلب دماً آخر . يصرخ القتل بصوت عال على روح الانتقام التي تجلب ، من أجل من سبق قتلهم ، دماراً على آخرين .

أوريستيس : يا للحسرة ، يا قوى العالم السفلى الملكية ، إنكم ترون لعنات المقتولين العاتية ، ترون بقايا أسرة أتريوس[1] Atreus في حالتهم العاجزة ، ترونهم يطردون من بيت لبيت في عار وخزي . فإلى أي طريق نتجه ، يا زوس ،

الكوروس : إن قلبي ليخفق ثانية وأنا أسمع هذه الشكوى المحزنة . سرعان ما أخلو من الأمل وتقتتم كليتاي لسماع هذه الألفاظ ، حتى إذا ما حداني الأمل فشجعني وقواني ، ذهب بمحنتي ، آتياً عليّ في نور ساطع .

إلكترا : عن أي شيء نتوسل بحق أكثر مما نتوسل من أجل المحنات التي قاسيناها ـ حتى من تلك التي ولدتنا؟ قد تتملقنا، ولكن تملقها لا ينفع في تهدئتنا ، إذ لا يمكن تلطيف كراهيتنا لوالدتنا ، لأنها أشبه بذئب وحشي القلب .

(١) ابن بيلوبس الذي كان سلطانه يعم جزءاً كبيراً من شبه جزيرة المورة التي اشتقت اسمها من اسمه.

الكوروس : ألطم صدري(١) بمرثاة(٢) آرية Arian تبعاً لعادة المرأة الكيسيانية Cissian(٣) المنتحبة بضربات من قبضة اليد تنزل متلاحقة ثقيلة وسريعة وكان بوسع المرء أن يرى يدي ممتدتين ، تارة على هذا الجانب وتارة على الجانب الآخر ، وهما نازلتـان من فوق ـ من أقصى مـداهمـا ـ حتى رنَّ رأسي المهشم التعيس تحت وقـع الضربات .

إلكترا : ويحك ، أيتها الأم القاسية البالغة الجرأة . لقد أتتك القوة على أن تدفني زوجك دفناً قاسياً . فرغم كـونه ملكـاً ، دفن بغير أن يبكيه أحد أو يسير وراءه شعبه أو يصحبه البكاء .

أوريستيس : ويلي، إن كلامك ليـوحي بالاحتقـار التام . وعلى ذلـك ، أفلا يمكن بمسـاعـدة الـرب ، ومسـاعـدة يـدي ، أن تجـازي على الاحتقار الذي فعلتـه بأبي ؟ فـلآخذ حيـاتها ، ثم لا يهمني أن أموت بعد ذلك !

الكوروس : نعم ، ومزق(٤) بطريقة خبيثة ، أود أن تعرف ذلك . وحتى عندما دفنته هكذا ، وضعت خطتها بحيث تكون عبئاً على حياتك فوق

---

(١) كـانت النساء في عصـر مقتل أجـاممنون تفـرطن في البكـاء على «عـديـد» المعـددات الآسيويات المحترفات، كذلك هنا يكررن علامات الحداد تلك.

(٢) آريا Aria إحدى مناطق فارس . فقد أطلق الإغريق اسم Arioi على Eranians (وهي آريا Ariya الفـارسية القـديمة). ويقـول هيـرودوت إن هـذا اسم قـديم أطلق على ميـديس Medes .

(٣) كيسيا Cissia جزء من سوسيانا Susiana .

(٤) إشارة إلى العادة الوحشية التي اتبعت معه، إذ قطعت أطرافه ثم علقت في رقبته وربطت تحت الإبط . والغـرض من ربطهـا تحت الإبط شل قـوة روح الميت حتى لا تنتقم من القاتل.

مـا تحتمل جميـع القوى . هـا أنت قـد سمعت قصـة الإهـانـة الفاضحة التي لحقت أباك .

إلكترا : إنهـا قتلت أبي ، كما تـذكرين ، أمـا أنا فـاحتقـرت منـذ ذلـك الوقت ، واعتبرت من سقط المتاع ، محبوسة في حجرتي كما لو كنت كلباً شريراً ، فأطلقت العنان لدموعي ـ التي جاءت بسرعة أكثر من الضحك ـ وانخرطت في النحيب داخل محبسي ببكـاء غزير . اسمعي قصتي وادفنيها في قلبك .

الكوروس : نعم ، ولتغص عميقاً في أذنيك . ولكن يجب أن تحافظي على هدوئك ورباطة جأشك . أما ما سيتبع ففكري فيه بنفسك يجب أن تدخلي المعركة بغضب صلب لا ينثني .

أوريستيس : هأنـذا أناديك، يا أبتاه، قف إلى جانب ابنك !

إلكترا : وأنا ، التي أبكي بدموع سواجم، أضم صوتي إلى صوته.

الكوروس : وكل جماعتنا تدمج صوتها في تلاوة الصلاة مدوية. استمع ! هيا إلى الضوء ! قف معنا ضد العدو !

أوريستيس : إله الحرب سيواجه إله حرب، والحق سيواجه الحق.

إلكترا : وأنتم، أيها الآلهة ، قرروا بحق حجة الحق !

الكوروس : إن هذه لتسري في جسمي وأنا أسمع هذه الصلوات. ظل القدر منتظراً مدة طويلة ، ولكنه سيأتي استجابة لنداء من يدعو.
آه، أيتها المتاعب المتأصلة في هذه الأسرة ، ويا ضربة الـدمار باعثة الشقاق الفظ ! آه ! أيتها الأحزان المبكية والمفجعـة! آه، أيها الألم الممض!

لدى هذا البيت علاج لتلك الويلات ـ علاج ليس من الخارج، من يد شخص آخر ـ بل من يده هو نفسه، بالتنازع العنيف للدم،

ننشد هذه الأغنية للآلهة المقيمة تحت الأرض .

أيتها القوى السفلى المباركة، أعيروا توسلنا هذا أذناً صاغية ، وبإرادة مستعدة أرسلوا نجدتكم للأولاد حتى ينالوا النصر !

أوريستيس : أيا أبتاه، يا من هلكت بميتة غير ملكية ، أجب طلبتي وامنحني السيادة على أبهائك !

إلكترا : وأنا أيضاً، يا والدي، أطلب منك طلباً مماثلاً ـ أن أهرب بعد أن ألحق بإيجيسثوس دماراً عظيماً .

أوريستيس : نعم، إذ عندئذٍ تمد ولائم الرجال الجنائزية المعتادة، تكريماً لك ، وبغير ذلك لا يكون لك نصيب مشرف في الوليمة الفاخرة ذات النكهة الشهية والتي تضم القرابين المحترقة المقدمة للأرض .

إلكترا : وأنا كذلك، من كامل وصية ميراثي من بيت والدي أقدم لك سكيبة في ليلة زفافي ، وقبل كل شيء آخر أبجل وأكرم قبرك هذا أعظم تكريم .

الكوروس : أيتها الأرض، أرسلي والدي ليراقب معركتي!

إلكترا : أيا بيرسيفاسا Persephassa ، امنحينا نصراً مجيداً.

أوريستيس : تذكر الحمام الذي سرقت فيه روحك ، يا أبتاه.

إلكترا : وتذكر كيف نصبوا لك شبكة صيد غريبة.

أوريستيس : قبض عليك، يا والدي، بأغلال لم تصنعها يد حداد.

إلكترا : وبأغطية صممت بطريقة مخجلة .

أوريستيس : أبتاه ، ألا تقلقك مثل هذه الإهانات؟

إلكترا : ألا ترفع رأسك العزيز عالياً ؟

أوريستيس : إما أن ترسل العدالة لتحارب من أجل الأعزاء على نفسك ، أو

تمنحنا أن نقبض عليهما[١] بطريقة مماثلة ، إذا كنت ستنال النصر حقاً بعد الهزيمة .

إلكترا : اصغِ يا أبتاه إلى آخر توسل لي . كما أنك ترى هذه الأفراخ قابعة عند قبرك، فلتكن عندك رحمة على ذريتك، على المرأة، وفي الوقت نفسه على الذكر، ولا تعمل على انقراض ذرية بيلوبس[٢] Pelops هذه ، إذ عندئذٍ تكون غير ميت ، رغم الموت. فإن الأولاد أصوات خلاص الإنسان مهما كان ميتاً . إنهم كقطع الفلين التي تطفو فوق الشبكة لتحافظ على الخيوط الكتانية من الأعماق . اصغِ ! إننا نتقدم بهذه الشكوى من أجلك أنت ، استجب لتوسلنا هذا ، تنقذ نفسك .

الكوروس : الحقيقة أنكما تقدمتما بشكواكما هذه بنفس راضية ، مظهرين التكريم لهذا القبر غير المبكي عليه . أما ما بقي ، فبما أن قلبك متحفز للعمل فهيا إلى العمل إذن.

أوريستيس : وهو كذلك. ولكن ليس من الخطأ أن نسأل لأي غرض أرسلت هذه القرابين بعد أن فات الأوان للتكفير عن فعلة تستعصي على العلاج . فهذه التقدمات منحة محزنة للميت غير الواعي ، ولا يمكنني التخمين بمعنى ذلك . وفضلاً عن هذا فإن تلك الهدايا حقيرة لا تتفق وهذه الجريمة . فلو سكب المرء كل ما لديه تكفيراً عن جريمة دم واحدة فإن جهده يضيع سدى ؛ هكذا يقول

---

(١) يرجو أوريستيس، أنه كما أن كلوتايمنسترا وأيجيسثوس قد قبضا على أجاممنون بالخداع، كذلك أن يقبض هو عليهما بطريقة مشابهة ويقتلهما.

(٢) ابن تانتالوس وحفيد زوس. عندما كان طفلاً قطعه أبوه إرباً إرباً وقدَّم لحمه طعاماً للآلهة الذين لم تجز عليهم الحيلة ما عدا ديميتير ، فأكلت من فرط حزنها على فقد ابنتها.

المثل ، فإن كنت تعرفين حقاً ، فأخبريني لأني أتوق إلى معرفة ذلك .

الكوروس : أعرف ، يا بني ، لأنني كنت هناك. فعلت ذلك لأنها رأت حلماً اضطرب له قلبها وحامت حولها أرواح الليل المفزعة ، فأرسلت هذه القرابين ، أرسلتها تلك المرأة التي لا آلهة لها .

أوريستيس : وهل علمت بمضمون الحلم فتخبريني به صحيحاً؟

الكوروس : رأت في حلمها أنها ولدت أفعى ـ هذه هي روايتها هي نفسها .

أوريستيس : وأين تنتهي القصة، وما ملخصها؟

الكوروس : أرقدتها لتستريح كما لو كانت طفلاً ملفوفاً بالأقطمة .

أوريستيس : وأي طعام طلبت هذه المخلوقة الشريرة الحديثة الولادة؟

الكوروس : قدمت لها ثديها بنفسها، في حلمها.

أوريستيس : لا شك في أن حلمة ثديها لم تجرح بأسنان ذلك الحيوان المقيت ؟

الكوروس : كلا ، وقد امتصت مع اللبن دماً متخثراً.

أوريستيس : حقيقة، إن هذا الحلم ليس بغير معنى ـ فهذه الرؤيا معناها رجل!

الكوروس : عندئذٍ أطلقت صرخة في نومها، وصحت مذعورة، وكم من مصباح أضيء في الظلام فأرسل الضوء ساطعاً داخل البيت لإبهاج سيدتنا. لذلك أرسلت القرابين للبيت عسى أن تصير علاجاً شافياً لمحنتها .

أوريستيس : كلا، إذن فأنا أتوسل إلى هذه الأرض، وإلى قبر والدي، أن يتمم الغرض من هذا الحلم بواسطتي، وهو كما أفسره، مطابق في كل نقطة . إذ لو غادرت الأفعى نفس المكان كما غادرته

أنا ، ولو كانت مزودة بأقمطتي ، ولو حاولت أن تفتح فمها لتأخذ الثدي الذي غذاني ، وخلطت اللبن الحلو بالدم المتخثر، بينما صرخت هي فزعاً من هذا، إذن بكل تأكيد، بما أنها غذت مخلوقاً ذا طالع شؤم ، إذن فهي ستموت حتماً - بالعنف لأنني إذا انقلبت أفعى ، فسأكون قاتلها، كما يقرر هذا الحلم .

الكوروس : إني لأختار قراءتك لنذير الشؤم ذاك . وليكن كذلك! أما ما بقي بعد هذا، فوزع على صديقاتك أدوارهن. مر البعض بماذا يفعلن ، والبعض الآخر بما يتركنه دون إنجاز.

أوريستيس : إخبارهن بهذا سهل. يجب أن تدخل شقيقتي القصر، وإني لأكلفها بكتمان اتفاقنا هذا ، وأقصد بذلك ، أنه بما أنهما قتلا رجلاً عالي القدر، بالخدعة ، كذلك يقبض عليهما بالخداع أيضاً، ويهلكان بنفس الشرك . هذا ها ما قرره لوكسياس ؛ السيد أبولو، ذلك العراف الذي لم يثبت خطؤه من قبل .

سأذهب إلى الباب الخارجي ، كامل التسليح، في زي رجل غريب - ومعي بولاديس الذي ترينه هنا كضيف وحليف للبيت . سنتكلم كلانا بلهجة بارناسوس[1] Parnassus محاكيين النطق باللغة الفوكية . فإذا لم يرحب بنا أحد من البوابين الترحيب اللائق ، بحجة أن السماء أرسلت المتاعب على هذا البيت ، فسننتظر إلى أن يمر بالبيت شخص فيخطر بباله شيء فيقول : (لماذا يقفل أيجيسثوس بابه في وجه المتوسل إليه ، إذا كان في البيت حقاً ويعرف به ؟».

أما إذا اجتزت العتبة الخارجية للباب ووجدت ذلك الرجل جالساً على عرش والدي ، أو إذا جاء أمامي بعد ذلك وجهاً لوجه ؛ فإنه

(١) جبل مقدس لأبولو وربات الفن قريب من دلفي.

سوف ـ لاحظي جيداً ! ـ يرفع عينيه ويتطلع قبل أن يقول : «من أي أرض هذا الغريب؟» إذ سأعاجله بسيفي وأطعنه به وألقيه صريعاً . فإن الروح المنتقمة التي لم تقترب من الدم ، ستشرب جرعتها الثالثة والعظمى من الدم الصريف !

والآن، يا إلكترا، لاحظي جيداً ما يدور في البيت، كي تلتئم خطتانا معاً تمام الالتئام. أما أنتن [يخاطب الكوروس] فمن الخير أن تلزمن جانب الصمت . لا تتكلمن عندما لا تكون هناك حاجة للكلام . وتكلمن بالضروري فقط ، حسب ما تتطلب الظروف . أما ما بقي بعد ذلك ، فإني أدعوه[1] لأن يلقي نظرة هنا ويقود النزاع بالسيف في الطريق الصحيح .

[يخرج أوريستيس وبولاديس وإلكترا]

الكوروس : كثيرة جداً هي المخاوف المفزعة والمهددة بالخطر، التي ربتها الأرض وأذرع جماعات البحر العميق بواسطة الوحوش الضخمة المقيتة . كذلك توجد بين السماء والأرض أضواء[2] معلقة عالياً في الهواء ؛ وكائنات مجنحة ، وكائنات تمشي، وتستطيع الأرض أن تقص أخبار الغضب العاصف لدوامات الريح .

ولكن من ذا يستطيع التكهن بروح الرجل البالغة الجرأة ، وبالعواصف المتهورة للنساء المتصلبات الروح ، رفيقات ويلات البشر ؟ تسيطر على المرأة عاصفة جامحة قوية وتنال انتصاراً قائلاً على زيجات الوحوش والبشر على حد سواء .

لو كان هناك أي فرد خفيف العقل في فهمه فليعرف هذا ، عندما

---

(١) أي بطلة أبولو، الذي يقوم تمثاله أمام القصر.

(٢) يقصد الشهب.

يعلم بقصة الجذوة المتقدة التي صممتها ابنة[1] ثيستيوس Thestius العديمة القلب ، التي دبرت هلاك ابنها عندما استهلكت الجذوة المتفحمة التي كان عمرها من عمر ابنها منذ الساعة التي خرج فيها من رحم أمه وصرخ عالياً ، والتي ظلت معه طوال حياته إلى اليوم المقدر لمصيره .

تقول إحدى الأساطير إن امرأة أخرى ، هي موضوع يصلح للدعارة . إنها عذراء[2] دبرت هلاك شخص عزيز عليها بإيعاز من أعدائه ، إذ أغرتها هدية مينوس ، وهي عبارة عن العقد الكريتي المصنوع من الذهب ؛ فقطعت شعرته الخالدة وهو نائم يتنفس غير مرتاب ـ فيا لها من فتاة ذات قلب كلب . فأخذه هيرميس[3] .

ولكن ، بما أنني استحضرت إلى الأذهان قصص الآثام المنطوية على عدم الرحمة ، فهذا هو الوقت الملائم لذكر قصة زواج تجرد من الحب ، فكان عامراً للبيت من جراء المكائد التي

---

(١) ولدت ألثايا Althaea ابنة ثيستيوس ملك أيتوليا Actolia وزوجة أوينيوس Oeneus ملك كالودون Calydon ، ولدت طفلاً سمي ميلياجر Meleager . فلما بلغ هذا الصبي من العمر أسبوعاً ، ظهرت الأقدار لوالدته وأخبرتها بأن ذلك الطفل سيموت عندما تأكل النار الجذوة المتقدة التي في الوطيس . وعندئذٍ أخرجت ألثايا الجذوة من الموقد وأطفأتها وحفظتها في خزانة . غير أنه عندما كبر ميلياجر وصار شاباً يافعاً ، قتل إخوة أمه ، فغضبت وأخرجت القطعة المتفحمة من الخزانة وألقتها في النار ، فلما أتت عليها النار مات ابنها فجأة .

(٢) حاصر مينوس ملك كريت نيسوس Nisus ، في مدينته ميجارا . ولما كانت سكولا Scylla ابنة نيسوس تهيم بحب مينوس ، قطعت من رأس والدها الشعرة الأرجوانية التي كانت تتوقف عليها حياته ، وبذا تمكن الكريتيون من قتله .

(٣) هيرميس مرشد أرواح الموتى إلى هاديس .

دبرتها زوجة لعوب ضد سيدها المحارب . ضد سيدها لسبب يحترمه أعداؤه . ولكن أبجل وطيساً ومنزلاً غريباً على نيران العاطفة ، كما أبجل في المرأة روحاً تنفر من الأفعال الجريئة .

الحقيقة أن قصة نساء ليمنوس[1] تحتل المكان الأول بين قصص الجرائم . وقد ظلت مدة طويلة تروي بالأنين، بصفتها فاجعة منكرة حتى صارت مثلاً يضربه الناس لكل فزع جديد فيقولون إنه أشبه بالمحنة الليمنية . وبسبب هذه الفعلة الشنعاء التي يمقتها الآلهة . انقرض ذلك الجنس وأبيد ، في خزي وعار ، من بين البشرية . فما من رجل يوقر ما يستحق كراهية السماء . هل هناك قصة من تلك القصص لم أذكرها بإنصاف ؟

غير أن الحسام المرير الحاد ، اقترب من الثدي ، وضرب ضربته في موضعها تماماً انصياعاً لأم العدالة . إذ الحقيقة أن عدم استقامة ذلك الذي يذنب بحق في ذات عظمة زوس الملكية ، إنما يلقى على الأرض ويوطأ تحت الأقدام[2] .

لقد ثبت سندان العدالة بإحكام . تشكل ربة المصير أسلحتها ، وتصنع سيفها في الوقت المناسب ، وتأتي روح الانتقام المشهورة والعميقة التفكير ، بالابن إلى البيت ليوقع الجزاء عن تلويث البيت بالدم المسفوك قديماً .

[يدخل أوريستيس وبولاديس مع خادم أمام القصر]

---

(١) لما غادرت نساء ليمنوس من العبيد التراقيين، قتلهن أزواجهن ولذلك، لما زار بحارة سفينة الأرجو تلك الجزيرة، لم يجدوا فيها أي رجل.

(٢) هذه الترجمة مبنية على قراءة ستانلي Stanely ، غير أن هذه وكل التغييرات الأخرى لا تزيل صعوبات من النسخة الأصلية.

أوريستيس : يا بواب! يا بواب! اسمع طرقاتي على الباب الخارجي ! من بالداخل، يا بواب، يا بواب، أقول مرة أخرى ، من بالبيت؟ وللمرة الثالثة ، أنادي شخصاً ما من هذا البيت ليأتيني ، إذا كنتم ترحبون بالغرباء بإرادة أيجيسثوس .

الخادم : نعم، نعم، أسمع. من أي أرض هذا الغريب، وإلى أين؟

أوريستيس : أعلن قدومي لسادة هذا البيت ، لأنني أحمل لهم أنباء. وأسرع لأن عربة الليل تسرع بالظلام ، وهذا هو الوقت الذي ينزل فيه أبناء السبيل مرساتهم في بيت ما ذي ترحيب عام. اطلب من شخص ما، تكون له سيطرة على هذا البيت أن يأتي إلي ؛ السيدة الموكول إليها أمره ـ أو السيد، وهذا أليق، إذ عندئذٍ لا يسبب التأنق في العبارات غموض الألفاظ : إذ يتحدث رجل إلى رجل في جرأة ، ويعبر عن قصده بغير تحفظ .

[ينسحب الخادم. تظهر كلوتايمنسترا عند الباب مع خادمة]

كلوتايمنسترا : أيها الغرباء، ما عليكم إلّا أن تعلنوا عن حاجتكم، فلدينا كل ما يناسب هذا البيت ـ من حمامات دافئة ، وفرش تذهب التعب ، ووجود العيون المرحبة . أما إذا كان هناك أم ، غير ذلك ، يتطلب مشورة أعظم ، من شؤون الرجال ، فإننا سنتصل بهم .

أوريستيس : إنني غريب داولياني Daulian من الفوكيين. بينما كنت سائراً في طريقي أحمل أمتعتي لشأن من شؤوني الخاصة إلى أرجوس ـ وكنت قد أنهيت رحلتي إلى هنا[1] ـ إذ قابلني رجل غريب علي ، كما كنت غريباً عليه ، وسألني عن وجهتي ، وأخبرني

---

(١) المعنى الحرفي، هو: «فك قيدي»، إذ أن قدماه بمثابة خيوله.

بوجهته . إنه ستروفيوس Strophius ، أحد الفوكيين (عرفت اسمه من خلال حديثنا) ، وقال لي : «بما أنك، أيها الغريب ، ذاهب إلى أرجوس ، على أية حال، فتذكر أن تخبر والدي أوريستيس ، بأنه مات ـ ولا تنسَ هذا بحالٍ ما . وسواء قرر أصدقاؤه أن ينقلوه إلى وطنه أو يدفنوه في الأرض التي أقام فيها غريباً إلى الأبد، فعد إليَّ بقرارهم. وفي الوقت نفسه ، فإن آنية من البرنز لتضم رماد رجل مبكيّ عليه بكاءً حاراً» . لذا ، أخبرك بهذا كما سمعته . وسواء كنت بالصدفة أتكلم مع من يعنيهم الأمر ، أو مع من يهتمون به ، فهذا ما لا أعرفه : ولكن يجب أن يعرف أبوه هذا الخبر .

كلوتايمنسترا : الويل لي ! إن روايتك هذه لتوحي بتحطيم آمالنا تماماً . يا للعنة التي تغشى هذا البيت ـ العسيرة المقاومة ـ وما أبعد المدى الذي يصل إليه بصرك ! فحتى من كان المفروض أنه بمنأى عن طريق الأذى، فهأنتذا قد صرعته بسهامك المسددة جيداً من بعيد . وجردتني من أولئك الذين أحبهم ، أنا الكلية التعاسة ، والآن ، يا أوريستيس ـ إذ خيراً فعل بالاحتفاظ بقدمه بعيدة عن حمأة الدمار ـ والآن ، هذا الأمل الذي كان في داخل البيت ، لعلاج مرحه العادل ، هأنتذا تسجل هجرانه لنا[1] .

أوريستيس : أما عن نفسي، فإني متأكد، بوجودي مع مضيفين بهذا الثراء ، إنني أفضل لو عرفوني ورحبوا بي بسبب أخبار مفرحة . إذ أين

(١) المعنى الظاهرة لكلام كلوتايمنسترا، هو أنه بوجود ابنها على قيد الحياة وبعيداً عن البيت الملوث بالدماء ، كانت تأمل في نهاية بقاء اللعنات. ولكن هذا الأمل قد تلاشى ـ لا يزالون متمسكين «بفرحهم العادل»، كما تسميه في تهكم أو في تورية. إن عاطفتها الداخلية هي الفرح بتحطيم آمال إلكترا في عودة أخيها لإنهاء الفرح غير اللائق.

تـوجد ثقـة أعـظم ممـا يبـدي الضيف للضيف ؟ ولكن بحسب فكري ، إنه خـرق للفروض المقـدسة ألا أنجـز للأصـدقاء مـا عهـدوا به إلي ، مثـل هذا، عنـدما أكـون قـد ارتبـطت بـوعـد وبالإكرام الموعود .

كلوتايمنسترا : كلا، وإنما يجب أن تطمئن وتتأكد من أنك لن تنال جائـزة أقل مما يليق، ولن تلقى في هذا البيت ترحيباً أقل مما يجب ـ فقـد كان بوسع رجل غيرك أن ينقل هذه الرسالة . ولكن هـذا الوقت هو ما ينال فيه الغرباء الـذين كانـوا مسافـرين في رحلة طويلة ، إكـرامهم الملائم (إلى خـادم)، اصحبه إلى حجـرات استقبـال الضيوف من الرجال ، هو وخدمه وزميله في السفـر ، وليكرمـوا هناك بما يتفق وبيتنا . إني أكلفك بهذا ، وستكون ملزماً بتنفيذه بدقة وفي الوقت ذاته سنخبر سيد البيت بهذا الأمر ـ وبما أننا لا نفتقر إلى الأصدقاء ـ فستتلقى المشورة في هذا الحادث .

[ينسحب الجميع ما عدا الكوروس]

الكوروس : أيا خادمات هذا البيت المخلصات ، كم من الوقت سيمر قبل أن نستخدم أية قوة في شفاهنا لنقدم خدمة إلى أوريستيس ؟

أيتها الأرض المقدسة ، والتل العالي المقدس المطل الآن على الحوض الملكي لقائد الأسطول ، استمعا إليَّ الآن ، وأعيراني المعونة ! هذا هو وقت الإغـراء بخداعهـا لكي تشترك معـه في العمـل ، ولهيرميس العـالم السفلي ـ ذلـك الـذي يعمـل في الخفاء ـ أن يقود الالتحام بالسيف القاتل .

[تدخل مربية أوريستيس]

يبـدو أن ضيفنا الغـريب يفعـل الشـر الآن ، لأنني أرىّ مـربيـة

أوريستيس تبكي بدموع غزيرة . أيا كاليسا Calissa[1] ! إلى أين تذهبين؟ كيف حدث أنك وطئت بقدمك باب القصر ، حزينة على رفيقتك غير المأجورة ؟

المربية : أمرتني سيدتي أن أنادي أيجيستوس بغاية السرعة لأجل الغرباء ، حتى يحضر ويعلم بوضوح أكثر، بصفته رجلاً أمام رجل . هذه الأنباء التي وصلت منذ لحظة . الحقيقة أنها أخفت ضحكها لما حدث وأسعدها، أمام الخدم، وخلف عينين تتظاهران بالبكاء ـ ولكن هذه الأخبار التي جاء بها الغرباء في وضوح ، توحي بالدمار التام لهذا البيت. أؤكد أنه سيغتبط في قلبه عند سماع هذه القصة . ما أتعسني من امرأة ! كيف آلمت المصائب القديمة ، التي من كل نوع ، والتي يصعب احتمالها ، وقد أصابت بيت أتريوس هذا ، آلمت قلبي داخل صدري ! ومع ذلك فإنني ما قاسيت ضربة كهذه على الإطلاق ؛ إذ احتملت جميع الويلات السابقة بصبر وجلد ؛ بيد أن سيدي أوريستيس المحبوب ، الذي من أجله أضعت كل روحي، ذلك الذي أخذته من والدته عند مولده وربيته . وتلك الأعمال الكثيرة الشاقة ـ التي ذهبت جميعها بغير فائدة ـ عندما كانت صرخاته الطويلة الحادة تنغص عليّ راحتي . إذ يجب على المرء أن يربي هذا الشيء العديم الإحساس كما لو كان حيواناً أعجم ـ وبالطبع يجب ذلك ـ بمسايرة مزاجه . فبينما كان لا يزال طفلاً ملفوفاً بالأقمطة ، ولا يستطيع النطق بالكلام إطلاقاً ـ سواء للتعبير عن الجوع أو العطش أو قضاء الضرورة ـ فجوف الأطفال الصغار يعمل ما يحلو له . كان يجب أن أتنبأ بهذا ، ومع ذلك ، فكم

---

(١) جرت العادة أن يسمى العبيد بأسماء بلادهم.

من مرة ، وأظن أنني كنت مخطئة، غسلت ملابس ذلك الطفل - فوظيفة الغسالة والمربية واحدة . كنت أنا التي تسلمت أوريستيس من يدي والده لأقوم له بهاتين الوظيفتين . والآن، ما أتعسني إذ أسمع أنه مات . ولكني في طريقي لإحضار الرجل الذي جلب الخراب على هذا البيت، وسيسره كثيراً أن يسمع هذه الأخبار .

الكوروس : وبأية صورة أمرته أن يحضر ؟

المربية : بأية صورة؟ كرري هذه العبارة مرة ثانية كي أفهم المعنى بطريقة أفضل .

الكوروس : هل يحضر مع حرسه الخاص ، أو بدون حرس ؟

المربية : كلا، لا تبلغي هذه الرسالة لسيدنا البغيض ، ولكن اطلبي منه أن يحضر وحده بغاية السرعة وبقلب مبتهج ، حتى يخبر بغير خوف . إذ تستقيم الرسالة الملتوية في فم الرسول[1] .

المربية : ماذا، وهل أنت مسرورة القلب من هذه الأخبار الحالية؟

الكوروس : ولم لا ، إذا كان زوس قد يغير اتجاه ريحنا الخبيثة ؟

المربية : كلا، وكيف يمكن أن يكون هذا؟ فقد ذهب أوريستيس، أمل هذا البيت .

الكوروس : لم يذهب بعد. إنه لعراف غبي ، ذلك الذي يفسر الأمر على هذا النحو .

المربية : ماذا تقولين؟ هل تعرفين شيئاً أكثر مما قيل !

الكوروس : اذهبي وبلغي رسالتك ! افعلي ما أمرت بفعله . تعني الآلهة بمن تريد أن تعنى به .

---

(١) مثل سائر موجه إلى المربية وليس إلى أيجيسثوس، نصه : «عندما تمر الرسالة خلال فم حاملها، يمكنه تغييرها حسبما يشاء» .

المربية : حسناً، سأذهب طوعاً لأمرك ؛ عسى أن يتحول كل شيء ، بنعمة الله ، إلى خير ما يكون!

الكوروس : والآن، استمع إلى توسلي، يا زوس، يا أبا الآلهة الأوليمبية: اسمح بتوطيد حظوظ هـذا البيت، حتى إن الذين يرغبون بحق في الحكم بنظام ، أن يروه . لقد توخيت العدالة في كل كلمة نطقت بها . فحافظ على سلامتها، يا زوس !

أيا زوس ، انصر ذلك الذي بداخل القصر أكام أعدائه . لأنك إن أبهجته فسيسره أن يدفع لك الجزاء ضعفين أو ثلاثة أضعاف .

تذكر أن الأفراح المميتة لرجل عزيز عليك ، مربوطة في عربة البلاء. وهل لك أن تضع حداً للأحداث الجارية، فتسمح بأن نراه يسير بخطى ثابتة في هذا الطريق بخطوة الركض الشاقة لبلوغ الهدف[1]!

وأنت يا من تقيم في البيت، في الحجرة الداخلية المؤثثة في بذخ وأبهة، اسمعوني أيها الآلهة، يا من تشاركوننا مشاعرنا! أنزلوا عقاباً جديداً عن الأفعال الدموية المقترفة قديماً. عسى أن يكف القاتل العجوز عن ولادة ذرية في هذا البيت !

وأنت يا من تسكن في المغارة [2] العظمى الجميلة البناء ، اسمح بأن يرفع بيت هذا الرجل عينيه ثانية بالفرح، وينظر بعينين

(١) أي دعه ينتظر سنوح الفرصة المواتية باجتناب السرعة.

(٢) كان معبد أبولو الداخلي في دلفى عبارة عن مغارة أو قبو به مقعد ثلاثي الأرجل قائم فوق صخرة، وعليه لوحة من الرخام تجلس عليها الكاهنة.

مبتهجتين، من وراء حجاب الظلام، ضوء الحرية الساطع الأشعة !

عسى أن يمنح ابن مايا Maia(١)، كما يجب عليه أن يفعل، مساعدته، إذ لا أحد يمكنه أن يقود فعلة في طريق ملائم، خيراً مما يفعل هو إذا شاء(٢) . بيد أنه، بكلامه الخفي، يجلب الظلام على عيون الناس بالليل، وليس بالنهار أوضح منه دليلاً.

وأخيراً سننشد بصوت مرتفع أغنية خلاص هذا البيت ، تلك الأغنية التي تغنيها النساء عندما تهدأ الريح ولا ترسل صوتها المزمجر جالب الأحزان ـ «تجري السفينة بسلام، ولي ،لي،يزيد هذا إلى ربح ، وتنأى الكارثة بعيداً عن أولئك الذين أحبهم».

ولكن عندما يأتي دور العمل، فاصرخ عالياً بشجاعة جيدة، قائلاً اسم «أبتاه»، وعندما تصيح هي «ولدي» ، أنجز الفعلة المؤذية، الخالية من الإثم .

ارفع روح بيرسيوي(٣) Perseus في داخل صدرك، ومن أجل الأعزاء عليك تحت الأرض، ومن أجل من فوق، أقم العدل الشافي لغليل غضبهم الشديد؛ محدثاً الدمار الدموي في داخل البيت ومحطماً المجرم الذي تسبب في الموت(٤) .

---

(١) أي هيرميس حامي الخداع ورب الفصاحة.

(٢) يقرأ السطر ٨١٥ من النص اليوناني الذي بين قوسين هكذا: «وأشياء كثيرة أخرى يفعلها ببساطة إذا أراد».

(٣) ابن زوس وداناي. تنبأ كاهن إلى أكريسيوس والد داناي بأن ابنته ستلد ابناً يسعى إلى قتله. فجلس أكريسيوس داناي في حجرة من البرنز تحت الأرض ليمنع حدوث هذا الأمر الجلل، ولكن زوس زارها في هيئة مطر من الذهب فأنجبت بيرسيوس.

(٤) المعنى العام للسطور من ٨١٩ ـ ٨٣٨ غير واضح.

[يدخل أيجيستوس]

أيجيستوس : لم آتِ من تلقاء نفسي، بل استدعاني رسول بناء على أخبار مذهلة ، كما سمعت، يرويها الغرباء الذين جاءوا . إنها أخبار بعيدة عن الترحيب - تقول إن أوريستيس مات . فإذا وضع هذا على البيت صار عبئاً مخيفاً، بينما هو لا يزال يئن من الجرح الذي أصابه به قتل سابق . كيف يتسنى لي معرفة ما إذا كانت هذه الرواية صادقة وهي الواقع؟ أو هل هي مجرد إشاعة روجتها النساء المذعورات، فترتفع عالياً ثم تهبط لتدل على لا شيء؟ ماذا يمكنك أن تخبريني به لكي يوضح المعنى فيسهل فهمه ؟

الكوروس : سمعنا الحكاية؛ هذا صحيح - ولكن ادخل واستفهم من الغرباء. فليس تأكيد الرسول شيئاً يذكر إذا قيس باستعلام المرء بنفسه من الرجل ذاته.

أيجيستوس : أريد مقاتلة الرسول، وأتحقق منه من جديد - هل حضر الموت بنفسه، أو أنه يروي ما سمعه من تقرير غامض. كلا، فلأتأكدن من أنه لا يخدع عقلاً مفتوح العينين.

[يخرج]

الكوروس : أي زوس، أي زوس، ماذا بوسعي أن أقول؟ هل أبدأ بهذا صلاتي وتوسلي إلى الآلهة؟ كيف لي، في إخلاصي هذا، أن أجد ألفاظاً تلائم الموقف؟ هذه هي اللحظة التي فيها، إما أن يدمر حد النصال المضرجة بالدماء والتي تصرع الرجال ، بيت أجاممنون إلى الأبد، أو يوقد لهب نور ساطع في قضية الحرية، فيفوز أوريستيس بكل من السيطرة على مملكته وممتلكات آبائه العظيمة. بمثل هذه التجربة سيواجه أوريستيس خصمين دون أن

يكون معه من يشد إزره. وعسى أن يجر هذا إلى النصر!

[تسمع صرخة من الداخل]

أيجيستوس : (في الداخل) أواه! أواه! الويل لي!

الكوروس : ها! ها! هكذا أقول. كيف الحال؟ كيف دبر الأمر لهذا البيت؟ هيا بنا نقف بعيداً، إذ لم تنتهِ المسألة بعد، حتى تكون بمنجاة من اللوم في هذا العمل الشرير. فقد تقررت نتيجة القتال الآن.

[ينسحب الكوروس إلى أحد الجوانب ، وعندئذٍ يندفع أحد خدم أيجيستوس داخلاً].

الخادم : الويل لي، الويل والوبال لي! قتل سيدي! الويل لي! ومع ذلك، فأنا أصرخ للمرة الثالثة لم يعد هناك أيجيستوس! هيا، افتحوا بكل سرعة! أزيحوا مزاليج باب النساء ! هذا الخطب في حاجة إلى ذراع يمنى قوية ـ ولكنها لن تساعد من قتل ـ ما فائدة ذلك؟ أواه! أواه! هل أنا أصرخ إلى الصم وأضيع صوتي عبثاً إلى قوم نائمين؟ إن رقبتها قريبة من حد الموسى ، وتكاد تسقط تحت الضربة.

[تدخل كلوتايمنسترا مسرعة، وحدها دون خدم]

كلوتايمنسترا : ما هذا؟ أية صرخة لطلب الغوث تطلقها في البيت؟

الخادم : أقول إن الميت يقتل الحي[1] .

كلوتايمنسترا : ويلي! هأنذا أدركت معنى اللغز. سنهلك بالخداع كما قتلنا. فليعطني أحد ما فأس قتال، وبسرعة! ولنعرف ما إذا كنا منتصرين

---

(١) تتضمن العبارة الإغريقية معنيين: «الميت يقتل الرجل الحي» أو «الرجل الحي يقتل الميت».

أو مهزومين، لأنني وصلت إلى هذا في هذه الفعلة الشريرة.

[يخرج الخادم. يفتح الباب فتظهر جثة أيجيسثوس، وأوريستيس واقف إلى جانبه وعلى مسافة منه بولاديس].

أوريستيس : إنك نفس الشخص الذي أبحث عنه. أما ذلك ـ فقد نال كفايته.

كلوتايمنسترا : ويلي! أأنت ميت أيها الشجاع أيجيسثوس، يا محبوبي!

أوريستيس : أتحبين ذلك الرجل؟ إذن فسترقدين معه في نفس القبر، ولن تفارقيه قط في الموت.

كلوتايمنسترا : كف يدك، يا بني! أشفق، يا ولدي، على هذا الثدي الذي رضعت لبنه وغذاك حتى وأنت نائم لم تنبت الأسنان في لثتك بعد.

أوريستيس : ماذا أفعل، يا بولاديس؟ هل أبقى على حياة أمي شفقة بها؟

بولاديس : وماذا يكون إذن عن وحي لوكسياس الذي صدر في بوثو Pytho، وعن عهدنا الذي أقسمنا عليه؟ لأن تعتبر جميع البشر أعداءك، أفضل لك من عداوة الآلهة.

أوريستيس : أحكم بأنك المنتصر. فقد نصحتني بالصواب.
(إلى كلوتايمنسترا) هيا إلى هذا الجانب! أعني إلى جانبه لأقتلك. وبما أنك اعتبرته خيراً من والدي بينما كان حياً، فارقدي معه في الموت، لأنه الرجل الذي تحبينه، وكانت كراهيتك لمن فرض عليك أن تحبيه.

كلوتايمنسترا : أنا التي غذيتك، وسأصير عجوزاً لديك.

أوريستيس : ماذا! أتقتلين والدي وتتخذي مسكنك معي؟

كلوتايمنسترا : القدر هو المسؤول عن هذا، يا ولدي.

أوريستيس : إذن فالقدر هو الذي دبر موتك بنفس تلك الطريقة.

كلوتايمنسترا : ألا تخشى لعنة الوالدين، يا ولدي؟

أوريستيس : لقد ولدتني، ثم طردتني وألقيتني إلى البؤس.

كلوتايمنسترا : من المؤكد أنني لم أطردك بإرسالي إياك إلى بيت حليف.

أوريستيس : بعتني عبداً، رغم كوني ابن رجل حر المولد.

كلوتايمنسترا : إذن فأين الثمن الذي تقاضيته عنك؟

أوريستيس : يمنعني العار من أن أقرعك بما تستحقين.

كلوتايمنسترا : كلا، إذن فلا تحجمن عن إعلان حماقات والدك.

أوريستيس : لا تتهمي ذلك الذي كان يكد وأنت جالسة في البيت بدون عمل.

كلوتايمنسترا : كان عملاً قاسياً، يا بني، أن تتجرد النساء من زوج.

أوريستيس : نعم، ولكن كد الزوج هو الذي يعولهن وهن جالسات في البيت.

كلوتايمنسترا : يبدو أنك مصمم، يا بني، على أن تقتل أمك.

أوريستيس : إنك أنت التي تقتلين نفسك، ولست أنا الذي أقتلك.

كلوتايمنسترا : احترس، احذر كلاب اقتفاء الأثر برائحة الدم المنتقمة للأم.

أوريستيس : ولكن الكلاب المنتقمة للأب - كيف أفلت منها لو تركت هذه المهمة بغير إنجاز؟

كلوتايمنسترا : بما أنني لا أزال على قيد الحياة، فأعتقد أنني أنوح عبثاً أمام قبر[1] .

أوريستيس : نعم، فإن مصير أبي هو الذي يحدد حتفتك هذا.

---

(١) «ينوح أمام قبر» مثل، يقول الشارح إنه يعادل المثل: «يبكي لقبر كما يبكي لغبي»، وتقصد كلوتايمنسترا أنها تنوح بنفسها على موتها، وهي لا تزال بين الأحياء.

كلوتايمنسترا : ويلي! هذه هـي الأفعى التي ولدتها وأرضعتها!

أوريستيس : نعم، وقد تنبأ حلمك المفزع، بـالصواب. إنـك قتلت من كان يجب ألا تقتليه، إذن فقاسي ما كان يجب ألا يكون.

[يـجبـر أوريسـتـيس أمـه عـلى الدخول، ويتبعهما بولاديس].

الكوروس : إني لأحزن، حتى من أجل هذين في مصرعهما المزدوج. ومع ذلك، فبما أن أوريستيس المعذب قد تسنم قمة كثير من الأعمال الدموية، فإننا لنفضل أن يكون الأمر هكذا ـ ألا تهلك عين هذا البيت تماماً.

وكما جاءت العدالة لبريام وابنه أخيراً في عقاب ساحق، كذلك جاء إلى بيت أجاممنون أسد مزدوج، هو القتل المزدوج[1] بذل المنفى والمتضرع إلى إله بوثو، قصارى جهده في إنجاز مهمته، تحثه بعدل نصائح من فوق.

أطلقوا صيحات النصر لإفلات بيت سيدنا من محنته، ومن تبذير ثروته بأيدي الشخصين الفاسدين، ثروته المحزنة!

وقد جاء ذلـك الذي دوره الانتقـام بالخـداع، بواسـطة الهجوم خلسة. وفي أثناء المعركة أرشـدت يده بـواسطة تلك التي هي بكل حق ابنة زوس، التي تنفث الغضب بموت أعدائها. نطلق عليها نحن البشر اسم «العدالة»، وبذا نصيب الهدف.

أطلقوا صيحة النصر لإفلات بيت سيدنا من محنته، ومن تبذيـر

(١) بما أن الأسد المزدوج (كلوتايمنسترا وأيجيسثوس) قد اعتدى على البيت، كذلك حدث قتل مزدوج قام به المدافعون عن البيت، لم تذكر أية إشارة إلى أوريستيس وبولاديس، أو إلى أجاممنون وكاساندرا.

ثروته بأيدي الشخصين الفاسدين، ثروته المحزنة!

إن الأوامر التي أعلنها جهراً لاكسياس ساكن محراب مغـ
برناسوس القوية، قد توطدت الآن بالدعاء العديم الخـ
المهاجم للشر . عسى أن تسود كلمة الرب كيلا أخـ
الشرير[1]! ومن الصواب احترام سنة السماء .

انظروا، ها هو النور قد أقبل وتحررت من الحكم القاسي الذ
شلّ حركة أفراد الأسرة . انهضي أيتها الأبهاء! فقد مضى علي
مدة طويلة وأنت راقدة على الأرض عاجزة عن الحركة .

سرعان ما سيمر «الوقت» المنجز لكل شيء ، من أبواب البي
عندما يطرد كل تلوث من الوطيس بطقوس التطهير التي تط
المصائب. وستتغير عجلات الحظ وهي تسقط وتستقر بوجـ
جميلة المنظر حسنة الاستعداد لكل من يقيم في هذا البيت.

انظروا، ها هو النور قد أقبل وتحررت من الحكم القاسي الذ
شل حركة أفراد الأسرة. انهضي أيتها الأبهاء! فقد مضى علي
مدة طويلة وأنت راقدة على الأرض عاجزة عن الحركة .

**[يرى أوريستيس ممسكاً بغصـ
المتضرع وبإكليله وواقفاً بجانـ
الجثتين . ومعه بولاديس والخـ
يعرضون ثوب أجاممنون].**

أوريستيس : انظروا إلى هذين الشخصين الظالمين في هذا البلد، اللذين قـ
والدي، وبددا أموال بيتي! كانا في عظمة وهما جالسان عا
عرشيهما ومتحابان حتى الآن، كما يستطيع المرء أن يحكم مـ

(١) هذه الترجمة مبنية على نصوص هيرمان Hermann .

نـزل بهمـا ، وقـد بـرا بـاليمين التي أقسمـاهـا على عهـودهمـا ومواثيقهما. أقسما معاً على أن يكونا عصـابة ضـد أب تعيس ، وأقسما معاً على أن يموتا معاً ، وها هما قد برا بقسميهما .

وانـظروا الآن ثانيـة، يا من تنصتـون إلى هـذه القضيـة المليئـة بالكوارث، والحيلة التي دبرت لشد وثـاق والدي التعيس، التي بها غلت يداه وقيدت بها قدماه. ابسطوه! قفوا حوله في دائـرة، واعرضوه ـ إنه غطاء لرجل !ـ حتى يرى «الأب» (ليس أبي وإنما الأب الذي يخدم جميع الكائنـات، أي «الشمس») العمل غيـر الصالح الذي عملته أمي، وهكـذا سيحضر في يـوم الدينـونة، شاهداً عليَّ بأنني فعلت هذا القتل لباعث عادل، حتى قتل أمي، أما مقتل أيجيسثوس فلا أتكلم عنه لأنه نال عقاب الزاني بحسب نص القانون.

أمـا تلك التي دبرت هـذه الفعلة الشنعاء ضـد زوجها، وجعلت أولادها الذين ولدتهم عبئاً تحت منـطقتها، عبئـاً كان عـزيزاً في بعض الأحيـان، أما الآن فكمـا يتضح من الأحـداث مكـروهين كراهية المـوت من الإنسان ـ فمـاذا تظنـون بها ؟ أولـدت أفعى بحرية أو حية رقطاء ؛ أعتقد أن مجرد لمستها دون لدغتهـا، قد شلت حركة البعض إذا أمكنها أن تلمس بشرور وبغير خجل.

[يعود فيمسك الثوب المضرج بالدم]

أي اسم أطلقه على هذا الثوب، وأنا أتحدث بلغة غير حلوة؟ هل أسميـه شركـاً للوحوش المفتـرسة؟ أو غـطاء نعش[1] لف حول قدميه؟ كلا ، بل الأحرى أن تسموه «شبكة» لصيد الحيوانات، أو أثواباً لتقييد أقدام رجـل. هذا هـو الشيء الذي يـأتي به قـاطع

(١) اللفظ الإغريقي يأتي أيضاً بمعنى «ستارة حمام».

الطريق الذي يخدع الغرباء ويمتهن مهنة اللصوص؛ ويمثل ،
الوسيلة الخداعة يستطيع قتل كثير من الرجال فيفرح بهم قلبه

عسى ألا تقيم مثل هذه المرأة معي في بيتي! وإلاَّ ، فليسـ
الله ، قبل ذلك، بأن أهلك بغير ولد!

الكوروس : أواه، أواه، يا للعمل الويل! تعيسة هي الميتة التي أنو
حياتك. يا للحسرة! يا للحسرة! والازدهار أيضاً لمن خـ
الآلام.

أوريستيس : أفعلت تلك الفعلة أم لم تفعلها؟ كلا، إن شاهدي هو هذا الثو
الذي صبغه سيف أيجيسثوس، كانت دماً ، هذه البقعة اا
تساعد الزمن على أن يتلف الأصباغ الكثيرة التي صبغت بـ
الأقمشة الموشاة .

وأخيراً أتكلم الآن بالثناء عليه، وقد حضرت الآن أخيراً لأبـ
وأنا أخاطب هذا النسيج الذي سبب موت أبي، ومع ذلك
أحزن للفعلة وللعقاب، ولكل العشيرة ـ إن انتصاري تلوث
يحسد عليه الإنسان.

الكوروس : لن يقضي مخلوق بشري حياته بغير خسارة وخالية من الآ
حتى نهايتها. يا للأسف! يا للأسف! تأتي اليوم شدة، ثم تتلو
أخرى غداً.

أوريستيس : ولكن ـ بما أنه قد يواجهني، وأنتن تعرفن ـ لأنني لا أعرف كـ
ستنتهي ـ فأنا سائق يسوق خيوله بعيداً خارج الطريق، إذ يطـ
بي ذهني الصعب القياد بعيداً، مغلوباً على أمري، وأما الخو
في قلبي فيميل إلى أن يغني ويرقص على نغمة الغضب
ولكن ، بينما أنا لا أزال محتفظاً بحواسي، أعلن لمن أنا عز

عليهم، وأقـرر أنني لم أقتـل بغيـر عـدل والـدتي، قـاتلة أبي، الملوثة، والتي تمقتها السماء.

أما عن البواعث التي شجعتني على هذا العمل، فأهم من أقدمه هو لوكسياس، عراف بوثو، الذي قرر أنني إن فعلت هذا برئت من التهمة الشريرة، أما إذا تخاذلت ـ فلن أذكر اسم العقاب، إذ ما من قذيفة قوس يمكن أن تصل بنكبتها إلى ذلك الارتفاع.

والآن، انظروا، كيف أتسلح بهذا الغصن وهذا الإكليل، وأذهب كمتضرع إلى مركـز الأرض الرئيسي، أمـلاك لوكسيـاس، وإلى النار الساطعة المشهورة بأنها لا تخمد إطلاقاً[1]، منفياً لفعلة قتل الأقارب هذه، كما أمرني لـوكسياي بـألا أتوجـه إلى أي وطيس آخر. أما عن الطريقة التي تمت بها هذه الفعلة الشنيعـة، فإنني أكلف جميع رجال أرجـوس، في الوقت المنـاسب، بأن يـأتوا ويشهدوا لي. سأذهب شريداً من هذه الأرض تاركاً ورائي تقريراً في الحياة أو في الموت.

الكوروس : كلا، بل فعلت خيراً. لذا لا تسخر لسانك للنطق بكلام الشؤم، ولا تجعل شفتيك تتكلمان بتكهنات النحس لأنك حررت مملكة أرجوس بأسرها بأن قطعت رأسي أفعوانين بضربة سعيدة.

أوريستيس : أواه، أواه! انـظرن إليهمـا هنـاك، أيتهـا الـوصيفـات ـ كـأنهـا جورجونتان[2] ترتديان أثواباً من الشعر الأحمر المنسوج بالثعابين

---

(١) كان في معبد دلفى نار لا تخمد إطلاقاً.

(٢) الجورجونات ثلاث: سثينـو ويـوروالي وميـدوسا. كـانت إقامتهن بـالقرب من مملكـة الأموات وحديقة الخالدين خلف جزيرة أوقيانوس. وكان مـظهرهن بشعـاً مخيفاً، ولهن أجنحة ومخالب من البرنز، ولعيونهن ضوء خـاطف مهلك وأفواههن واسعـة ذات أسنان ضخمة شاذة، وتتوج شعورهن الثعابين. وكانت ميدوسا هي الفانية الوحيدة بين الثلاث =

المكتظة! لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك.

الكوروس : أية أوهام تلك التي تزعجك، يا أعز الأبناء على والدك ؟ لا يسيطرن الخوف عليك بهذه الدرجة المفزعة.

أوريستيس : ما من مخاوف متوهمة تساورني، بل الحقيقة أن هناك تقف الكلاب المقتفية الأثر برائحة الدم، تريد الانتقام.

الكوروس : إن الدم لا يزال يبلل يديك، وهذا هو السبب في الوساوس التي تبلبل أفكارك.

أوريستيس : استمع إلي، أيها السيد أبولو! إنهن يأتين الآن جماعات، ويقطر من عيونهن دم مقيت !

الكوروس : هناك طريقة واحدة لتطهيرك - إنها لمسة لوكسياس التي تخلصك من هذه الكآبة .

أوريستيس : إنكن لا ترينهن، بل أنا الذي أراهن. إنني أطارد لن أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك.

[يندفع خارجاً]

الكوروس : إذن، فلتصحبك النعم، وليرعك الله برحمته ويحرسك بحظ سعيد. !

انظروا! للمرة الثالثة تهب عاصفة الأسرة على البيت الملكي وتستمر في طريقها. فأولاً، في البداية، جاءت الكارثة القاسية من ذبح الأطفال طعاماً ، ثم حتف رجل ملك، عندما قتل في حمام . فهلك سيد حرب الآخيين Achaeans . والآن ، يأتي ، مرة ثالثة ، مخلص - أو هل أقول حتف ؟ أواه، متى سيتم عملها؛ متى تهدأ ثورة المصائب وتنتهي وتكف ؟

= وكانت أبشعهن منظراً، من ينظر إليها يتحول في الحال إلى حجر.

مسرحية
اليومينيدس
أو
الرحيمات

EUMENIDES

« يومينيديس » اسم « للإرينويس » أو « الفوريات » معناه « الرحيمات ». وسبب إطـلاق هذا الاسم عليهن أحـد أمرين ، إمـا لأن البشر كـانـوا يخشـون استعمال اسمهن الحقيقي ومعناه « ربات الإنتقام » وإما لأن « الفوريـات » كن يعتبرن محبات للخير لمعاقبتهن الأشرار .

ملخص المسرحية

اكتشفت كاهنة أبولو وجود أوريستيس المتضرع في المحراب الداخلي لإله دلفي ، وأمامه أيرنويس والدته وتتكون من جماعة المخلوقات المخيفة ، تعبن من مطاردة هذا الهارب ، فغلبهن النعاس . . وعد أبولو أوريستيس بأن يساعده وأمره بالهروب إلى أثينا حيث يعرض قضيته للحكم ويتخلص من آلامه . يظهر شبح كلوتايمنسترا ليوبخ الإيرينويس النائمات على إهمالهن ، لأنهن حططن من قدرها بين الموتى الآخرين .

فاستيقظن من سباتهن بسبب تعييراتها ، وانتحين باللوم على أبولو إذ آوى رجلاً ملوثاً طاردنه بالحق الذي تخوله لهن وظيفتهن ـ وهي الإنتقام من جميع الذين يسفكون دم الأقارب .

ينتقل المنظر إلى أثينا حيث تتبعت المطاردات فريستهن . فأمسك أوريستيس بتمثال بالاس العتيق ، وتوسل إليها طالباً حمايتها بحجة أن الدم الذي على يديه قد غسل منذ مدة طويلة بطقوس مقدسة ، وأن وجوده لم يضر أحداً ممن آووه بسوء . تنشد الإيرينويس ترتيلة ليربطن روح فريستهن بنوبتها الجنونية . فتظهر الربة استجابة لنداء أوريستيس وتتعهد ، بعد أن تحصل على موافقة الإيرينويس، على أن تتولى الحكم في القضية وحدها بمساعدة عدد مختار من مواطنيها ، تتألف منهم طائفة المحلفين .

تفتح المحاكمة بحضور أبولو كمحام عن المتضرع إليه ، وكممثل لزوس

الذي ينقل أوامره في كل وحي له . فيقرر أن أوريستيس إنما قتل أمه تبعاً لوصيته المشددة المتعجلة . يعترف المتهم بفعلته ، ولكنه يقول في الدفاع عن نفسه ، إن كلوتايمنسترا ، إذ قتلت زوجها فإنما قتلت أباه ، وكان يجدر بالمدعيات بحق الإتهام أن ينتقمن منها . وعندما رفض هذا الدفاع ، بحجة أن القاتلة لم تكن قريبة المقتول ، أنكر أوريستيس قرابة الدم بينه وبين والدته ، وأيده في ذلك أبولو الذي أكد أن الأب وحده هو الوالد الصحيح للطفل ، وليست الأم سوى مربية للبذرة المزروعة .

أعلنت أثينا أن المحكمة ، وهي أول محكمة تنظر في قضايا قتل الإنسان ، قد تأسست منها لجميع الأزمة المستقبلة . وألقى المحلفون أزلامهم ، فقررت الربة أن واجبها النطق بالحكم النهائي في القضية ، وتبدي رغبتها في أن يحسب صوتها في جانب أوريستيس ليكسب القضية ، في حالة تعادل الأصوات . وإذ أعلن انتصار أوريستيس بذلك القرار ، فإنه غادر المكان في هدوء وهدد خصومه بأن يجلبن الخراب على البلاد التي أنكرت عدالة قضيتهن . وكان دور أثينا تهدئة غضبهن بأن وعدتهن بإغداق الأمجاد عليهن ، ولم يعدن منذ ذلك الوقت ، أرواح الغضب ؛ وإنما أرواح الخير والبركات . وهكذا انصرفن في حراسة موكب موقر إلى معبدهن تحت تل آريس Ares .

شخصيات المسرحية

الكاهنة البوثية	**The Pythian Prophetess**
أبولو	**Apollo**
أوريستيس	**Orestes**
شبح كالوتا يمنسترا	**Shade of Clytaemnestra**
كوروس من الفوريات (ربات الإنتقام)	**Chorus of Furies**
الربة أثينا	**Athena**
حرس	

المنظر - (١) معبد أبولو في دلفي .
(٢) معبد الربة أثينا بمدينة أثينا .
الزمن - عصر الأبطال .
التاريخ - سنة ٤٥٨ ق . م . في عيد ديونيسيا المدينة .

الكاهنة : أعطي أعظم مجد ، بين الآلهة ، في صلاتي هذه للعرافة الأولى « الأرض »، وبعدها لثيميس Themis لأنها ، كما يقال ، أخذت مقعد الوحي الثاني هذا من والدتها . وثالثاً ، بموافقة ثيميس وبغير اعتراض من أحد ، تأتي تيتانة أخرى هي فويبي Phoebe ؛ ابنة الأرض ، ثم منحت هذا المقعد ، كهدية ميلاد ، إلى فويبوس[1] Phoebus ، الذي أخذ اسمه من فويبي . فغادر بحيرة ديلوس[2] وتل ديلوس ، ونزل على شواطىء بالاس ، التي تؤمها السفن . ثما جاء إلى هذه المنطقة ومواضع السكنى على بارناسوس . فرافقه ، في احترام وتوقير ، أولاد[3] هيفايستوس ، الذين شقوا الطرق العظيمة وروضوا برية الأرض غير المروضة . فلما ذهب إلى أولئك القوم عبدوه عبادة سامية ، كما عبده رعاة ديلفوس Delphus وملك تلك البلاد . وأوحى زوس روحه مع فن ذلك العراف ، وثبته على عرشه كعراف رابع في الوقت الحاضر ، يتكلم بلسان والده زوس .

---

(١) لقب من ألقاب أبولو ، إله الشمس .

(٢) بحيرة مستديرة في الجزيرة التي ولد فيها أبولوا .

(٣) هم الأثينيون ، إذ أن إريحثونيوس Zrichthonius هو نفس إريخثيوس Erechthius ابن هيفايستوس الذي كان أول من صنع الفئوس .

هؤلاء هم الآلهة الذين أتوسل إليهم في مقدمة صلاتي . وكذلك تجد بالآس ذات المعبد[1] تبجيلاً في كلامي ، كما أبجل الحوريات اللواتي يتخذن مساكنهن حيث توجد الصخرة الكوروكية[2] ذات الكهوف ، التي هي بهجة الطيور ومنتدى القوى الإلّهية . احتل بروميوس Bromius تلك المنطقة (ولا أنساه) منذ ذلك الوقت . وإذا كان إلّهاً حقيقياً رأس الجماعة الباكخية ، ودبر موت بنثيوس Pentheus كما لو كان أرنباً يصطاد . كذلك أتوسل إلى مياه بلايستوس Pleistus وإلى قوة بوسايدون وزوس المدبر البالغ السمو ؛ بعد ذلك أتخذ مجلس فوق العرش ككاهنة . وعسى أن يسمحوا بأن يكون أسعد حظ لي بعيداً جداً خارج مداخلي السابقة . وإذا كان هنا أي فرد من بين الهيلينيين ، فليدخلوا بالترتيب بالقرعة كالمعتاد ، فكما يرشدني الإلّه سأتنبأ.

(تدخل المعبد، وبعد فترة قصيرة تعود مذعورة)

يا للفظاعة ! إنها فظائع عند روايتها ، فظائع لعيني إذ تنظر إليها ، أرجعتني من بيت لوكسياس ، حتى لم يبق فيّ قوة ، ولا أستطيع الانتصاب في مشيتي . أجري بمساعدة يدي ، وليس على أطرافي العديمة الإحساس ، لأن المرأة العجوز إذا ما تملكها الذعر صارت لا شيء - كلا ، بل بالحري ، صارت طفلة .

---

(١) محراب بالآس القائم أمام المعبد بجوار دلفي ، في الطريق العام المؤدي إلى معبد أبولو .

(٢) تعرف على الكهف الكوروكي Corycian المكرس للحوريات وبان في الهضبة العظمى بأعلى دلفي .

كنت في طريقي إلى المحراب الداخلي المتوج بالكثير من الأكاليل ، فإذا بي أرى على « حجر المركز »[1] .

رجلاً دنساً أمام السماء يحتل مكان المتضرعين . يداه تقطران دماً ويمسك بسيف شهر منذ فترة وجيزة وبغصن زيتون مرتفع متوج بوقار بخصلة من الصوف كبيرة أكثر من المعتاد ـ من جزة بيضاء ، إذ يمكنني الكلام عن هذا في وضوح .

جلست أمام ذلك الرجل جماعة عجيبة من النساء نائمات على عروش . كلا ! لسن نساء ، هذا أكيد ، بل الأصح أن أسميهن جورجونات . في إحدى المرات ، قبل ذلك ، رأيت بعض المخلوقات المصورة[2] تخطف الأطعمة من فوق مائدة وليمة فينيوس Phineus ـ غير أن هذه عديمة الأجنحة وحمراوات الشعور ، وبغيضات الصورة تماماً . أما خياشيمهن ذوات الشخير فتنفث تيارات مخيفة من هواء الزفير ، ويسيل من عيونهن سائل قذر . كذلك كان لباسهن غير لائق للظهور أمام تماثيل الآلهة أو في مساكن البشر . لم يسبق أن رأيت قط العشيرة التي تضم مثل هذه الجماعة ، كما لا أعرف المنطقة التي تفجر بأنها تربي مثل هؤلاء النسوة دون أن يصيبها أذى ، ولا تندم على مجهودها .

أما عن النتيجة فليهتم بها سيد هذا البيت ، لوكسياس نفسه

---

(١) أي السرة . هو الاسم الذي أطلقه أهل دلفوس على الحجر الأبيض (وكان في عصر أيسخولوس في أبعد موضع داخلي بمعبد أبولو) الذي اعتبروه يحدد مركز الأرض بالضبط . اكتشف الحفارون الفرنسيون في دلفي « حجر سرة » بقرب المذبح الأعظم لأبولو ، وأحياناً يستعمل ذلك اللفظ الإغريقي لدلفي نفسها .

(٢) الهارپيات Harpiers.

القوي ، لأنه مظهر العلاجات الشافية وقارىء الفؤل ويطهر مساكن غيره .

[تخرج]

[يظهر داخل المعبد ، يدخل أبولو من المعبد الداخلي ويقف بجانب أوريستيس عند حجر المركز . وبقرب المتضرع تنام الفوريات بينما يقف هيرميس في الخلفية]

أبولو : كلا ! لن أهجرك ، فأنا حارسك إلى النهاية ، أقف إلى جانبك ، وحتى إذا وقفت بعيداً ، فلن أكون رقيقاً نحو أعدائي ، فأنت الآن ترى هؤلاء النسوة المخبولات مغلوبات على أمرهن . غلب النعاس على هؤلاء العذراوات المغنيات ـ إنهن طفلات مسنات مجنونات ، لا يرافقهن قط أي إله أو أي رجل أو أي حيوان . ما ولدن إلا للشر ، إذ أنهن يقمن في ظلام تارتاروس المقيت تحت الأرض ـ إنهن مخلوقات بغيضات إلى البشر وإلى آلهة أوليمبوس . ومع ذلك ، اهرب ولا تكن ضعيف القلب . إذ بينما رحلت في الأرض طاردتك حتى ولو كان ذلك في القارة الفسيحة ، وفيما وراء العواصم والمدن التي يحوطها البحر ، ولا يتطرقَنَّ التعب إليك قبل أن تكمل طريقك جرياً بالجهد ، حتى إذا ما وصلت إلى مدينة بالاس ، فاجلس وأمسك تمثالها القديم بين ذراعيك . سنجد هناك وسيلة لتخليصك تماماً من محنتك بالقضاء في قضيتك والكلام ذي السحر المغري ، إذ بناء على وصيتي قتلت أمك .

أوريستيس : أيها السيد أبولو ، لم تعرف أن تكون غير عادل ، وبما أنك

تعرف ، فتعلم أيضاً ألا تكون عديم الأكتراث . فإن قوتك على فعل الخير ضمان ملائم .

أبولو : تذكر ألا تدع الخوف يسيطر على روحك . واسهر على مراقبته ، يـا هيرميس ، يـا أخي ودم أبي . كن جـديـراً بـإسمـك وصـر « مرشده »[1] . أرشد المتضرع إلى هذا ، وأنت في صورة راع - الحقيقة أن زوس يمجد حق المنبوذين المقدس - على أن يساق إلى أناس بإرشاد مزدهر .

[يخرج أوبستيس برفقة هيرميس ، فيظهر شبح كلوتايمنسترا]

شبـح كلوتايمنسـترا : أأنتن نـائمـات ؟ مـاشـاء الله ! وهـل هنـاك حـاجـة إلى النـائمات ؟ بسببكن لحقتني الإهـانة بين غيـري من الموتى . ولا يكفي المـوتى عن تأنيبي بسبب أعمـالي الدمـويـة ، فـأهيم على وجهي مجللة بـالعار . أقـرر لكن أنهم يتهمونني إتهـامات محـزنة للغاية . ومـع ذلك ، فقـد قاسيت هـذا من أقرب أقـربائي ، ولم تغضب أية قوة إلهية من أجلي ، إذ قتلت بيد ابني نفسـه . أنظرن إلى هذه الجروح التي في قلبي ، من أين أتت ! يستـطيع العقـل النائم أن يرى بوضوح ، أما في وقت النهار فلا يمكن التنبؤ بمصير البشر . الحقيقة أنكن شربتن كثيراً من تقدماتي - سكائب خالية من الخمر ، وترضية عظيمة . وكم من ولائم في الليل الهادىء زاخرة بالذبائح على وطيس نار في ساعة لا يشترك فيها أي إلّه . أرى أن كـل ذلك قـد وطىء تحت الأقدام . إذ هـرب منكن وانطلق كـأنه غزال . نعم ، أفلت من وسط شرككن ساخراً منكن وهو يغمز بعينه

(١) هيرميس مرشد الأحياء في أسفارهم ، ومرشد أرواح الموتى إلى العالم السفلى .

مزدرياً. اصغين لي! بما أنني أترافع من أجل حياتي ، فاستيقظن وعدن إلى وعيكن يا ربات العالم السفلى ! إنني أحثكن. الآن في حلم ! أنا كلوتايمنسترا .

[يبدأ الكوروس يتحرك في قلق بينما يغمغم]

غمغمن ما شئتن ! ولكن الرجل انصرف . هرب بعيداً لأن له أصدقاء ليسوا كأصدقائي !

[يستمر الكوروس في الغمغمة]

إنكن مثقلات جداً بالنوم ، ولا تأخذكن أية شفقة على محنتي . لقد انصرف من هنا أوريستيس ، قاتل أمه .

[يبدأ الكوروس يئن]

ما هذا الأنين ، وما هذا النوم ؛ ألا تنهضن في الحال ؟ أي عمل نسب إليكن غير فعل الشر !

[يستمر الكوروس في الأنين]

لقد أفسد النعاس والتعب ، هذان المتآمران المناسبان ، قوة التنينات المرهوبات .

الكوروس : **[في همهمة مضاعفة وشديدة]**

اقبضوا عليه ! اقبضوا عليه ! اقبضوا عليه ، اقبضوا عليه ! اعرفوه !

شبح كلوتايمنسترا : إنكن تصدن فريستكن في حلم ، وتزمجرن ككلب صيد لا يترك الأثر إطلاقاً . أي عمل لديكن الآن ؟ انهضن ! لا تسمحن للتعب بالسيطرة عليكن ، ولا للنوم بأن يوهن عزائمكن لئلا تنسين ما أصابني من ظلم . أوخزن قلوبكن بالتعفيف اللازم ، فالتعنيف مهماز العقل السليم . أطلقن عليه أنفاسكن الدموية ، أوقفن

حركته ببخار ناري من أعضائكن الحيوية ، هيا وراءه ، أضعفنه بالمطاردة بنشاط متجدد !

[يختفي شبح كلوتايمنسترا . توقظ رئيسة لكوروس الفوريات فيستيقظن واحدة بعد أخرى]

الكوروس : استيقظي يا هذه ! أيقظيها كما أيقظتك . ألا تزال نائمة ؟
استيقظي . انفضي النوم عن عينيك ، وهيا ننظر ما إذا كان هناك شيء وقد ضاع عبثاً في هذه المقدمة[1] .
أواه ، أواه ! يا للأسف لقد أصابنا الضرر ، أيتها الصديقات .
حقاً ، أصابني الضرر في كل شيء ضاع بغير جدوى .
لقد أصابنا ظلم فادح ، بكل أسف ! إنه ضرر لا يطاق ، إذا أفلت صيدنا من بين أيدينا وانطلق .
يا للعار ! أنت ، يا ابن زوس ، إنك قد تعودت السرقة .
وأنت لا تزال شاباً ، قد تخطيت الآلهة المسنة .
بإظهارك الاحترام للمتضرع إليك ، وهو شخص لا آلهة له ، شخص قسى على والدته . فرغم كونك إلهاً ، فقد سرقت ذلك الذي قتل أمه .
ماذا هنا يستطيع أي فرد أن يسميه عدلاً ؟
جاءني إله اللوم في حلم ، وضربني ، كما لو كان سائق عربة ، بمنخس كان يقبض عليه بشدة ، فوخزني تحت قلبي ، تحت أعضائي الحيوية .

---

(١) ليس كلام الفوريات وهن يوقظن أنفسهن للعمل سوى مقدمة للتعبير الكامل عن غضبهن . ولسنا متأكدين مما إذا كانت المقطوعتان الأولى والثانية قد أنشدتا بأصوات فردية أو بأصوات أشباه الكوروسات .

إن من حقي القبض على ذلك القاسي ، ذلـك البالـغ القسوة الذي تحدى العقاب المخيف لعوامل القدر .

هكـذا أعمال الآلهـة الأصغر سنـاً ، الذين يحكمـون بعيداً ع جانب الصواب . عرش يقطر دماً على قدميه وعلى رأسه .

إن من حقي أن أرى حجر مركز الأرض وقد لوثه دم نجس فظيع

فرغم كونه نبياً ، فإن بأمره ويطلبه العاجل قد لوث معبده بالدنس عند وطيسه ، وخالف أوامر الآلهة بتمجيده الكائنات البشـرية وضرب باختصاصات الآلهة الأكبر سناً ، عرض الحائط.

كما أنه جلب المحنة علي ، ولكنه لن يستـطيع تخليصـه فمهـ طار إلى ما وراء الأرض فلن يطلق سراحه . فإذا تلوث بجـريمـ القتل ، فسيكون على رأسه منتقم آخر من أقاربه[١] .

[يدخل أبولو قادماً من المعبد الداخلي

أبولو : أنصرّفن من هنا ، إني لآمركن ! أخرجن الآن من هـذا البيت ؛ اتركن معبدي التنبؤي لئلا يضربكن ثعبان لامع مجنـح[٢] يطلق من وتر قوس مصنوع من الذهب ، فتتقيان الزبـد الأسود الـذي امتصصتنّه من البشر، والدم المتخثر الذي شربتنه . والحقيقة أن هذا بيت غير ملائم لمجيئكن . فمكانكن هو الموضع الذي بـا أحكـام قطع الـرؤوس ؛ وفق العيـون وضـرب الأعنـاق . حيث

(١) كما أن أجاممنون قد قتل بيد كلوتايمنسترا ، وكما قتلت كلوتايمنسترا بيد أوريستيس ، كذلك ستكون الحال مع أوريستيس فيقتله أحد أفراد أسرته .

(٢) يسمى سهم أبولو الذي يطلقه من وتر قوسه الذهبي « ثعبان لامع مجنح » لأنه يوخز كلدغة الثعبان ، كما أن هناك تلاعباً بالألفاظ في كلمة Ophis ومعناها « ثعبان » إذ توحي بكلمة ios ، أي « سم الثعبان »، ومعناها أيضاً « سهم ».

تحطم رجولة الشباب بإتلاف البذرة ، حيث يعذب الرجال ويرجمون حتى يموتوا وحيث يعدمون بالخازوق تحت العمود الفقري ، فيئنون أنيناً طويلاً مؤلماً . أسمعتن أي نوع من الولائم محبب إليكن حتى يجعلكن مقيتات لدى الآلهة ؟ هأنذا وضعت أمامكن جميع الصور الملائمة لكن . يجب على المخلوقات المشابهة لكن أن تقيم في عرين أسد لاعق دم ، كيلا تنشرن التلوث في كل ما حواليكن في محراب الوحي هذا . اغربن من هنا ، أيها القطيع الذي لا راع له ! لا يحب أي إله مثل هذا القطيع .

الكوروس : أيها السيد أبولو ، استمع بدورك إلى ردنا . إنك المحرض على هذه الفعلة ، أنت نفسك . إنها من فعلك أنت وحدك ، وتقع الجريمة كلها عليك .

أبولو : ماذا تعنين ؟ أوضحن كلامكن أكثر من هذا .

الكوروس : أنك حرضت الغريب بنصيحتك على أن يقتل والدته .

أبولو : بل حرضته بوصيتي على أن يأخذ بثأر أبيه . وماذا إذن ؟

الكوروس : بعد ذلك شغلت نفسك بإيواء قاتل متلبس بجريمة الدم .

أبولو : وأمرته بأن يأتي إلى هذا البيت ليتطهر .

الكوروس : ثم تؤنبنا حقيقة على أننا أسرعنا به ليأتي إلى هنا ؟

أبويلو : نعم ، لأنه ما كان يليق أن تأتين إلى بيتي هذا.

الكوروس : ولكن عهد إلينا بهذه المهمة .

أبولو : وما مهمتكن هذه ؟ الزهو بامتيازكن الأمجد !

الكوروس : إننا نطارد من يقتلون أمهاتهم ونخرجهم من بيوتهم.

أبولو : ولكن ، ماذا عن الزوجة التي تقتل زوجها ؟

الكوروس : ليس هذا قتل شخص قريب من نفس الدم .

أبولو : الحقيقة أنكن تعملن على تراكم الإهانة والاحتقار على عهود هيرا المتممة ، وعهود زوس[1] . كذلك نبذت كوبريس[2] Cypris مجللة بالعار بحجتكن هذه ، ومنها أخذ قومها أقرب أفراحهم وأعزها . فإن الزواج الذي حدده « القضاء » بين الرجل والمرأة أقوى من اليمين ، وتحرسه العدالة . فإذا قتل أحد الزوجين الآخر كنتن متراخيات في عدم عقابهما أو زيارتهما بغضبكن ، إذن فأنا أحكم على مطاردتكن لأوريستيس بأنها لا تنطوي على أية عدالة ؛ إذ أرى أن السبب في إحدى هاتين الجريمتين ، أنكن تمقتنه في قلوبكن بينما أنتن أكثر تهاوناً في التنفيذ في حالة الأخرى . وستنظر الربة بالاس في المرافعات الخاصة بهذه القضية .

الكوروس : لن نترك هذا الرجل إطلاقاً !

أبولو : أذن ، فطاردنه واجررن على نفوسكن متاعب جمة .

الكوروس : لا تحاول اقتطاع بعض امتيازاتنا بكلامك هذا .

أبولو : لن آخذ امتيازاتكن هذه هدية .

الكوروس : كلا، هذا لأنك ، على أية حال ، معتبر عظيماً بواسطة عرش زوس . أما أنا، فبما أن دم الأم يقودني ، فسأستمر في قضيتي ضد هذا الرجل ، وحتى الآن ، سأقتفي أثره .

[تخرجن]

---

(١) كانت هيرا Teleia فيما يختص بالزواج ، كما كان زوس Telenos ، وهذه الصفة تناسبه هنا أيضاً . وقد اشتق القدماء Telenos (خاص بالزواج) من Telos ومعناها « طقس ديني » أو « التزويج ». كما تفيد هذه الكلمة الأخيرة معنى « السلطة العليا » أو « القوة الكاملة »، ويقول بعض العلماء إن هيرا Teleia هي هير الملكة، أو هيرا الزوجة .

(٢) اسم لأفروديتي ، ربة الحب والجمال عند الإغريق .

أبولو : وسـأنقـذ المتـوسـل إليّ وأنجيـه ! لأن غضب من يسعى إلى التطهير ، مفزع في السماء وعلى الأرض ، إذا هجرته من تلقاء نفسي .

[يدخل المعبد]

[يتغير المنظر إلى أثينا ، أمام معبد الربة أثينا . يـدخل هيـرميس مـع أوريستيس ، الـذي يعـانق تمثـال الـربـة القديم].

أوريستيس : أيتها الملكة أثينا ، هأنذا أتيت طاعة لأمر لـوكسياس ، فتكـرمي بفضلك وإحسانك بقبول بائس نـزلت به اللعنـة ، غير متضـرع للتطهير ، ولا طاهر اليد ، بيد أن حافة جريمتي مثلمة وبالية في المسـاكن الأخرى وفي ممـرات الرجـال المـطروقـة . اتخـذت طريقي في البر وفي البحر على حد سواء ، طاعة لنصائح وحي لوكسياس ، وهأنذا أتقدم الآن من بيتك وتمثالك ، أيتها الربة . سأتخذ موضعي هنا ، وأنتظر نتيجة المحاكمة .

[تـدخـل الفـوريـات متفـرقـات ، مقتفيـات أثـر أوريستيس بالرائحة].

الكوروس : مـرحى ! ها هنـا أثر ذلـك الرجـل ، وإنه لـواضح ! اقتفين أثـر المرشد الصامت . فكما يقتفي كلب الصيد أثر غزال جريـح ، كذلك نقتفي نحن أثـره بقطرات الـدم . يلهث قلبي من عملي الشاق المتعب ، إذ جبت كل مناطق الأرض ، وجئت طائرة بغير أجنحة ، أطارده فوق البحر مسـرعة كسفينـة سريعـة . لذا فهـو مختبىء الآن في مكان ما . إن رائحة الدم البشـري لتضحكني طرباً .
انظرن ! انظرن ثانية ! ابحثن في كل بقعة لئلا يهرب قـاتل أمـه

ويتسلل خلسة في طيران سري دون أن يدفع دينه !

نعم ، إنه هنا ثانية ! في مخبأ ، وذراعاه تطوقان تمثال الربة الخالدة ، يتلهف إلى أن يقدم للمحاكمة من أجل دينه ![1].

ولكن قد لا يحدث هذا . فإن دم الأم المسفوك على الأرض ، أكثر من أن يجدي فيه علاج . أواه ، ما إن يراق التيار المتدفق على الأرض حتى يضيع ويذهب !

كلا ، لا بد أن تقاسي في نظير ذلك ، أن أمتص كتل الدم الحمراء من أعضائك الحية . هل لي أن أغذي نفسي بك - جرعة بشعة !

ساضعف قوتك وأنقلك حياً إلى العالم السفلي لتنال العقاب جزاء ألم والدتك المقتولة .

وسترى كل شخص غيرك من البشر يكون قد أثم إثم عدم احترام الإله أو الغريب أو والديه العزيزين ، فينال كل فرد منهم جزاءه من العدالة .

لأن إله الموت قوي في محاسبة البشر تحت الأرض ، ويشرف على كل شيء بعقله المسجل .

أوريستيس : وإذ علمتني المحنة ، فلدي معلومات عن كثير من قوانين التطهر ، وأعرف متى ينبغي الكلام ، ومتى يجب الصمت ، وفي حالتي الحاضرة هذه قد أمرني بعلم حكيم ، بأن أتكلم ، لأن الدم الذي على رأسي نائم الآن ومتلاش - لقد غسل التلوث الناتج عن قتل أمي ؛ إذ بينما كان لا يزال طرياً أزاله وطيس إله ،

(١) يبدو أن كلمة « خيرون » اليونانية معناها « فعلة عنف ».

أزاله فويبوس بتطهير الخنازير المذبوحة. كانت قصة طويلة أرويها منذ بداية كل ما زرته ، ولم يصبني أذى بإقامتي معهم . (يبلى الزمن العجوز كل الأشياء التي تغدو مسنة أثناء ذلك).

لذا ، أتوسل الآن بتقوى ، بشفتين نقيتين ، إلى الربة أثينا ، ملكة هذه البلاد ، لكي تهرع إلى مساعدتي ، فبدون مجهود من رمحها ستربحني وتربح بلادي وشعب أرجوس كحلفاء أوفياء أمناء ، إلى الأبد . ولكن سواء أكانت في منطقة ما من الأرض الليبية ، أو في مياه تريتون Triton ، ذلك المجرى الذي ولدت فيه ، تعمل أو ترتاح[1] ، تساعد أولئك الذين تحبهم ؛ أو تكون كقائد جريء يذرع السهل الفليجراياني[2] Phlegraean ، ليتها تحضر - فإذا كانت ربة ، كما هي ، فإنها تسمع من مسافة بعيدة - لتكون مخلصتي من محنتي !

الكوروس : كلا ، كن على يقين من أنه لن ينقذك من الهلاك أي إله ، لا أبولو ولا أثينا ، بل تظل محتقراً ومهْمَلاً ، ولا تعرف أين يكون الفرح في روحك - وإنما ستكون ذبيحة عديمة الدم ، للقوى السفلى ، شبحاً لنفسك .

ماذا ! ألا تكلف نفسك حتى مئونة الرد ؛ بل تحتقر كلامي أيتها الضحية المسمنة والمكرسة لي ؟ لن تذبح على مذبح ، وإنما ستكون وليمتي وأنت حي ، وستسمع الآن أنشودتي التي تربطك بتعويذتها .

---

(١) المعنى الحرفي : « تضع قدمها قائمة أو مغطاة »، قد يكون الشاعر يفكر في تماثيل الربة، فإن لفظة « Orthon » تشير إلى وضعة قائمة كما تشير الكلمة اليونانية « كاتيريفي Katerephe» إلى ثوبها الطويل المتدلي على قدميها عندما صورت جالسة .

(٢) مسرح معركة الآلهة والعمالقة التي قتلت أثينا فيها إنكيلادوس Enceladus .

هيـا ، الآن إلى الرقص أيضـاً إذ عزمنـا على عـرض أنشـودتنـا المحزنة ، ونبين وظيفتنا ؛ فكيف تدير جماعتنـا شئون البشـر . نعلن أننا عادلات ومستقيمات . من يمد الأيادي غير مدنسة فلن يعتـدي عليه أي غضب لنـا ، ويقضي حياتـه كلها سليمـاً بغيـر أذى . أما من يقترف الجريمة التي اقترفها هـذا الرجـل ويخف يديه الملوثتين بالدماء ، فإننـا نقدم أنفسنـا كشاهـدات عادلات لأجـل القتيـل ، ونـظهـر ضـده إلى النهـايـة كمنتقمـات للدم المسفوك .

يا ربة الليـل الأم، أيتها الأم التي ولـدتني لأكون عقـاباً للمـوتى وللأحـيـاء ،اسـمعينـي ! لأن ابن ليتو Leto يريد أن يجلب العار عليّ بالإفلات من قبضتي ؛ أنت أيها النذل القـابع ، والـذبيحة الملائمة للتكفير عن دم الأم .

هذه أنشودتنا تنزل على فريستنا المكرسة لنا ـ زاخرة بـالجنون ، مفعمة بالخبل ، تبلبل المخ ، أنشودة الفـوريات تعـويذة تـربط الروح دون أن تصاحبها أية نغمة على القيثارة ، توهن حياة ذلك الرجل البشري .

لأن هذه الوظيفة التي عهد بها إلينا المصير الدائم المعرفة وهـو يغزل حيط حياتنا ، وظيفة نحتفظ بها دون تغيير : أن ننزل على أولئك البشر الذين يقترفون جريمـة قتل الأقـارب ، ننزل عليهم إلى أن يأتي الوقت الذي يمرون فيه إلى ما تحت الأرض ، ولا يتمتعون بحرية كبيرة بعد الموت .

هذه أنشودتنا تنزل على فريستنا المكرسة لنا ـ زاخرة بـالجنون ، مفعمة بالخبل ، تبلبل المخ ، أنشودة الفـوريات تعـويذة تـربط

الروح دون أن تصاحبها أية نغمة على القيثارة ، توهن حياة ذلك الرجل البشري .

عهد إلينا بهذه الوظيفة عند مولدنا ، ولكن الخالدين لا يستطيعون وضع أيديهم علينا ، ولا يشاركنا في ولائمنا أي واحد منهم ؛ أما أثواب الأعياد الناصعة البياض فلا حَظَّ لي فيها ولا نصيب . . .

لأنني جعلت همي كوارث البيوت ، كلما دب النزاع في البيت ، وصرع أحد الأفراد القريب العزيز . عند ذلك أسرع وراء ذلك الرجل ، وعلى الرغم من كل قوته نجعله يذوي بسبب فعلة دموية جديدة .

انظروا ، إننا نتلهف إلى أن ننتزع هذه المهمة من إله آخر ، ونصدر قراراً بأن لا سلطة للآلهة على ما يتعلق بي ، حتى لا يأتي أمامهم للمحاكمة ، لأن زوس اعتبر جماعتنا المقيتة مصاصة الدماء هذه غير جديرة بحديثه .

لأنني جعلت همي كوارث البيوت ، كلما دب النزاع في البيت وصرع أحد الأفراد القريب والعزيز ، عندئذ أسرع وراء ذلك الرجل ، ورغم كل قوته ، نجعله يذوي بسبب فعلة دموية جديدة .

أما البشر ذوو الأفكار المتغطرسة ، الذين يعتبرون أنفسهم قد بلغوا السمو تحت السماء ، فهؤلاء يذبلون ويسقطون في خزي تحت الأرض بهجومنا الدموي وإيقاع أقدامنا المنتقمة .

لأنني موقنة أنني بوثبة قوية من أعلى سأوقع به قوة السقوط الثقيلة لقدمي ، تلك الأطراف التي تلحق حتى بالعدائين السريعي الجري - فتكون سقطة لا يمكن احتمالها .

ولكنه بينما يسقط ، لا يعرف ذلك بسبب غباوته التي لا يحس بها . فيحلق التلوث في غمامة دكناء فوق ذلك الرجل ! وتعلن الإشاعة الزاخرة بالكثير من الويلات ، أن ظلاماً أشبه بالضباب يخيم فوق بيته .

لأنني موقنة أنني بوثبة قوية من أعلى سأوقع به قوة السقوط الثقيلة لقدمي ، تلك الأطراف التي تلحق حتى بالعدائين السريعي الجريء ـ فتكون سقطة لا يمكن أحتمالها .

لأنه سيظل مقرراً أننا نظل ماهرات في التدبير ، مهتمات بفعل الشرور ، مخيفات وقاسيات على الجنس البشري ، نمارس وظيفتنا مجللات بالعار ومحتقرات ومعزولات عن الآلهة بضوء ليس للشمس ـ وظيفة تجعل طريق الأحياء وعراً وكذلك طريق الموتى أيضاً .

من من البشر ، إذن ، لا يرهب ذلك ولا يفزع منه ، عندما يسمع من شفتي الحق المخول لي بواسطة القدر ، بقرار من الآلهة لإنجازه على أكمل وجه ؟ لا يزال حقي الشرعي القديم قائماً ، ولن يلحقني العار رغم أن مكاني المحدد هو تحت الأرض ، وفي ظلام لا تنفذ إليه الشمس .

[تدخل أثينا ممسكة بالترس « الأيجوس »]

أثينا : سمعت من بعيد صوتاً يطلبني ، سكاماندر . منذ مدة وأنا أمتلك الأرض التي أعطانيها قادة الأخائيين ورؤساؤهم ، كنصيبي من الأسلاب التي ربحتها رماحهم على أن تكون لي إلى ابد . هدية مختارة إلى أبناء ثيسيوس[1] . لذا أتيت مسرعة وقدمي غير

---

(١) تؤكد أثينا ملكيتها ، منذ القدم، لمنطقة سيجيوم Sigeum وقد ربحها الأثينيون من الميتولينيين Mitylencans ، الذين هزموا في زمن مبكر يرجع إلى القرن السادس ق.م.

المتعبة تحف في الهواء وأنا استخدم ثنيات ترسي [1] بدل الأجنحة . عندما أتطلع إلى ذلك الجمع غير المألوف من زوار أرضي ، أخشى في الحقيقة ألا أشعر إلا بما يدهش عيني . من أنتم في هذا العالم ؟ إنني أخاطبكم جميعاً ، الغريب الراكع عند تمثالي ، وأنتن يا من لا تشبهن أي جنس من المخلوقات المولودة التي لم ترها الآلهة بين الربات ، وما من شبه بينكن وبين الجنس البشري . ولكن التحدث بالسوء عن جار بريء من الإثم ، بعيد عن العدل ، غير أن العدل يعلو .

الكوروس : يا ابنة زوس ، ستسمعين كل شيء باختصار . إننا بنات الليل المرهوبات . ويطلق علينا زملاؤنا سكان ما تحت الأرض ، اسم « اللعنات » .

أثنيا : عرفت الآن سلسلة نسبكن والأسماء التي أطلقت عليكن .

الكوروس : وسرعان ما ستعلمين وظيفتنا أيضاً .

أثنيا : سأفهمها إذا أخبرت بها في وضوح .

الكوروس : نطرد قاتلي البشر من بيوتهم .

أثنيا : وأين هي منطقة نفوذ القاتل الهارب ؟

الكوروس : حيث يغيب الفرح ولا يعرف [2] .

أثنيا : أحقاً أنك تريدين مطاردته بكلامك ، إلى مثل هذا الهروب ؟

الكوروس : نعم، لأنه اعتبر أن واجبه قتل أمه.

أثنيا : وهل ذلك بناء على ضغط آخر ، أو لخوفه من غضب شخص ما ؟ .

---

(١) السطر ٤٠٥ ، وهو « ربطت جيادي ، التي من الدرجة الأولى ، في عربتي»؛ يناقض ما ورد في الأشعار السابقة ، وقد يكون تذييلا لجزء لاحق من المسرحية ، عندما تظهر أثينا في عربة .

(٢) المعنى الحرفي هو: « حيث لا يستعمل الفرح (أو كلمة الفرح) في أي مكان ».

الكورروس : أين يكون هناك حافز قوي يضطر الشخص إلى قتل أمه ؟

أثنيا : هنا طرفان حاضران ، ولم أسمع سوى نصف القضية .

الكورروس : ولكنه لم يحلف اليمين ، وليس على استعداد لأن يقسمها .

أثنيا : أنك على استعداد لأن تكوني عادلة بالإسم أكثر منك بالفعل .

الكورروس : وكيف يكون ذلك ؟ علميني لأنك لست ضعيفة في فنون الدهاء .

أثنيا : أقول إن الأيمان لا يجب أن تكسب الانتصار للظلم .

الكورروس : الكورروس : حسناً ، إذن فاسأليه ، ثم أنطقي بحكمك العادل .

أثنيا : أتعهدن لي حقاً بإصدار القرار في التهمة ؟

الكورروس : وكيف لا ، ـ تبجيلاً لمولدك النبيل العظيم .

أثنيا : ماذا تقول أيها الغريب رداً على هذا ؟ أخبرني ، أولاً بدولتك ، ونسبك ، وثروتك ؛ ثم دافع عن نفسك فيما يختص بهذه التهمة ـ وإذا كان الأمر كذلك ، فاعتماداً على عدالة قضيتك تجلس أنت هنا متشبثاً بتمثالي بشدة إلى جانب وطيسي ، متضرعاً مقدساً على طريقة إكسيون Ixion[1] . أجبني بوضوح على كل ما سألتك عنه .

أوريستيس : أيتها الملكة أثينا ، سأزيل أولاً تشاؤماً عظيماً يختفي في ثنايا حديثك الأخير . الحقيقة أنني لست متضرعاً في حاجة إلى التطهير ، ولم أسقط عند قدمي تمثالك ملوث اليدين . وسأقدم لك برهاناً قوياً عن هذا . ينص القانون على أن الملوث بسفك الدماء لا بد أن يمنع من كل حديث ، إلى أن يرشه بدم ذبيحة وضيع من له حق التطهير من القتل . لقد تطهرت هكذا في بيوت

(١) قتل إكسيون ملك اللابيثيين Lapiths حماه ، فطهره زوس بعد أن رفض الآلهة الآخرون تطهيره .

أخرى منذ مدة بواسطة كل من الذبائح والأنهار الجارية .

إنني أزيل هذا السبب الذي يقلقك . أما عن نسبي فستسمعين عنه . إنني أرجوسي ـ وكان والدي ـ وحسناً استفسرت عنه ـ أجامنون الذي قاد الجيش البحري ، الذي ساعدته في أن يجعل إيليوم ، مدينة أرض طروادة ، خراباً ولم تعد مدينة وفي أثناء عودته إلى وطنه هلك بطريقة غير مشرفة ، إذ قتلته والدتي ذات القلب الأسود ؛ أوقعته في شرك ماكر ، لا يزال باقياً ليشهد على موته. وعندما رجعت إلى وطني ـ وكنت منفياً قبل ذلك ـ قتلت تلك التي ولدتني ـ ولا أنكر هذا ـ انتقاماً لمقتل والدي الذي كنت أحبه أكثر من أي شيء . ثم إن لوكسياس مسئول معي في هذه الفعلة ، إذ حرضني على فعلها وهددني بويلات قاسية إذا أخفقت في إنزال هذه الفعلة بالجانية . وإن لك مطلق الحكم فيما إذا كانت فعلتي تلك عادلة أو غير عادلة ، لأنني سأرضى بحكمك وسيرتاح له ضميري .

أثنيا : هذا الأمر جد جسيم . فإذا اعتقد أي إنسان أن بالإمكان إصدار حكم في هذا ؛ كلا ، فليس من الشرعي ، حتى لي ، أن أصدر حكماً في قضايا القتل التي تتطلب غضباً عاجلاً . ولكن ، قبل كل شيء ، بما أنك جئت مطهراً بالطقوس الكاملة الأداء ومتضرعاً طاهراً عديم الأذى إلى بيتي فسأحترمك اجتناباً للإساءة إلى مدينتي . غير أن لهؤلاء النسوة وظيفة لا تسمح بصرفهن بسرعة وبسهولة ، وإذا أخفقن في إحراز الانتصار في هدفهن ، سقط السم من استيائهن ، على الأرض ، وصار بعد ذلك وباءً مستمراً يصيب البلاد ولا يطيقه الأهلون .

إذن ، فهذا وضع هذه القضية : كلا الأمرين ـ أن نحتمل بقاءهن

أو نطردهن ـ مليء بالمكارة ويحيرني . ولكن طالما قد أسندت هـذه القضيـة إلي ، فسأعين قضـاة مختصين في قضـايـا قتـل الإنسان ، مرتبطين بقسم ، وأكون محكمة ، محكمة تظل باقية على الزمن . فهل لـك أن تستدعي شهـودك ، وتقدم أدلتـك ، برهاناً مدعماً باليمين لتبرير قضيتك . وسأعود بعد أن أنتقي خيرة مواطني كي يصدروا الحكم بما يتفق والحقيقة ، بعـد ارتباطهم بقسم ألا ينطقوا بحكم يجانب العدالة .

[تخرج]

الكوروس : الآن نهاية كـل الأشياء التي تنمـو بالقـوانين الجديـدة . إذا كان لقضية قاتل أمه الظالمة أن تنجح ، فستجر جميع الناس مباشرة إلى الإباحية . والحقيقة أن الآباء والأمهات سينتظرون كثيراً من الجروح ، في المستقبل ، على أيدي أولادهم .

بما أنه لن يقترب منا ، نحن الفوريات الثائرات الدائمات السهر على البشر ، أي غضب من مثل هذه الجـرائم ـ فسأطلق الموت من عقاله بكل صورة . وبينما يتوقع إنسان ما حالة جاره السيئة ، فإنه سيطلب أخرى عندمـا ينتهي العقاب أو يخفض . ويقدم البائس المسكين تعزية العلاجات غير الناجعـة ، التي لا تأتي بأي شفاء محقق .

ولا يصرخن أي فرد منذ الآن ، عندما يصيبه ضرر ، ولا يتضرعن بصـوت عال ، قـائلاً : « يـا للعـدالـة ! » « يـا لأرواح الانتقـام المتـوجة ! » قـد يتصادف أن يبكي أب مـا أو أم ما ، أصـابهما ضر ، إذ سقط بيت العدالة الآن .

هناك أوقات يسود فيها الخوف ويظل متـوجاً كحـارس للقلب .

وإنه لمن المفيد أن نتعلم الحكمة بالأنين . ولكن ، من ذلك الذي يدرب قلبه على عدم الخوف ، سواء أكان رجلاً أو دولة ، ويحترم العدالة في المستقبل ، كما يحدث هنا ؟

لا تعجبنك حياة محكمة ، ولا حياة تخضع لسلطان طاغية . يعطي الرب النصر للاعتدال في كل شيء ، أما نواميسه الأخرى فيديرها بطرق شتى . إنني أقول الحق في أوانه ، لأن الغطرسة وليدة عدم التقوى ، ما في ذلك ريب ، أما سلامة الروح فتولد السعادة العزيزة على الجميع ، والتي كثيراً ما يطلبها الناس في صلاتهم .

قصارى القول في الموضوع كله ، أقول لك : احترم مذبح العدالة ولا تحتقره بأن تدنسه بقدم كافرة ، لأن عينيك تتطلعان إلى الربح الدنيوي ؛ وإلا نزل بك العقاب . يسود الحكم المحدد ، لذا فليضع الإنسان في المكان الأول من التقدير ، البر الذي يدين به لوالديه ، ويحترم الغريب الذي يرحب به داخل أبوابه .

من كان عادلاً من تلقاء نفسه بغير رادع فلن يخفق في سعادته ولن ينقطع تماماً . أما من يذنب في تحد جريء ، ويتمرغ في ثراء جمعه بطرق غير مشروعة ، أقول إنه سيمزق شراعه إذا ما هبت عاصفة ، وينكسر فوقه إذا ما تداعت السارية .

إنه ينادي من لا يسمعونه ، ويناضل عبثاً وسط المياه ذات الدومات . . . تضحك السماء من الشخص المستهتر وهي تنظر إليه ، ذلك الذي يفخر بأن هذا لن يحدث إطلاقاً ؛ فيصبح عندئذ عاجزاً أمام محنته غير القابلة للعلاج ، ولا يقدر على تخطي الموجة العالية . فتتحطم سفينته فوق حاجز العدالة ،

ويزول الرخاء الذي تمرغ فيه طول حياته ، ويهلك دون أن يبكيه أو يراه أحد .

[تدخل أثينا في موكب وحاجب ، وطائفة المحلفين المكونة من رجال الأربوباجوس، وحشد من المواطنين . ينتقل أوريستيس إلى المكان المخصص للمتهمين .
يظهر أبولو بعد أول خطبة لأثينا]

أثينا : أيها الحاجب ، أعط الإشار ، وأبعد الجمهور ، وليرسل البوق التورهيني[١] Tyrhene المليء بنفس الإنسان ، صوته المجلجل إلى القوم ! فبينما تمتلىء قاعة المجلس هذه ، فحري أن يسود الصمت ، وتعلم أوامري لكل من ، المدينة بأسرها ، إلى الأبد ، ولهؤلاء المتقاضين ، كي يحكم في قضيتهم بالعدل .

[يدخل أبولو]

الكوروس : أيها السيد أبولو ، أحكم في اختصاصك ، قرر الدور الذي قمت به في المسألة .

أبولو : جئت لأكون شاهداً ـ لأن المتهم الواقف هناك متضرع بالطريقة الشرعية ومن المقيمين بمعبدي ، وأنا الذي حرضته على فعلة الدم الذي أراقه ـ ولأكون محاميه أنا نفسي . إنني المسئول عن قتله أمه .

[إلى أثينا]

أعدّي القضية بنفسك وباشريها بحكمتك إلى أن يصدر القرار النهائي .

---

(١) اعتبر الإتروسكيون مخترعي البوق .

أثنيا : [إلى الفوريات] الكلام لكن - إنني أعد القضية ، فيتكلم المدعي أولاً ، ويخبرنا بالوقائع .

الكوروس : نحن كثيرات ، بيد أن كلامنا سيكون موجزاً [أوريستيس] أجب على أسئلتنا سؤالاً سؤالاً . فأولاً - هل قتلت أمك ؟

أوريستيس : قتلتها . لا أنكر هذا .

الكوروس : هذه لنا ، من السقطات الثلاث(1) .

أوريستيس : تفخرين بهذا ، مع أن عدوك لم يسقط بعد .

الكوروس : ومع ذلك ، فيجب أن توضح لنا الطريقة التي قتلت بها .

أوريستيس : أرد على هذا بأنني طعنتها في رقبتها بسيف كان في يدي .

الكوروس : من الذي حرضك ، وبنصيحة من ؟

أوريستيس : بإيعاز هذا الإله المقدس ، وهو شاهدي .

الكوروس : هل لقنك العراف أن تقتل أمك ؟

أوريستيس : نعم ، ولهذه الساعة لا ألوم حظي .

الكوروس : ولكنك إذا وقعت في قبضة الحكم قلت حكاية أخرى بأسرع ما يمكن .

أوريستيس : لي ثقة طيبة . سيرسل أبي نجدة من قبره .

الكوروس : أذن فأنت تثق بالموتى ، يا قاتل أمك !

أوريستيس : نعم ، أثق بهم لأنها ملطخة بتلوث مزدوج .

الكوروس : وكيف ذلك ، بالله عليك ؟ فسر هذه للقضاة .

أوريستيس : لأنها قتلت زوجها ، وبذلك قتلت أبي .

الكوروس : ولذا ، رغم أنك حي ، فهي مطلقة السراح بموتها(2)

أوريستيس : ولكن لماذا لم تطارديها وهي حية إلى المنفى ؟

---

(1) كانت نتيجة المصارعة تتقرر بالسقوط ثلاث مرات .

(2) خالية من جريمة الدم لأن دمها ، هي نفسها ، قد سفك .

الكوروس : لأنها لم تكن ذات قرابة دموية بالرجل الذي قتلته .

أوريستيس : وهل قرابتي بوالدتي دموية ؟

الكوروس : من غيرها، أيها الرجل الملوث بالدم ، قد غذتك تحت منطقتها ؟ ألا تعتبر أقرب رباط هذا هو دم الأم ؟

أوريستيس : هل لك ، يا أبولو ، أن تدلي بشهادتك الآن ؟ وأرجوك أن تفسر القانون فيما إذا كنت محقاً في قتلها ، إذ أني لا أنكر أنني فعلت الفعلة كما فعلتها . ولكن هل تبدو هذه الفعلة لفهمك أنها قد نفذت بحق وبعدالة ، أو بغير ذلك ؟ أخبرني بهذا حتى أقوله للمحكمة .

أبولو : سأوجه الكلام إليك ، أيتها المحكمة العليا التي خلقتها أثينا ، بحسب ما تأمرني به العدالة - فإذا كنت عرافاً فلا يمكنني أن أنطق بالكذب . لم أتكلم حتى الآن على عرش وحيي بشيء يمس رجلاً أو امرأة أو الصالح العام ، إلا بما يأمرني به زوس والد الأوليمبيين .

لاحظوا قوة حجة العدالة هذه، وإني لأكلفكم بأن تطيعوا مشيئة « الأب »، إذ ليس لليمين سلطة أعظم من سلطة زوس[1] .

الكوروس : هل أصدر زوس - حسب قولك - هذا الأمر بواسطة الوحي : أن يأمر أوريستيس الواقف هنا بأن ينتقم لمقتل والده ، ولا يهتم إطلاقاً بالاحترام المفروض عليه نحو والدته ؟

أبولو : نعم ، لأنهما لم يكونا متشابهين بحال ما - مقتل رجل سامي

---

(١) قد تعتبر اليمين التي حلفها القضاة (٤٨٩) أوريستيس مذنباً بحسب الوقائع ، غير أنه لما كانت فعلته هذه قد تمت بناء على أمر زوس ، الذي يمثله ابنه ، فإن زوس يتحمل كل مسئولية أدبية .

المولد تقلد صولجان سلطة موهوبة من الآلهة ، وهو القتل الذي قامت به يد امرأة ليس بأسلحة الشهامة ، كالسهام المنطلقة من بعيد بواسطة إحدى الأمازونات ، بل بالطريقة التي ستسمعونها ، بالاس وأنتم ، يا من تجلسون هنا لتقرروا بالتصويت عن هذه القضية الحاضرة .

فعند عودته من الحرب التي شنها تبعاً لمشيئة شعبه الذي يحبه ، وأحرز له نصراً أكثر مما كان متوقعاً[1] ، رحبت به ، ثم بينما كان يخطو من الحمام عند حافته بالضبط ، وضعت ستاراً على الحمام بعباءة مقبية كالخيمة ، ولفت زوجها في شرك من الأثواب الموشاة لا يمكنه الفكاك منه ، ثم ذبحته .

هكذا كانت طريقة قتله كما رويتها لكم ـ إنه بطل بالغ العظمة ، وقائد الأسطول . أما عن تلك المرأة فقد وصفتها لكم هكذا لإثارة سخط الشعب الذي عين للحكم في هذه القضية .

الكوروس : أذن ، تبعاً لحجتك ، يعتبر زوس موت الأب أكبر إجراماً . ومع ذلك ، فهو نفسه قد قيد والده العجوز كرونوس[2] Cronus ، فكيف تناقض هذه الفعلة حجتك ؟ أرجوك [تستدير نحو القضاة] أن تهتموا بهذه النقطة .

---

(١) المعنى الحرفي هو « سلك أفضل » ـ « أفضل » أو «أكثر من خصومة الطروادبين » أو « فوق المتوقع » (إذ أنه كان مذنباً في قتل ابنته) أو « من الممكن » ـ أو « بدون أية قوة أكيدة تشبه تلك »، أو ببساطة «جيداً».

(٢) هو ساتورن عند الرومان . كان رب الحصاد في الأصل ويحكم العصر الذهبي في هذه الحياة الدنيا عندما كانت الأرض تعطي غلتها دون عناء للإنسان وعندما كان السلام والعدل والبراءة تخيم على جميع أنحاء الأرض ، كان من نتيجة الخلط بين الكلمة الإغريقية « خرونوس » أي « الوقت » أن اعتبر « كرونوس » شخصية تمثل الوقت .

أبولو : أيتها الوحوش الممقوتة والمحتقرة لدى الآلهة ، بوسع زوس أن يفك القيود ، فلها علاج وعنده طرق كثيرة لحلها . ولكن إذا ما شرب الثرى دم إنسان مقتول ، فلن ترجع إليه الحياة بعد ذلك . لم يجعل والدي أية تعاويذ لعلاج هذا الأمر ، ولو أنه يقلب ويقيم كل ما عداه ، متى أراد ، ولا يكلفه استخدام قوته زفرة واحدة .

الكوروس : لاحظ الآن مغزى مرافعتك لإطلاق سراحه ! هل يسكن من أراق دم أمه على الأرض بيت أبيه في أرجوس بعد ذلك ؟ أية مذابح للعبادة العامة يمكنه دخولها ؟ وأية أخوة[1] تقبله في طقوسها المطهرة ؟

أبولو : سأهتم بهذا أنا أيضاً ، وألاحظ شرعية ردي . ليست الأم والدة من يسمى طفلها ، وما هي إلا مربية البذرة[2] المغروسة حديثاً . ومن وضع هذه البذرة فهو الوالد ، بينما هي كالغريب لا تقوم إلا بحفظ ما يخرج من البذرة ، إلا إذا أوقف الرب ولادتها . وسأقدم لك برهاناً أكيداً على ما أقول : قد تكون هناك أبوة بغير

---

(١) اندمج الأقارب ، سواء أكانوا حقيقيين أو خياليين في أخوة ذات عبادة عامة وقرابين عامة وأعياد عام .

(٢) سادت هذه الفكرة في مصر (انظر ديودوروس الصقلي Diodorus Siculus ١ ؛ ٨٠، الذي كان مصدره هيكاتايوس Hecataeus وهو أحد معاصري أيسخولوس الأكبر منه سناً) وذكرت أيضاً في مؤلفات كثيرة من كتساب الإغريق اللاحقين لأيسخولوس ، مثل يوريبيديس، «أوريستيس» ٥٥٢، كسرة رقم ١٠٦٤ ، وكالفيثاغوريين كما نقل عنهم ستوبايوس Sthobaeus (هنس Hense، الباب الثاني، ٧٢). وقد استعيرت هذه الفقرة من المسرحية كدليل على أن الأثينيين كانوا يسيرون في القرن الخامس ق.م. على النظام القديم في تتبع النسب بحسب الأم (حجة الإيرينوس)، بينما تتبع آخرون النسب بحسب الأب ، وهذه نظرية أبولو .

أمومة . لدينا هنا شاهد ، ولد زوس الأوليمبي - ولم يترب في ظلام الرحم ، ولكنه كان طفلاً بالغ المجد بحيث لا يمكن لأية ربة أن تلده .

أما من جهتي ، يا بالاس ، فكما هي الحال في كل شيء آخر أعرفه حق المعرفة ، سأبهج مدينتك وشعبك بهذا الرجل ، ولذا أرسلته متضرعاً إلى معبدك ، كي يبرهن على وفائه في الزمن المستقبل كله ؛ وكي تكسبيه ، أيتها الربة كحليف جديد ، هو وذريته ، ويتقرر إلى الأبد أن يتمسك نسل هذا الشعب بعهودهم إلى الأبد .

أثنيا : هل لي أن اعتبر أن ما قيل يكفي ، وهل لي أن أكلف هؤلاء القضاة الآن بأن يلقوا بأزلامهم الأمينة تبعاً لحكمهم الحقيقي ؟

الكوروس : أما من جهتنا ، فقد أطلقنا كل صاعقة ، ومع ذلك ، فسأبقى هنا لأسمع نتيجة المحاكمة .

أثنيا : ولماذا لا تبقين ؟ أما أنتما [لأبولو وأوريستيس] فكيف أتصرف لمنع الرقابة على أيديكما ؟

أبولو : لقد سمعتم ما سمعتم . فبينما تلقون بأزلامكم ، يا أصدقائي . اجعلوا قلوبكم تتمسك بقداسة اليمين التي حلفتموها .

أثنيا : اسمعوا أوامري الآن ، يا رجال أتيكا ، يا من ستنطقون بالحكم في أول محاكمة عقدت للنظر في سفك الدماء . ستظل هذه المحكمة لشعب أيجيوس Aegeus منذ الآن وإلى الأبد . وأما تل آريس هذا ، الذي استخدمته الأمازونات مقراً لهن ، وضربن فوقه فساطيطهن كلما أتين للقتال ضد نيسيوس ، وشيدن في تلك الأيام قلعتهن الجديدة ذات الأبراج الشاهقة لتتفوق على

أبـراجه ، وقـدمن الذبـائح لآريس ، ومن هنـا أخذت الصخـرة أسمها منه ، تل آريس[1] ـ أقول فـوق تل آريس هـذا ، ستقيم ربة ، « التبجيل » في مداثني هي وقريبهـا « الخوف » فيمنعـان الناس من فعل الشرور ، سواء أكان هذا بالنهار أو بالليل ، كيلا يدنسوا القوانين بسوء استخدام النفوذ ، ولا يلوثوا المياه الـرائقة بالطين فلا تجد جرعة ماء حلو .

لا فـوضى ولا طغيان ـ أنصـح سكان مـدائني بهـذا ، وأوصيهم بـاحترامـه وبألا يـطردوا الخوف من المـدينـة . فمن هـو ذلـك الشخص ، بين البشر ، الذي يلتزم العدالة ، فلا يخاف شيئاً ؟ أخش مثل هذه العظمة يكن لديك حصن منيـع للمحافـظة على دولتـك وحكـومتـك التي لم يسبق أن أمتلك أحـد مثلهـا بين السكـوثيين أو في مملكة بيلوبس . أثبتت هـذه المملكة الآن ، التي لن يغربها حب الربح ، والعظيمة ، والسريعة في الانتقام ، أنها حارسة للبلاد ، وساهرة على الدفاع عمن ينامون .

هكذا أقمت أخيراً ، نـاصحة لشعبي في الـزمن المقبل ، ولكن يجب أن تنهضوا الآن ، فيأخذ كل واحد منكم زلمة، وتقرروا ما يتراءى لكم في هذه القضية بالتزامات قسمكم المقدس . وهكذا أكون قد أديت واجبي .

[ينهض القضاة من فوق مقاعدهم ويضعون أزلامهم واحداً واحداً في أثناء الفترة التالية].

---

(١) غزت الأمازونات ، بصفتهن بنات آريس ، أتيكا انتقاماً من ثيسيوس؛ إما كما تقول إحدى الروايات لأنه تزوج أنتيوبي Antiope ملكتهن، أو لأنه لم يجعل ذلك التل ضمن مدينتـه التي أسسها حديثاً، والتي تضم الأكروبول، ومن الجلي أن أيسخولوس رفض الأسطورة القائلة بأن تل آريس أخذ اسمه من واقعة محـاكمة آريس هنـاك على قتل هـاليروثيـوس Halirrothius ابن بوسايدون، وتبرئته بأخذ أصوات الآلهة الذين كانوا قضاته.

الكوروس : واسمعوا أيضاً : أنصحكم بألا تجلبوا العار علينا ، نحن اللواتي بمقدور زيارتنا أن تستبد بأرضكم .

أبولو : أما أنا ، فآمركم بأن تخافوا كل وحي ، لي وحي فحسب ـ لأن كل وحي صادر من زوس ـ وألا تعتبروه عديم الجدوى .

الكوروس : كلا ، فإنك تحترم جرائم الدم بما يتعدى اختصاصك . إذن فكل وحي ستصدره لن يكون وحياً غير مدنس .

أبولو : وهل كان الأب مخطئاً في شيء عندما تقدم إليه إكسيون ، أول سافك دم ، كمتضرع للتطهير ؟

الكوروس : يا لك من قوي الحجة ! ولكني إذا عجزت عن كسب هذه القضية ، زرت هذه البلاد ، فيما بعد ، كضيف ثقيل الوطأة .

أبولو : كلا ، فليس له شرف بين الآلهة ، صغيرها وكبيرها على حد سواء . سأحظى بالانتصار .

الكوروس : هكذا أيضاً كانت طريقة عملك في بيت فيريس Pheres عندما أثرت الأقدار لجعل البشر خالين من الموت[١]

أبولو : أليس من الصواب ، إذن ، أن نصادق مقدم النذور ، قبل كل ما عداه، في وقت الحاجة ؟

---

(١) أجبر زوس أبولو، بسبب سفكه للدماء (تبعاً لأسطورة تنين دلفي، وتبعاً لأسطورة الكوكلوپيس Cyclopes) على التكفير عن ذلك بأن يخدم كعبد في بيت أدميتوس ابن فيريس . وتقول أسطورة قديمة اعتمدها أيسخولوس ، إنه عندما جاء أجل أدميتوس ، أراد أبولو أن يرد الجميل لأدميتوس نظير معاملته الحسنة له . فأسكر الأقدار بالخمر، وبذلك حصل على موافقتهن على تخليص أدميتوس من الموت على شرط أن يموت شخص آخر بدله. ويقول يوريبيديس في مسرحية « ألكيستيس Alcestis »، إنه عندما رفض والد أدميتوس ووالدته أن يمنحاه ما بقي من حياتهما، ماتت زوجته ألكيستيس من أجله .

الكوروس : الحقيقة أنك أنت الذي خدعت بالخمر أولئك الربات العتيقات ، وبذا أبطلت ناموس من يكبرونك سناً .

أبولو : ولكنك ، بمجرد أن تخسري قضيتك ستنفثين سمك أذى لأعدائك .

[في تلك الأثناء ينتهي جمع الأصوات]

الكوروس : بما أنك أيها الشاب ، سوف لا تعمل حساباً لسني ، فسأنتظر هنا حتى أسمع الحكم في هذه القضية إذ أنني ما زلت في شك مما إذا كان قد آن لي أن أصب جام غضبي على المدينة .

أثنيا : ما مهمتي الآن سوى إصدار الحكم النهائي : وسأضيف صوتي هذا إلى أوريستيس . بما أنني لم أولد من أم ، وأراني دائماً في جانب الذكور بروحي في كل شيء ما خلال رباط الزواج ، وفي جانب الأب تماماً ، فلن أهتم إطلاقاً بموت الزوجة التي قتلت سيدها ، ذلك السيد الشرعي للبيت . وحتى لو تساوت الأصوات ، فسيفوز أوريستيس .

أسرعوا ، أخرجوا الأزلام من الأوعية ، أيها المحلفون الذين عهد إليكم بهذه المهمة .

[تفرغ الأزلام من الأواني وتفرز

أوريستيس : أي فويبوس أبولو ! أواه ، ما عسى أن يكون الحكم ؟ .

الكوروس : أيا ربة الليل ، يا أمنا الداجية ، أترين هذا ؟

أوريستيس : جاءت النهاية ـ فإما أن أحيا ، أو أهلك شنقاً .

الكوروس : نعم ، والخراب لنا ، أو الاحتفاظ بكرامتنا منذ الآن .

أبولو : احضروا الأصوات بحق ، يا أصدقائي ، لقد جمعت الأزلام وبينما تقومون بتقسيمها ، اهتموا بألا تفعلوا أي ظلم ، فالخط

في الحكم مصدر كثير من النكبات ، وكم من زلم واحد أعاد الرفاهية لبيت !

[تقدم الأزلام لاثينا]

أثنيا : هذا الرجل بريء الساحة من تهمة القتل ، إذ تساوت الأصوات .

[أبولو يختفي]

أوريستيس : أي بالاس ، يا منقذة بيتي ! حرمت وطن آبائي فأعطيتني وطناً هناك ثانية ، وسيقال في هيلاس : « صار هذا الرجل أرجوسياً من جديد ، وسيعيش في ميراثه عن أبيه بفضل بالاس ولوكسياس ، وذلك الإله الثالث ، الكلي الترتيب ، والمخلص - ذلك الذي اهتم بموت أبي وحفظني ، إذ رأى لقضية أمي محاميات كهؤلاء .

والآن سأنصرف إلى بيتي ، أولاً إلى أرضك هذه وقومك ، إذ تعهدت بقسمي للمستقبل في جميع الزمن الآتي ، ألا يأتي رئيس من مملكتي الى هنا لمحاربة[1] أهلها . فإني أنا نفسي ، عندما كون في قبري ، وشن قوم الحرب ، نفذت وعيدي بجرٍّ المصائب عليهم ، حتى ولو استلزم الأمر أن أزورهم وأيئس جيوشهم ، وأملأ طرقاتهم بطوالع النحس فيندم من كسر يميني هذه بأعماله أما إذا ظل الطريق مستقيماً ، واحترموا مدينة بالاس هذه إلى الأبد برماحهم المتحالفة ، فسأقف إلى جانبهم .

وهكذا أودعكم - أنتم وشعبكم الذي يحرس مدينتكم . عسى ألا

(١) تشير هذه الفقرة إلى المعاهدة التي عقدت بين مدينتي أثينا وأرجوس بعد نجاح كيمون بالتصويت العام (سنة ٤٦١ ق.م.) وإعلان بطلان المعاهدة التي كانت مع إسبرطة .

يصبح نضالكم مع أعدائكم بإفلات أي فرد ، ويجلب لكم الأمن والظفر في الحرب .

[يخرج]

الكوروس : يا للعار ! أيها الآلهة الأصغر سناً ، تخرقون القوانين القديمة ، وتنتزعونهم من قضيتي[1] ! وإذ حرمت الشرف ، أنا التعيسة في غضبي الشديد على هذه البلاد (ولتصبها النكبات)، فسأنفث سماً من قلبي جزاء حزني . نعم ، سماً يتساقط قطرات لن تتحملها تربتها . وتصيبها آفة تنسف أوراق النبات ، وتنسف الأطفال (أواه ! إنه مجرد انتقام !)، وأنشر العدوى المبيدة للجنس البشري . إنني أتأوه وبصوت مرتفع . ماذا أفعل ، والناس يسخرون مني ؟ ليس بالإمكان احتمال المظالم التي قاسيتها . نعم ، قاسية حقاً هي المظالم التي أصابت بنات الليل ، اللواتي جردن من الشرف وحلت بهن الضائقات .

أثينا : اسمحن لي بألا أجعلكن تسمعن هذا الحكم في حزن لأنه ليس هزيمة لكن ، إذ كانت نتيجة المحاكمة بأزلام متساوية دون أن يلحقكن أي عار . بيد أن قرار زوس كان واضحاً . وذلك الذي نطق بنفسه بالوحي لن يناله ضر من جراء فعله . ولن تصرن بعد الآن مقيتات ، ولا تصببن غضبكن الفظيع على هذه الأرض ، ولا تـزرنها بالجدب ، بإنزال القطرات التي يلتهم مفعولها الحبوب . فإني أقطع على نفسي وعداً بالغ القداسة ، بأن تتبوآن

(١) لكيلا يحدث تضارب بين المجازات، فرض أبريش Abresch ضياع سطر ربما ذكرت فيه بعض صفات أوريستيس، إذ يكون مفعولاً به للفعل الثاني. واعتقد فيرال Verrall أن المفعول به حذف للدلالة على مشاعر الإيرينويس .

مقعداً مرموقاً في أرض عادلة حيث تجلسن على عروش براقة ، ويعبـدكن أهل هـذه البلاد بتوقير إذ يكـون بمعـابـدكن مـواقـد خاصة .

الكوروس : يا للعار ! أيها الآلهة الأصغر سناً ، تخرقون القوانين القديمـة ، وتنتـزعونهم من قبضتي ! وإذ حـرمت الشرف ، أنـا التعيسة في غضبي الشديد على هـذه البلاد (ولتصبهـا النكبات) فسـأنفث سمـاً من قلبي جزاء حـزني . نعم ، سمـاً يتسـاقط قـطرات لن تتحملها تربتها . وتصيبها آفـات تنسف أوراق النبات ، وتنسف الأطفـال (أواه ! إنه مجـرد انتقام !)، وأنشـر العـدوى المبيـدة للجنس البشـري . إنني أتأوه بصـوت مـرتفـع . مـاذا أفعـل ، والنـاس يسخرون مني ؟ ليس بـالإمكان احتمـال المـظالم التي قـاسيتها . نعم ، قـاسية حقـاً هي المظالم التي أصـابت بنـات الليل ، اللواتي جردن من الشرف وحلت بهن الضائقات .

أثينا : لم تتجردن من الشرف ؛ فرغم كونكن ربات ، فلا تنزلن بأرض البشر هذه آفة زراعية لا يجدي فيها علاج ، متأثـرات بغضبكن الشديد . إنني أيضاً اعتمد على زوس ـ وهل من حاجة إلى أن أقـول هذا ؟ ـ وإنني ، أنـا وحدي دون سـائـر الآلهـة ، أعـرف مفاتيح مخزن الأسلحة الذي يضع فيه صاعقته . إذن فلا حاجة إلى ذلك . اخضعن إلى نصحي ولا تنطقن ألسنتكن بأي تهديد ضد هذه الأرض حتى يزدهر فيها كل ما يثمر . هدئن من سورة غضبكن الفظيع طالما ستتسلمن أمجاداً تفخرن بها وستقمن معي وتحصلن على باكورة ثمرات هذه الأرض الواسعة ـ تقدمات من الأولاد وطقوس الزواج ـ وعندئذ تمتدحن مشورتي .

الكوروس : من العار أن أعامـل هكذا ! أنـا المشهورة بـالحكمة القـديمة ،

أسكن تحت الأرض ، وهذا يحط من قيمتي (يا للعار !) وأكون بغيضة ! تضطرب روحي من أثر الهياج والثورة الجامحة ، أواه أواه ، يا لشين هذا الأمـر ! أي ألم يتسلل إلى صدري ! أواه ، يا أماه ، يا ربة الليل ، أعيري أذنك لصيحة عـاطفتي ! يعتبرني الآلهة من سقط المتاع ، فجردوني من أمجادي الخالدة بمكرهم الذي لا يقاوم .

أثينا : سأتحمل حالة غضبك هذه ، إذ أنك أكبر مني سناً . ولا شك في أنك تفوقينني حكمة في هذا الشأن ومع ذلـك فقد وهبني زوس فهماً غير قليل . أما أنتن ، فإذا ما رحلتن إلى أرض تسكنها قبائل أخرى من البشر ، أحببتن هذه الأرض ـ أحذركن من هذا قبل أن يحـدث فسيغدق الـزمن على شعبي أمجـاداً أعـظم أثنـاء سيـره المستمر . وأنت أيتها المتوجة بهيبة ووقار في بيت إريختيوس ، ستنالين من حشود الرجال والنسـاء تمجيـداً أعـظم مما أمكنـك الفوز به من سائر العالم الآخر على هـذه المملكة ، مملكتي . أرجو ألا ترسلي أي باعث قوي لسفك الدماء يضر القلوب الغضة ويجنهـا بثورة ليست وليـدة الخمر . ومـع ذلك فسيمـزق قلوب الديكة المتقاتلة ، ويغرس في شعبي روح الحرب الداخلية في تهور متبادل . ليكن قتالهم مع أعـداء أجانب لا حصـر لهم من أجل ذلك الـذي سيتحرق شـوقاً إلى الشهـرة . ولكنني لن أهتم إطلاقاً بقتال الطيور .

ستكون مثل هذه النعم لك من أرضي تختارين منها ما تريدين ـ تمنحين الخير وتنالين الخير بشرف عـظيم ، فيكون لـك نصيب في هذه الأرض التي يحبها الآلهة .

الكوروس : يا للعار ، أن أعامل هكذا ، أنا المشهـور بالحكمـة القديمـة ،

أسكن تحت الأرض ، وهذا يحط من قدري (يا للعار !) وأكون بغيضة ! تضطرب روحي من أثر الهياج والثورة الجامحة ، أواه ! ، أواه ، يا لشين هذا الأمر ! أي ألم يتسلل إلى صدري! أواه، يا أماه ، يا ربة الليل ، أعيري أذنك لصيحة عاطفتي ! يعتبرني الآلهة من سقط المتاع ، فجردوني من أمجادي الخالدة بمكرهم الذي لا يقاوم .

أثينا : كلا ، لن أمل ذكر منحي لك ، حتى لا تقولي إطلاقاً ، إنك الربة الكبرى سناً ، قد أهنت أو أهملت بواسطتي ، أنا الربة الأصغر منك ، وبواسطة حرس مدينتي من البشر . كلا ! ولكنك لو احترمت عظمة سواسيون Suasion واعتبرتها مقدسة ، تلك التي هي الترضية المهدئة ، وتعويذة لساني ـ لأمكن أن تقيمي هنا . أما إذا صممت على ألا تقيمي هنا ، فمن الظلم الأكيد أن تجلبي على هذه المدينة أي نوع من الغضب أو الهياج لإيذاء سكانها .

الكوروس : أيتها الملكة أثينا ؛ أي نوع من المسكن تقولين إنه سيكون لي ؟

أثينا : مسكن خال من أي ألم أو مضايقة ، وقد قبلته .

الكوروس : تقولين إنني قبلته ، وماذا ينتظرني من المجد ؟

الكوروس : وهل تضمنين لي مثل هذه السلطة ؟

أثينا : نعم ، لأننا سنهب الازدهار لحظوظ مقدمي النذور لنا .

الكوروس : وهل تتعهدين بذلك طيلة الزمن المستقبل ؟

أثينا : نعم ، إذ لا حاجة بي إلى أن أقول شيئاً لا أستطيع إنجازه .

الكوروس : أعتقد أنك ستكسبينني بتعاويذك ، فإن غضبي قد أخذ يفارقني .

أثينا : أذن فأقيمي في هذه الأرض ، تربحي أصدقاء آخرين .

الكوروس : أية نعم تأمرينني بأن أهبها لهذه الأرض ؟

أثينا : نعم لا تأتي بنصر شريد . كما أطلب النعم من الأرض ومن مياه البحـر ومن السماء ، وأن تمـر العواطف ذات الأنفـاس ، فـوق الأرض ، في نور شمس ساطعة ، حتى لا يفوت مواطني ازدهار الأرض والحيوانات الراعية المجتمعة في كثرة متزايدة ، في زمن مستقبـل . وهـل لشعبي أن يكـون تقيـاً ، ذلـك الشعب الـذي تزيدين في إزدهاره وكثرته . فمثل هذا الشعب المهتم بالنباتات النامية ، جدير بأن يكون نسل هؤلاء الرجال العادلين (تشير إلى المتفرجين) الذي لا يسببون أية أضرار محزنة .

لك مثل هذه المنح لتهبيها، أما أنا فلن أخزي هذه المدينـة بين البشر ، هذه المدينة المنتصرة في المسابقات الماجـدة للحرب القاتلة .

الكوروس : سأقبل وطناً أسكن فيه مع بالاس ، ولن أزور بسوء مدينة تعتبرها هي وزوس القادر على كل شيء وآريس ، حصناً للآلهـة وحلية لامعة تحرس مذابح آلهـة هيلاس ، كمـا أصلي طالبـة لها فؤلا مناسبة حتى تنمي عظمة الشمس السـاطعة النبـاتات في الأرض وتدر خيرات تملأ الحياة سعادة .

أثينا : أفعل هكذا بقدر عظيم من المحبة لساكني مدينتي هؤلاء ، فأضع بينهم هنا آلهة قوية الشكيمة تسيطر على جميع الكائنات الفانية . ومع ذلك فمن لا يجد هؤلاء الآلهة صارمين ، فلن يعرف من أين تأتي ضربات الحياة، فسترتد ذنوب الآباء إلى صدره ، وتصيب سهام الهلاك كل من يفخر عالياً . تنصب هذه عليه في سكـون وغضب رهيب يجعله بمستوى التراب .

الكوروس : عسى ألا تهب ريح ضارة تحطم الأشجار ـ هكـذا أقرر نعمتي ـ وعسى ألا تمر بحدود هذه المدينة حرارة لافحة تدمـر النباتـات

ذات البراعم ، وعسى ألا تقترب منها أية أمراض مميتة وآفات زراعية تقتل الثمار ، وعسى أن تعمل الأرض على تربية القطعان المجتمعة .فتزيد الضعف في الزمن المحدد ، ويعطي إنتاج الأرض هدايا الآلهة من الريح السعيد[١] .

أثينا : أتسمعون يا حارسي مدينتي ماذا سيجلبن لكم من البركات ؟ عظيمة هي قوة الإرينويس المسجلات نحو كل من الآلهة العليا الخالدة ، ونحو قوى العالم السفلي ، وفي معاملاتهن مع البشر ، فيقمن بما يرغبن في علمه علناً وكاملاً ، فيمنحن البعض الأغاني والبعض الآخر حياة تغشاها الدموع .

الكوروس : كما أنني ألعن مصير البشر المميت والسابق لأوانه . فيامن بيدكم القوة الشرعية ، امنحوا العذارى الجميلات أن تعيش كل منهن حتى تجد لها زوجاً . أمنحنهن هذا ، أيتها الأقدار المقدسات ، يا أخواتنا من أم واحدة ، أيتها الربات العادلات في مجازاتهن واللواتي لهن نصيب في كل بيت ، وزيارتهن الشرعية محزنة في كل موسم ، أيتها المبجلات في كل مكان بين الآلهة !

أثينا : يسرني وعدهن بتأكيد هذه الخيرات لأراضي بروح الود ، كما أشكر سواسيون إذ تسهر لحظاتها على مراقبة لساني وشفتي عندما وجدت منها رفضاً عنيداً . بيد أن زوس المتسلط على ألسنة البشر[٢] قد انتصر ، وستنتصر منافستنا هذه في صنع الخير إلى الأبد.

---

(١) كانت هذه الهدايا من المعادن الثمينة (اهتم الأثينيون بالفضة بنوع خاص) وكانوا يحصلون على هذه المعادن تبعاً للحظ ، وكان هيرميس هو إله المستخرجات بالحظ .

(٢) يشرف زوس على اجتماعات المواطنين ، ويوجه الكلام الذي ينطق به رجال الحكومة .

الكوروس : عسى الشعب الذي لا يكف عن فعل الشرور ، ألا يرفع قط صوته عالياً داخل المدينة ـ أرجو هذا ؛ وعسى ألا يشرب الثري دم أهلها الأسود ، ويقوم عن طريق العاطفة بالقتل المخرب إنتقاماً ، لتدمير الدولة[1] . وبدلاً من هذا ، عساهم يردون على الفرح بالفرح بروح الود المتبادل ، ويمقتون برأي واحد ، إذ في هذا شفاء لكثير من شرور العالم .

أثينا : ألا يزمعون ، إذن ، أن يوجدوا طريقاً للسان الرحيم ؟ يمكنني أن أتكهن ، من هذه الوجوه المفزعة ، بأن ربحاً عظيماً ينتظر مواطني هؤلاء . وإذا قدمتم لهن عبادة بالغة السمو ، برقة كما هن رقيقات ، فلا شك في أنكم تتفوقون ، فتقودون أرضكم ومدينتكم في طريق العدالة المستقيم .

الكوروس : ازدهروا وسط الثروة التي يضمنها لكم القدر . ازدهروا تماماً ، يا أهل المدينة ، يا من تتبوءون مقاعد عالية أمام زوس ، يا من تحبكم العذراء المحبوبة ، وتتعلمون طريق الحكمة أخيراً ، وتكمنون تحت جناحي بالاس ، فإن الأب يضعكم موضع التبجيل .

أثينا : وداعاً أيضاً . ولكن يجب أن أقود الطريق لشهر مساكنكن بضوء هؤلاء ، رفقائكن[2] . انصرفن الآن بسرعة إلى تحت الأرض

---

(١) تعبير الفكرة « الأخذ بالثأر في حرب أهلية » معقد ، وكذلك العلاقة النحوية . والمعنى الأصح هو « يمسك الحيوان المفترس فريسته) بالمصائب » ـ الخاصة بالانتقام ـ إلى الدولة ـ مصائب تراق فيها الدماء نظير الدماء .

(٢) يذهب الكوروس الآن إلى المغادرة التي بأسفل تل.آريس مقر عبادة الربات الموقرات اللائي يعبر عنهن الشاعر هنا بالإيرينويس والربات الغاضبات والأرواح المنتقمة . ويبدو أن هذا التعبير يشمل أيضاً اليومينيديس أو الآلهة الشفيقة التي عبدت في سيكوءون بمدينة =

بهذه الذبائح المقدسة وأوقفن كل ما هو ضار بمملكتنا ، وأرسلن كل ما يفيدها ليحرز لها النصر ! أيا أولاد كراناوس[1] Granaus ، يا من تقبضون على زمام هذه المدينة ، افتحوا الطريق أمام هؤلاء الساكنات الجديدات . وعسى أن يتمتع المواطنون بالشهرة الطيبة لقاء الخير المقدم لهم !

الكوروس : وداعاً ، وداعاً للمرة الثانية أكرر هذا لجميعكم يا من في هذه المدينة ، الآلهة والبشر على حد سواء ، يا ساكني مدينة بالاس . أظهروا الاحترام اللازم لإقامتي بينكم . وسوف لا تجدون سبباً تلومون عليه حظكم في الحياة .

أثينا : تروقني ألفاظ توسلكن . وسأرافقكن الآن في ضوء المشاعل المتألقة إلى وطنكن تحت الأرض ، وستقوم حارسات تمثالي على خدمتكن ، لأن بلاد ثيسيوس كلها ستأتي في موكب عظيم ، العذارى والسيدات وجمع من النساء العجائز .

يرتدي هؤلاء ثياب الأعياد القرمزية ، وليتحرك ضوء المشاعل إلى الأمام ، وليتحرك وطيسي قدماً ، وليتحرك إلى الأمام وهج المشاعل ؛ حتى يتخذ التصرف الرقيق لجماعات الزائرات حضوره منذ الآن بالخيرات جالبة الرخاء لأبنائها .

[كوروس موكب الحرس]

= ارجوس، وفي أتيكا بمدينتي فلوا Phlya وكولونوس (انظر مسرحية « أوديبوس في كولونوس» لسوفوكليس). يتكون الموكب من أثينا في المقدمة فالكوروس فأعضاء الأريوباجوس فحاملي المشاعل فحارسات البالاديوم وغيرهن وأخيراً الشعب الأثيني .

(١) كان كراناوس هو المؤسس الأسطوري « للمدينة الصخرية » وهذا هو اسم مدينة أثينا المفضل .

اذهبن في طريقكن إلى مساكنكن ، يا بنات الليل ، يا بنات رغم شيخوختكن ، يا عاشقات الشرف بالحراسة الطيبة . . . .

الـزموا الصمت ! ولتكن ألفـاظكم رقيقة ، أيهـا السـاكنـون في الأرض !

تحت كهوف الأرض الطبيعية المقسمة بـالمجد السـامي للعبادة والقرابين . . .

الزموا الصمت ! ولتكن ألفاظكم رقيقة ، يا جميع القوم !

هيـا إلى هنا ، أيتهـا الـربـات المـوقـرات ، أيتهـا المبـاركـات والـرحيمـات بهـذه البـلاد ، اذهبن بضـوء المشـاعـل المغـذاة باللهب ، مبتهجات في أثناء مسيركن .

اطلقن صيحة فرح صدى لأغنيتنا !

نرجو أن يسود السلام ، في الزمن المستقبل ، بين مواطني مدينة بالاس وبين اللواتي أتين للإقامة فيها . لا بد أن زوس الذي يرى كل شيء ، هو والقدر قد مـدا يد المسـاعدة للوصـول إلى هذه النتيجة .

اطلقن صيحة فرح صدى لأغنيتنا !

[يخرج الجميع]

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤلفات وتراجم أمين سلامة

في الدراسات اليونانية والرومانية

مؤلفات وتراجم أمين سلامة

في الدراسات اليونانية والرومانية

- اللغة اللاتينية المبسطة (مكتبة النهضة المصرية) .
- اللغة اليونانية (مكتبة النهضة المصرية) .
- المرشد في اللغة اللاتينية (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الأمين في اللغة اللاتينية (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- رفيق الطالب في اللغة اللاتينية (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- المصباح في اللغة اللاتينية(مكتبة الأنجلو المصرية) .
- العملاق في اللغة اللاتينية (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- هيلين طروادة (دار الفكر العربي) .
- هسيود الشاعر الإغريقي (دار الفكر العربي) .
- هرقل وبرسيوس (من أساطير أبطال الإغريق (دار الفكر العربي) .
- نعل الذهب (أسطورة إغريقية) (دار الفكر العربي) .
- قصص خرافية رومانية ويونانية (دار الفكر العربي) .
- غراميات كاتولوس (دار الفكر العربي) .
- إلياذة هوميروس (٣ أجزاء) (مطبوعات كتابي) .
- معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية (دار الفكر العربي) .
- أبطال الأرجو (أسطورة إغريقية) (دار الفكر العربي) .
- رحلات أوديسيوس (الهيئة العامة للكتاب) .
- هيرودوت .

ـ خطباء اليونان .
ـ أوديسة هوميروس (الجزء الأول) .
ـ مغامرات أوريسيوس (دار الفكر العربي) .
ـ أوديسة هوميروس (الترجمة الكاملة) (دار الفكر العربي).
ـ التاريخ الروماني (دار الفكر العربي) .
ـ فن الحب وعلاجه لأوفيد .
ـ إلياذة هوميروس (الترجمة الكاملة) (دار الفكر العربي).
ـ هيكوبا وأريستيس (ليوريبيديس) (دار الفكر العربي).
ـ مسرحية الضفادع (لأريستوفانيس) (دار الفكر العربي).
ـ من مسرحيات سوفوكليس (أجاكس وألكترا).
ـ سوفوكليس (أوديب ملكاً ـ أوديب في كولونس ـ أنتيجوني) (دار الفكر العربي).
ـ مسرحيات سوفوكليس (سيدات تراخيس وفيلوكتيتيس).
ـ كوميديات بلاوتوس (دار المعارف).
ـ كوميديات أريستوفانيس (ثلاثة مجلدات) (وزارة الثقافة العراقية).
ـ الموسوعة الكلاسيكية للمسرح اليوناني والروماني ـ مسرحيات يوريبيديس (الجزءان الأول والثاني) (مكتبة مدبولي).
ـ العملاق وحيد العين (مكتبة الأنجلو المصرية).
ـ الأساطير اليونانية والرومانية. (عرض شامل).
ـ Hesiod's Ethical Poetry (بالإنجليزية) .

من أشهر أقوال أيسخولوس

- أفضل الجهل على العلم في سبيل الشر.
- من طبيعة البشر أن يركلوا الرجل الذي سقط.
- لا نصدق الرجل بالقسم، بل نصدق القسم بالرجل.
- الموت للبشر خلاص من الشقاء.
- إنني أتحدث إلى من يعرفون وأهمل من لا يعرفون.
- النحيب علاج أكيد للآلام.
- الطاعة أم النجاح وزوجة السلامة.
- الفن أضعف من الضرورة بكثير.
- الحظ إله، وأكثر من إله لدى البشر.
- قوة الحاجة لا تقاوم.
- إشاعات الناس عظيمة القوة في كل مكان.
- أيها الموت أنت وحدك دواء جميع العلل.
- إنه لا يرغب في أن يبدو أفضل الجميع، ولكنه يريد أن يكون كذلك.
- فم الله لا ينطق بالكذب ولو كان مبدع الكلام.
- قلَّ مَنْ سُرَّ بنجاح صديقه بلا حسد.

أمين سلامة

MADBOULI BOOKSHOP مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel: 756421 ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١